ظُهُورُ حَضْرَةِ بَهَاءِ اللهِ

ظهور حضرة بهاء الله

المجلد الثالث

عكاء، السنوات الأولى
١٨٦٨–١٨٧٧م

تأليف

أديب طاهرزاده



تعريب

فؤاد عبد الرّزّاق عبّاس

دار البديع للطباعة والنشر
ص ب ١٤٨٤–٩٠
بيروت – لبنان
شباط ٢٠٠٩م

مؤلفات أخرى للمؤلف بالإنگليزية:

- أمناء الرحمن – دار النشر البهائية – لندن **١٩٧٢**م.
- ظهور حضرة بهاءالله – بغداد، **١٨٥٣–١٨٦٣**م.
- ظهور حضرة بهاءالله – أدرنة، **١٨٦٣–١٨٦٨**م.
- ظهور حضرة بهاءالله – المزرعة والبهجة، **١٨٧٧–١٨٩٢**م.
- ميثاق حضرة بهاءالله.

إلى تلكم النفوس النيّرة من المهاجرين والمبلّغين البهائيين
في أرجاء الأرض الذين أنفقوا حياتهم وكلّ ما لهم
في سبيل حضرة بهاءالله

الصحيفة الأولى من "الكتاب الأقدس"

بخط يد حضرة عبدالبهاء

المحتوى

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الصور

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تعريف

زينت متن هذا الكتاب مقتبسات من آثار حضرة الباب وحضرة بهاءالله ثبتت في "مسرد الكتب والمراجع" و"المصادر" في الصفحات الأخيرة من هذا المجلد. وهناك الكثير من المقتطفات الأخرى بالفارسية جاءت في المخطوطات قمت بترجمتها ما لم أشر إلى غير ذلك. أمّا الحواشي فهي في الغالب صياغتي وقد أشرت إليها منعاً للالتباس. والآيات البينات المقتبسة من القرآن الكريم ثبتت أرقامها كما وردت في الطبعة العربية. وكتبت الأسماء الفارسية والعربية كما وردت في المراجع البهائية، أمّا المقتطفات فقد وضعت كما جاءت في الأصل.

نادراً ما رغب المؤمنون الأوائل في أن تؤخذ لهم الصور الفوتوغرافية الفردية، ولكن في بعض المناسبات أخذت لهم بعض الصور الجماعية، ومن هذه الصور الجماعية استخرجنا لهذا الكتاب بعض الصور الفردية. وإنّني على يقين بأنّ أهميتها التاريخية تفوق كونها باهتة غير واضحة. وأدين بالامتنان لقسم السمعيات والبصريات في المركز البهائي العالمي لتزويدي بأغلب الصور الفوتوغرافية هذه، وأود أن أشكر السيد روحي شكيبائي للإخراج الممتاز لمعظم الصور المطبوعة في هذا الكتاب.

وأقدم شكري الجزيل لدار الطبع والنشر في كل من لندن وويلمت -إيلينوي على تعاونهم والسماح لي بالاقتباس من منشوراتهم.

كذلك أرغب في الإعراب عن تقديري العميق للدكتورة ماي باليريو وذلك لمجهوداتها التي لم تعرف الكلل في مساعدتي للإسراع بإعداد مسودة الأصل،

وتنقيحها البارع، وإعدادها للفهرس. وأشكر كذلك الآنسة إيثني إيرلي لطباعتها ما خططته بعجالة، بحيث غالباً ما كان يصعب قراءة الكثير منها، وإلى السيدة كورين ألكساندر للمساعدة في طباعة إضافية. أقدم امتناني أيضاً للسيد هارولد بويس للاعتناء بتمحيص النص النهائي عند الطبع.

لقد استغرق هذا المجلد وقتاً طويلاً في إخراجه رغم اعتباري إيّاه مساهمة ضئيلة الشأن في الثروة العظيمة للمعارف البهائية. ويرجع السبب في ذلك بصفة رئيسة إلى افتقاري للوقت. فاضطررت للعمل خلال ساعات الفراغ في المنزل، وغالباً ما كانت في ساعات الليل المتأخرة، مما تسبب في تباطؤ سرعة الإنجاز. وأغلب الاحتمال أنْ ينطبق هذا الحال على المجلد الرابع أيضاً. وعلى أي حال فإنّي مدين كثيراً لزوجتي لزلي لمساندتها الدائمة وتشجيعها.

أديب طاهرزاده

توطئة

كان وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء، حيث تمّ بذلك تحقق النبوءات الإلهية بمجيء رب الجنود إلى الأرض المقدسة، إيذاناً بافتتاح فصل جديد في سجل الاكتمال المجيد لرسالة حضرة بهاءالله السماوية. فالأحداث الجسام التي ارتبطت بهذه الفترة تفوق ما وقع منها في سابق أيام عهده. ذلك لأن أواخر نداءاته وإبلاغ رسالته للملوك منفردين ورؤساء الدول والدين، وإنزال أحكام وشريعة دورته والتي تعتبر دعائم ولبنات نظمه العالمي، وانقلاب تيار البلايا والامتحان وتشويه الاسم والسمعة إلى التكريم والإعزاز في أوساط المجتمع، وإنزال ما يفوق الحصر من الألواح مما يمكن اعتباره ذروة شامخة لما أنزل من قبل، وإطلاق طاقات روحانية هائلة مقدر لها بعث الحياة من جديد في المجتمع الإنساني وإيجاد خلق جديد من البشر، كل ذلك يطبع بطابع خاص هذه الفترة من عهد وظهور حضرة بهاءالله في كل من عكاء والبهجة فيما بعد.

يسعى هذا المجلد، الذي يشمل السنوات التسع الأولى من سيرة حضرة بهاءالله في عكاء، إلى اقتناص لمحة من هذا الظهور الأعظم. لكن وا حسرتاه ما أضعف وأقصر عقل الإنسان وبصيرته عن أنْ تمدانه بالقدرة على الولوج في رحاب الوحي السماوي الذي يفوق إدراكه. فمن البديهي أنّنا عاجزون عن الغوص في أعماق محيط الكلمة الإلهية في هذا العصر. وكل ما بإمكاننا عمله هو المرور فوق سطحه فقط.

أمّا غاية هذا المجلد فهي وصف بعض مضامين ألواح حضرة بهاءالله. وللوصول إلى ذلك فإن المؤلف اتّبع النمط نفسه الذي عمل به في المجلدين السابقين. فقد أوجز بعض المواضيع الهامة لكل لوح ثم أعقب ذلك بتعليق مسهب حول بعض

النقاط التي يرى فيها ما يعين على تفهم بعض حقائق أمر الله الأساسية. ولم يكن وراء استعراض المؤلف بشيء من التفصيل لحياة حضرة بهاءالله وظروف حبسه في الثكنات ثم في عكاء فيما بعد، أو التعرض باختصار لسيرة حياة بعض المؤمنين ممن لهم صلة بتلك الفترة، لم يكن قصده سوى تقديم خلفية للظروف المعاصرة لظهور الكلمة الإلهية.

إن دراسة كتابات حضرة بهاءالله لهي تجربة روحانية لا انتهاء لها، ذلك لأن معين ألفاظه وما تحويه من معان عديدة، وقوة كلماته لا ينضبان. وعليه لن يجد القارئ سوى قطرة من هذا المحيط، حيث فقط، من خلال التعمق أكثر بدراسة هذه الكتابات، يمكننا رؤية مدى عمق واتساع العلم الإلهي الذي أفاض به حضرة بهاءالله على العالمين في هذا اليوم، العلم الذي لن يفتأ يتسع على الدوام ويتكشف بمرور الوقت.

توضيح

تم استخراج النصوص الأصلية العربية المتوفرة (وهي مطبوعة بخط عريض) بما فيها آيات القرآن الكريم والكتاب المقدس والأحاديث النبوية الشريفة. أمّا النصوص الفارسية فقد عربت من الأصل الفارسي مباشرة عندما لم يتوفر تعريب لها في الكتب الأمرية، ويشار إلى أرقام تلك المقتطفات في الحاشية أدناه[١] مع رقم الفصل بين قوسين. وقد تم نقل النصوص والمقتطفات المتوفرة في المصادر المذكورة في بند "مسرد الكتب والمراجع" كما وردت دون تعديل يذكر.

تم الالتزام بتعريب متن الكتاب ونقل المقتطفات كما وردت في الطبعة الإنگليزية الأصلية، عدا بعض المواقع، عندما وجد أن ذلك يتناسب مع السياق.

وفي متن الكتاب تشير الأرقام الصغيرة (مرتفعة قليلاً)، إلى الحواشي المبينة في أسفل الصفحة تحت خط. أمّا الأرقام الكبيرة في قوسين فتشير إلى المصادر والمراجع المقتبسة.

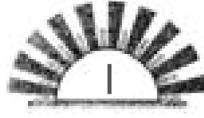
(١) ٤(١)؛ ٥(٢)؛ ٢(٣)؛ ٢(٥)؛ ١١، ٢١(٨)؛ ١٣(١٠)؛ ٦(١١)؛ ١١(١٢)؛ ٥(١٣)؛ ٤، ١١، ١٢، ١٣(١٤)؛ ٢٤(١٦)؛ ٨(الملحق ٢).

كلمة الناشر

يسرنا أن نضع بين أيدي القراء الأعزاء الترجمة العربية للمجلد الثالث من كتاب "ظهور حضرة بهاء الله" لمؤلفه المغفور له السيد أديب طاهرزاده، وعرّبه المغفور له السيد فؤاد عبد الرزاق عباس الذي وافته المنية قبل أن يصدر هذا المجلد الحالي. قام منسق تراجم مؤلفات السيد طاهرزاده بتدقيق وتنقيح الترجمة العربية وطباعتها واستخراج النصوص الأصلية، وعرّب بعض النصوص الفارسية التي لم تتوفر ترجمتها إلى العربية، ثم قام بإعداد الفهرس وتهيئة المجلد للطبع. ونود أن نشكر هنا الاستاذ مصطفى صبري لجهوده الخيّرة في مراجعة اللغة العربية.



عكاء في القرن التاسع عشر



وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء

كانت رحلة حضرة بهاءالله من أدرنة إلى عكاء، التي ورد ذكرها بإيجاز في الفصل الختامي من المجلد السابق، مفعمة بالمصاعب والعذاب. بل كانت تأكيداً آخر لمسلسل الذلة التي تعرّض لها حضرة بهاءالله وأصحابه والإهانات التي وجهت له بتدبير من أعدائه. وعند وصوله إلى سجن عكاء بلغت هذه البلايا من الشدة بحيث دعا المدينة باسم "السجن الأعظم". في إشارة للسنوات التسع الأولى لمنفاه بعكاء، وصف القلم الأعلى ذلك المكان في أحد ألواحه بهذه الكلمات المؤثرة:

"ثم اعلم أن في ورودنا هذا المقام سمّيناه بالسجن الأعظم. ومن قبل كنّا في أرض أخرى[1] تحت السلاسل والأغلال وما سمي بذلك قل تفَكّروا فيه يا أولي الألباب."(١)

إن إحدى الملامح العجيبة لحياة حضرة بهاءالله هي التباين ما بين مظاهر العظمة والجلال الموهوبة له من الله من جهة، والسجن والذلة التي عامله بها أعداؤه من جهة أخرى. وقد يتملكنا العجب والحيرة عندما نلاحظ أن حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، والذي كانت مقدرات الأرض والسماء في قبضته وبحركة من قلمه كان بإمكانه قلب حياة الناس أجمعين، والذي كان لكلماته من القوة والنفوذ ما يقهر به أعداءه. إن مظهراً إلهياً كهذا رضي بتسليم نفسه تسليماً تاماً للذين قاموا بكل قوتهم وسطوتهم على قتله وإطفاء شعلة أمره. فلم

(١) طهران.

يسّخر ما يسّر له الله من قوى روحانية لكف أيدي الظالمين الذين اضطهدوه. كان بوسعه –كما شهد هو بذاته في كثير من ألواحه– أسر قلوب أعدائه بالتفوه بكلمة واحدة لو شاء. لكن ذلك لم يقدّر له أنْ يكون. فإن الله قد خلق الإنسان ووهبه الإرادة الحرة للخيار ما بين الخير والشر، أو اتّباع الحقيقة أو السير بطريق الباطل والضلال.

ذلك لو أن المظاهر الإلهية كشفوا آيات اقتدارهم بشكل كامل، ولو أنهم كانوا ليمحقوا ويتسلطوا على مضطهديهم باستعمال ما وهبوا من سلطنة روحانية، فإن ذلك الكشف سيكون مناقضاً لمبدأ حرية الخيار الذي وهبه الله للإنسان. فلن يقدر أي إنسان سواء كان جيداً أو خبيثاً، جديراً أو غير جدير، عند مواجهة فيض آيات عظمة مظهر الله الغالبة ونفوذه، سوى الاعتراف بسلطته والإذعان لأحقية رسالته. في هذه الحال ينقلب الإنسان إلى مجرد دمية لا سيطرة لها على أعمالها، كما يتساوى فيها من يملك الموهبة الروحانية مع من حرم منها.

لهذا السبب فإن المظاهر الإلهية يسترون قدراتهم عن أعين الناس عموماً ويظهرونها أحياناً (وبقدر محدود) للقليل ممن وهبوا خصالاً روحانية.[1] فالمسيح مثلاً أنعم على بعض حوارييه ليشهدوا آيات مجده، ولكن غالبية سكان الأرض المقدسة، بمن فيهم رؤساؤهم الروحيون وحكامهم، لم يتأثروا بذلك أو يشهدوا له. كما أنه لم يستعمل سطوته الروحانية للحيلولة دون صلبه.

تبقى قوى المظهر الإلهي مستورة خلف حجاب هيكله الإنساني. فهو يعيش كأي واحد من الناس ويخضع للحدودات نفسها التي تنشأ عن ذلك. فهو يأكل وينام من أجل البقاء. وهو يشقى ويتألم إذا اضُطهد وعُذب، كما يمرض أحياناً وأخيراً يموت. في الحقيقة يبدو خلال ظهوره وكأنه يأتي متستراً خلف هيكله الفاني الذي يموّه عن الأنظار حقيقته. وبذلك يمتنع معظم أهل زمانه عن الاعتراف

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٧٩، والصفحة ٣٠٦ من هذا المجلد.

بمقامه والإيمان به. كما أن أعماله تشكل عقبات كبيرة وعثرات بالنسبة لمن يتصل به ويعرفه. فنمط حياته يماثل في الظاهر حياة مواطنيه، إذ يتكلم لغتهم ويعمل بالقوانين والأعراف الجارية ويمارس التقاليد نفسها. من جهة أخرى يبدو أنه لا يعلم المستقبل، ويزوده الآخرون بأخبار يومه، بل حتى إن بعضاً من تعاليمه وكلماته تلقي الشدة في قلوب وعقول الذين حجبت أبصارهم عن إدراك مجده ومقامه. أمّا أولئك المتعلمون والمفكرون المحرومون من نعمة البصيرة الروحانية، والذين يزنون كلامه بمعاييرهم فيجدون في أقواله أخطاء ويعرضون عن دعوته في الحين.

إن كافة هذه الخصائص البشرية التي يبديها المظهر الإلهي تعمل كحجاب من سحاب كثيف يمنع مشاهدة بهاء أنوار ظهوره عن أعين الناس. ذلك لأنه لن يظهر نفسه بجمال هويته وعظمته. لكن أصحاب البصيرة الروحانية فقط قد يستطيعون اختراق الحجب ومشاهدة سناء شمس الحقيقة الساطعة من خلف السحاب. على الإنسان أنْ يبذل الجهد ويسعى للمعرفة وبلوغ الحقيقة. هذا من نواميس الخلق الحتمية، ومن خلاله تحفظ للإنسان إرادته الحرة والتي هي هبة له من عند الله. لقد أعطى الله الإنسان السلطة ليتحكّم في هذه الدنيا. والإنسان يمتلك ناصية الحياة والموت في قبضته. ذلك لأن بوسعه أنْ يعيش حياة سلم ويبني عالماً متحداً، أو أنْ يؤجج نيران العداء وتدمير أعداد هائلة من البشر. ولو أن الله قد بعث برسله عبر الزمان ليبيّنوا للبشرية طريقها، وأناروا الدرب لها، إلاّ أنه قد ترك للإنسان حرية الاختيار والقرار. وفي كل دورة دخل عدد من الناس في صراط الحق طوعاً وبمحض اختيارهم، بينما أعرض أغلب الناس عن نداء الله متبعين أهواء أنفسهم.

في عصرنا هذا نجد الإنسانية قد أوغلت في ضلالها عن سبيل الحق، وأن دعوة حضرة بهاءالله للاعتراف به بأنه وليّ الله على الأرض قد وقعت على آذان صماء. لكن عندما نمعن في دراسة آثاره الكتابية سنهتدي للاعتقاد بأن دعوته، وهي تتويج لما سبق من رسالات الله، والفاتحة لعصر يوم الله نفسه، لا محالة سوف تتحكم بمصائر البشرية ومقدّراتها عموماً بنحو يقر معه كافة سكان العالم بمقامه مختارين ويعتنقون أمره بمحض إرادتهم. وهذا بدوره سيحقق، في

المستقبل البعيد، ظهور خلق جديد من البشرية يتعذر علينا في هذا العصر تصور نبل خلقهم وفضائلهم الروحانية.

إن إقرارنا بهذه القاعدة الأساسية ألا وهي إخفاء المظاهر الإلهية لحقيقة مقامهم وعظمة جانبهم السماوي عن أنظار العباد، سوف يساعدنا على أن نقدّر بنحو أوسع كيفية ظهورهم وقيامهم برسالاتهم بين الناس في هذا العالم. فنحن نلاحظ بأنهم اختاروا على الدوام التسليم لأعدائهم، لكنهم مع ذلك أفلحوا، بالقدرة الإلهية، في تأسيس دعائم أمرهم بين الناس. ولعل يكفي لإثبات هذا المبدأ ما واجهه حضرة بهاءالله من الابتلاء والعذاب على أيدي أعدائه خلال السنوات الأربعين التي امتدت فيها بعثته، وكيفية تحمله بكمال الصبر والتسليم. يتضح هذا خصوصاً في فترة عكاء حيث أنزل عليه أصحاب السلطة من ألوان البلايا ما فاقت بشدتها تلك التي نزلت عليه في أي فترة أخرى من بعثته.

لكن رغم تسليمه نفسه لعدو حاقد جعله سجيناً وفرض عليه العزلة مدى الحياة، لم يتمكن أحد من سلب حضرة بهاءالله عظمته وجلاله. حتى أولئك الذين عميت بصائرهم عن مشاهدة سلطانه السماوي فإنهم صعقوا بشدة أمام المظاهر الجلية لشخصه الجليل النبيل.

أمّا فيما يتعلق بحوادث أخرى في حياته حينما التقى به آخرون وجهاً لوجه، فلم يكن هناك واحد ممن رافق حضرة بهاءالله من مسؤولي الدولة سواء في نفيه إلى عكاء أو غيرهم ممن التقى به خلال تأدية واجبه أو لأسباب أخرى، فشل في إدراك عظمة حضرته. كان من جملة هؤلاء شاب مسيحي اسمه قسطنطين، كان قد صعد إلى الباخرة في الإسكندرية بمصر وتشرف بمحضر حضرة بهاءالله. كان هذا الشاب أحد الشخصيات في حادثة هامة وقعت خلال رحلة حضرة بهاءالله إلى عكاء.

حادثة الإسكندرية

كان حضرة بهاءالله قد أرسل النبيل الأعظم، في أواخر أيام إقامته بأدرنة، إلى مصر في مهمة خاصة. وكان القنصل الإيراني العام بالقاهرة، ميرزا حسن

خان الخوئي عدواً لدوداً لأمر الله. وما أنْ علم الأخير بزيارة النبيل حتى اتصل بالسلطات المصرية وعرض تهماً باطلة ضده وحثّ على إلقاء القبض عليه. ونتيجة لذلك أُرسل النبيل إلى سجن في القاهرة وفيما بعد نُقل إلى سجن آخر في الإسكندرية. فأمضى النبيل أيامه في سجن الإسكندرية القريب من البحر حيث كانت السفن ترسو هناك، إلاّ أنه كان يجهل تماماً مصير حضرة بهاءالله ونفيه الوشيك إلى عكاء.

كما سبق أنْ ذكرنا في مجلد سابق،[١] كان في السجن نفسه طبيب سوري مسيحي اسمه فارس محكوم عليه بالسجن لأسباب مالية، وقد تعرّف على النبيل وانجذب إليه. في البداية حاول الأول تحويل الأخير إلى المسيحية، لكن سرعان ما بلّغ النبيل صاحبه ببشارة مجيء الآب وظهور يوم الله الموعود. ثم راح يكشف لبصيرته عن إشراق نور الدين الوليد وأعانه على عرفان ظهوره.

وسرعان ما أيقن فارس بأحقية أمر الله نتيجة لمساعي النبيل التبليغية الملهمة بروح انقطاعه عن هذه الدنيا، إضافة إلى عمق معرفته لرسالة حضرة بهاءالله. فتأججت بين أضلعه نيران الإيمان، وامتلأ كيانه كله بعشق حضرة بهاءالله. وبلغ به الفرح والابتهاج حداً أنساه كآبة حياة السجن وجعله يشعر لأول مرة وكأنه في وسط الجنة.

عندما كان النبيل في سجن القاهرة ظهر له حضرة بهاءالله في المنام وطمأنه بانتهاء حياة السجن بعد واحد وثمانين يوماً. صادف ذلك اليوم الخميس، السابع والعشرين من شهر آب ١٨٦٨م، حيث فيه انجلى مغزى حلم النبيل.[٢] صعد النبيل إلى سطح السجن قرب غروب الشمس في ذلك اليوم وراح ينظر إلى المارة من

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٢١٥.

(٢) طبقاً لسجلات الملاحة كان من المقرر مغادرة الباخرة التابعة لشركة لويد النمساوية لميناء گليپولي يوم ١٨٦٨/٨/٢١م وأن تصل الإسكندرية يوم الأربعاء ٨/٢٦ في الصباح الباكر. وقد انتقل حضرة بهاءالله وأتباعه إلى باخرة أخرى تابعة للشركة نفسها في الإسكندرية متجهة إلى قبرص مروراً بحيفا، والتي أبحرت يوم الجمعة ٢٨ آب.

الناس، لم يكد يستقر جالساً في إحدى زوايا السطح حتى لمح، لشدة دهشته، آقا محمد إبراهيم الناظر من بين عابري السبيل مصحوباً بحارس. وكان آقا محمد إبراهيم يقوم بمهمة تجهيز لوازم الغذاء لحضرة بهاءالله وأصحابه في أدرنة. وفي الإسكندرية غادر الباخرة لشراء المؤن للرحلة. وإذ كان النبيل على غير علم بنفي حضرة بهاءالله إلى عكاء، فقد هبّ مدهوشاً ونادى على آقا محمد إبراهيم الذي أفلح في إقناع حارسه بالسماح له بزيارة صاحبه في السجن. عندها أخبره بمصير حضرة بهاءالله وأصحابه وأشار إلى الباخرة التي كانت تحمل المنفيين ويمكن رؤيتها من السجن.

أحدثت هذه المصادفة العجيبة اضطراباً عنيفاً في قلب النبيل إذ أحس بشدة قربه من حضرة بهاءالله ومع ذلك كان بعيداً عنه. وعندما علم فارس أفندي بالقصة انتابته مشاعر هياج شديدة ولكنه شعر بالخيبة لعدم تمكنه من التشرف بمحضر مولاه.

وفي تلك الليلة لم يتمكن أي منهما من النوم. فاتفقا على أنْ يبعثا برسالة إلى حضرة بهاءالله. وفي صباح اليوم التالي نجح فارس أفندي، بترتيب مع شاب مسيحي اسمه قسطنطين كان يعمل في محل للساعات بالمدينة، في إيصال الرسالة إلى حضرة بهاءالله على متن الباخرة. وقد وقف الاثنان على سطح السجن يرقبان الباخرة وهي تستعد للإبحار، بينما راحا يناجيان حضرة بهاءالله وقد توجّها بقلبيهما إلى روحه بمنتهى العشق والانقطاع.

لكن بعد فترة قصيرة تحطم قلباهما لدى رؤية الباخرة تتحرك قبل وصول قسطنطين والسماح له بدخولها. إلاّ أن حزنهما لم يدم طويلاً إذ لشدة دهشتهما لاحظا بعد بضع دقائق توقّف الباخرة عن السير مما سمح لقسطنطين، الذي كان متجهاً بقارب ذي مجاديف بالوصول إليها والصعود إلى متنها. فسلّم المغلف لأحد الخدم الذي حمله إلى حضرة بهاءالله. لمّا أشيع نبأ النبيل ومحل إقامته ولا سيما رسالة فارس، التي قرأها حضرة بهاءالله لمن في محضره من الأصحاب، حصل هياج ملحوظ على متن الباخرة. فأنزل حضرة بهاءالله لوحاً بحق النبيل ضمّنه عنايات وبركات بحق فارس، وطمأنه بقرب إطلاق سراحه من السجن.

بعد ذلك نادى على المراسل وسلمه اللوح بلطف وود. كما حمّله حضرة عبدالبهاء والغصن الأطهر (أخوه الأصغر) بعض الهدايا للنبيل.

خلّفت هذه الزيارة القصيرة انطباعاً باقياً لدى قسطنطين. فبعد قضاء فترة وجيزة قابل فيها المظهر الكلي الإلهي وجهاً لوجه وشاهد خلالها لمحة من بهائه وعظمته، غادر الباخرة مصعوقاً مبهوراً. وعندما وصل لتسليم المغلف لفارس أفندي كان على حال من الانفعال بحيث سُمع وهو يهتف بصوت عال قائلاً: "والله لقد رأيت طلعة الآب السماوي". فعانقه فارس بعاطفة ونشوة روحانية وقبّل عينيه اللتين تنورتا بمشاهدة محيّا مولاه.

كان لوح حضرة بهاءالله قد سطر بخط يد ميرزا آقا ميرزا آقا جان على شاكلة ما يعرف بالتحرير النزولي.(١) وقد أضرم اللوح في فارس روحاً جديداً من العشق والإيمان، وأجج في فؤاده نار الإيمان التي أوقدها في صدره النبيل في ظلمة ذلك السجن. وكما تنبأ حضرة بهاءالله خرج فارس من الحبس بعد ثلاثة أيام. فقام بعد إطلاق سراحه على تبليغ أمر الله بين أهل ملّته. كذلك أطلق سراح النبيل بعد ذلك بفترة قصيرة، ولكنه لمّا كان إطلاق سراحه مشروطاً بمغادرة البلاد فإنه توجه إلى الأرض المقدسة ليلحق بمولاه.

أشار حضرة بهاءالله في أكثر من لوح إلى قصة فارس في الإسكندرية بأنها آية من آيات قدرة الله. ففي لوح(٢) أنزله بعد وصوله عكاء بقليل وموجّه لِرَضيّ الروح،(٢) من مؤمني منشاد المخلصين والذي قضى شهيداً، يروي حضرة بهاءالله قصة نفيه من أدرنة واستمرار هطول فيض الكلمة الإلهية خلال تلك الرحلة، ويصرح بأن نفحات كلمة الله قد أحاطت بكل الأرض. يصف فيه كيف استقل الباخرة ليقطع البحر، مشيراً إلى نفسه بعبارة "البحر الأعظم"، الذي استبشرت كل قطرة منه وكان يسمع منها ما عجز عن إصغائه من في الوجود.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٢٤–٢٥، ٣٦–٣٨.

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني. لا يعرف بالضبط تاريخ استشهاده ولكن من المرجح أن يكون بحدود تاريخ وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء وإرساله اللوح المذكور.

ولعل أبرز موضوع في هذا اللوح يخص قصة فارس. يذكر حضرة بهاءالله كيف أنه استلم من يد شخص مسيحي رسالة، أثناء رسو الباخرة في الإسكندرية، فاحت منها روائح القدس. كانت من قلم شخص انقطع عن شؤونات الدنيا واعتنق أمره. ثم يصرح حضرة بهاءالله بأنه كم تمنى لو كان رَضيّ الروح (صاحب اللوح نفسه) حاضراً ليستمع إلى صوت مولاه وهو يتلو بصوت عال على مسامع أصحابه رسالة الضراعة والإقرار بالإيمان. تعتبر هذه الرسالة، المكتوبة بالعربية، دليل إيمان مشتعل بأمر حضرة بهاءالله، وفهماً عميقاً لظهوره واعترافاً حقيقياً بمقامه. بلغ سرور حضرة بهاءالله لدى استلامه هذه الرسالة المؤثرة، حداً جعله يشارك أصحابه المؤمنين بمضمونها. وعليه، أذن باستنساخ جزء منها وإرساله إلى بعض المؤمنين في إيران ليطلعوا ويتأملوا في قدرة الكلمة الإلهية التي بإمكانها قلب النفوس وهدايتها إلى عالم الروح.

فيما يلي موجز لفقرة من الرسالة:

يا بهاء الأبهى ويا علي الأعلى! أكتب هذه الرسالة وأقدمها إلى من تعرض لنفس ما تعرض له المسيح من عذاب... ينبغي لنا أنْ نحمد الله ونشكره إنه هو المعطي المجيد. أسألك في هذا الحين أنْ تهبني وأهلي من بحر عطائك يا حيّ يا قيّوم ويا منبع الطهر والتقديس.

أسألك بسر وجودك المسرور، وبكليمك وابنك وحبيبك وبمبشرك الذي فدى حياته في سبيلك، بألاّ تحرمني وأهلي المساكين من مشاهدة بهاء طلعتك.

يا من تحملت من أجلنا البلايا والرزايا قوِّ إيماننا، واختر لنا خدمتك واجعلنا شهداء في سبيلك نفدي دماءنا في حبك. نحن ضعفاء وجهلاء ارزقنا من ملكوتك الأبهى لئلا نكون من الخاسرين. أفضي علينا نعمة المحبة والإيمان، وطهر قلوبنا مما لا ترضاه. أعنّا لنكران أنفسنا بحيث لن نجد الراحة إلاّ في خدمتك ومشيتك ورضائك.

يا من تعلم خفايا الصدور! أأنت مبحر على فلك من الخشب؟ آه كم أتمنى لو كنت قطعة منه، إذ طوبى له بما حمل هيكل الرب. وأنت

يا أيها البحر الهائج! أفزعت وفقدت السكينة خوفاً من الرب المجيد؟ يا إسكندرية هل أراك مفزوعة حزناً إذ تشهدين الحيّ الحكيم وهو يغادر شواطئك؟ ويا أطلال عكاء! أيحق لك أن تصفقي وتهللي فرحاً واستبشاراً وأنت في نشوتك إذ يوشك تراب أرضك يتقدس بمواطئ قدميه...

في اللوح سالف الذكر، والذي نزل بحق رَضيّ الروح، يصرح حضرة بهاءالله بعبارة هامة تؤكد إحدى حقائق أمر الله الأساسية. ففي إشارة لاعتراف فارس بمقام حضرته، يصرح حضرة بهاءالله بأن الله قد حول قلبه وخلقه من جديد، وبأن خلقاً كهذا لهو خير عند الله من خلق السموات والأرض. وربما يمكننا تقييم هذا البيان إذا تأملنا بحقيقة أن روح الإنسان، وهي أعز حقيقة في هذه الخليقة، وهبت له من عند الله. لذا فإن قوة انجذاب روحية غامضة تربط الروح (البشري) بالخالق.[١] وإلى هذه العلاقة من الحب يشير حضرة بهاءالله في "الكلمات المكنونة":

"يا ابن الإنسان
أحببت خلقك فخلقتك، فأحببني كي أذكرك، وفي روح الحياة أثبّتك."(٣)

لكن النفس ميالة للتعلق بهذه الحياة الدنيا وتعلقها هذا يصبح حجاباً بينها وبين خالقها. وإذا رُفعت الحجبات فإن النفس تتقرب إلى الله وتفوز بعرفانه وتكتسب الروح الإيماني[٢] وتصبح خلقاً جديداً. وهكذا تحقق النفس الغاية التي خلقت من أجلها، وهذا من خير وأفضل الأعمال لدى الله بل خير في نظره تعالى من كل ما هو موجود في هذا العالم المادي. وعلى ضوء هذا يمكننا أن نقدّر ما ترمي إليه نصائح حضرة بهاءالله وحضّه أتباعه في ميدان تبليغ أمره[٣] والذي بواسطته تهتدي

(١) لا نشير في هذا السياق إلى "الخالق" كجوهر الله بل المظهر الإلهي المنكشف للناس.
(٢) انظر المجلد الأول، الصفحات ٧٥–٧٧.
(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٨٧–٩٠، والصفحة ٣٣٧ من هذا المجلد.

النفوس لمعرفة خالقها. فلا عجب إذاً أن كتب على كل مؤمن واجب تبليغ أمره واعتبر ذلك **"أفضل الأعمال"**.

من المحتمل أن فارس كان أول مسيحي يعتنق دين حضرة بهاءالله. فقد أصبح، بفضل الإيمان الراسخ للنبيل من جهة ومعرفته الشخصية باللغة العربية والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)، أصبح مؤمناً خالصاً مدركاً مقام حضرة بهاءالله إدراكاً عميقاً. أمّا أن يلتقي فارس والنبيل في سجن الإسكندرية فلم يكن ذلك من قبيل الصدفة. ذلك لأن الله يعمل بطرق خفية. فحينما يظهر للبشر يجتذب لنفسه أولئك الذين انقطعوا عن هذه الدنيا. حصل هذا في ولايتي حضرة الباب وحضرة بهاءالله إذ آمن الكثيرون واهتدوا لمشرق وحي الله بطرق عجيبة خفية –بالحلم والرؤيا، أو بالحس البديهي الفطري، أو في ظروف أشبه ما تكون بالمعجزات. ذلك أن المظهر الإلهي كان يعيش بينهم ومن كان طاهر القلب لا يسعه إلاّ الانجذاب إليه.

"تالله الحق في هذا اليوم لو أن ذرة من جوهر خلطت بين مائة ألف حجر وسترت **خلف سبعة أبحر** فإن يد القدرة الإلهية سوف تظهرها وتفصلها."(٤)

كرّس فارس أوقاته لتبليغ أمر الله بين أهالي طائفته. هذا ويعتقد بأن "لوح الأقدس"[١] المعروف لدى مؤمني الغرب بـ"لوح النصارى"، قد أنزل في حقه، لكن ذلك لم يتأكّد بعد. فلم يكن بالإمكان حتى الآن التحقق من اسم الشخص الذي نزل اللوح المذكور في حقه.

بعد هذا اللقاء العجيب في الإسكندرية بين حضرة بهاءالله والسجينين البهائيين، أبحرت الباخرة إلى وجهتها المقررة،[٢] وبعد ثلاثة أيام وصلت إلى حيفا في الصباح الباكر من يوم الاثنين المصادف ٣١ آب.

---

(١) نشر في "مجموعة أز ألواح جمال أقدس أبهى"، الصفحات ٣–٩. يختلف عن "الكتاب الأقدس".

(٢) حسب سجلات الملاحة كان من المقرر مغادرة الباخرة التابعة لشركة لويد النمساوية لميناء الإسكندرية الساعة ١١:٠٠ ظهراً من يوم الجمعة، لتصل بور سعيد يوم السبت الساعة ٥:٠٠ بعد الظهر، ويافا يوم الأحد الساعة ٦:٠٠ مساءً، وحيفا يوم الاثنين الساعة ٨:٠٠ صباحاً، وبعد يومين تصل قبرص ظهراً.

السجن الأعظم

نزل حضرة بهاءالله وأصحابه –وعددهم سبعون نفراً– من الباخرة ونُقلوا إلى الشاطئ في قوارب شراعية، وكذلك نقل متاعهم معهم. هناك تم عدّهم وتسليمهم في عهدة السلطة الحكومية المحلية.(١) وبعد بضع ساعات نقلوا جميعهم بمركب شراعي إلى عكاء حيث وصلوها عصر اليوم نفسه. ونظراً لعدم توفر وسائل لرسو السفن بعكاء، اضطر الرجال للخوض في الماء للوصول إلى الشاطئ، وأمر المسؤولون بأنْ تنقل النساء محمولات على ظهور الرجال لكن بإلحاح من حضرة عبدالبهاء تم نقلهن بحمل كل منهن على كرسي حصل عليه بنفسه.

لمّا وصل حضرة بهاءالله إلى عكاء، كانت هذه المدينة مستعمرة للقصاص. قدر عدد سكانها في ثمانينيات القرن التاسع عشر بحوالي تسعة آلاف. كانت الحكومة التركية قد جمعت فيها من أرجاء إمبراطوريتها الشاسعة عدداً كبيراً من المجرمين والقتلة والسجناء السياسيين ومن سائر ألوان المشاغبين. أمّا سكانها الذين وصمهم حضرة بهاءالله بـ"أولاد الأفاعي" فكانوا قد انحطوا إلى مستوى رديء جداً. وقد دارت في أوساطهم إشاعات باطلة وتهم كاذبة حول حضرة بهاءالله وأتباعه قبيل وصولهم. فقد اعتبروا جماعة المنفيين، وهم صفوة عشاق الحق الذين رافقوا مولاهم إلى أخرب المدن، أشراراً ومجرمين من أشنع صنف ينبغي معاملتهم بكل قسوة. فلا غرابة أن توجّه جمع كبير من أهاليها عند موضع نزولهم إلى البر بعكاء واستقبلوهم بعبارات السخرية والازدراء سواء جماعة المنفيين أنفسهم أو زعيمهم الذي أشاروا إليه باسم "رب العجم".

لكن مع ذلك وجد بين ذاك الحشد بعض من النفوس الذين وهبوا الإحساس الروحاني. أولئك شعروا عند تطلعهم في وجه حضرة بهاءالله بجلال وعظمة أخّاذَيْن لم يشهدوا مثلهما من قبل. من بين أولئك كان شيخ وقور اسمه خليل

---

(١) لم يُسمح هنا لأربعة من أتباع حضرة بهاءالله بالنزول إلى البر بل أخذوهم إلى قبرص وهنا أيضاً ألقى أحدهم بنفسه في البحر وهو عبد الغفار. انظر المجلد الثاني، الصفحة ٤٠٣.

أحمد عبده الذي عرف عنه بأنه كان غالباً ما يحدّث أهالي عكاء عن قناعته برؤية أمارات العظمة والجلال والصدق في وجه حضرة بهاءالله. كما اعتاد تذكيرهم على الدوام بأن يكونوا شاكرين لله إذ شرّف أرضهم بأقدام هذا الشخص العظيم. وقد تنبأ بأن من خلال بركة وجوده سيجد سكانها البركة والرفاه، وهو ما حصل بالفعل فيما بعد.

شخص آخر ممن كان مع جمهور المشاهدين اسمه عبد الله طوزة. انجذب قلبه لحضرة بهاءالله بعد ما رأى في محياه الساطع دلائل القوة والعظمة. آمن به فيما بعد وزوّج ابنته، التي قدر لها أن تولد يوم وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء، إلى أحد أتباعه وخدامه المخلصين[١] واسمه حسين آشجي الذي عمل طبّاخاً في البيت المبارك.

كان الفرق يفوق التصور فيما بين رؤية أولئك الذين احتشدوا في بوابة عكاء البحرية ليسخروا من زمرة المنفيين ورئيسهم ويظهروا لهم العداء، وبين رؤيا حضرة بهاءالله التي تضمنها "لوح السَيّاح"[٢] الذي نزل قبل بضع سنوات من ذلك الوقت وتنبأ فيه وروده بتلك المدينة ويكشف فيه لأولي البصيرة الروحانية منظراً مختلفاً تماماً:

"وجدنا قوماً استقبلونا بوجوه عزّ درّياً... وكان بأيديهم أعلام النصر... إذاً نادى المناد فسوف يبعث الله من يُدخل الناس في ظلل هذه الأعلام."(٥)

إن موقف أولئك النظارة، وهم على ذاك العمى والغفلة عن عالم الروح وما كان لحضرة بهاءالله من رؤيا وتبصّر محيطين بكل شيء، إنما هو الموقف المعهود نفسه للبشر حين ظهور رسالة إلهية في كل عصر. فقد مضى أزيد من قرن من الزمان مذ نطق حضرة بهاءالله بهذه الكلمات لكن أغلب الناس، بمن فيهم حكامهم وحكماؤهم، فشلوا في تصديق أحقيتها والاعتراف بها. فهم ما بين

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١٦٣، ٣٩٥.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٢٠٨.

غافل مستسلم لغفلته عن مجيء الرب، أو صاحب أذن صماء عن استماع ندائه. أمّا الذين صدقوا واعتنقوا أمره فإنهم يؤمنون برؤياه الملهمة بأنه: "سوف يبعث الله من يدخل الناس في ظلل هذه الأعلام."

إن تاريخ نشأة كل دين ليدلل على حالة مماثلة. فلا شك أن حضرة المسيح لم يشّك للحظة، وهو على الصليب، في انتشار أمره فيما بعد إلى كل أطراف الأرض، بينما البشرية المتمثلة بسكان الأرض المقدسة المعاصرين له لم يروا ما رآه. ذلك لأنهم كانوا يرون فيه رجلاً أسيراً لا حول له ولا قوة يواجه موته على الصليب. كما لم يعرفوا شيئاً عن قوة الروح القدس، تلك القوة التي أدخلت ملايين البشر في ظل الديانة المسيحية.

وعندما وجد محمد ﷺ وأتباعه أنفسهم في إحدى المواقع محاصرين من كل جانب أمام عدو يفوقهم عدداً بنحو كبير، ولم يكن هناك في قلوب أتباعه أي أمل بالبقاء أحياء، يروى بأن النبي وقف على صخرة وضربها بقوة بعصاه وقال: 'لقد غلبتُ إمبراطورية الروم'. ثم فعل الشيء نفسه وقال: 'لقد غلبتُ إمبراطورية الفرس'... لم يتمكن آنذاك حتى بعض صحابته من تصور معنى تلك الكلمات وإدراكها ولكنهم سرعان ما شهدوا بأنفسهم تحققها.

كذلك توهّم أعداء حضرة بهاءالله، وقد عموا عن رؤية قدرة الله التي كانت تمدّ أمره بالغلبة والتأييد كما تحفظ شخص مظهره، بأنهم بحبسهم له سيطفئون نوره ويقضون على أمره. وبناء على ذلك أمرت السلطات بفرض أشد الإجراءات تقييداً له ولأصحابه.

في إشارة وجيزة لمغزى وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء كتب حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الدين البهائي، بالبلاغة البدع التي تميزت بها كتاباته الملهمة، يقول:

يشير نزول حضرة بهاءالله عكاء إلى بداية الطور الأخير من ولايته التي دامت أربعين سنة، كما أنه يدخل بالنفي الذي استغرق كل ولايته إلى نهايته، لا بل إلى

قمته. والواقع أن هذا النفي اقترب به في البداية من معاقل الشيعة، وجعله يتّصل بأقطابهم البارزين اتّصالاً مباشراً.ثم حمله هذا النفي، في مرحلة تالية، إلى عاصمة الإمبراطورية العثمانية، وأتاح له الفرصة لكي يوجّه بياناته المهيمنة التاريخية إلى السلطان ووزرائه وإلى أقطاب أهل السنة ورجالاتهم. والآن ينزل به هذا النفي إلى شواطىء الأرض المقدسة وهي الأرض التي وعد الله بها إبراهيم، وقدّسها كتاب موسى، ومجّدها أحبار العبرانيين وقضاتهم وملوكهم وأنبياؤهم بحياتهم وأعمالهم، واكتسبت قداستها من أنها مهد المسيحية، والمكان الذي اجتمع فيه زرادشت ببعض أنبياء بني إسرائيل حسبما يؤكد حضرة عبدالبهاء. كما اكتسبت عظمتها لدى الإسلام من ارتباطها بإسراء الرسول الكريم وعروجه في السموات السبع إلى عرش الله العلي القدير. في هذه البلاد المقدسة المحسودة "وكر الأنبياء" و"وادي أمر الله المكنون، البقعة البيضاء، أرض البهاء المنير"، كُتب على منفي بغداد والآستانة وأدرنة أنْ يقضي ما لا يقل عن ثلث عمره، وما لا يقل عن نصف ولايته. ولهذا قال حضرة عبدالبهاء: 'إنه لمن المحال أنْ يتصور العقل كيف حدث هذا النفي والتبعيد حيث يهاجر الجمال المبارك من إيران ويضرب خيمته في الأرض المقدسة'.

والواقع أنه يؤكد لنا أن هذه الخاتمة هي التي تنبأ بها "لسان النبيين منذ ألفيْ أو ثلاثة آلاف سنة" "ذلك لأن الله الصادق الوعد الأمين قد أطلع بعض الأنبياء وبشّرهم بأن ربّ الجنود سوف يظهر في الأرض المقدسة". من ذلك ما يصرّح به إشعياء في سفره من أنه "**على جبل عالٍ اصعدي يا مبشرة صهيون! ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم! ارفعي لا تخافي! قولي لمدن يهودا: هو ذا إلهك! هو ذا السيد الربّ بقوة يأتي، وذراعه تحكم له**". وبذلك يتنبأ داود في مزاميره: "**ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ ربّ الجنود هو ملك المجد**". "**من صهيون كمال الجمال الله أشرق، يأتي إلهنا ولا يصمت**". ويتنبأ عاموص بقدومه فيقول: "**إن الربّ يزمجر من صهيون، ويأتي صوته من أورشليم فتنوح مراعي الرعاة وييبس رأس الكرمل**".

أمّا عكاء التي يحفّ بها **"مجد لبنان"**، وتقوم بين يدي **"بهاء كرمل"** على سفوح التلال التي تحتضن موطن السيد المسيح فقد وصفها داود بـ**"المدينة المحصّنة"**، وسمّاها هوشع بـ**"باب الرجاء"**، وأشار إليها حزقيال بـ**"الباب المتجه نحو الشرق"** حيث إنه **"إذاً بمجد إله إسرائيل جاء طريق الشرق"**، وصوته **"كصوت مياه كثيرة"**. وإليها أشار النبي العربي الكريم بأنها "مدينة بالشام قد اختصّها الله برحمته" تقوم "بين جبلين... وسط المرج" "على شاطئ البحر معلقة تحت ساق العرش" "بيضاء حسن بياضها عند الله". وفضلاً عن ذلك قال، حسبما يؤيده حضرة بهاءالله: "طوبى لمن زار عكاء، وطوبى لمن زار زائر عكاء"، وقال أيضاً: "من أذّن فيها كان له مدّ صوته في الجنة"، وقال مرة أخرى: "فقراء عكاء ملوك الجنة وساداتها. وإن شهراً في عكاء أفضل من ألف سنة في غيرها". ومن أحاديثه الملحوظة ذلك الحديث المشهور الصحيح الذي ورد في "الفتوحات المكيّة" للشيخ ابن العربي نقله ميرزا أبو الفضل في "الفرائد"، والذي أورد فيه النبي العربي هذه النبوءة عظيمة الدلالة: "ويُقتلون كلهم (يعني أصحاب القائم) إلاّ واحداً منهم ينزل في مرج عكاء، في المأدبة الإلهية".(٦)

دخل حضرة بهاءالله وأصحابه مدينة المنفى خلال البوابة البحرية واقتيدوا عبر دروبها الضيقة الملتوية إلى الثكنات. في نهاية رحلتهم المضنية تلك وما عانوه خلالها من قلة أسباب الراحة ما بين أدرنة وعكاء وسط حر الصيف وزحمة المسافرين على ظهر الباخرة، كانوا جميعهم عند الوصول في حالة إعياء شديد. فوق كل هذا قُدّر لهم أن يواجهوا ظروف الحبس المزرية التي كانت تنتظرهم في الثكنات لا سيما في الليلة الأولى لوصولهم. فوضع حضرة بهاءالله في غرفة قذرة خالية تماماً من أي أثاث. نقل فيما بعد إلى حجرة في الطابق العلوي من الثكنات، وفي هذه الغرفة، التي رُتب داخلها وهي الآن محفوظة بحالة جيدة ويزورها الزوار البهائيون باستمرار، لم تكن في أيام حضرة بهاءالله صالحة للسكنى. وقد روى حضرة بهاءالله نفسه في أحد الألواح(٧) بأن أرضيتها كانت مكسوة تراباً، بينما ما تبقى في باطن سقفها من جص كان يتساقط.

أمّا أتباع حضرة بهاءالله فحُشروا في حجرة أخرى ذات أرضية من الطين. عند بوابة السجن وُضع عشرة جنود لحراسة السجناء. بلغت نتانة هواء السجن، والتي تفاقمت بالحرارة والرطوبة، حداً بحيث أن بهائية خانم، ابنة حضرة بهاءالله الملقبة بـ"الورقة المباركة العليا"، لم تحتمله فأغمى عليها عند وصولها.

لم يكن هناك ماء للشرب سوى ما كان في حوض صغير استعمل من قبل للاغتسال. كان الماء في هذا الحوض من القذارة بحيث كان مجرد التفكير بالشرب منه يبعث على القيء. في الليلة الأولى مُنع الماء عن السجناء. وبطبيعة الحال شعر كل منهم بالعطش وسط حرارة ذلك المحيط، مما أدى ببعض النساء والأطفال للانهيار عطشاً. فلم تستطع المرضعات منهن إطعام أطفالهن الذين تعالى صراخهم جوعاً وعطشاً. قام حضرة عبدالبهاء بعدة محاولات مع الحراس ليرحموا الأطفال، بل وبعث برسالة إلى حاكم عكاء لكن ذهبت كل مساعيه سدى. وأخيراً وفي صباح اليوم التالي جيء لهم ببعض الماء مع ثلاثة أرغفة من الخبز لكل من السجناء لقوته اليومي. لكن الخبز كان من رداءة النوعية بحيث لم يؤكل، وبعد مرور بعض الوقت سمح لهم باستبداله في السوق برغيفين من نوعية أفضل.

بعد ورود السجناء عكاء بقليل زار الحاكم الثكنات للتفتيش والإطلاع عليهم شخصياً. فخرج حضرة عبدالبهاء برفقة نفر قليل من الأصحاب لاستقباله. إلاّ أن الحاكم لم يتصرف معهم باحترام وأدب بل تهجّم عليهم مهدداً بقطع إمدادات الخبز عن السجناء إذا فرّ أحدهم، ثم أمرهم بالعودة إلى حجرتهم. عند ذلك لم يستطع حسين آشجي، أحد مرافقي حضرة عبدالبهاء، أن يسكت ويضبط نفسه بعد تلك المعاملة المهينة، فردّ على الحاكم غاضباً ببعض العبارات الجارحة.

لكن سرعان ما تدارك حضرة عبدالبهاء الموقف وصفع حسين آشجي صفعة قوية على وجهه أمام الحاكم وأمره بالعودة إلى غرفته. أدت تلك الصفعة إلى تهدئة الموقف المتفجر كما أنها فتحت عين الحاكم أيضاً على وجود رئيس حقيقي بين جماعة السجناء يستحق التقدير ويتصرف بسلطة وعدل.

أمّا حسين آشجي، الذي دوّن هذه الحادثة في مذكراته، وكان يتفاخر في نفسه لكونه أُدّب من قبل حضرة عبدالبهاء في تلك المناسبة يذكر بأنه بسبب هذا التصرف فإن موقف الحاكم تجاه حضرة عبدالبهاء قد تبدل. ذلك لأنه أدرك بأن حضرة عبدالبهاء وأسرته، خلافاً لما أشيع في عكاء وتناقلته الألسن من إشاعات هوجاء، كانوا من أصل نبيل وليسوا مجرمين كما أفهم خطئاً. وعليه صار الحاكم يتصرف بنحو إنساني أكثر حيال المسجونين. ومع مرور الوقت وافق على استبدال ما يحق لهم من مخصصات الخبز اليومي بمقدار من المال وسمح لجماعة صغيرة من السجناء بالذهاب، صحبة حراس، إلى السوق لشراء ما يحتاجون من الزاد.

بعد وصول حضرة بهاءالله وأصحابه بثلاثة أيام تلي في المسجد فرمان السلطان والذي يدين حضرة بهاءالله بالحبس المؤبد. ووصف السجناء بأنهم مجرمون قاموا بالعبث وإفساد أخلاق الناس. وحكم الفرمان عليهم بالحبس وعدم مخالطة أو معاشرة أحد.

في خلال حديث(٨) مع الأحباء بحيفا وصف حضرة عبدالبهاء وقائع استدعائه لمقر حاكم عكاء ليستمع إلى مضمون المرسوم السلطاني. ولمّا قُرئ أمامه بأنه قد حكم عليهم بالسجن المؤبد علّق حضرة عبدالبهاء على تلك العبارة بقوله إن بنود المرسوم لا معنى لها ولا أساس لها. عند سماعه تلك الملاحظة اغتاظ الحاكم محتجاً بأن ذلك مرسوم من السلطان، وطالب بتفسير لوصفه بأنه لا معنى له. عندئذ كرر حضرة عبدالبهاء تعليقه شارحاً بأن وصف سجنهم بلفظة أبدي لا معنى سويّ لها إذ لا وجود لسجن أبدي فالإنسان يعيش لزمن قصير محدود مهما طال، وإن آجلاً أو عاجلاً سيتحرر السجناء أحياء كانوا أم أمواتاً. ترك ذلك البيان انطباعاً قوياً لدى الحاكم وضباطه ودهشوا لعمق رؤيته للأمور، مما جعلهم يشعرون بارتياح في محضره.

من المثير ملاحظة أنه في وقت لاحق، عندما أصبح المولى أشهر شخصية محبوبة في عكاء وما جاورها، عندما كان يقصده كل واحد من سكان عكاء تقريباً طلباً للعون، وعندما كان الحكام ودونهم من كبار المسؤولين يلتمسون

مشورته ونصحه جالسين عند قدميه للاستنارة في شتى الأمور، في ذلك الوقت رفعت من ملفات الحكومة المرسوم السلطاني وغيره من الوثائق المتعلقة بحبس حضرة بهاءالله وأصحابه وسلمت ليد حضرة عبدالبهاء من قبل موظف حكومي.

لكن خلال الأيام الأولى كانت الحياة داخل سجن عكاء في غاية الصعوبة والشدة. فلفترة ثلاثة أشهر لم تسمح السلطات لحضرة بهاءالله أنْ يستعمل الحمام العمومي الذي كان آنذاك المكان الوحيد الذي يستحم الناس فيه. من جهة أخرى أعطيت للحراس أوامر مشددة بمنع كل من يريد زيارة حضرة بهاءالله. وحتى الحلاّق الذي كان يأتي للاعتناء بشعر حضرة بهاءالله كان يصحبه حارس ولا يسمح له بالتحدث إلى حضرته. وكان على حضرة عبدالبهاء أنْ يقطن حجرة في الطابق الأرضي كانت تستخدم سابقاً لأغراض حفظ الموتى وتهيئة الدفن. كان لرطوبة هوائها أثر سيئ على صحته لازمه طوال حياته. أمّا بقية السجناء فنال كل حظه من الظروف القذرة التي عاشوا فيها سواء من سوء الأوضاع الصحية أو الغذائية، أو القيود المشددة على حرية الحركة والتنقل. فبعد ورودهم الثكنات بفترة قصيرة سقطوا جميعهم مرضى عدا اثنين منهم. وسقط تسعة من مجموع الحراس العشرة أيضاً تحت وطأة المرض. ومما زاد من بلائهم تفشي مرضي الملاريا والزحار (الديزنتاريا). أمّا الاثنان اللذان سلما وحدهما من المرض فكانا حضرة عبدالبهاء وآقا رضا قنّاد[1] (الحلواني)، ولو أن كليهما مرضا أيضاً فيما بعد. في فترة المرض تلك قام المولى بمعاونة هذا المؤمن برعاية شؤون المصابين وتمريضهم ليل نهار. هذا علماً بأن السلطات لم تستدعِ طبيباً لمعالجتهم أو لوصف العلاج. فلم يكن بوسع حضرة عبدالبهاء، في حدودِ الإمكانات والوسائل المتاحة له، إلاّ أن يطبخ حساءً بسيطاً وشيئاً من الأرز كل يوم، لكن حال السجن الصحية كانت مرعبة. إضافة لذلك فإن الطقس كان بالغ الحرارة نهاراً مع عدم توفر ماء كاف للغسيل.

في هذه الظروف مات ثلاثة أشخاص. كان أول ضحية هو أبو القاسم السلطان آبادي. ثم بعد ذلك أخوان: الأستاذ محمد باقر والأستاذ محمد إسماعيل،

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٣٠٤–٣٠٥؛ والمجلد الثاني، الصفحة **٣٩٥**.

وكلاهما خياط وقد توفيا في مساء أحد الأيام حيث أسلم أحدهما الروح بعد الآخر ببضع ساعات. وكانا مطروحين على الأرض وقد تشابكت أذرعهما. وقد عبّر حضرة بهاءالله بصفة خاصة عن حزنه لهذه الوفاة المفجعة. وصرح بأنه لم يسبق لأخوين أنْ يغادرا هذا العالم الظلماني ويدخلا عوالم الملكوت بمثل هذا الاتحاد. فأثنى عليهما، كما جاء في أحد الألواح،(٩) وأمطر عليهما من فيض عناياته وبارك والديهما.

واجهت جماعة المنفيين مشكلة صعبة في دفن أولئك الثلاثة. إذ رفضت الحكومة أنْ يقوم أي من السجناء بدفنهم، كما لم تمنح إعانة مالية لهذا الغرض. وطالب الحراس من جانبهم بمبلغ لقاء المصاريف الضرورية للدفن قبل نقل جثامينهم. ونظراً لقلة ما وجد لديهم من ممتلكات ذات قيمة يمكن بيعها لتسديد تلك المصاريف، أمر حضرة بهاءالله ببيع قطعة وحيدة من الترف كانت لديه وهي سجادة كان يصلي عليها. وقد تم ذلك ودفع للحراس من مردود بيعها المبلغ المطلوب ولكنهم أخذوا النقود لأنفسهم ودفنوا الموتى بملابسهم التي كانت عليهم دون توابيت بل حتى المراسم الإسلامية المعروفة من قبيل التغسيل والتكفين.

وبما أنه لم يسمح بدفنهم داخل المقبرة الإسلامية فقد دُفنوا بموضع خارجها. لكن حضرة عبدالبهاء كلف أحد المؤمنين في وقت لاحق ببناء قبور لهم، وكانت متصلة ببعضها.

عقب وفاة هؤلاء الرجال الثلاثة، أنزل حضرة بهاءالله دعاء قصيراً للشفاء خصيصاً للمؤمنين داخل الثكنات، وطلب منهم تلاوته باستمرار وبصدق تام. وقد فعل الأحباء ذلك واستردوا صحتهم بعد ذلك بقليل.

المدينة الخربة

كان حضرة بهاءالله قد تنبأ بما سيتعرض له من بلايا وشيكة في نفيه المقبل إلى عكاء وذلك قبل ترحيله من أدرنة بفترة طويلة. فقد أشار لتلك المدينة في بعض

ألواحه النازلة في أدرنة، بينما ذكرها بالاسم في ألواح أخرى بأنها ستكون مقر نفيه التالي. مثلاً في "لوح السلطان"[١] الموجه إلى ناصر الدين شاه ملك إيران، تنبأ بجلاء بأن نفيه القادم سيكون إلى عكاء حيث ذكرها في ذلك اللوح بما يلي: **"ومما يحكون إنها أخرب مدن الدنيا وأقبحها صورة وأردئها هواءً وأنتنها ماءً"**.(١٠)

في لوح آخر(١١) نزل قبيل مغادرته أدرنة يتنبأ عن موجة جديدة من المحن والبلايا تنتظره قريباً في حصن عكاء. هذا ويصف فيه المدينة بنحو مماثل لما ذكر في "لوح السلطان" ولكن يصرح بأن هواءها سيتلطف قريباً بعد إذ ورد إليها مؤسسها الذي سيزينها بطراز اسمه الأعظم.

من الطريف أن رداءة هواء عكاء قد أوجز بقول شائع وهو أنه إذا طار طير فوقها سقط ميتاً. لكن هواءها تحسّن بعد وصول حضرة بهاءالله بزمن قصير. وقد شهد بذلك أهالي عكاء، إذ نسب الكثيرون ذلك إلى وجود حضرة بهاءالله. نورد مثلاً واحداً على ذلك: ذكر ميرزا أبو الفضل،[٢] العلامة البهائي الشهير، في كتاب "الفرائد"[٣] المعروف، شهادة لواحد من قادة الفكر في عكاء. وهذه كلماته:

عندما كان الكاتب مقيماً في سوريا سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥–١٨٩٦م) ألّف يعقوب بن بطرس اللبناني، دكتور عالم في اللاهوت واللغات في تلك الأطراف ومشهور بين أهالي عكاء المسيحيين، الأبيات التالية في مدح الحرم الأقدس لحضرة بهاءالله في عكاء وأهدى القصيدة لحضرة عبدالبهاء وأعطاني نسخة منها هدية:

ما بين لبنان وكرمل بهجة ... فيها مقام بهاء ذي الآلاء
السيد المختار مصباح الهدى ... بهاء شمس حقيقة الأسماء
فيها ابتهاج قلوب أتباع له ... وجلاء أبصار ونيل رجاء
بوجوده طابت مياه ورودها ... وزكا هوا عكاء والأرجاء

(١) انظر المجلد الثاني، الفصل ١٦.

(٢) انظر الصفحة ٩٩ أدناه.

(٣) الصفحتين ٥٢٣–٥٢٤.

كما هو بيّن من هذه الكلمات والتي تشير بدلالة واضحة إلى التحول الذي حصل في مدينة عكاء بفضل وجود حضرة بهاءالله. لكن نظراً لما عرف عن هذه البقعة من رداءة الماء والهواء، ومرارة وملوحة منابع وآبار مياهها بدرجة أنها جُعلت مدينة للسجناء والمنفيين الذين ارتكبوا كبائر المخالفات ضد الحكومة العثمانية، كما كانت مستعمرة قصاص للمحكوم عليهم بالموت، نظراً لكل هذا فلا عجب أنْ يصاب السكان عموماً بشتى الأمراض ويبدو عليهم الشحوب. لكن عندما صارت هذه المنطقة منفى لحضرة بهاءالله تحسن ماؤها واعتدل وتلطف هواؤها.(١٢)

حينما وصل حضرة بهاءالله إلى عكاء لم يكن هناك مصدر ماء عذب للشرب داخل أبواب المدينة. لم يكن هناك سوى بئر يبعد مسافة عشرة دقائق سيراً من المدينة كان أغلب سكانها يتزودون منه بما يحتاجون من الماء بنقله إلى بيوتهم. لكن مذاقه كان كريهاً جداً. وقد استعمل حضرة بهاءالله وأصحابه ذلك الماء حيث كان المؤمنون يأتون به إلى السجن. كان أحدهم بصفة خاصة، آقا عظيم التفريشي، يقوم بمهمة السقاية إذ كرس نفسه لخدمة حضرة بهاءالله وأتباعه في هذا المجال. كان عملاً شاقاً إذ استوجب قيامه بعدة مسيرات يحمل خلالها قِرَب الماء على ظهره من البئر إلى الأحباء في عكاء. لكنه تمكّن فيما بعد من العثور على ماء أفضل منه مذاقاً من عيون في "كِبْري" تقع في اتجاه البهجة على مسافة نصف ساعة تقريباً سيراً من عكاء.

كان آقا عظيم مؤمناً مخلصاً وقد حظي بالتشرف بمحضر حضرة بهاءالله أول مرة في بغداد وأصبح محط بركاته وعناياته. عاد بعد فترة من الزمن إلى إيران حيث اشتغل بخدمة الأحباء. هناك عمل خادماً بمنزل ميرزا نصر الله التفرِشي وعندما توجه الأخير إلى أدرنة مرفقاً بابنه وأخيه ميرزا رضا قلي ذهب عظيم معهم. إلاّ أن ميرزا نصر الله، الذي كان أخاً لبَدري جان، إحدى زوجات ميرزا يحيى أزل،[١] توفي في أدرنة. لكن عظيم بقي في أدرنة في خدمة ميرزا رضا قلي وابن أخيه.

(١) انظر المجلدين الأول والثاني، والصفحة ٢٣٧ أدناه.

كان السبب الرئيس لرحلتهم إلى أدرنة هو أن أختهما كانت قد هجرت زوجها والتجأت إلى أسرة جناب كليم،[١] الأخ المخلص لحضرة بهاءالله. في تلك الظروف استدعي أخواها إلى أدرنة للرجوع بأختهما إلى إيران. لكن عقب وفاة ميرزا نصر الله بقليل كان قد تقرر نفي حضرة بهاءالله وجماعته إلى عكاء، فلم يكن أمام بدري جان وأخيها رضا قلي وابن أخيها وعظيم إلاّ الانضمام إلى المجموعة المرافقة لحضرة بهاءالله. وكما سنرى فيما بعد فإن رضا قلي وأخته انحازا في عكاء إلى جانب السيد محمد الإصفهاني،[٢] دجال دورة حضرة بهاءالله، فطردهما حضرته من جامعة المؤمنين. فيما بعد لقي رضا قلي مصرعه اغتيالاً مع اثنين آخرين من أتباع ميرزا يحيى.[٣]

أمّا آقا عظيم، فحالما لمح دلائل خيانة سيده لحضرة بهاءالله، اعتزله واستمر في خدمة حضرة بهاءالله وأصحابه بكل إخلاص ونكران للذات. وهكذا فاز عن طريق إخلاصه وإيمانه وخدماته برضاء مولاه الذي استمر يغمره ببركاته حتى نهاية حياته.

إن ماء عكاء الذي طالما حمله عظيم إلى حضرة بهاءالله وأتباعه قد طرأ عليه تحسن كبير ليس بالنسبة لنوعيته فقط بل أصبح أسهل منالاً وتوفراً وذلك بعد إصلاح قناة ماء مهجورة بحيث صارت تزود المدينة بماء عذب. تم ذلك بفعل تأثير كلمة حضرة بهاءالله ونفوذها.

عندما كان حضرة بهاءالله في بيت عبّود تنبأ يوماً له بأن الله سوف يهيء شخصاً يعيد استعمال القناة، والتي لم تستغل طويلاً نتيجة إهمالها، مبدياً الرغبة عسى أن يكون عبّود نفسه هو الذي يحقق المشروع. وكان عبّود هذا تاجراً مسيحياً صاحب نفوذ كبير في عكاء ويتمتع باحترام أهاليها. ويقال في هذا المجال أنه عندما كان يسير في المدينة يقف له الناس احتراماً. إلاّ أن عبّود لم يتبع نصيحة

(١) انظر المجلدين الأول والثاني.

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني.

(٣) انظر الصفحة ٢٣٧ أدناه.

حضرة بهاءالله. بعد ذلك بزمن قصير سُمِحَ لأحمد بيك توفيق، حاكم عكاء، الدخول إلى محضر حضرة بهاءالله. وكان الحاكم قد وعى سريعاً ما كان لحضرة بهاءالله من عظمة وصار يكنّ لحضرة عبدالبهاء منتهى الإعجاب، بل طالما قصده وجلس عند قدميه مسترشداً مستنيراً من فيض علمه وحكمته. وأثناء ذلك اللقاء، وحينما عرض الحاكم رغبته واستعداده لتقديم ما يمكن من خدمات لحضرته، اقترح حضرة بهاءالله فكرة إعادة استغلال القناة لفائدة العموم في عكاء. لم يتردد الحاكم في الموافقة على المشروع وقام على تنفيذه.

لكن لم يقدّر لأعمال تجديد القناة أن تنتهي إلى أن جاء فيضي باشا ليصبح والي عكاء. كان شخصية عظيمة لدى أوساط الحكومة في الآستانة ورجل أعمال لا أقوال. وفي فترة ولايته، رغم كونها قصيرة جداً، تم إنجاز المشروع. ولقد ترك لنا حسين آشجي وصفاً للقناة نورد فيما يلي موجزاً له:

> عند وصول فيضي باشا لعكاء لاحظ أن رغم قرب موقع منابع الماء في "كبري" من عكاء، إلاّ أن العمل لإنجاز القناة كان متوقفاً.فاحتجّ على المسؤولين وأمر بمواصلة المشروع. تمّ إعداد العمال من قبل البلدية لهذا الغرض... وبفضل همّته الجبارة وإشرافه الشخصي عليه، تم إنجاز عمل يستغرق في الأحوال العادية ستة أشهر على الأقل، في ستة أيام. وهكذا أجرى إلى عكاء ماء عذباً وسط استبشار وتهليل سكانها. واحتفالاً بذلك دوّى في أرجائها إطلاق المدفع مائة مرة ومرة.(١٣)

"لوح سلمان"

هذا لوح ذو أهمية خاصة نزل في حق الشيخ سلمان الذي ذُكرت سيرة حياته في المجلدين السابقين. وهو الذي تطوع بالسفر كل سنة ما بين إيران ومواقع نفي حضرة بهاءالله، حاملاً الألواح إلى الأحباء في إيران وعائداً إلى حضرته برسائلهم. هناك عدة ألواح في حق سلمان، اثنان منها معروفان بلوح سلمان الأول ولوح سلمان الثاني. ورد في المجلد الثاني الحديث عن اللوح الأول (الفصل ١٣). وهذا

اللوح الثاني نزل في عكاء خلال أوائل فترة حبس حضرة بهاءالله في الثكنات إذ يشير فيه إلى جماعة المؤمنين المنفيين[1] من بغداد إلى الموصل. حدث ذلك في صيف ١٨٦٨م. ويشير حضرة بهاءالله إلى ذلك أيضاً في "لوح السلطان" (ناصر الدين شاه) الذي كُتب قبيل مغادرته أدرنة.

ينصح حضرة بهاءالله سلمان في هذا اللوح بالتسليم لقضاء الله والرضاء بما يرد عليه في سبيله من امتحانات وابتلاء. ويضرب لذلك مثل ما جرى على نفسه من المحن والعذاب مبيّناً كيف أن أمره، رغم قيام الأعداء بسد كل باب أمام وجهه محاولين **إطفاء سراج الله** في **كل حين**، قد ظل منيراً مضيئاً وأن **به أشرقت السموات والأرض**. ثم يحث سلمان على الاقتفاء بأثره وعدم التذمر عند التعرض للذلة أو التعاسة في هذه الحياة، بل ينبغي له التوجّه إلى الله ولا يطلب سواه. هذا ويستشهد حضرة بهاءالله في أحد ألواحه بإحدى آياته الشهيرة: "**يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد**". ويصرح بأن كل من يؤمن إيماناً تاماً بهذه الكلمات سيبقى ثابتاً على أمره ويجد نفسه على يقين وثقة بحيث لن يزعزعه أو يرهبه شيء في العالم.

يذكّر حضرة بهاءالله سلمان بأن الذين يطلبون المجد في هذه الدنيا ويفتخرون بمناصبهم فيها إنما هم غافلون، إذ سرعان ما يختطفهم رسول الموت وينهي كل تعلق بهذه الحياة.

في لوح إلى النبيل الأعظم، أنزل حضرة بهاءالله هذه الكلمات بخصوص الطبيعة الزائلة المؤقتة لهذا العالم:

"تالله إن الدّنيا وزخرفها وما فيها من آلائها لم يكن عند الله إلاّ ككف من التراب بل أحقر لو كان الناس في أنفسهم بصيراً. طهّروا أنفسكم يا ملأ البهاء عن الدّنيا وما فيها تالله لا ينبغي لكم دعوها لأهلها وتوجهوا إلى منظر قدس منيراً. وما ينبغي لكم هو حب الله ومظهر نفسه واتّباعكم بما يظهر من عنده إنْ أنتم بذلك عليماً."(١٤)

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ٣٢٧–٣٢٨.

عندما وصلت إلى أهالي إيران أنباء نفي حضرة بهاءالله من أدرنة استبشر بها الأعداء وأتباع أزل وتنبأوا بذلك زوال أمر الله وصاحبه. فاختلقوا روايات كاذبة وروّجوها هنا وهناك لتثبيط معنويات المؤمنين. من بينها الإشاعة القائلة بأن حضرة بهاءالله وأصحابه قد غرقوا وهم في طريقهم إلى عكاء. فذعر كثير من المؤمنين بحيث هرع بعضهم إلى مكتب التلغراف البريطاني في جلفا، مركز الطائفة المسيحية في ناحية من إصفهان، للاستعلام عن ملابسات نفي حضرة بهاءالله.

في تلك الفترة قام بعض مبلّغي أمر الله بكل عزم على دحض هذه الإشاعات الكاذبة، أولئك المبلّغون الذين وصفهم حضرة بهاءالله بعبارة **"العلماء في البهاء"**(١٥) وامتدحهم على أنهم **"أمواج البحر الأعظم"**، و**"أنجم سماء الفضل"** و**"ألوية النصر بين السموات والأرضين"**.

كان في مقدمة أولئك المبلّغين ميرزا أحمد الأزغندي والملاّ محمد الفروغي. لقد سبقت الإشارة إلى الأول في مجلد سابق[١] وبيّنا مدى علمه. كذلك ذكرنا باختصار الظروف التي أدت بالآخر،[٢] وهو من الناجين من واقعة الطبرسي، إلى الاعتراف بمقام حضرة بهاءالله. لقد أشاد حضرته بمقام الرجلين من خراسان في أكثر من لوح، وأعلن بأن الله قد اختارهما خصيصاً لإعلان ظهوره لأهل العالم.(١٦) كان لهذين الرجلين، اللذين انصرفا لتبليغ أمر الله وشرح تحقق النبوءات القديمة بشأن مجيء موعود الإسلام ومن بعده مجيء حضرة بهاءالله، دور عظيم بصفة خاصة في مساعدة الأحباء بشأن هذه الإشاعة. فاستطاعا بفضل واسع علمهما في النبوءات وعمق فهمهما بأن يكشفا للمؤمنين بطلان مثل تلك الإشاعات، خاصة غرق حضرة بهاءالله في البحر. وقد أوضحا بجلاء أنْ لو صح وقوع ذلك، فإن كل ما جاء بلسان وحي الله في العهود النبوية السالفة –بما في ذلك الدورة البابية– سيكون باطلاً.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٢٠٤.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١١٠–١١١.

حقاً إن نفي حضرة بهاءالله إلى عكاء واستقرار عرشه في الأرض المقدسة ليشكل أحد البراهين العظمى على أحقية الظهورات الإلهية السابقة، والتي تنبأت في مواضع عديدة وبعبارات ساطعة عن مجيء الرب إلى تلك الديار.

الهيكليون في حيفا

مما يثير الاهتمام أنْ يستنتج الكثيرون من فقهاء الكتاب المقدس –في الغرب– في القرن التاسع عشر بأن المجيء الثاني للمسيح بات وشيكاً. وبأن ذلك، طبقاً لاجتهادات العديدين، سيحدث حوالي سنة ١٨٤٤م.[١] فلم يكن غريباً أن تبحر جماعة من الألمان عرفوا باسم الهيكليين متجهة إلى الأرض المقدسة، تاركين بيوتهم وراءهم في غمرة الحماس واللهفة للقاء الرب عند قدومه. ذلك بأنهم اعتقدوا أن المسيح سيظهر هناك. وسيعرفه الناس من كل الأجناس وبأنه سيؤسس عرش سلطنته الروحية في تلك الأرض. اتفق توافدهم على سفح جبل الكرمل في نفس سنة إعلان دعوة حضرة بهاءالله في بغداد البعيدة (١٨٦٣م)، حيث شيدوا لهم مستعمرة (١٨٦٨م) بموقع يبعد نحو ميل إلى الغرب من قرية حيفا في تلك الأيام. هذا ولا تزال عبارة "الرب قريب" منقوشة على مداخل بيوتهم.

كم هو ذو مغزى أنْ يقترب منهم حضرة بهاءالله بعد ذلك بسنوات، بل أنْ يضرب خيمته بجوارهم، وبذلك يكون الرب قد مرّ بهم دون أنْ يعرفوه. حتى إن حضرة بهاءالله أنزل لوحاً جواباً على رسالة من جورج ديفيد هارديگ، رئيس الهيكليين بحيفا. يبدو أن هذا اللوح النازل بالعربية، المعروف بـ"لوح هرتيك"، قد أنزله حضرة بهاءالله في بيت عودي خمار (انظر الصفحة **٢٢٥** أدناه).

يكتسب هذا اللوح أهمية خاصة إذا ما أخذ بعين الاعتبار حقيقة ذهاب الهيكليين إلى الأرض المقدسة لا لغرض إلاّ رؤية عودة المسيح. بمطالعته يميل المرء للاعتقاد بأن هارديگ، صاحب اللوح المذكور، كان حسن الإطلاع بما في ذلك اللوح من لغة الغيبيات. يصرح حضرة بهاءالله بأنه وجد في رسالة هارديگ

---

(١) سنة إعلان دعوة حضرة الباب، المبشر بحضرة بهاءالله.

دلالات على صدقه وإخلاصه، ويدعو الله عسى أن يعرّفه **ما هو المستور** في هذا اللوح، ويسمعه **هدير الورقاء.** ثم يحثه على التفكّر **في كلمة الله وعظمتها وحلاوتها**، مذكّراً إيّاه كيف كان نفوذ كلمة الله السبب في جذب قلب **أول من آمن بالروح** (حضرة المسيح)، ويصرّح بأن ما منع غالبية الناس عن عرفان مولاهم غير ظنونهم وأوهامهم، ويشهد بأن **البر والبحر** في هذا اليوم يقرّان بالله، وبأنه **إذا أتى الميقات يصيح الكرمل كأنه اهتز من اهتزاز نسمة الرب.**

ثم يلفت حضرة بهاءالله انتباه هارديگ إلى أيام حضرة المسيح عندما **أنكره العلماء والفضلاء والأدباء** في زمانه، **وأقبل إلى الملكوت من يصطاد الحوت** والذي لا معرفة لديه ولا تحصيلاً علمياً. هذا ويطمئن حضرة بهاءالله هارديگ مؤكداً له لو أنه يتفكّر **فيما مضى خالصاً لوجه الرب** فإنه سيرى **النور مشرقاً أمام** وجهه. ثم يؤيد آراء هارديگ حول **الظلام** الذي **أحاط الأنام** مبيّناً بأن **الظلام هو الأوهام وبها منع الأنام عن التوجّه إلى الملكوت إذ ظهر بأمر الله.**

ولو أن حضرة بهاءالله يتحدث في هذا اللوح عن ظهور الله في هذا العصر بشكل عام، وعن **هدير الورقاء، وخرير ماء الحيوان**، وظهور نور الله وملكوته، إلاّ أنه لا يعلن صراحة عن مقامه الخاص ولا يشير إلى شخصه بعبارات جلية. في الحقيقة يعلن بأنه **لو ينكشف رمزٌ من سِرٍّ الذي كان مقنّعاً بالسِرّ** –يعني نفسه– **لتضطرب أفئدة الذين أخذوا ما عندهم ونبذوا ما عند الرب.** لعل سبب ذلك يعود إلى أن حضرة بهاءالله، الذي سبق له أنْ منع أتباعه من تبليغ أمره إلى الناس المقيمين في ظل الحكم العثماني، لم يرَ من الحكمة الإعلان صراحة عن مقامه لأفراد المستعمرة المسيحية المقيمين في حيفا.

زيادة على ذلك فإن قسماً من هذا اللوح أنزل بلغة الرمز. مثلاً نجد أن حضرة بهاءالله يُركّب اسمه باستعمال مجموعة معقدة من الحروف العربية[١] ترمز بدورها لبعض كلمات هامة من ألواح أخرى أنزلها هو أو حضرة الباب وكذلك كلمات من أصل إسلامي. ولأجل أن يلم المرء بمغزى هذه الألفاظ الرمزية يلزمه الإطلاع

---

(١) حيث إنّ لكل حرف قيمة عددية، لذا يمكن الإشارة إلى كلمة برقم وبالعكس.



منظر لعكاء من الجو
حيث تبدو الثكنات في وسط مقدمة الصورة



الباب البحري لعكاء

حيث دخل حضرة بهاءالله إلى مدينة المنفى



بوابة الثكنات

في أعلى الدرج شرقيّ الثكنات حيث دخل حضرة بهاءالله السجن الأعظم من خلالها



زنزانة حضرة بهاءالله



"الرب قريب"
نقشت العبارة فوق مدخل أحد بيوت الكرمليين



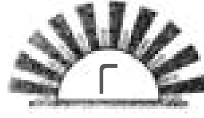
فناء الثكنات، نحو عام ١٩٢٠م

يظهر في وسطها حوض الماء. ومن المرجح أن خيمة نصبت هنا لغسل جثمان الغصن الأطهر

والإلمام الجيد أولاً بالنصوص المقدسة لهذه الأديان. كما أنه بالاستعانة بحساب الجُمّل الأبجدي يستخرج حضرة بهاءالله كلمة "المُعزّي" التي هي إشارة إلى مقامه الخاص في الإنجيل كما ورد ضمن مصطلحات الأخير. هذا ويصعّب الاعتقاد بأن صاحب هذا اللوح كان على درجة من المعرفة المتخصصة تمكّنه من فهم غوامض العبارات الرمزية التي تعمد حضرة بهاءالله إيرادها في هذا اللوح. ويحتمل أن لهذا السبب يدعو حضرة بهاءالله في مقدمة اللوح عسى أنْ يمن الله على هارديگ بمعرفة ما انطوى اللوح عليه من أسرار كلماته. ويطمئنه بأنه لو تأمل في نصائحه وعمل وفقها ليجد الحقيقة في هذا اليوم.

لا داعي للقول بأن لا هارديگ ولا سواه من أفراد هذه المستعمرة المسيحية قد تمكّن من عرفان أحقية دعوة حضرة بهاءالله. ذلك رغم أنه منذ أيامهم الأولى هناك كان قد تم اتصال بين بعض أفراد المستعمرة هذه، بمن فيهم هارديگ نفسه، وبين المؤمنين، وكذلك مع حضرة عبدالبهاء، وأن حضرة بهاءالله زار حيفا في أواخر سنيّ حياته وبقي مرة في أحد البيوت التابعة للهيكليين. وقد يبدو أمراً غريباً لأي مراقب أنْ يخفق أولئك في عرفانه والإيمان به، سيما إذا كان المرء غير مطّلع على تاريخ الأديان –وهو تاريخ يعيد نفسه كلما جاء مظهر إلهي جديد للبشر. فقبل مجيء الهيكليين الألمان للأرض المقدسة بحوالي ألفي عام كان سكان تلك الديار يترقبون بتوق كبير وتلهف شديد قدوم مسيحهم، وإذا بهم عندما أظهر نفسه في وسطهم بشخص حضرة المسيح يرفضونه ولا يعترفون به. وتنطبق على حالهم كل الانطباق هذه الكلمة من كلمات حضرة بهاءالله:

"انظروا إلى الأيام السالفة. كم من العباد من شريف ووضيع كانوا دائماً ينتظرون ظهورات الأحدية في الهياكل القدسية، على شأن كانوا في جميع الأوقات والأزمنة يترصدون وينتظرون، يدعون ويتضرعون، لعل يهبّ نسيم الرحمة الإلهية، ويطلع جمال الموعود من خلف سرادق الغيب إلى عرصة الظهور، وعندما كانت تنفتح أبواب العناية، ويرتفع غمام المكرمة، وتظهر شمس الغيب عن أفق القدرة، يقوم الجميع على تكذيبها وإنكارها ويحترزون عن لقائها الذي هو عين لقاء الله..."(١٧)



"بالبلاء علا أمره وسنا ذكره"

إنّ نبذ الإنسان للمظهر الإلهي هو أخطر حدث في المجتمع البشري، وهو الأمر الذي يسبب له حزناً عظيماً وبلاء شديداً. وكان ضلال الإنسان وجهله قد سبّبا ما عاناه حضرة بهاءالله من شدائد ومحن لا تُحتمل في عكاء. إلاّ أن كافة قوى الإعراض التي تكاتفت ضده أثبتت عجزها في القضاء عليه أو على دعوته. وفي العديد من ألواحه(١) النازلة عقب وروده سجن عكاء بفترة قصيرة، أقرّ حضرة بهاءالله بأن أمر الله سيعلو نتيجة البلاء. وطالما نصح أحباءه بألاّ يضطربوا أو يحزنوا عند سماعهم بابتلاء مولاهم في السجن الأعظم. بل طالما حثّهم لئلا يشغلوا تفكيرهم كثيراً بالشدائد والمعاناة الناتجة عن حبسه، بل أن يفرحوا لأن الجمال المبارك، رغم شدة المعارضة التي يواجهها، كان في بهجة قصوى وقناعة عظمى. يعلن حضرته في لوح آخر:

"اعلم أنّا في سجن عظيم وأحاطتنا جنود الظلم بما اكتسبت أيدي المشركين ولكن الغلام في بهجة لا يعادلها ما في الأرض كلها تالله في سبيل الله لا يحزنه ضرّ الذين ظلموا ولا سطوة المنكرين. قل إن البلاء أفق لهذا الأمر ومنه أشرقت شمس الفضل بضياء لا تمنعه سبحات الأوهام ولا ظنون المعتدين."(٢)

موضوع آخر يرد بنحو متكرر في الألواح النازلة في أوائل فترة عكاء هو قهارية أمر الله وغلبته وعجز أعدائه عن هدمه. يُطمئن حضرة بهاءالله المؤمنين في أحد هذه الألواح(٣) بأن المحن التي نزلت به في سبيل الله لن تعجزه أبداً، وأرياح الافتتان لن تطفئ مصباح أمره، ذلك المصباح الذي به استنار العالم بأسره. ويؤكد

بأن أي قدر من الاضطهاد والمعاناة التي قد يصبّها الأعداء عليه لن يسلبه سلطانه ولا قدرته، كما يعلن بلغة العظمة والجلال عن سطوة أمره، بحيث لو قام عليه كل أهل الأرض وهاجموه بسيوف شاحذة من كل الجهات فلن يقدروا على القضاء على أمره. وأنه في قطب البلايا ينادي بأنه بهاء الله الذي تجلّى وظهر لكل من في السموات وكل من على الأرض.

في لوح آخر(٤) من ألواح الفترة ذاتها يصف حضرة بهاءالله كيف حال أعداؤه بينه وبين أصحابه في سجن عكاء، باختلاق موانع واهية كأوهامهم. ذلك بأنهم ظنوا سيحجبون بهاء الشمس خلف سحاب أنفسهم وأهوائهم، غافلين عن أن كل المخلوقات تسخر من جهلهم وعميهم.

وأخيراً هناك في معظم هذه الألواح كلمات حضرة بهاءالله المؤكدة والمطمئنة والتي يتنبأ فيها بقرب انفتاح أبواب السجن على مصاريعها، بقدرة الله، وخروجه منه بالعزة والجلال.

وكما سنرى فيما بعد فإن كل هذه النبوءات –غلبة أمره وسطوة ظهوره، وخروجه هو وأصحابه من سجن عكاء– قد تحققت جميعها.

"لوح الرئيس"

في أوائل مراحل سجنه في الثكنات وبُعيد وفاة ثلاثة من أتباعه، أنزل حضرة بهاءالله "لوح الرئيس"، وهو لوح خطير أنزل بالفارسية موجّه إلى عالي باشا رئيس وزراء تركيا، والذي كان أكبر عدو لحضرته وكان وراء نفيه إلى عكاء.[١]

وقد سبق أن وجّه حضرة بهاءالله إلى عالي باشا لوحاً بالعربية، يعرف بـ"سورة الرئيس"،[٢] وذلك منذ بضعة أشهر في طريقه صوب گليپولي (إثر مغادرته أدرنة).

---

(١) انظر المجلد الثاني.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٤٠٣–٤٠٨. إن اللوحين المعروفين بـ"سورة الرئيس" (بالعربية) و"لوح الرئيس" (بالفارسية) موجّهان إلى الشخص نفسه. وفي كتاباته، غالباً ما أشار حضرة شوقي أفندي إلى هذين اللوحين بهذا الترتيب، إلاّ أنه أحياناً استعمل كلمة لوح للسورة وبالعكس.

فيه أدان بشدة أفعال رئيس الوزراء المدبر الرئيس لنفيه إلى مدينة السجن. يصرّح حضرة بهاءالله حول أهمية هذا اللوح:

"منذ نزول سورة الرئيس لم تفز أي أرض بالسكون ولا العباد فازوا بالاطمينان"(٥)

والآن، في "لوح الرئيس" اللوح الثاني لعالي باشا، الذي سطر داخل جدران السجن الأعظم، يزيد حضرة بهاءالله في تأنيبه على ما فعل وتصرّفه بقسوة ووحشية.

يتسم هذا اللوح بطابع مؤثر ورقيق في الوقت نفسه. أما عالي باشا فيشير إليه حضرة بهاءالله على أنه شخص يرى نفسه **أعلى الناس** في حين يعتبر حضرة بهاءالله، المظهر الإلهي، **أدنى العباد**. ثم يمضي ويشبهه بالذين أعرضوا عن رسل الله من قبل ورموهم خطئاً بخلق الفساد والاختلاف في سالف الأدوار. ويزجره بعد ذلك لجهله وعدم نضجه، كاشفاً له حقيقة مكانته كشخص تحركه أرذل الدوافع في الوجود، ألا وهي إشارات النفس والهوى.

تستحق عبارة حضرة بهاءالله الأخيرة بعض الشرح، فهي تبعث الفكر على التأمل وتحفزه، بشأن النفس والهوى على أنها من أحط الخصال البشرية. نجد عبارات مماثلة لها ترد في ألواح أخرى أيضاً.

هناك قوتان متضادتان تعملان في باطن الإنسان، هما طبيعته الحيوانية من جهة والروحية من جهة أخرى. ويمكن شرح "النفس والهوى" بأنهما تعبير عن الطبيعة الحيوانية في حياة الإنسان، الطبيعة التي تميل لجذبه إلى أسفل مراتب الوجود المادي. من الجهة الأخرى هناك الروح، التي تنبعث من عوالم الله الروحانية، وهي، إن استنارت بنور الإيمان، تصبح القوة الدافعة لسمو الإنسان في عوالم الروح. الأولى تنتهي بالإنسان إلى الهلاك في هذا العالم، والثانية تهبه حياة خالدة في العوالم الإلهية.

يمكن تشبيه هاتين القوتين المتعاكستين داخل الإنسان بقوة الجاذبية التي تشد الطائر إلى الأسفل بينما قوة جناحيه ترفعه للأعلى. هكذا حال روح الإنسان

فما دام معرضاً عن المظهر الإلهي –في هذا العصر حضرة بهاءالله– ستظل روحه في ظلام وضلال تفتقر للقوة الضرورية الكفيلة برفعها فوق قيود هذا العالم الفاني. كذلك ستبقى طبيعته الحيوانية هي المنتصرة المتسلطة، وروحه أسيرة النفس والهوى.

يصرّح حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه(٦) بأن كلمة "شجاع" تنطبق على من يتغلب على نفسه وهواه. ذلك لأن من الأسهل التغلب على دول عدة على أن يتغلب المرء على نفسه ومشتهياتها. إن الغاية من مجيء المظاهر الإلهية هي تزويد الروح الإنساني بالصفات الروحانية التي تمكّنه من الانتصار على أكبر عدو – ألا وهو نفسه.

هناك عدو بمثل خطورة النفس والهوى، وهو معاشرة الأشرار إذ بذلك يضعف إيمان المرء ثم ينطفئ. فيما يلي تحذير حضرة بهاءالله الصريح في هذا الشأن:

"حذار يا ابن التراب لا تألف الأشرار ولا تأنس إليهم فإن مجالسة الأشرار تبدّل نور الروح بنار الحسبان."(٧)

لكن ينبغي ألاّ يساء فهم كلمة "الأشرار". فهناك من الأشرار من يدّعي الإيمان بالله، في حين هناك الكثيرون ممن يعتقدون بأنهم غنوصيون أو ملحدون، إلاّ أنهم ليسوا بأشرار في الحقيقة. والمقصود بالأشرار هنا هم الذين يحولون، من خلال معاشرتهم وصداقتهم سواء عن وعي منهم أو دون وعي، بين المؤمن وبين اتّباعه فرائض دينه ومبادئه ويصبحون عائقاً بينه وبين ربه.

نعود إلى "لوح الرئيس" حيث يؤنّب فيه حضرة بهاءالله عالي باشا على ما اقترفه من قسوة في معاملته لفئة من العباد الأبرياء من ضمنهم نساء وأطفال وتعريضهم لحياة قاسية بوضعهم في سجن كئيب، ويسهب في وصف ما لقيه شخصياً وأصحابه من عناء في تلك القلعة، مشيراً إلى المعاملة الوحشية التي استقبل بها كل واحد منهم ليلة ورودهم الثكنات حينما منع الحراس عنهم الماء والطعام مما

سبب عناء لا يحتمل، خاصة للأمهات المرضعات وأطفالهن، ويروي أيضاً قصة الأخوين من أصحابه اللذين وجدا، نتيجة ظروف السجن القذرة الموبوءة، ميتين على أرض حجرتهما وقد احتضن كل منهما الآخر بذراعيه، ويثني على روح المحبة والإخلاص التي أظهرها اثنان من أتباعه عندما منعتهم السلطات من مرافقة حضرة بهاءالله[1] (إلى منفاه الأخير)، ويصف أعمال قسوة أخرى وحرمان تعرض له السجناء –من أصحابه– دون أي مبرر، مؤكداً بأن ليس هناك قدر من الاضطهاد يمكنه أن يؤثر على المؤمنين إذ هم يشتاقون لفداء أنفسهم في سبيل مولاهم.

يخبر حضرة بهاءالله عالي باشا بأنه لو فاز بنفحة من النفحات المتضوعة من شطر القِدم، فسينقلب بحيث ينقطع عن الدنيا ويشتاق للسكنى في غرفة خربة من هذا السجن الأعظم. ويروي له قصة من طفولته تصوّر بنحو درامي تفاهة هذه الحياة الدنيا وعدم استقرارها، ناصحاً إيّاه بألاّ يتّكل على عزه وجاهه إذ سرعان ما سيزولان، ثم يكشف له عن عظمة ظهوره، ويشير إلى عجز الباشا عن إطفاء **نور الله في بلاده**، مستنكراً ما **"ارتكبتَه في الحياة الباطلة"**، ويصرح بأن من ظلمه **"ناح الروح واضطربت أركان العرش وتزلزلت أفئدة المقربين"**. ويحذره تحذيراً قاطعاً من أن الله **"سوف يأخذكم بقهر من عنده ويظهر الفساد بينكم ويختلف ممالككم إذاً تنوحون وتتضرعون ولن تجدوا لأنفسكم من معين ولا نصير"**، وأمّا بخصوص توبته ليكفّر الله عنه سيئاته، فيؤكد له **"بأنك لن توفق بذلك أبداً."**

بشأن النقطة الأخيرة سأل ميرزا آقا جان، كاتب الوحي، حضرةَ بهاءالله، ما كان سيحدث لو أن عالي باشا، بعد كل ذلك، كان قد بدل موقفه وتاب توبة صادقة. فكان الجواب القاطع من حضرة بهاءالله هو أن كل ما قد ورد في "لوح الرئيس" سوف يتحقق حتماً، ولو اجتمع كل أهل العالم لما استطاعوا تغيير كلمة واحدة من اللوح.

(١) الحاج جعفر التبريزي، الذي قطع حنجره بنفسه (انظر المجلد الثاني، الصفحتين ٣٩٨–٤٠٠) وعبد الغفار، الذي ألقى نفسه في البحر يائساً (انظر المجلد الثاني، الصفحة ٤٠٣).

في باب المعجزات

يصرّح حضرة بهاءالله في "لوح الرئيس" بأنه كان قد بعث من گليپولي رسالة شفوية إلى سلطان تركيا بواسطة الضابط التركي المسؤول والذي وعد بأنه سيبلغها. طلب من السلطان "أن يقابله لمدة عشر دقائق وذلك كي يطلب السلطان ما يعتبره حجة ودليلاً لصدق قول الحق. فإن أوتي ذلك من عند الله يطلق سراح هؤلاء المظلومين ويتركهم وشأنهم."

ويوضّح حضرة بهاءالله بأن السبب الوحيد وراء هذا الاقتراح كان وجود عدد من النساء والأطفال مع المسجونين وقد راحوا ضحية للظلم وتعرضوا لعذاب وشدة عظيمين. لكنه يكرر المبدأ الأساسي بأن ليس "من شأن الحق أن يحضر لدى أحد حيث أن الجميع خلقوا لطاعته ولكننا قبلنا ذلك رحمة بهؤلاء الأطفال الصغار وجمع من النساء الذين ظلوا بعيداً عن أحبابهم وديارهم." ولكن لم يرد من السلطان جواب على ذلك التحدي، كما لم يرسل الضابط المذكور تقريراً لحضرة بهاءالله.

لم تكن هذه أول مرة يعرض فيها حضرة بهاءالله استعداده لإثبات أحقية أمره لمن أمسكوا بمقاليد الحكم في قبضتهم. فقد بعث بطلب متحدّ مماثل قبل ذلك في "لوح السلطان"[١] إلى ناصر الدين شاه، وقد اختار الأخير وعلماء الدين إهمال الطلب وتجاهله.

كما أن في مناسبة أخرى طلب علماء الشيعة في بغداد من حضرة بهاءالله إتيانهم بمعجزة. فوافق على التماسهم بشرط تعهدهم بالولاء لأمره لو حقق المعجزة التي طلبوها. إلاّ أن العلماء اضطربوا وخافوا ولم يتابعوا القضية بعدئذ. هذا وقد وصفنا من قبل ظروف هذا الحدث في مجلد سابق.[٢]

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٣٤٠.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ١٥٢–١٥٣.

في مناسبات كهذه كان حضرة بهاءالله يصرح دائماً بأن لله أن يمتحن عباده وليس للعبد أن يمتحن ربه. وحقاً سيجد الإنسان نفسه في محنة عسيرة لو راودته نفسه بامتحان المظهر الإلهي.

أمّا مسألة المعجزات فهي من أكثر الموضوعات التي أسيء فهمها بشأن أنبياء الله ورسله. فأهل معظم الأديان ينسبون المعجزات إلى أنبيائهم. وقد جاء الاعتقاد بالمعجزات عن طريق دراسة الكتب المقدسة للأديان القديمة ومن خلال التقاليد التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل. كما أن رؤساء الأديان بدورهم دأبوا على تأكيد المعجزات كواحدة من أهم البراهين على صحة عقائدهم. بناء على ذلك يتصور أتباع أي دين بأن نبيهم شخص تحيط رأسه هالة من النور وقام بأعمال خارقة لإقناع الناس بمقامه.

لكن يتبين من دراسة حياة الأنبياء وتعاليمهم وكتبهم المقدسة بأن عكس ذلك هو الصحيح. فمظاهر الله لم يبرهنوا أحقيتهم بإتيان المعجزات. فما هم إلاّ حملة رسالة الله، وما مهمتهم إلاّ تربية أرواح الخلق. إن كلمتهم خلاقة وقد تعتبر أعظم وسيلة لإحياء النفوس وبعثها.

أما النظرة البهائية بخصوص المعجزات فهي أن المظاهر الإلهية يستمدون قوتهم وسلطانهم من الله القدير. وهم مشارق صفاته ومظاهر جلاله في هذا العالم. لذا فإنهم قادرون على أن يفعلوا ما يشاءون، وإن استلزم ذلك خرق قوانين الطبيعة، وعمل المعجزات. ذلك لأن من البديهي أن الله الذي أسس قوانين الطبيعة وأوجدها هو نفسه قادر على تبديلها أو إبطالها إن شاء ذلك. والشك في قدرته على ذلك بمثابة نسبة العجز لله. لذا فإن أتباع حضرة بهاءالله لا ينكرون إمكانية قيام أنبياء الله ورسله بالمعجزات. لكن أمثال هذه المعجزات حتى عندما تحققت، تكون برهاناً مشروعاً وفاعلاً فقط بالنسبة لعدد قليل ممن شهدوها بأنفسهم. وعليه لا يمكن اعتبارها شهادة قاطعة على أحقية رسالة النبي. ذلك لأنه ما من أحد يستطيع إثبات وقوع معجزة ما منسوبة لنبي. من جهة أخرى فإن بعض المعجزات المذكورة في الكتب المقدسة مثل إحياء الموتى، وإشفاء البرص، أو العروج للسماء لها مدلول

روحي. وقد شرح حضرة بهاءالله هذه المعاني في العديد من كتاباته وخصوصاً في "كتاب الإيقان".

هناك فرق كبير بين الحقيقة والاعتقاد. فهناك أشياء في هذه الحياة قد ثبت برهان وجودها ولم ينكرها أحد. مثلاً إن وجود البحر فوق كوكبنا هذا حقيقة ثابتة وليس من شخص، بمن فيهم الذين لم يروا البحر، قد أنكر هذا. إلاّ أن الاعتقاد بشيء يخالفه أناس آخرون هو أمر مغاير لذلك. فلا يمكن لمثل هذا الاعتقاد أن يستعمل كدليل حقيقي وذلك لسبب بسيط هو إمكانية الطعن في أحقيته، وإن كان الاعتقاد بحد ذاته صادق وحقيقي. المعجزات أمثلة على هذا، مثلاً أتباع حضرة المسيح يعتقدون بأنه قام بعدة معجزات. لكن بما أن كثيراً من الناس قد أنكروا هذا الادعاء، فلا يسع المرء أن يعتبر هذه المعجزات حقيقة واقعة، وإنْ تكن قد وقعت فعلاً.

في أوائل أيام نشوء الدين البهائي عندما كان الدين قوة حيوية في المجتمع وله نفوذ أعمق في قلوب الناس وأفكارهم مما هو عليه اليوم، تسائل الناس وطالبوا يومها ببراهين دينية عندما تناقشوا مع البهائيين. كانت المعجزات أحد أهم تلك المسائل. وكثير من الناس كانوا يؤمنون إيماناً أعمى بها ولذلك كانت مهمة المبلّغ البهائي تفسير حقيقة المعجزات ومغزاها في إطار الدين. لكن عندما يتمسك الشخص بالمعتقدات تمسكاً متعصباً فإن مجرد الشرح والتفسير لا يفلح دائماً. لهذا السبب فإن بعض المبلّغين القدماء في أمر الله قد اضطروا، حين الخوض في حوار أو نقاش مع شخص متعصب ذي معتقدات دينية هي أقرب إلى الأوهام منها إلى أي شيء آخر، اضطروا إلى توجيه نقاشهم بحيث يبدءوا أولاً بكشف ضحالة أفكاره، ثم تقديم رسالة حضرة بهاءالله له. وغالباً ما استفاد من تلك الطريقة أولئك الذين وهبوا فطرة طيبة وأفئدة سليمة نقية، وساعدتهم على رؤية نور الحقيقة.

نورد مثلاً ما جرى من حوار بين الحاج محمد طاهر المالميري،[1] أحد أوائل المؤمنين وأحد المبشرين المسيحيين في يزد. كان الأول قد دوّن

(١) والد المؤلف. للمزيد من المعلومات انظر المجلد الأول، الملحق رقم ٢.

ذكرياته عن هذا الحوار في مذكراته. فيما يلي ترجمة لجزء من هذا النقاش الطريف:

منذ سنوات خلت جاء رجل دين مسيحي... وصار يجوب أنحاء إيران قصد التبشير. أثناء إقامته في يزد اعتاد إعطاء محاضرات عامة ومقابلات مع من اعتبرهم قابلين لتحويل عقيدتهم. كان يجيد الفارسية، وله إطلاع لا بأس به عن حياة الإيرانيين وعاداتهم واتجاهاتهم الفكرية. في صباح أحد الأيام قصدتُ لقاءه في دار التبشير رفقة صديقين. استقبلنا بلطف. وبعد تبادل التحيات وصرف بضع دقائق في الحديث عن أمور عادية دخلنا في موضوع الدين. فيما يلي هو ما يمكنني تذكره عن فحوى الحوار الذي دار بيننا:

أنا: ماذا تعلم عن الدين البهائي؟

هو: أخشى بأنني لا أعلم شيئاً عنه.

أنا: ماذا تعلم عن الدين المسيحي؟

هو: أعلم كل شيء تقريباً عنه.

أنا: هل يمكنك، لو سمحت، أن تشرح لي شيئاً عما تعرفه عن الدين المسيحي؟

هو: بكل سرور. لكن هل لديك ناحية معينة تريدني وصفها؟

أنا: أحب أن تبرهن لي صدق دعوة المسيح، بمعنى آخر كيف لي التأكد من أن المسيحية دين حق من عند الله؟

هو: لكنك تؤمن أصلاً بأن المسيح هو ابن الله، وأن المسيحية دين سماوي، أليس كذلك؟

أنا: بلى، إني أؤمن بذلك فعلاً، لكن هذا الإيمان جاء عن طريق كلمة محمد، وبما أنك تعتقد بأنه دجال فإن كلمته تصبح باطلة تماماً ولا يمكن الوثوق بأقواله على أنها تستند إلى الحقيقة.

فاستدار وتناول نسخة من الإنجيل المقدس كانت فوق مكتبه. أخذ يقرأ فقرات حول المعجزات التي قام بها المسيح -إحياء الموتى وإشفاء البُرص والمرضى... إلخ. وبعد صمت استؤنف الحوار كما يلي:

أنا: آسف للقول بأن ما قرأته الآن لم يساعد في استنارتي بالموضوع. أما لو تكرمت بإثبات أحقية رسالة المسيح بدلائل عقلية فسأكون شاكراً مقدّراً لذلك.

هو: إني آسف ولكن ليس لدينا أي شيء سوى ما هو موجود في الكتاب.

أنا: ينسب المسلمون العديد من المعجزات لنبيهم محمد.

هو: ليس هناك ذرة من الحقيقة فيما يقولون.

أنا: إن اليهود ينكرون بشكل قاطع كل هذه المعجزات التي تنسبها لشخص المسيح، كما تنكر أنت ما ينسب المسلمون من معجزات لمحمد.

هو: كما تعلم أن اليهود خصومنا، وعليه لا يمكنك أن تتوقع منهم التفوه بمديح لربنا.

أنا: المسلمون كذلك يحّاجون على هذا النحو. فيقولون لمّا كان المسيحيون لا يؤمنون بالإسلام ويعتبرونه ديناً باطلاً، فإن رأيهم عن نبينا مشوه وموسوم بالتعصب.

هو: أؤكد لك بأن كل ما يرموننا به من اتهامات لا أساس لها.

أنا: دعنا الآن نتبين لو رغب باحث مخلص في معرفة حقيقة بعثة المسيح، فهل تعتقد بأن هذه المعجزات سوف تهديه إلى مبتغاه؟

هو: أي نعم، أنا أعتقد بأن هذه المعجزات هي أعظم برهان على رسالته.

أنا: لكن هل يمكن لأحد اعتبار المعجزات دليلاً قاطعاً دون مشاهدتها؟

هو: نعم ينبغي لك أن تطمئن بأن جميعها قد حدثت فعلاً.

أنا: هل يمكننا أن نقبل المعجزات التي تنسب لمحمد على أنها حقيقية دون أي دليل منظور؟

هو: بالتأكيد كلاّ.

أنا: إذاً كيف في حالة المعجزات التي تنسبها للمسيح لا ترى حاجة لإثباتها بالدليل، بينما في حالة معجزات محمد يجب تصديقها بالدليل المنظور؟

هو: لأننا نعتبر محمداً من الأنبياء الكذبة، وما يدعى بأعماله الخارقة كانت مجرد اختلاقات.

أنا: ينسب الزرادشتيون بعض المعجزات لزرادشت. هل يجوز لنا قبول تأكيدهم بلا دليل؟

هو: كلا. ذلك لسبب بسيط هو أننا لا نعتبر زرادشت رسولاً سماوياً.

أنا: ينسب البهائيون بعض الأعمال الخارقة للباب، المبشر بالدين البهائي والذي ظهر في شيراز بإيران، هل يمكننا تصديق ما يقولونه؟

هو: أعتقد يمكن الوثوق بالبهائيين، ولكن مع ذلك يستوجب عليهم إبراز الدليل لدعم ادعائهم.

أنا: فلنرى الآن، كيف يتعين على كل الديانات غير المسيحية بأن تبرهن بالدليل على ادعاءاتها في حين أنك تصر على قبول ما جاء بالكتاب المقدس اعتباطاً كبرهان قاطع؟

هو: كما قلت سابقاً، ليس لدينا أية براهين أعظم من المعجزات، إلاّ أنه لو استطعتَ تقديم أي شيء مما أتى به بهاءالله أعلى شأناً من أعمال المسيح فسأكون مسروراً جداً.

أنا: يؤسفني أن أقول بأنك، ما دمت لا تقدّر حقيقة المسيح على ما هي عليه وتصر على اعتبار المعجزات المعيار الحاسم لأحقية النبي –معجزات

لم تشهدها ولا يمكن إثبات وقوعها بمفهومها الظاهري فإنه يؤسفني أن أقول بأنك لن تتمكن من عرفان حضرة بهاءالله.

هو: إذاً ما هو الدليل الحاسم فيما عدا المعجزات؟

أنا: نعتقد نحن البهائيون بأن برهان النبوة يجب أن يكون شيئاً على درجة من قوة الإقناع والغلبة بحيث لا يمكن لأي شخص في العالم نكرانه أو التشكك في سلامته وصلاحيته.

هو: هل يمكنك أن تقول لي ما هو ذلك البرهان؟

أنا: لم يكن مقصدي أن أقول ما هو ذلك البرهان. كل ما أردت هو أن أشير إلى السمة الجوهرية لمثل هذا البرهان. كما تعلم مسبقاً فإن اليهود والبوذيين والزرادشتيين ينكرون ما تنسبه للمسيح من معجزات، مثلما تنكر أنت بدورك ما ينسبه المسلمون والبوذيون والزرادشتيون لأنبيائهم. وعليه فإن دليل المعجزات يجب إهماله تماماً كبرهان قاطع، إذ يفتقر إلى الصفة أو الخاصية الأساسية التي يجب توفرها في براهين دامغة كهذه.

هو: يبدو ذلك أمراً صحيحاً وأنا أتفق معك، لكن هل هناك ما يمكنك تسميته بالبرهان الدامغ القاطع؟

أنا: سأخبرك الآن بشيء، راجياً أن تجد فيه ما يثبت صحته واجتيازه في الاختبار.

هو: حسن جداً.

أنا: أظن ما من أحد في كل العالم ينكر حقيقة قيام رجل باسم عيسى قبل حوالي ١٩٠٠ عام وإعلانه بأنه كان تجسيداً لروح الله.

هو: نعم.

أنا: حسن، هل تظن هناك من ينكر هذه الحقيقة؟ حتى الذين لا يؤمنون به يقرون بأنه فعلاً ادعى كونه مختاراً لمهمة كهذه، ولو أنهم قد يقولون

بأن إعلانه بحد ذاته كان باطلاً. هل من يستطيع القول بأن ليس ثمة مسيحي في العالم، وبأن أولئك الملايين ممن يدينون بالولاء للمسيحية لا يدينون بصفة مبدئية بولائهم لكلمة المسيح أو بأن لا يعترفوا بفضل المسيح وأثره في حياة أتباعه من خلال ما حققوه من علوم مكتسبة أو ثروة أو جاه مادي؟

هو: بالتأكيد كلاّ.

أنا: هل تستطيع أنت أو أنا أو أي شخص في هذا العالم، مدفوعاً بحافز شخصي وحده، أن يقوم اليوم ويقول ما قاله المسيح وينجح في تأسيس دين جديد بدون أي وسائل مادية؟

هو: ذلك منطق ممتاز. وما بال محمد؟[١](٨)

إن أعظم معجزة للمظهر الإلهي هي أنه يحوّل قلوب الناس ويخلق حضارة جديدة بتأثير كلمته فقط. فكل كلمة ينطق بها مفعمة بخلاقية[٢] وقدرة بحيث لا تستطيع كل قوات العالم منع أو مقاومة القوى المنبعثة عنها والكفيلة بإحياء العالم من جديد. مثل موسم الربيع وما يبعث في كل الكائنات الحية من طاقات غزيرة تنفذ إلى أعماق كيانها، فإن كلمة المظهر الإلهي الخلاقة تحرك المجتمع الإنساني وتعمل، بواسطة ما لديها من قدرة لا تقاوم، على هدم وإزاحة كل العوائق والعقبات التي يصطنعها الإنسان لمقاومتها، خالقة في ذات الوقت خلقاً جديداً من البشر وحضارة جديدة.

ليست هناك معجزة أعظم من هذا، معجزة بإمكان كل مراقب محايد أن يشهدها، ولن يأتي الزمان على لمعان عظمتها. لكن الذين حُرموا البصيرة الروحانية واتّبعوا ظنونهم وأوهامهم قد أعرضوا عن مظاهر الله وقاوموهم، وأحد أشكال هذا الإعراض والمقاومة يتمثّل في طلب المعجزات.

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ٢٠–٢١ للإطلاع على بقية الحوار.

(٢) للمزيد من التفسير حول الكلمة الإلهية راجع المجلدين الأول والثاني.

عندما كان حضرة بهاءالله في عكاء بعث أربعة رجال دين مسلمون من قرية منشاد بمقاطعة يزد رسالة إلى حضرة بهاءالله وعرّفوا أنفسهم بأنهم من أتباع أزل وذلك بهدف اختبار حضرته. وعرضوا في رسالتهم لغزين ووعدوا بأنهم سيؤمنون بدعوته لو كشف لهم الجواب الصحيح. فيما يلي ترجمة لجزء من رسالتهم:

السؤال الأول هو أن تعلمنا بنبأ وفاة أحد رجال أو نساء منشاد وذلك بتحديد تاريخ يوم الوفاة التي ستقع وساعة وقوعها وسبب الوفاة مع اسم المتوفى واسم الأم والعنوان وذكر معلومات عن الأقرباء والأسرة وكل التفاصيل الشخصية.

أمّا السؤال الثاني فهو أن تخبرنا عن مولد طفل، وذلك بتنبؤ جنس الطفل الوليد، واسم الأم والأب وتاريخ الولادة وموعدها بالضبط في هذه السنة...(٩)

يقف الإنسان مع تفاهة عقله وضيق نظرته أمام ربه بخيلاء وأنانية ويتحداه من أجل الاستجابة لمطالب خيالاته السخيفة محذراً المظهر الإلهي إذا لم يُلَبِّ ما طلبه منه فسيعرض عنه. كم يبدو شنيعاً هذا في نظر من وُهب قدراً من بصائر الروح! إن الأسئلة التي عُرضت لحضرة بهاءالله في تلك المناسبة تبعث على السخرية والرثاء معاً. مع ذلك، ورداً عليها أنزل حضرة بهاءالله لوحاً مطولاً،(١٠) جزء منه بكلمات كاتب وحيه، وآخر من كلماته نفسه،[1] ويوبخ كاتبي الرسالة على ضلالهم وعميهم في امتحان الله. ويعلن فيه عن مجيء يوم الله ويصرح بأن نزول وحيه قد أحاط العالم فأي مآل نُكر ينتظر أولئك الذين يبتغون الامتحان والبرهان في حين مُلئت الآفاق من آيات عظمته واقتداره. **"ليس اليوم يوم السؤال"** بل الاستماع إلى نداء الله والإقبال إلى أمره. ثم يذكّرهم، مستشهداً بآيات وفقرات

(١) نزلت بعض ألواح حضرة بهاءالله بحيث يكون قسم من اللوح بكلمات كاتب وحيه، ولكنه في الواقع أملي عليه من قبل حضرته لتظهر أنها نزلت من كاتب الوحي. لذلك فإن كل كلمة في اللوح هي من حضرة بهاءالله نفسه. للمزيد من المعلومات انظر المجلد الأول، الصفحات ٤١–٤٣.

متعددة من القرآن الكريم، بأن المشركين في دورة سابقة كانوا قد سألوا نبي الإسلام عن إتيان المعجزات. فقد سألوه أن يؤتيهم بملائكة من السماء أو يفجر من الأرض ماء، أو يسقط السماء قطعاً على الأرض، أو يؤتيهم ببيت من ذهب، أو يصعد إلى السماء وينزل لهم منها كتاباً وغير ذلك من الطلبات المماثلة. لكن يتضح من دراسة القرآن الكريم بأن جواب محمد ﷺ على هذه الطلبات السخيفة هو أن حسبه آيات الله وكلمته حجة على صحة دعوته.

يحذر حضرة بهاءالله رجال الدين الأربعة هؤلاء من أن عاقبتهم، بما امتحنوا الله، هي نفس عاقبة من أنكره في سابق ظهوراته. ومن النواحي الطريفة لهذه الحادثة هو أن حضرة بهاءالله، نظراً لما صرح به هؤلاء الأربعة من أنهم أتباع أزل قد خاطبهم وفق ذلك على أنهم من الأزليين. وعليه استشهد بالعديد من كتابات حضرة الباب إثباتاً لدعوته وحجته. فعل ذلك رغم علمه بمن كان أولئك الأربعة. إضافة لعلمه الغيبي الذي وسع كل الكائنات، كان معلوماً لديه ولدى أصحابه بأن لم يكن في منشاد أتباع لأزل. علاوة على ذلك فإن بعض المؤمنين ممن كانوا مقيمين آنذاك[1] في عكاء كانوا أنفسهم من منشاد ويعرفون هؤلاء الرجال معرفة جيدة.

هذه هي الحالات التي يمتحن فيها المظهرُ الإلهي البشرَ بإظهار نفسه وكأنه يجهل الحقيقة. وهي الحالة التي يستر فيها عظمته وعلمه عن أعين الناس لئلا يجد الخبيث سبيلاً إلى ساحة قدسه ويستوي مع الطيب. وهي الحالة التي يُترك فيها الإنسان وإرادته الحرة لإتباع السبيل الذي يختاره دون تدخّل خالقه، وجعله دمية تتحرك بإرادة غيب عليا.[2] وبخطابه إيّاهم كأنهم أتباع أزل، وضع حضرة بهاءالله هؤلاء الأربعة في موضع الامتحان. هذا وكان أحدهم قد أسرّ لنفر قليل من البهائيين بصفة شخصية بأنه كان ميالاً في سره لأمر الله. لكن هذا اللوح جاء امتحاناً له وسقط فيه خاسراً إيمانه بالكلية.

---

(١) كان ذلك في عام ١٨٨٥م.

(٢) انظر أيضاً الصفحات ٢ – ٤ أعلاه.

الامتحانات والبلايا

إن الامتحانات جزء لا يتجزأ من الخلق. وحتى في هذا العالم المادي هناك امتحانات. فنلاحظ مثلاً ما دام الجسم ساكناً لا تعترضه امتحانات، ولكن حالما يتحرك يجد مقاومة، وهي شكل من امتحان الطبيعة وكلما زادت السرعة في الحركة، ازدادت المقاومة. هذا ما يحدث مثلاً لطائرة حديثة تحلق بسرعة تفوق سرعة الصوت حيث تواجه من المقاومة لمجرد سرعتها ما يرفع حرارة جسمها لحد الاحمرار.

وهذا صحيح أيضاً على المستوى الروحاني. فإن الله يمتحن عباده. وكما ورد في القرآن الكريم:

"ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات..."(١١)

يتحدث حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه عن البلايا والامتحان، لا سيما في هذا اليوم حيث إذ تجلى الله امتحن حتى حقائق الأنبياء والأصفياء. فيما يلي كلمات حضرة بهاءالله:

"تالله الحقّ تلك أيّام فيها امتحن الله كل النبيّين والمرسلين ثم الذين هم كانوا خلف سرادق العصمة وفسطاط العظمة وخباء العزّة."(١٢)

عندما يؤمن الإنسان بأمر الله يمتحن في عدة أشكال، وغالباً دون إدراك منه. وفي كل مرة ينجح في الاختبار يكتسب بصائر روحية أعظم ويزداد قوة في الإيمان. بذلك يتقرب من الله درجات أكثر ويرتقي في معارج الخدمة في الوقت الذي تزداد إبتلاءاته صعوبة عند نزولها في المرة القادمة. لكنه إذا فشل في ذلك نتيجة الغرور الذي يمثل أسوأ أشكال التعلق بهذا العالم، فسيضعف إيمانه وقد يخسره كلياً. هنالك كثير من المؤمنين من بين مبلّغي أمر الله البارزين الذين تميّزوا بخدماتهم العظيمة في سبيله وبقدراتهم ودفاعهم عنه ضد أعدائه، لكن حينما هبت رياح الافتتان بانت نواياهم الأنانية وعدم إخلاصهم وسقط عنهم رداء الإيمان وبذلك هلكوا روحانياً.

لكن قد تتغير طبيعة الامتحانات التي تواجه المؤمن من عصر لآخر. ففي أيام حضرة الباب وحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء جاءت الامتحانات بصفة رئيسة عن طريق الاضطهاد والاستشهاد. في غالب الأحيان كان المؤمنون يجدون أنفسهم في مواقف تفرض عليهم الاختيار ما بين إنكار عقيدتهم علناً أو فداء حياتهم. لكن يد القدرة السماوية كانت تمدهم وتقويهم بحيث ثبت معظمهم حتى الرمق الأخير وتجرعوا بمنتهى البطولة كأس الشهادة.

أمّا امتحانات المؤمنين في هذا اليوم من عصر التكوين فتأتي من مصدرين. أولهما يقع خارج الجامعة البهائية، إنه التحدي الذي يواجه البهائي ليحيا حياة بهائية في عالم فاسد، مفلس روحياً، ويتميز بكل المؤثرات الخبيثة لمدنية متفسخة. ففي وسط عالم كهذا يتجه سريعاً نحو الدمار، يتعين على البهائيين أن يتعلموا كيف يحتفظون بشعور الفرح والثقة، والتمسك برؤيا حضرة بهاءالله فيما يخص مجتمع المستقبل، وأن يتطبعوا بفضائل الحياة البهائية. إن العيش وفق تعاليم حضرة بهاءالله في عالم مثقل بالشرور لهو امتحان شديد بحد ذاته، امتحان لا مفر لكل مؤمن بهائي منه.

وأمّا المصدر الثاني للامتحانات فهو من داخل الجامعة البهائية. إن الذين عاشوا وجاهدوا في العهد البطولي لأمر الله لم يعانوا من هذه الامتحانات كما هو مقدر أن يعانيه جيلنا الحالي وأجيال المستقبل، ذلك لأنهم عاصروا المظهر الكلي الإلهي، ومركز عهده وكان لهم اتصال مباشر معهما. فيما سكروا من خمر بياناتهما، نسيت تلك النفوس ذواتها وأصبحت، بفضل عشقها وانجذابها، العمالقة الروحانيين لهذه الدورة. من جهة أخرى لم تكن هناك أسباب كثيرة لحدوث كدورة أو سوء تفاهم فيما بين المؤمنين، إذ لم تكن في يومهم نشاطات جماعية كما نعرفها الآن.

لكن البهائيين في عصر التكوين هذا يعملون معاً داخل جماعات. ونظمهم الإداري ما زال ينضج في شكله الجنيني، يتيح لهم كثيراً من الامتحانات بما يضم في صفوف عامليه من أناس ينتمون لمختلف طبقات المجتمع، ما بين غني وفقير،

شاب وكهل، متعلم وغير متعلم، مؤمن قديم وآخر حديث الإيمان، يجب عليهم العمل متّحدين من أجل تقدم أمر الله. فالعمل داخل جامعة كهذه، جامعة تمثل نواة وأنموذجاً لمجتمع المستقبل العالمي، لن يكون دائماً خالياً من الامتحانات.

لذا فإن أعظم الامتحانات في هذا اليوم بالنسبة للفرد (المؤمن) تأتي من عجزه عن العمل بروح ومعنوية سليمة إمّا داخل مؤسسات النظم الإداري، أو جنباً إلى جنب معها. قد تكون المشكلة الأساسية نابعة من فهم غير كاف لطبيعة مؤسسات أمر الله. فمن التقاليد والمفاهيم المنحدرة عن الأديان القديمة تأتي فكرة أن المؤسسات الدينية هي تشكيلات من إحداث الإنسان أضيفت إلى تعاليم النبي. إن فكرة كهذه قد تعمل بشكلٍ لا واعٍ في ذهن الفرد تجعله متحيزاً حينما يدرس تعاليم حضرة بهاءالله. وبناءً على ذلك فإنه قد لا يعي تماماً حقيقة أن، خلافاً للديانات الأخرى، فإن مؤسس أمر الله نفسه هو الذي أوجد مؤسساته الإدارية كركن من أركان دين الله، وأن المبادئ الإدارية للأمر هي على قدم المساواة مع مبادئه الروحية.

عامل آخر مساهم في هذا الالتباس مصدره العالم الخارجي حيث أصبحت فيه المؤسسات التي أسسها الناس محاور فتنة وخلاف داخل المجتمع. إن أفكاراً كهذه، سواء كانت منبثقة عن الأديان السابقة أو عن المؤسسات السياسية والاجتماعية المعاصرة، قد انطبعت في أذهان الناس بحيث أضحت تشكل عقبات، دون وعي منهم، تحول دون فهمهم لنظم الإدارة البهائية فهماً صحيحاً. فهناك حاجة لتعمق حقيقي في حقائق أمر الله قبل التمكن من إزالة آثار الأفكار المغلوطة إزالة تامة.

إن مؤسسات الإدارة البهائية هي أدوات لا تنفصل عن بعضها في دين حضرة بهاءالله. وقد وضع ملامحها الرئيسة حضرة بهاءالله[1] نفسه وحضرة عبدالبهاء. وكان حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، هو الذي أرسى أسسها وشرح وظائفها

(١) انظر الفصل ١٤.

وواجباتها. وفي وصفه الفذ لمولد النظم الإداري، لخّص حضرة شوقي أفندي نشأته بهذه الكلمات:

نعم، آن الأوان، للروح الباقية المحفّزة للعالم تلك التي شبّت في شيراز، وتضرّمت في طهران من جديد واندلعت ألسنتها في بغداد وأدرنة، ثم حُملت إلى الغرب، وتضيء الآن حواشي القارات الخمس، أن تتجسّد في هيئات تصرّف قواها الفيّاضة الدافعة في قنوات وتنشّط نموّها.(١٣)

بهذه البصيرة العظيمة النافذة كشف حضرة شوقي أفندي، المفسر المعصوم للكلمة الإلهية، بعبارات بسيطة، عن طبيعة العلاقة بين وحي ظهور حضرة بهاءالله والنظم الإداري لدينه. فهي تؤكد بوضوح على أن مؤسسات أمر الله ليست من إضافات أتباعه من البشر، لكنها قنوات سماوية تتمكن خلالها الطاقات المنبعثة من وحي ظهور حضرة بهاءالله من الجريان إلى البشرية.

إن القبة المتوجة لصرح النظم الإداري تتمثل في بيت العدل الأعظم، أعلى مؤسسات ذلك النظم. وعليه فمن واجب كل بهائي قبول سلطة هذا الكيان الجليل والاعتقاد، بموجب بيان حضرة عبدالبهاء، بأنه: **"الذي جعله الله مصدر كل خير ومصوناً من كل خطأ..."**(١٤) هذه إحدى حقائق أمر الله التي يقبل بها الشخص عند اعتناقه أمر حضرة بهاءالله عن طيب خاطر. ولن يرتاب مؤمن بهائي مخلص في سلطة هذه الهيئة الجليلة الكائنة أو عصمتها والتي تقع في ظل هدي كل من حضرة الباب وحضرة بهاءالله.

لكن غالباً ما تقع امتحانات أثناء الخدمة في المؤسسات المحلية أو المركزية. من أمثلة ذلك: قد يُمتحن المؤمنون الأعضاء (بهذه المؤسسات) غالباً خلال فترة المشورة دون وعي منهم بذلك. ذلك لأن معيار السلوك الذي يجب أن يطبع نوايا وأفعال أعضاء المحافل خلال مشاوراتهم لهو على درجة عالية من النبل والسمو حقاً. تعرض كلمات حضرة عبدالبهاء التالية بعضاً من هذه المعايير السامية:

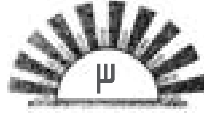
"إن أول فريضة لأصحاب الشورى هي اتّصافهم بخلوص النية وبهاء الروح والانقطاع عمّا سوى الله والانجذاب بنفحات الله والخضوع والخشوع بين

أيدي أحباء الله والصبر والجلد في تحمّل البلايا وعبودية العتبة الإلهية السامية... إن أول شرط لأعضاء ذلك الاجتماع هو وجود المحبة والألفة المطلقة بينهم، واجتناب البعد والنفور، وإظهار الوحدة الإلهية، وآية ذلك أن يكونوا أمواج بحر واحد، وقطرات نهر واحد، ونجوم أفق واحد، وأشعة شمس واحدة، وأشجار بستان واحد، وأزهار حديقة واحدة..."(١٥)

إن المعايير الواردة في لوح حضرة عبدالبهاء آنف الذكر هي متطلبات أساسية للمشورة البهائية لا تقبل التفريط أو التغيير.[١] والفشل في تطبيقها قد يحوّل جلسات المحفل الروحاني إلى حلبات صراع بين أعضائها الذين قد يجدون إيمانهم ورسوخهم على العهد والميثاق موضع امتحان شديد خلال المشاورات. تبدأ المعارك الروحية داخل القلب عندما تطل النفس على الساحة. وبهذا يجلب المؤمن على نفسه المعاناة والابتلاء لدرجة يتجاهل معها نصائح حضرة عبدالبهاء ويدع مصالح أنانيته أو ممارساته المنافية للتعاليم البهائية تسيطر على مساهمته في المشورة داخل المحفل الروحاني.

يجب أن تزاول مبادئ الشورى الروحانية بصدق وإخلاص فيجب إظهار مشاعر المودة والاتحاد والصبر والتواضع والخدمة والتفاني والأدب وغير ذلك من الفضائل التي يدعو إليها حضرة عبدالبهاء، يجب ممارستها بدافع من صميم القلب. وإلاّ فإن الفرد قد يفشل في مواجهة الامتحانات، ولم يسجل نصراً في ميدان نضاله الروحي.

(١) انظر أيضاً الصفحات ٣٢٣–٣٢٤ أدناه.



المسجون

جرى تنفيذ مرسوم السلطان، الذي حكم بموجبه على حضرة بهاءالله بسجن انفرادي مدى الحياة، بصرامة في أول الأمر. ذلك الفرمان الذي قضى بمنع لقاء حضرته بأي أحد بمن فيهم أصحابه. لكن سرعان ما تبين لسلطات السجن جلال حضرة بهاءالله وعظمته وسمو شخصيته. كما تركت دماثة طبع المولى (حضرة عبدالبهاء) وسجاياه وفضائله السماوية انطباعاً عميقاً في نفوسهم مما جعلهم يتوجهون إليه أكثر فأكثر طلباً للنصح والمشورة. أدى ذلك إلى تغيير موقفهم المتشدد فصاروا أكثر ليناً وخففوا بعض القيود.

بمرور الوقت خصصت لأصحاب حضرة بهاءالله حجرات في مختلف أرجاء الثكنات. وانصرف البعض منهم للقيام بواجبات أساسية كالطبخ والتنظيف وجلب الماء أو التسوق بينما تمكّن آخرون من صرف أوقات فراغهم في أشغال مفيدة أخرى. وفي مرحلة معينة استخدم حضرة عبدالبهاء مصرياً يدعى الحاج علي المصري[١] ليأتي إلى الثكنات لتعليم السجناء فن حياكة الحصير. وعندما خفّت التشديدات تمكّن الأصحاب من الاتصال بحضرة بهاءالله وحتى التشرف بمحضره.

يجدر الانتباه إلى نقطة هامة هي أن حضرة بهاءالله لم يخالف الأوامر والقيود التي كانت مفروضة عليه، لم يخالفها ولو مرة واحدة سواء داخل السجن أو خلال السنوات اللاحقة. كانت السلطات نفسها هي التي خففت القيود، وكان ذلك

---

(١) نتيجة لتعرّف هذا الرجل على حضرة عبدالبهاء انجذب كثيراً لأمر الله، كما تبدّل ابنه، الذي كان ذا طبع ثوري، إلى خلق آخر وأصبح من المؤمنين المتحمسين.

أحياناً بتشجيع من حضرة عبدالبهاء. إن قصة مغادرة حضرة بهاءالله بيت عبود وإقامته بمنزل خارج أبواب المدينة، كما سنرى فيما بعد،[1] هي مثال واضح على تسليم حضرة بهاءالله تسليماً تاماً لإرادة أعدائه أو من كانوا موكلين بحراسته شخصياً.

ورغم كآبة ظروف العيش داخل الثكنات إلاّ أن أصحاب حضرة بهاءالله، وخاصة بفضل قيادة حضرة عبدالبهاء وهديه، نظموا حياتهم اليومية بحيث استهدفوا خلق أفضل الأحوال لجماعة المؤمنين. كان أعظم مصدر سرور لهم هو قربهم من مولاهم، إذ حظوا أحياناً بزيارة حضرة بهاءالله لأماكن سكناهم حيث استضافوه بما تيسر لهم من بعض الطعام والشراب.

المؤمنون في أرض الأقدس

هناك لوح(١) أنزله حضرة بهاءالله داخل الثكنات يوم التاسع من عيد الرضوان.[2] من المحتمل أن ذلك كان في رضوان ١٨٦٩م، أول عيدي الرضوان اللذين احتفل بهما في السجن، إذ يذكر فيه أسماء العديد من المؤمنين الذين سبق أن قصدوا دخول عكاء لكنهم مُنعوا من قبل السلطات.

يصف حضرة بهاءالله في هذا اللوح كيف دعاه أحد المؤمنين داخل السجن في ذلك اليوم ليُشرّف حجرته بحضوره والاحتفال بذاك العيد الأعظم. لقد ثمل أصحابه حقاً روحياً بكوثر محضره في ذلك اليوم. فقدّم المؤمن المضيف أفضل ما استطاع تزويده من طعام. يشير حضرة بهاءالله إلى ذلك ويصرّح بأن مؤمنين آخرين قد دعوه إلى حجراتهم أيضاً خلال فترة الرضوان. وقدّم كل منهم على قدر إمكاناته ما لديه من الغذاء في حين لم يكن لدى البعض ممن دعوه لتلك المناسبة سوى فنجان من الشاي.

---

(١) انظر الصفحات ٤١٩–٤٢٢ أدناه.

(٢) ٢١ نيسان إلى ٢ أيار، احتفالاً بالأيام الاثني عشر التي أمضاها حضرة بهاءالله في حديقة الرضوان ببغداد في عام ١٨٦٣م عندما أعلن دعوته إلى بعض أتباعه.

يغمر حضرة بهاءالله في هذا اللوح أحباءه ببركاته ويدعو لهم بالاستقامة على أمره والاتحاد فيما بينهم. في حين نزول هذا اللوح كان هناك اثنان من المؤمنين يقيمان في عكاء نفسها، وآخرون يسعون لدخولها، وبعضهم كان يقيم في حيفا. وقد ذكرهم حضرة بهاءالله جميعاً في هذا اللوح. أما الاثنان في عكاء فهما محمد جعفر التبريزي، الملقب بمنصور، وميرزا هادي الملقب بعبد الأحد. كان الأخير أول من وصل إلى عكاء. فقد سبق أن أرسله حضرة عبدالبهاء إليها قبل نفي حضرة بهاءالله إلى تلك المدينة بفترة من الزمن، مقيماً بذلك واسطة اتصال قيّمة. لم يشك أحد بكونه بهائي. تمكن، بعون الممثل السياسي الإيراني بالمدينة، من فتح حانوت إلاّ أنه لم يحاول الاتصال بحضرة بهاءالله أو أتباعه بعد وصولهم إلى الثكنات. لكن النفر القليل من المؤمنين الذين سمح لهم بالتجول في السوق لشراء المؤن التقوا به وكانوا يعرفون أنه بهائي. وهكذا عن طريقه، وبوسائل أخرى، سرعان ما وصلت أنباء ورود حضرة بهاءالله إلى تلك الديار إلى مسامع المؤمنين في إيران حيث سافر قليل من أتباعه إلى عكاء. لدى وصولهم كان عبد الأحد يعين بعضهم، ملتزماً جانب الحكمة والحذر، ممن أفلح في الدخول إلى المدينة للاقتراب من الثكنات. في بعض الأحيان اضطر إلى إخفاء بعض الزوار في القسم الخلفي من حانوته. أمّا تلاميذ حضرة بهاءالله، ومعظمهم كانوا يقطعون المسافة سيراً على الأقدام من إيران، فلم يحظوا في تلك الفترة بأزيد من وقفة قبالة الثكنات على مسافة ليروا يد حضرة بهاءالله المباركة تحييهم. وهذا وحده كان بالنسبة لهم كافياً ليوقد في أحشائهم نار الإيمان والشجاعة ويعرج بهم إلى مقام كانوا فيه مستعدين ومتلهفين لفداء أرواحهم في سبيله.

من بين أولئك المقيمين في حيفا كان ميرزا إبراهيم الكاشاني،(١) الذي امتهن صنعة النحاس، وقد أشار إليه حضرة بهاءالله باسم "خليل" في "لوح الرضوان" المذكور. كان مؤمناً مخلصاً مشتعلاً بنار محبة حضرة بهاءالله، وأحد السجناء البهائيين الذين أرسلوا من بغداد إلى الموصل.(٢) لكنه استطاع رفقة بعض أقربائه

---

(١) انظر "تذكرة الوفاء" لحضرة عبدالبهاء، الصفحات ١٠٢–١٠٤.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٢٧–٣٢٨.

من مغادرة الموصل والاستقرار في حيفا. ورغم الصعوبة الكبيرة التي كانت تواجه المؤمنين القاصدين عكاء في تلك الأيام، تمكن هذا المؤمن من دخولها من حين لآخر عن طريق جلبه منتوجاته النحاسية للبيع. وهكذا صار واسطة اتصال هامة بين المؤمنين وحضرة بهاءالله.

مؤمن آخر ورد ذكره في "لوح الرضوان" هو الأستاذ إسماعيل، وكان كبير السن إلاّ أن قلبه متوهج بنار محبة حضرة بهاءالله. عمل في سابق حياته رئيس بنّائين وله خبرة واسعة إذ عمل لحساب موظفي الدولة في إيران. لكنه حينما عُرف بأنه بابي اضطر لترك عمله. سافر بعد ذلك إلى بغداد حيث عُهد إليه بشرف القيام بأعمال تشييد في منزل حضرة بهاءالله.[1] وعندما نُفي المؤمنون من تلك المدينة إلى الموصل تمكّن من الذهاب إلى عكاء. رغم تقدمه في السن قطع المسافة سيراً على الأقدام حتى وصل إلى قبالة السجن الأعظم ووقف منتظراً بلهف عسى أن يحظى بلمحة من طلعة محبوبه عبر الخندق.

لكن للأسف لم يستطع، نظراً لشيخوخته وضعف بصره، أن يرى يد حضرة بهاءالله تلوح له من خلال إحدى نوافذ الثكنات. فكان ذلك منظراً مثيراً للألم والرثاء فقد جرى الدمع من عينيه حزناً كما جرت دموع أفراد العائلة المباركة ونفر قليل غيرهم ممن كان يشهد محنة ذلك المؤمن المخلص. ويروى بأن حضرة بهاءالله صرّح في تلك المناسبة بأن شدة الحبس وقيوده سوف تخفف بقدرة الله وتتهيأ الظروف للسماح للمؤمنين بالورود في محضره.

بطبيعة الحال لم يكن بوسع الحجاج البهائيين الفوز بلقاء محبوبهم بحرية إلاّ بعد مغادرته الثكنات سنة ١٨٧٥م. إلاّ أنه رغم استحالة زيارة أي شخص غريب بصفة رسمية وملاقاة حضرة بهاءالله طوال الفترة التي قضاها داخل السجن، فإن الموظفين، عندما خففت تدريجياً قيود الحبس، غالباً ما تغاضوا بل أحياناً سمحوا لبعض الأصحاب وأعانوهم على الدخول لزيارة حضرته.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٢٤–٢٢٥.

أخيراً أفلح الأستاذ إسماعيل في دخول السجن حيث بقي فيه فترة قصيرة وتشرف بلقاء مولاه. كان موضع إقامته المعتاد في الأراضي المقدسة كهف في جبل الكرمل. وكسب رزقه كبائع متجول يحمل على صينية إبراً وكشتبانات وغيرها من اللوازم البسيطة للبيع. عاش حياة فقر لكنها حياة قناعة وفرح، وبقلب مفعم بالرضى والسرور لقربه من مولاه.

في أثناء تجواله مع صينيته الصغيرة البالية كان قلبه مجذوباً نحو حضرة بهاءالله. أحياناً كان يطوف حول الثكنات قصد الشعور بالقرب من محبوبه. في إحدى تلك المناسبات شاهده حضرة بهاءالله من نافذة السجن فنادى على طبّاخه حسين آشجي الذي كان ابن أخ الأستاذ إسماعيل، وسأله فيما إذا سبق له أن رأى الصينية التي يحملها عمه. لمّا أجابه بالنفي مازحه حضرة بهاءالله قائلاً لحسين لو أنه وضع نظارة على عينيه لأمكنه أن يشاهد فوق تلك الصينية مجموعة إبر صدئة إلى جانب كومة من الكشتبانات الصدئة على الجانب الآخر منها! لكن طالما أثنى حضرة بهاءالله على انقطاعه من هذه الدنيا وشكره مولاه.

أحد الذين يذكرهم حضرة بهاءالله في "لوح الرضوان" هو النبيل الأعظم، الذي سافر إلى عكاء لكنه طُرد منها. فبعد إطلاق سراحه من سجن الإسكندرية، انطلق النبيل مسرعاً إلى مقر محبوبه. ومع أنه دخل المدينة متنكراً[١] بزي مواطني بخارى، تمكن اثنان من أعداء حضرة بهاءالله من التعرف عليه والوشاية لدى السلطات وبالنتيجة طُرد من المدينة. وهذان الرجلان هما السيد محمد الإصفهاني، دجال دورة حضرة بهاءالله،[٢] وآقا جان المعروف بـ"كج كُلاه".[٣] بالرغم من أنهما كانا يعتبران نفسيهما من أتباع ميرزا يحيى، إلاّ أنه حُكم عليهما بالسجن في عكاء فرافقا حضرة بهاءالله وأصحابه إلى الثكنات. لكنهما بعد الوصول بقليل انحازا

(١) في أوائل فترة نفي حضرة بهاءالله إلى عكاء اضطر معظم أتباعه، تحفظاً من اكتشاف هويّاتهم كبهائيين، للتنكر عند دخولهم المدينة.

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني.

(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣١٩، ٣٨٧، ٣٩١.

إلى جانب السلطة وتحالفا معها فنقلا إلى غرفة تطل على بوابة المدينة البرية. ومن موقعهما ذاك عملا في التجسس وصارا يشخّصان أتباع حضرة بهاءالله الذين يحاولون دخول المدينة.

يروي النبيل، كما جاء في رسالة كتبها من عكاء إلى البهائيين في دَرَخْش بمقاطعة خراسان، أنه حاول دخول المدينة أول مرة قرابة نهاية تشرين الأول ١٨٦٨م. توفّق في الدخول وبقي فيها ثلاثة أيام لكنه لم يتشرف بمحضر حضرة بهاءالله قبل طرده من المدينة.

التجأ بعد ذلك في كهوف جبل الكرمل وجال أطراف الأرياف نحو أربعة أشهر. لكنه لم يحتمل فراقه عن مولاه. بل إن عشقه ازداد يوماً بعد يوم حتى استحال عليه البقاء بعيداً عن مدينة محبوبه.

قرب منتصف شباط ١٨٦٩م قام بمحاولة ثانية لدخول المدينة. أفلح هذه المرة بالبقاء فيها مدة أطول. التقى خلالها بميرزا آقا جان وقليل من المؤمنين الآخرين ممن خرجوا من الثكنات لشراء المؤن. ولكن يذكر النبيل في رسالته كيف نال بغية فؤاده بلقاء حضرة بهاءالله في ١٨ محرم ١٢٨٦هـ (١ أيار ١٨٦٩م).

بعض أوائل الزوار

أول زائرَين وفّقا في الورود إلى محضر حضرة بهاءالله كانا الحاج شاه محمد المنشادي، الملقب بـ"أمين البيان" من قبل حضرة بهاءالله، والحاج أبو الحسن الأردِكاني، الملقب بـ"أمين الله". هذا وتستحق قصة هذين الأمينين من أمناء حضرته، بما قدّما من خدمات جليلة، أن تُسرد مفصلاً، يجدها القارئ في الفصل الرابع.

كان الملاّ محمد علي، الذي لقّبه حضرة بهاءالله بـ"النبيل القائِني"،[١] من البهائيين البارزين الآخرين ممن وصل إلى عكاء وعُرفت هويته وطرد من المدينة.

(١) لا يشتبه مع آقا محمد القائِني، الملقب بـ"النبيل الأكبر"، الذي رويت قصة حياته في المجلد الأول، الصفحات ٩٥–٩٩. والاثنان من مدينة قائِن في مقاطعة خراسان.

سبق له أن عرف حضرة بهاءالله لسنوات قبل إعلان حضرة الباب دعوته. حتى في تلك الفترة ميّز في حضرة بهاءالله سجاياه وقدراته الخارقة للمألوف وأصبح من المعجبين المتحمسين لشخصه. وعند عودة النبيل الأكبر من العراق إلى مدينته قائِن أخذ يبلّغ أمر حضرة الباب إلى الجمهور علناً. ولدى سماع الملاّ محمد علي بأنباء حضرة الباب وحضرة بهاءالله سارع للإيمان بإخلاص وقال بأنه تشرف بمحضر حضرة بهاءالله في طهران وشعر وقتها بانجذاب شديد نحوه.

وكانت له الفرصة التالية عندما رأى فيها طلعة مولاه في سجن عكاء. في محاولته الأولى طرد من المدينة. لكنه قام بمحاولات أخرى وأخيراً وُضعت ترتيبات لدخوله الثكنات. وتوفق في ذلك ووصل المحضر المبارك لحضرة بهاءالله. لكن ما أن وقعت عينا النبيل القائِني على هيكل مولاه حتى صُعق وسقط على الأرض مغشياً عليه بما شعر من العظمة والجلال المنبعثان من شخصه المبارك.

إن هذا الرجل العظيم الذي عاش سنوات عديدة من عمره في ترف وعزة، وكنّ له أهل مدينته احتراماً وتقديراً فائقيْن، صار الآن يحيا حياة فقر بحيث، شأنه شأن الأستاذ إسماعيل، أصبح هو الآخر يتجول ليبيع الإبر والكشتبانات لسكان الناصرة. كسب رزقه بهذه الكيفية قرابة عامين يبيع لنساء الناصرة، فيقايضهن ثلاث إبر مقابل بيضة واحدة. وخلال تلك الفترة توفّق في هداية عدد من سكان الناصرة المسيحيين لأمر الله.

كان النبيل القائني مثالاً مشعاً للإيمان والانقطاع، وسيبقى يُذكر على أنه الذي شهد وأقر بقوى حضرة بهاءالله قبل إعلان دعوة حضرة الباب، كانت وفاته في عكاء.

من أتباع حضرة بهاءالله المخلصين الذي شق طريقه إلى السجن بنحو عجيب خلال أوائل أيام الحبس في الثكنات، كان شخص يدعى عبد الرحيم من مدينة بشرويه، مسقط رأس الملاّ حسين، أول مؤمن بحضرة الباب. كان اسمه جعفر ولكنه عندما تشرف بمحضر حضرة بهاءالله أعطاه اسم رحيم. تجدر الإشارة إلى

أن عبد الرحيم هذا كان مسلماً متعصباً قبل اعتناقه أمر الله، وعندما لاحظ انتشاره ونموه قصد رجل الدين في المنطقة ليسأله رأيه وموقفه تجاه البهائيين. كان جواب رجل الدين على سؤاله: 'محاربتهم لا تقل فخراً عن الاشتراك في الجهاد. وقتلهم ممدوح في نظر الله، وإن قُتل المسلم فذلك شرف له ينال عليه أجر الشهادة والورود في الجنة العليا.'

أشعلت تلك الكلمات ناراً حامية في نفس عبد الرحيم لقتل بعض البهائيين. فحمل سلاحاً وواجه ذات يوم مؤمناً مسناً اسمه "الحاج بابا" وأخبره بعبارة لا تقبل الالتباس بنيّته قتله لأنه ضلّ سواء السبيل باعتناقه دين البهائيين.

ما كان من الحاج بابا، وقد فوجئ بتهديد الموت، إلاّ إظهار هدوء راسخ بينما راح يكلم عبد الرحيم بعبارات رقيقة انجذب لها قلبه وتأثر. وسرعان ما انقلب مزاجه وتبدل من عدو وطّد عزمه على القتل، إلى باحث عن الحقيقة.

بعد ذلك قاد الحاجُ بابا عبدَ الرحيم إلى منزل أخت الملاّ حسين حيث غالباً ما كان يعقد فيه المؤمنون اجتماعات لتبليغ أمر الله. استغرق ذلك الاجتماع يوماً وليلة كان عبد الرحيم خلالها منهمكاً بكل حماس في النقاش والبحث. عند نهاية ذاك الاجتماع المضني أقر بأحقية أمر الله وعمر قلبه بروح إيمان جديد وحماس بحيث لم يقدر على البقاء في بلدته. ولعلمه بأن المظهر الكلي الإلهي موجود في هذا العالم، لم يستطع كبح جماح رغبته في لقياه وجهاً لوجه. فانطلق في الرحلة الطويلة للفوز بمحضره.

سار عبد الرحيم على قدميه مدة ستة أشهر حتى بلغ مقر محبوبه —سجن مدينة عكاء. وصلها في أوائل أيام دخول حضرة بهاءالله إلى الثكنات عندما لم يكن يُسمح لمن يُشتبه بكونه بهائياً حتى بالاقتراب من موقع السجن. وتصادف وصوله في الفترة التي كان يحاول فيها النبيل الأعظم، دون نجاح، الفوز بلمحة من مولاه. وكشف النبيل عن مكنون قلبه لعبد الرحيم وناح لعجزه عن نيل مراده. ولكن عبد الرحيم، دون أن يفتر أو ييأس انطلق محاولاً الطواف حول السجن.

إلاّ أنه قبل الشروع بمهمة مقدسة كهذه، قرر وجوب غسل ثيابه المتسخة التي كان يلبسها طوال رحلته. فغسلها في البحر وانتظر حتى جفت وما أن لبسها حتى أحس بعدم الارتياح إذ بدا مظهره غريباً لأن الملابس انكمشت بالغسل وأصبحت مهلهلة.

رغم ذلك توجه عبد الرحيم بنهاية الانقطاع وبقلب طافح بمحبة حضرة بهاءالله نحو السجن وبدأ يطوف حوله. ولشدة دهشته لاحظ يداً تلوح له عبر نافذة في السجن داعية إيّاه بالدخول. فعلم أنها يد حضرة بهاءالله تستدعيه للقائه. فأقبل إلى بوابة السجن التي يحرسها بعض الجنود. لكن هؤلاء بَدَوْا أمامه وكأنهم ساكنين لا حياة فيهم، بل كأنهم لم يروه. فمرّ خلال البوابة دون أن يحرّكوا طرفة عين.

وما كانت إلاّ برهة وجيزة حتى وجد عبد الرحيم نفسه في محضر مولاه، يوشك أن يفقد صوابه تحت وقع انفعاله وعواطفه، وقد سمت به المناسبة إلى عوالم الروح حيث تحقق الوصل مع مقصود قلبه ومحبوب فؤاده. أخبره حضرة بهاءالله بأن أيادي العظمة والاقتدار قد أعمت عيون الحراس مؤقتاً عند دخوله ليحظى بالدخول إلى محضره عطية وفضلاً من لدنه.

لا نعرف تحديداً كم يوماً بقي عبد الرحيم في السجن. إلاّ أن حضرة بهاءالله أنزل له لوحاً أثناء وجوده هناك. يؤكد في اللوح بأنه قد أغلق أعين الحرس ليتمكن عبد الرحيم من دخول محضره ويشهد بهاء طلعته. يذكره باسمه الجديد "رحيم" ويغمره ببركاته ويحثه أن يروي قصة زيارته للأحباء عند رجوعه لبلده.

قبل عودته ائتمن حضرة بهاءالله عبد الرحيم ببعض الألواح ليسلّمها إلى المؤمنين في إيران. وحدث يوماً أثناء وجوده في سوق بغداد في طريق العودة لإيران أن رآه الحرس وارتابوا في أمره. فتبعوه بغية القبض عليه. حالما أدرك عبد الرحيم ذلك أخرج رزمة الألواح من جيبه أثناء سيره وقذف بها في أقرب حانوت. فعل ذلك بسرعة وخفة فلم يلحظه الحرس. اضطر للقيام بذلك لعلمه أن الحراس لو عثروا على ألواح حضرة بهاءالله لديه لما اكتفوا بإتلافها أو مصادرتها، بل كانت حياته أيضاً عرضة للخطر.

حالما رمى الرزمة في ذلك الحانوت المجهول، أودع كل ثقته في حضرة بهاءالله، متوجهاً بقلبه إليه داعياً متوسلاً ليحفظ تلك الألواح بقدرته المهيمنة على الأشياء. وهنا تحضر للذاكرة قصة أم حضرة موسى حينما وضعت ابنها الرضيع في صندوق ووضعته على صفحة النهر متوكلة على الله في حفظه وتسليمه لمن يرعاه.

قبض الحرس على عبد الرحيم وأخذوه للتوقيف. سرعان ما تبيّن للسلطات، بعد التحقق من هويته، بأنه من رجال الله وشخص مسالم. فأخلوا سبيله ومنحوه قليلاً من المال كتعويض. تأمّل في المبلغ الذي في راحة يده واشتكى في سره لحضرة بهاءالله قائلاً: أخذت مني أعز وأغلى الأشياء في الوجود –الألواح– وأعطيتني بدلها دراهم معدودة!" عاد بعد ذلك إلى السوق بقلق عظيم ليرى ما حلّ بالرزمة.

في البداية راح يقطع السوق ذهاباً وإياباً عدة مرات فيقف من حين لآخر قريباً من الحانوت وينظر داخله، لكن لم يحدث شيء. أخيراً، وقرب أواخر النهار، اقترب من الحانوت مرة أخرى. في هذه المرة لم يكن فيه زبائن ورأى صاحب الحانوت يومئ إليه بالدخول. دخل ولشدة ما دهش عند رؤيته صاحب المتجر يتقدم نحوه ويعانقه بحرارة ويحييه بعبارة "الله أبهى" ويسلمه الرزمة. تصادف أنه كان من البهائيين القلائل القاطنين في بغداد. تحيّر الرجلان وذهلا بما رأيا من قدرة الله واعتبرا الحدث معجزة. إذ كانت هناك مئات من المتاجر في السوق، ولكن في ذلك اليوم المحتوم وفي اللحظة التي كان الحرس يقتربون منه، كان عبد الرحيم الغريب تماماً، يمر مصادفة أمام الحانوت الوحيد الذي يمتلكه بهائي.

لا يمكن وصف سرور عبد الرحيم وارتياحه بإيجاد الألواح. أقام بضعة أيام بمنزل صديقه البهائي صاحب الحانوت. وبواسطته تعرّف على بعض المؤمنين في بغداد قبل أن يغادر إلى إيران. عند عودته زار عدداً من المدن حيث سلّم ألواح حضرة بهاءالله لأصحابها. وروى لكل مؤمن ممن قابلهم قصص زيارته وتشرّفه



منظر للثكنات من خلف الخندق

كان الزوار البهائيون يحاولون رؤية حضرة بهاءالله من تلك المسافة



ميرزا عبد الرحيم

الذي دخل الثكنات وتشرف بمحضر حضرة بهاءالله رغم وجود جنود يحرسون السجن



العقيد أحمد جرّاح
قائد الحرس خلال فترة حبس حضرة بهاءالله في الثكنات.
آمن بأمر الله فيما بعد



الحاج أبو الحسن الأمين
من أمناء حضرة بهاءالله وأحد حوارييه



صورة داخل الحمام العمومي في عكاء



الحاج آخوند (يسار)، والحاج أمين (يمين)

في سجن قزوين. وقد صفدت أقدامهما في حاصر خشبي وربطت أعناقهما بالسلاسل،
ويبدو السجّان معهما

وتحدّث عن حضرة بهاءالله وقدرته وعظمته وما منّ عليه من بركات وتأييدات لا تنضب طوال رحلته. ولمّا وصل بلدته كان عبد الرحيم ككرة من نار أوقدتها يد حضرة بهاءالله. فكانت نورانية محياه وقدرته في البيان والمنطق بادية لكل من قابله. وبدأ في تبليغ أمر الله بلا خوف بعد عودته من عكاء، لكن ذلك أثار رجال الدين وأغضبهم وأغضب جمهور المتعصبين الذين قاموا ضده وأخرجوه من مدينته بشرويه. استقر بعدها في مدينة أخرى هي فاران.[١]

بعد ذلك بسنوات أنعم حضرة بهاءالله بشرف عظيم على أحد أبرز أتباع حضرة الباب وحضرة بهاءالله، وهو الملاّ صادق الخراساني، الملقب بـ"اسم الله الأصدق"،[٢] وذلك بدعوته للحضور إلى عكاء والتشرف بزيارته. وإذ كان رجلاً مسناً جداً، أشار حضرة بهاءالله أن يرافقه في الرحلة رجل موثوق. ولمّا لم يتّفق أحباء مشهد على من سيكون ذلك الشخص، التجأوا إلى القرعة فكان اسم عبد الرحيم هو المختار. وهكذا نال حظوة التشرف ثانية بمحضر حضرة بهاءالله. وعند وصوله لعكاء أكد حضرة بهاءالله بأنه بعبارة "رجل موثوق" إنما كان في الحقيقة يعني عبد الرحيم.

نلاحظ في هذه الحياة بأن كل فرد يمكنه التقدم وفق قابليته. وبينما تصل العطايا الإلهية إلى كل المخلوقات كما تصل أشعة الشمس لكل الموجودات، إلاّ أن صخرة غير مصقولة لا تستطيع أن تعكس ضياءها كما تفعل المرآة. وعلى غرار ذلك يجب على الإنسان أن يكتسب خصالاً روحانية أعظم عن طريق تطهير قلبه من أجل أن ينال نصيباً أوفر من العطايا الإلهية. في لوح إلى هادي القزويني[٣] يكشف حضرة بهاءالله عن هذا المبدأ في الخلق الإلهي:

(١) اسم جديد أطلقه حضرة بهاءالله على بلدة تُن في خراسان.

(٢) انظر "تذكرة الوفاء" لحضرة عبدالبهاء، الصفحات ١٨–٢١؛ والمجلد الأول، الصفحتين ٩٦–٩٧؛ والصفحة ٢٥٩ من هذا المجلد.

(٣) أحد حروف الحيّ، انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١٣٩–١٤٠.

"قد أودع من علو جوده البحت وسمو كرمه الصرف في **كل شيء مما يُشهد ويُرى** آيةً من عرفان نفسه حتى لا يحرم **أي شيء** من **عرفان** حضرته **على مقداره ومراتبه.** وهذه الآية هي مرآة جماله في عالم الخلق. وكل مقدار من السعي والمجاهدة لتلطيف هذه المرآة الرفيعة المنيعة وصقلها يؤدي إلى ظهور الأسماء والصفات والشئونات لذلك العالم وتلك الآية في تلك المرآة منطبعة ومرسومة **على مقام يشهد كل شيء في مقامه ويعرف كل شيء حدّه ومقداره ويسمع عن كل شيء على أنه لا إله إلاّ هو...**

وهذه المرآة إذا صُقلت وتطهّرت بالمجاهدة الذاتية أو التوجهات الروحانية عن الكدورات الظلمانية والتوهمات الشيطانية تتقرب إلى حدائق القدس الرحماني وحظائر الأنس الرباني وتصل إليها."(٢)

هناك ألواح عديدة لحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء تبيّن أن مدى مكتسبات المرء في الحياة مرهون باستعداده وإدراكه الروحاني. يروى أن حضرة عبدالبهاء في إحدى خطبه في عكاء تفضّل بما يلي:

ينبغي القيام بالزيارة في حالة من الخضوع والتبتل التام. وإلاّ لن تكون زيارة حقيقية بل نوعاً من السياحة...

حضر كثيرون لزيارة حضرة بهاءالله وشاهدوا خلقه القويم وتقواه، وابتسامة محياه، وجاذبيته ومكرماته غير المتناهية، ومع ذلك بقوا في حدود ذلك دون أن يتأثروا بحضرته. في حين كان هناك آخرون انقلبوا وتحولوا آنياً لدى تشرفهم بمحضره.

تشرّف جمال البروجردي[١] بمحضر حضرة بهاءالله في أدرنة. وكان معه رجلان من بروجرد. أحدهما يدعى ميرزا عبد الرحيم.[٢] بلغت شدة تأثر هذا الأخير وانجذابه بشخص حضرة بهاءالله حداً قَلَبَه بشكل تام. وقد صرّح الجمال المبارك بأن هذا الرجل، في ظرف عشر دقائق، خطا خطوة من هذا العالم إلى عوالم الخلد.

---

(١) انظر المجلد الثاني.

(٢) ليس المؤمن صاحب الاسم نفسه الذي رويت سيرته في الصفحات ٦١–٧١ أعلاه.

لهذا فإنه من الضروري اكتساب الاستعداد واللياقة الروحية. فالأذن الصماء لا تستمتع بنغم أغنية جميلة، والمشام العليلة لا تستنشق عبير الورد، ورغم توفر الشمس والهواء والمطر فإن أرضاً بوراً مالحة لا تنبت سوى الأعشاب.

في أيام حضرة بهاءالله ببغداد أمر الوالي عدداً من رؤساء قبيلة "جاف"، الذين صاروا من المعجبين بحضرة بهاءالله أثناء فترة السليمانية، بالقدوم إلى بغداد. في خلال إقامتهم هناك كانوا يأتون لبيت حضرة بهاءالله بمنتهى التواضع والاحترام بعد أخذ الإذن للحضور. كان بينهم رجل كردي منجذب حقاً للجمال المبارك. قال لي بأنه يرغب بزيارة الشيخ محمد (حضرة بهاءالله) مرة أخرى ويمتع نظره بطلعته الوضاءة. أدركت بأنه كان مجذوباً بحضرة بهاءالله. فلم أشأ إطالة انتظاره، وأذنت له بالتوجه مباشرة لحجرته المباركة. فاستقبله حضرة بهاءالله بلطف ومحبة وأذن له بالجلوس بجانب رؤساء القبيلة المذكورين. لكن لو شاء الله أن ينزل كل بركاته على شخص يفتقر الاستعداد والأهلية فإن ذلك لا يؤتي بنتيجة إطلاقاً. ودليل ذلك هو أن خلال أيام بغداد كان هناك رجل اسمه محمد رضا ممن اعتاد زيارة حضرة بهاءالله يومياً صباحاً ومساء... وأخيراً عند انتهاء تلك الأيام قال مفتخراً: "لقد عاشرت هؤلاء الناس عشر سنوات دون أن يتمكّنوا من التأثير عليّ!"(٣)

أهالي عكاء

من أمثلة أولئك الذين وُهبوا الإحساس الروحاني لعرفان مقام حضرة بهاءالله دون أن يُبلّغوا أو يتّصل بهم بهائيون كان الشيخ محمود العرّابي، أحد مواطني عكاء. عندما نفي حضرة بهاءالله إلى عكاء كان الشيخ محمود أحد رؤساء الدين فيها. ولد في أسرة مسلمة متدينة. عندما كان في العاشرة من عمره تقريباً سمع برؤيا شيخ مسن متديّن كان والد محمود يوقره، بشأن مجيء شخص الموعود المنتظر إلى عكاء. قال ذلك لمحمود بحضور والده مضيفاً بأن والده وهو لن يكونا أحياء في ذلك الوقت. لكنه أكد لمحمود بأنه سيعيش ويرى ذلك اليوم

عندما يكون شخصاً بالغ الرشد وأوصاه بالترقب لمجيء الرب الموعود. كما أشار لمحمود بأنه سيتكلم الفارسية ويسكن في غرفة عليا عند نهاية درج مرتفع.

مضت عدة سنوات كبر خلالها محمود الصغير وأصبح رجلاً بالغاً قوياً متعلماً وتقياً، محترماً وسط أهله وقومه ومعروفاً بـ"الشيخ محمود". إلاّ أنه لم تخطر بباله تلك الرؤيا إلاّ نادراً. وحتى عندما وصل حضرة بهاءالله إلى عكاء لم يربط في ذهنه بينه وبين الموعود الذي تنبأ عنه ذلك الشيخ المسن. بل عكس ذلك فإنه اغتاظ جداً لما فعلته الحكومة بإرسال حضرة بهاءالله، الذي وصفته السلطات بأنه رجل شرير ودعته بـ"رب العجم"، إلى مدينة عكاء. وظل بعد ذلك لفترة بحال من الاضطراب، ويود لو يعمل شيئاً لتخليص المدينة من مثل هذا الشخص. ينبغي أن نتذكر بأن سلطات السجن، بعد ورود حضرة بهاءالله إلى الثكنات بزمن غير طويل، كانت قد خففت شيئاً ما من قيودها التي فرضتها في البداية والتزمت بتطبيقها. فمثلاً أذنت لمجموعة صغيرة من السجناء البهائيين بالذهاب كل يوم إلى المدينة لشراء اللوازم. في بعض الأحيان كان حضرة عبدالبهاء يذهب معهم وهكذا أتيح لسكان عكاء التعرف على شخصيته الجذابة وإزالة الأوهام والتوتر الذهني تجاه جماعة المنفيين.

قلق الشيخ محمود ذات يوم عندما رأى حضرة عبدالبهاء في المسجد. ويروى بأنه أمسك بيد حضرته وصاح: 'هل أنت ابن الله؟' فأجابه المولى بسحره المعتاد بأنه هو الذي قالها وليس عبدالبهاء. ثم ذكّره بعد ذلك بأحد الأقوال الإسلامية كما جاءت في أحد الأحاديث: "أكرم الضيف ولو كان كافراً."

كان لوقع تلك الكلمات وشخصية المولى الودية أثر في نفس الشيخ محمود بحيث بدّل موقفه العدائي نحوه. لكن بما أنه كان رجل دين مسؤول، لم يسعه البقاء دون اكتراث تجاه جماعة من المنفيين يعيشون بينهم وكانوا كفرة في نظره. لذا عزم على أن يضع حداً لذلك بنفسه. فتوجّه ذات يوم إلى الثكنات، وقد أخبأ سلاحاً تحت عباءته، بغية اغتيال حضرة بهاءالله. وأخبر الحرس الذين يحرسون بوابة السجن بأنه يرغب رؤية حضرة بهاءالله. ولكونه شخصاً متنفذاً في عكاء، وافق الحراس على طلبه وذهب أحدهم لإعلام حضرة بهاءالله بهوية الزائر. يروى

بأن حضرته أجاب قائلاً: 'قولوا له بأن يلقي السلاح ثم يمكنه أن يأتي.'[١] لدى سماعه ذلك بُهت الشيخ محمود. إذ كان متأكداً بأن أحداً لم يشاهد السلاح تحت عباءته. فعاد لمنزله باضطراب شديد، لكن عقله الهائج لم يعرف الراحة. ظل في هذه الحالة بعض الوقت إلى أن قرر الذهاب إلى الثكنات ثانية لكن بدون سلاح هذه المرة. ولكونه رجلاً قوياً، فكر في نفسه أنه باستطاعته تحقيق هدفه بالقضاء على حضرة بهاءالله باستعمال يديه القويتين فقط.

وللمرة الثانية توجّه إلى بوابة السجن وطلب زيارة حضرة بهاءالله. روي بأن حضرته، عند إعلامه برغبة الشيخ محمود لزيارته، تفضل: 'أخبره بأن يطهّر قلبه ونيّته أولاً، ثم ليأتِ.' فزاد الشيخ محمود بذاك الرد بلبلة واضطراباً بحيث لم يجد في نفسه القدرة على زيارة حضرة بهاءالله في ذلك اليوم. فيما بعد رأى في المنام أباه والشيخ المسن يذكّرانه بالرؤيا الخاصة بمجيء الرب الموعود. قام بعد ذلك المنام وقصد الثكنات مرة أخرى وتشرف بمحضر حضرة عبدالبهاء. فنفذت كلمات حضرته في أعماق وجدانه وأذن له بعدها بالدخول إلى محضر حضرة بهاءالله. وسرعان ما صعق بجلال وعظمة طلعته، وشهد الشيخ أخيراً تحقق مجيء الرب إلى عكاء. فخرّ عند قدميه وصار مؤمناً مشتعلاً.

بعد الاعتراف بمقام حضرة بهاءالله، قام على خدمته وخدمة أمره. فلعب دوراً هاماً في مساعدة المؤمنين الوافدين على دخول المدينة ثم إيوائهم لحين تمكنهم من التشرف بمحضر حضرة بهاءالله. في بعض الأحيان أمر بالتقاط الزوار البهائيين بواسطة إدلاء حبال من فوق الأسوار التي تحيط بالمدينة. كما أنه استخدم وسيلة أخرى في بعض الأوقات وذلك بمغادرة المدينة ثم العودة في المساء مصحوباً بأحد الزوار المتنكرين بهيئة خادم يحمل أمام الشيخ فانوساً يضيء الطريق أمام سيده.[٢] وبعد انتهاء زيارة المؤمن لحضرة بهاءالله يتعهد الشيخ بإخراجه من

(١) ليست هذه كلمات حضرة بهاءالله بالنص، ولكنها تفيد بمضمون ما تفضل به.

(٢) في الأيام الخوالي لم تكن هناك إنارة للشوارع ولذلك كان من الضروري حمل مصباح ليلاً. وكان الخدم يؤدون تلك الخدمة للأشخاص المرموقين.

المدينة بالطريقة نفسها التي دخل بها. لقد أحب المولى الشيخَ محمود الذي خدم أمر الله بتفان عظيم حتى آخر حياته. قام بجمع الأحاديث النبوية الخاصة بعكاء ومستقبلها المجيد.

ومن بين المشاهير الذين ساعدهم الشيخ محمود لدخول عكاء مؤمن اسمه ميرزا حسن المازندراني، الذي جيء به إلى المدينة عن طريق البوابة البحرية. بقي في البداية بمنزل الشيخ ثم تمكن بعدها من دخول الثكنات حيث أقام فيها قرابة ستة أشهر قبل عودته لإيران. كان ميرزا حسن ابن عم لحضرة بهاءالله ومؤمناً مخلصاً، واسم والده الملاّ زين العابدين وهو من أقرباء حضرة بهاءالله الذين آمنوا بالدين البابي عن طريق حضرة بهاءالله نفسه في أوائل أيام ولاية حضرة الباب. وقد أقر بمقام حضرة بهاءالله وصار من المخلصين جداً له. كان هو العم الذي رافق حضرة بهاءالله إلى بلدة آمُل[١] حيث أوقف حضرة بهاءالله ولمّا أوشك على أن يُضرب بالفلقة رمى بنفسه على رِجليْ حضرته حماية له. ونتيجة لذلك انهالوا عليه ضرباً حتى أغمي عليه.

قام ميرزا حسن، الذي أحبه حضرة بهاءالله جداً وكذلك حضرة عبدالبهاء، بعدة رحلات إلى عكاء وفي كل مرة كان يعود بمجموعة كبيرة من الألواح إلى المؤمنين المقيمين في المدن الشمالية من إيران. لقد عرضنا في مجلد سابق قصة السبعين لوحاً التي كان يحملها في آخر هذه الأسفار والظروف التي أدت لاختفائها.[٢]

رجل آخر من مواطني عكاء ممن اعترف لوحده بمقام حضرة بهاءالله كان أحمد جرّاح، وهو ضابط في الجيش التركي. كان قد شهد جلال حضرة بهاءالله في الثكنات، إلاّ أن بضع سنوات خلت قبل أن يُمسّ قلبه، فقد حدث أن استُدْعي حضرة بهاءالله (وكان وقتها يسكن في بيت عبود) إلى دار الحاكم ثم أودع التوقيف نحو ثلاثة أيام. وكما سنرى فيما بعد،[٣] فإن المعاملة المهينة هذه كانت نتيجة مقتل ثلاثة من الأزليين بعكاء. وبما أن أحمد جراح كان من الضباط الحاضرين في القضية

(١) انظر "مطالع الأنوار".

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحة ٥٢.

(٣) انظر الصفحة ٢٣٧.

فقد توفرت له فرصة شهد خلالها شيئاً من جلال حضرة بهاءالله وعظمته مما ترك لديه انطباعاً عميقاً في ذاته. لا شك بأن قوة الكلمات وهيمنتها التي نطق بها في تلك المناسبة قد مكنت جراح من أن يدرك بأن السجين الذي عُهد إليه لتوقيفه لم يكن رجلاً عادياً بل ذاتاً وُهبت سلطاناً سماوياً. وبعد الإطلاع على بعض كتابات حضرة بهاءالله واختمار وعيه التام بمقام حضرته انضم إلى صفوف المؤمنين به.

كما اعترف أمين أفندي، أحد إخوان جراح، ورئيس بلدية عكاء بأحقية أمر الله وصار من المؤمنين. هذا ووقعت حادثة طريفة برهنت على إيمانهما ورسخته. التمس الأخوان أمين وأحمد ذات يوم الإذن للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله. أذن لهما وحضرا. كان في نيتهما عرض شكوى بالخصوص وابتغاء المشورة والنصح بشأن موظف ما برتبة عليا اسمه آقاسي كان عدواً لدوداً لهما. فوجئا قبل أن ينطقا بكلمة واحدة عندما توجّه حضرة بهاءالله نحوهما قائلاً: 'الحمد لله إذ كفاكما شر أعمال آقاسي.'[1] فما كان من الأخوين إلاّ العجب لسماع ذلك. ولم يمضِ سوى يومان حتى أعلن بعدهما عزل ذلك المسؤول من قبل السلطان. وكان لأحمد أخاً ثالثاً اسمه خالد كان طبيباً وحظي بالتشرف بمحضر حضرة بهاءالله وانجذب إليه ولأمره. كان يحب البهائيين جداً ويهتم بمن يمرض منهم.

وكان هناك مواطنون آخرون في عكاء ممن اعتنقوا أمر الله أو صاروا من المعجبين بحضرة بهاءالله وأنصاره. وقد ضمّن حسين آشجي مذكراته بقصص بعضهم. فيما يلي موجز لذكرياته:

> بعد اعترافه بمقام حضرة بهاءالله، ذهب الشيخ محمود لمقابلة صالح أفندي الذي كانت تربطه وإيّاه صلة صداقة حميمة. فذكّره في سياق الحديث بأيام صباهما عندما كانا حاضريْن في اجتماع تنبأ خلاله الشيخ المسن، الزعيم الروحي لوالد الشيخ محمود، عن مجيء الرب لعكاء، وطلب من الاثنين البحث عنه. ثم راح الشيخ محمود يبشّر صديقه بتحقق تلك النبوءة وبأنه نفسه قد اهتدى ونال شرف لقائه في عكاء. وعليه دعا صاحبه ليتبع مثاله.

---

(١) ليست هذه كلمات حضرة بهاءالله بالنص، ولكنها تفيد بمضمون ما تفضل به.

لكن صالح أفندي، ولو أقر بأحقية مقام حضرة بهاءالله، لكنه لم يعتنق أمر الله بحجة أن نوعية حياته كانت غير لائقة بسمو مقام حضرة بهاءالله، وأن أعماله لم تنسجم مع مبادئه. لكنه رغم ذلك كان دوماً يظهر مودّته للمؤمنين كما أنه لم يسبب أي ضرر لأمر الله. وبعد سنوات مرض بالتدرن الرئوي (السل)، مرض لا يُرجى شفاؤه آنذاك فرتّب له حضرة عبدالبهاء رعاية طبية منتظمة حتى نهاية حياته.

شخص آخر ذو مكانة بارزة كان الشيخ علي الميري، مفتي عكاء. كان رجلاً متعصباً نوعاً ما. لكنه تغيّر فيما بعد نتيجة تعرّفه واتصاله بحضرة عبدالبهاء. ذلك بما اكتشف في أن علمه وتحصيله إنما كان كقطرة بالمقارنة مع بحر علم حضرة عبدالبهاء اللدني. لذا أبدى له علامات التواضع ثم أصبح بالتدريج ودوداً.

أعرب ذات يوم لحضرة عبدالبهاء عن رغبته في لقاء حضرة بهاءالله إذ كانت لديه بعض المسائل التي كان يبتغي الاستنارة حولها. لكن في تلك الفترة لم يكن حضرة بهاءالله يعطي الإذن لملاقاة الناس، تحاشياً لعمل ما يثير السلطة وأوامرها بهذا الشأن. إلاّ أنه بإلحاح من جانب حضرة عبدالبهاء وتوسلاته، أذن حضرة بهاءالله بذلك وحضر المفتي للقاء حضرته في الثكنات. أشير عليه بالجلوس على أحد المقاعد بينما وقف حضرة عبدالبهاء قرب الباب. شاءت الصدفة أن يكون المطبخ الذي كنت أخدم فيه مقابلاً لغرفة حضرة بهاءالله مما يسر لي مشاهدة وسماع حضرته. فسأل المفتي بعض الأسئلة وبدأ لسان العظمة بالبيان. حدث أن أثناء استمرار بيانه المبارك ودّ المفتي مقاطعته بقول أو تعليق. لكن حضرة عبدالبهاء سارع بإيماءة بيده أعطت المفتي إشارة أمر قاطعة بألاّ يقاطع كلمات حضرة بهاءالله. فاستجاب لكن كبرياءه جُرحت.

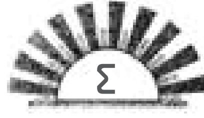
عند انتهاء زيارته خرج مصحوباً بحضرة عبدالبهاء حتى بوابة السجن لكنه كان منزعجاً بسبب الحادث المذكور سيما إذا تذكرنا بأنه كان موضع احترام كبير لدى أهالي المدينة الذين اعتادوا تحيته وتقبيل يديه إذا مر بينهم في الأسواق. حتى ذلك الوقت لم يكن قد أدرك حقيقة أمر الله وعظمة صاحبه، لذا شعر

بالامتعاض عندما أسكته حضرة عبدالبهاء عن الكلام بذلك النحو. إلاّ أنه لم يمض وقت طويل قبل أن يدرك بأنه بمحضر حضرة عبدالبهاء كان عدماً صرفاً. وغالباً ما كان يزور المولى ليستمد من علمه وحكمته. بناء عليه فقد غيّر موقفه. وكان كلما سار في الشوارع والأسواق بصحبة حضرة عبدالبهاء كان يمشي خلفه ببضع خطوات ولم يُرَ أبداً بعد ذلك يمشي أمامه.[1] ولمّا نُقل حضرة بهاءالله إلى خارج الثكنات دأب المفتي على القدوم بانتظام إلى القسم الخارجي من المنزل -حجرة مخصصة للضيوف- حيث يختار الجلوس عند قدميْ المولى. وكان يقوم بكل ما يكلفه به حضرة عبدالبهاء من خدمات بكل همّة.

ومع مرور الزمن ازداد تعلّق مفتي عكاء بكل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء. بلغ إعجابه بهما وولاؤه حداً أن باح ذات يوم لحضرة عبدالبهاء بأنه كلما قام للصلاة ظهر أمامه الهيكل الجليل لحضرة بهاءالله. هذا وقد أفاض حضرة عبدالبهاء دوماً من مكرماته على المفتي، كما كان حاله مع الآخرين من شخصيات البلد البارزين. ويصدق القول بأن فترة مرّت كانت فيها حكومة عكاء تتمحور حول شخص حضرة عبدالبهاء. فكل واحد من موظفيها كان يتوق لنيل بركاته وأفضاله. وبفضل سجاياه ونفوذه تحول حال المؤمنين من الذلة إلى العزة والشرف.

شخص آخر من عكاء أصبح مؤمناً هو عثمان أفندي. ففي الفترة التي أقام فيها المنفيون داخل الثكنات، كان هذا يملك حانوتاً للبقالة بالمدينة ويزود حاجيات حضرة بهاءالله اليومية لقاء مبلغ يسدد له شهرياً. انجذب للأمر عن طريق خبرته بحسن أعمال المؤمنين واستقامتهم في معاملاتهم. اعتنق أمر الله وتشرف بمحضر حضرة بهاءالله الذي وعده بأنه سيصبح ثرياً وذا نفوذ. وفعلاً بعد فترة قصيرة صارت لعثمان أفندي ثروة معتبرة. فقد تملك نصف قرية كَسْرى التي كانت إحدى قرى الدروز. إضافة لذلك أصبح رجلاً ذا نفوذ كبير له احترامه الواسع في الدوائر الحكومية في عكاء.(٤)

(١) في الشرق يعتبر السير أمام شخص هام أثناء مرافقته عدم احترام له.



أمناء حضرة بهاءالله

من بين جميع المؤمنين الذين فازوا بمحضر حضرة بهاءالله حينما كان في الثكنات، أول اثنين منهم كانا الحاج شاه محمد المنشادي، الملقب بـ"أمين البيان"، والحاج أبو الحسن الأردكاني، الملقب بـ"أمين الله". كان السابق أول أمين[1] لحضرة بهاءالله، بينما عُين الآخر بالوظيفة نفسها بعد وفاة شاه محمد سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م). وكلا الرجلين كانا من إقليم يزد.

كان الحاج شاه محمد قد اعتنق أمر الله منذ أوائل أيام ظهوره وأصبح مؤمناً مشتعلاً. حظي بزيارة حضرة بهاءالله لأول مرة في بغداد. ونتيجة لذلك صار خلقاً جديداً مشتعلاً بمحبة حضرة بهاءالله، محبة كانت زاده الروحي طوال عمره ومكنته من تقديم خدمات ملحوظة لأمر حضرته.

امتلك قطعة أرض زراعية في قرية منشاد مسقط رأسه، لكنها لم تدر عليه ما يقيم أوده، فتحول إلى تجارة الأبقار. فكان يشتريها من مقاطعة فارس ويبيعها في يزد. لكنه بعد اعتناقه أمر الله اعتزل هذا العمل. فمنح لكل من بناته الأربع قطعة من عقاره، وباع ما تبقى منها وقدّم العائد وفاء ووفقاً لأحد أحكام[2] حضرة الباب الخاصة بإلزام أتباعه تقديم أعز العطايا مما لديهم إلى "من يظهره الله"،[3] وقدّمه لحضرة بهاءالله الذي اعترف به على أنه "من يظهره الله".

(١) وكيل مختص بشؤون حقوق الله نيابة عن حضرة بهاءالله بموجب أحكام "الكتاب الأقدس".
(٢) نسخ حضرة بهاءالله هذا الحكم وعفا المؤمنين من الالتزام به.
(٣) للمزيد من المعلومات عن "من يظهره الله"، انظر المجلد الأول، الفصل الثامن عشر.

كان لعمله ذاك، الذي صدر عن طهارة قلب وشدة تعلقه وإخلاصه لأمر الله، وقع حسن لدى حضرة بهاءالله مما جلب عنايته ورضاه، فقبل منه هديته ثم أعادها إليه وأنعم عليه لقب أمين وعينه أميناً له. وبذلك تيّسر للمؤمنين الوفاء بواجبهم الروحاني بدفع حقوق الله عن طريقه.

اعتاد الحاج شاه محمد الترحال كثيراً متوجهاً من إيران للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله واستلام تعليماته. ثم العودة بعد ذلك للشروع بتنفيذها.

بتوالي السنين وجد في الحاج أبو الحسن الأردكاني (أمين الله) زميلاً متفانياً متحمساً. وعندما تقدم به العمر صار يصطحب الحاج أبو الحسن معه في رحلاته كمساعد له.

وصل الحاج شاه محمد، رفقة الحاج أبو الحسن، إلى عكاء بعد ورود حضرة بهاءالله إلى السجن الأعظم بفترة قصيرة، وقرب الوقت الذي منع فيه النبيل الأعظم من دخول المدينة من قبل السلطات. ففي طريقهما لعكاء اشتريا بضعة جِمال وتنكرا بزي الأعراب الذين يسعون لبيع ما يحملونه عليها. وكان هذا منظراً شائعاً في تلك الأيام. وهكذا دخلا المدينة دون أن يشك أحد بأنهما من أتباع حضرة بهاءالله.

أفلحا بإرسال رسالة إلى حضرة بهاءالله يعلمانه بوصولهما ويعربان عن شوقهما للفوز بمحضره المبارك. فوافق على لقائهما في الحمام العمومي.[1] ولكنهما نُصحا بألاّ يبديا أي دلالة على التعرف على حضرته. في اليوم المحدد دخل الرجلان الحمام. لكن لم يكد الحاج أبو الحسن يرى جلال شخص حضرة

---

(١) حيث لم تتوفر الحمامات في المنازل في تلك الأيام، فقد اضطر تقريباً كل شخص إلى الذهاب إلى حمام عمومي. وكانت هذه تشبه ما يعرف في الغرب بالحمام التركي، ساخنة وجوّها معبق بالبخار. ويرتدي روادها مناشف قطنية حول أبدانهم، لأن التعري يعتبر منافياً للحشمة. وكان الناس يقضون عادة ساعات في الغسل والاسترخاء في الحمامات العمومية. وكانت أيام معينة في الأسبوع تخصص للرجال وأخرى للنساء. كان تجمع الناس في مكان واحد يخلق جواً اجتماعياً وكان من الممكن لقاء الأصدقاء والمعارف هناك.

بهاءالله حتى صار بدنه يرتعد من شدة الانفعال والعاطفة، بحيث تعثر وسقط أرضاً. ونظراً لصلابة البلاط الحجري فقد تسبب في جرح رأسه مما استلزم حمله خارجاً والدم ينزف على وجهه وبدنه.

بقي الأمينان في عكاء بعض الوقت. وكان الحاج شاه محمد ما يزال هناك عند وصول آقا بزرگ، الملقب بـ"بديع".[١] إلى عكاء وكما سنرى فيما بعد، فقد التقى الاثنان على جبل الكرمل طبقاً لتوجيهات حضرة بهاءالله.

أدى الحاج شاه محمد خدمات بارزة لأمر الله كأمين حقوق لحضرة بهاءالله. وكانت إحدى المهام التي أوكلها إليه حضرة بهاءالله نقل الصندوق الذي يضم رفات حضرة الباب، والذي كان مكانه مخفياً عن غالبية الأحباء في إيران، إلى أن أصبح معروفاً للعموم. ولا يخفى مدى الخطر في تلك الحالة إذ كان بمقدور أعداء أمر الله، بعد معرفة مكان الصندوق، الهجوم على ذلك المكان وتحطيم الصندوق. إن نقل رفات حضرة الباب من مكان لآخر بإيران، لمدة لا تقل عن خمسين عاماً قمرياً، لحين استقراره على سفح جبل الكرمل، يشكل قصة حافلة بالأحداث المثيرة.[٢]

وفي سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م)، أصيب الحاج شاه محمد بجرح قاتل وسط مجزرة ارتكبها الأكراد ضد أهالي "ميان دو آب". لكن مساعده، الحاج أبو الحسن، الذي كان يرافقه كالمعتاد، نجا وتمكّن من الهرب رغم إصابته بطلقٍ في رجله. بعد تلك الحادثة عيّن حضرة بهاءالله الحاج أبو الحسن أميناً له ملقباً إيّاه بـ"الأمين" خلفاً للحاج شاه محمد، أمين البيان.

وفي حق الحاج شاه محمد لدينا هذا الرثاء من قلم حضرة عبدالبهاء:

... إن حضرة أمين المذكور يعني شاه محمد قد فاز بلقب "الأمين" وأصبح مظهر الألطاف اللانهاية وحامل الألواح الإلهية. ثم سافر إلى إيران مرة أخرى

(١) انظر الصفحتين ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) انظر الملحق رقم ١.

وهو في غاية الوله والانجذاب القلبي والروحي، وقام بما كُلّف به من الخدمات بكمال الأمانة وكانت خدمته ذات قيمة لأنها جلبت الراحة للأحباء. كانت همته لا نظير لها وكان في تأدية الخدمات عديم النظير وظلاً ظليلاً بين الخلق وانتشر صيت عبوديته للعتبة المقدسة في كل صقع واشتهر في محافل الأحباء.(١)

لقد سبق أن أشرنا إلى أن الحاج شاه محمد والحاج أبو الحسن كانا أول اثنين من بين المؤمنين الذين نجحوا بدخول عكاء ولقاء حضرة بهاءالله في الحمام العمومي في أوائل أيام حبسه في السجن الأعظم. كان الحاج أبو الحسن -الحاج أمين، كما صار يُعرف بصورة عامة- من حواريي حضرة بهاءالله ويجدر الاحتذاء بما خلّف للأجيال من سيرة حياة كانت مثالاً لامعاً لنكران الذات والتفاني التام في سبيل أمر الله. كان في شبابه مسلماً ملتزماً. تم تزويجه من قبل والديه ببنت أحد تجار مدينة أردكان في مقاطعة يزد. وقد ألحّ والد العروس، الذي كان لديه ستة أبناء وبنت واحدة، على أن يسكن الحاج أمين في داره ضماناً لبقاء العروس مع والديها بدلاً من بقائه في دار أبيه كما كان العرف الجاري والمألوف. فوافق والدا الحاج أمين على ذلك الطلب وعليه اتخذ سكنه في بيت والد عروسه.

كانت نتيجة سكناه في ذلك المنزل أن اكتشف الحاج أمين بأن إخوان زوجته كانوا جميعهم بابيين. لكن زوجته، مثله، كانت مسلمة متدينة ولا تدري بعقيدة إخوانها. أمّا الحاج أمين فقدر له بعد مناقشات طويلة مستفيضة في مجالس البابيين أن يهتدي لأحقية الأمر واعتنق دين حضرة الباب. بعد ذلك بلّغ زوجته فآمنت هي الأخرى.

فيما بعد اعترف بمقام حضرة بهاءالله مما كان له أعمق الأثر في انقلاب حياته التي تمحورت بكليتها تفانياً لحضرة بهاءالله. وإنه ليصعب، إن لم يكن محالاً، على المرء محاولة الغور في أعماق انقلابه الروحاني ذاك وتفانيه في سبيل مولاه إذ كان تحولاً كاملاً بحيث يصعب تقديره بالكلمات كما يصعب تقدير ما قدّم من خدمات بارزة مكرسة للأمر الذي عشق.

لا شك أن المناسبة الأولى التي فاز فيها بلقاء حضرة بهاءالله في الحمام العمومي وبتلك الظروف الدرامية كما ورد وصفها آنفاً، كانت قد تركت بصماتها الباقية في أعماق ذاته وأطلقت بذات الوقت القوى الضرورية لخلق واحد من أضخم عمالقة الروح لهذا الأمر. فلم يعرف إخلاصه لحضرة بهاءالله حدوداً، وبناء عليه كان من المنقطعين حقاً عن هذا العالم. وشعلة حبه لحضرة بهاءالله، والتي ظلت تسطع في قلبه بتلك الشدة، أنارت نفوس المؤمنين وأحرقت حجبات الغفلة عن وجوه الأعداء.

تجوّل كثيراً في أنحاء إيران، زائراً منزل كل بهائي تقريباً حيث أبدى لكل منهم وافر المحبة والتشجيع ما جعلهم يعتزون جميعاً برفقته. كان يُستقبل في بيوتهم كأب أو أخ حقيقي، كان يرعى مخلصاً رفاههم وتقدّمهم الروحي. وعلماً منهم بأنه كان صديقاً حميماً ودوداً للجميع، فإن الوالدِين (الذين اعتادوا في ذلك الوقت على ترتيب الزيجات) غالباً ما لجأوا إليه ليقترح شركاء حياة لأولادهم وبناتهم.

من أعظم صفات الحاج أمين انقطاعه عن أمور الدنيا وتضحيته التامة في خدمة حضرة بهاءالله. ومنذ أول قيامه على خدمة أمر الله كمساعد للحاج شاه محمد ومحل ثقته، وحتى اعتماده أميناً فيما بعد، قام الحاج أمين بتقديم كل ما عنده لأمر الله. فلم يحتفظ لنفسه بدرهم واحد، وبذل كل جهد ممكن ليعلّم المؤمنين، قولاً وعملاً، بأن خير ما يكتسب المرء في الحياة هو أن يضحي بكل شيء -وقته، مجهوداته، وممتلكاته بل وحتى روحه- في سبيل الله. وفي الآثار المباركة ما يؤيد تأييداً تاماً بأن ليس ثمة مفهوم عن الحياة أجدى وأسمى من هذا.

لقد خلق الله في الإنسان قوتين متضادتين، حيوانية وروحانية. فالطبيعة الحيوانية تميل به إلى عالم المادة، المختص بشؤون النفس والهوى والتعلق بالدنيويات. ولأجل السيطرة على هذه القوى الفاعلة، يتعيّن على المرء تقوية خصاله الروحانية وتنميتها للتحكم بميوله الحيوانية. فالصراع دائم في باطن

الإنسان بين هاتين القوتين. ولو تُركت الأمور للطبيعة فإن الجانب المادي حتماً سوف يسود.

ذلك لأن الميزات الحيوانية هي جزء من طبيعته وسوف تدفع به تلقائياً ودون أي جهد من جانبه نحو العالم المادي. عندما يحدث هذا فإن الإنسان قد يتصرف بنحو أسوأ من الحيوان.

إلاّ أن تطوير الصفات الروحانية لا تتحكم به الطبيعة. ولو أن النفس تتطلع إلى الأمور الروحانية، لكن اكتساب الصفات الروحية يتوقف على بذل جهود في هذا السبيل. وفي هذا الميدان أعطي الإنسان حرية الإرادة. وهذا يشبه إلى حد بعيد استعمال الطير لجناحيه لكي يقاوم جاذبية الأرض في طيرانه. ولو لم يفعل هذا لسقط فوراً تحت تأثير هذه القوة.

إن السيطرة على الطبيعة الحيوانية عن طريق غلبة القوى الروحانية الكامنة في الإنسان هو جوهر الانقطاع الذي يتحدث عنه حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه. وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في مجلدات سابقة وبيّنا بأن الانقطاع لا يعني بالضرورة الفقر أو العيش كمتسوّل أو زاهد. كما أن إهمال المرء لمصالحه الشخصية أو شؤون العالم يتعارض وتعاليم حضرة بهاءالله. في الواقع قد يمتلك المرء متاع الدنيا وثرواتها ويبقى مع ذلك منقطعاً منزّهاً عنها.[١]

وبالقدر الذي يمكن للشخص التغلب والسيطرة على طبيعته الأدنى فإنه يصبح منقطعاً عن هذا العالم. وفي هذا المجال لا يكفي له أن يجهد في سبيل اكتساب السجايا الروحانية، بل كذلك ضبط نفسه وكبحها في كافة شؤونها، وعليه أن يكون مستعداً لتحمّل الألم والمعاناة والامتحانات في هذا السبيل. وهذا أمر طبيعي تماماً، إذ هناك رد فعل دائماً كلما تعرضت قوة للكبح والمقاومة. فعندما تتعرض ميول المرء المادية إلى كبح من قبل ذاته الروحانية فإنها تعاني شكلاً من الحرمان والتضحية. فمثلاً قد يضحي شخص براحته ووسائله المادية من أجل

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه النقطة انظر المجلدين الأول والثاني، "الانقطاع".

إعانة الفقراء والمعوزين. وبهذا العمل يجني المرء مكافأة روحية لكنه بالوقت نفسه يتخلى عن شيء مادي لقاء ذلك.

إن هذه التضحية، لو تمّت في سبيل الله، لتعتبر محمودة جداً. فهي تمكن الروح من الانقطاع عن العالم المادي، وبذلك تتقرّب إلى الله. هذه إحدى ثمرات التضحية.

كان إدراك هذا المبدأ العام هو الذي جعل الحاج أمين يبذل كل شيء لديه في سبيل أمر الله. وبتأثير الكلمة الإلهية المنزّلة من قلم حضرة بهاءالله، والمثل الذي قدّمه الحاج أمين من خلال حياته وأعماله، هرع المؤمنون في العطاء عن طيب خاطر، واهبين ما امتلكوا لنصرة أمر الله وإعلاء شأنه. ولكونه أمين حضرة بهاءالله فإنه تسلّم ما قدّمه المؤمنون من تبرعات. ورغم أنه كان يحثّ المؤمنين عموماً على التضحية، إلاّ أنه لم يسألهم أبداً العطاء للصناديق الأمرية، إذ إن ذلك ممنوع في أمر الله.

إن التبرع للصناديق البهائية عمل يعكس إيمان الشخص وحبّه لله. فهو عمل طوعي منبعث عن رغبة الفرد للتضحية بشيء من هذا العالم المادي وصرفه في سبيل الله.

يولد الإنسان عرياناً ويموت عرياناً. وكما أنه لا يجلب معه شيئاً لهذا العالم، فعندما يغادر الحياة أيضاً لا يمكنه أخذ شيء مادي معه إلى الآخرة. لكن ما قدّمه لأمر الله أيام حياته على الأرض، من وقته وجهوده، وإمكاناته، وكذلك خدماته لبني جنسه، كل هذه يمكن أخذها معه إلى عوالم الروح. هذه إحدى طرق تحويل ما يعود لعالم المادة إلى عوالم الله الروحانية.

إن حافز المؤمنين للتبرع لحقوق الله أو الصناديق البهائية، سواء في أيام حضرة بهاءالله أو أي وقت آخر، كان وسيظل دوماً حبهم لحضرة بهاءالله وأمره. وحبّ الفرد هذا لحضرته هو الذي يضفي على العطاء، مهما ضئل مقداره، قدرة سماوية تمكّن أمر الله من الاندفاع قُدماً. هذا هو سبب جعل امتياز التبرع للصناديق الأمرية

مقصوراً على المؤمنين وحدهم. ذلك لأن تقدم أمر الله، سواء عن طريق التبليغ أو التبرع للصناديق البهائية، منوط بالولاء لحضرة بهاءالله وما يصدر عن المؤمنين من أعمال نقية منزهة. وهذان العاملان يجلبان النصر لأمر الله.

في أيام حضرة بهاءالله كان أغلب المؤمنين في إيران فقراء وبعضهم معوزين. لكن عندما كان الحاج أمين يزورهم كان يجدهم قد وضعوا جانباً من خلال التضحية مبالغ قليلة تمكنوا من تقديمها لأمر الله. هذا ويجب أن يكون واضحاً بأن التبرعات كانت تصرف، تحت إشراف حضرة بهاءالله، لدعم تقدم أمر الله وقليل جداً منها، إن لزم، لمصروفات حضرته وأصحابه. إن تاريخ حياة حضرة بهاءالله ليشهد شهادة واقعية على هذه الحقيقة. فقد عاش معظم سنيّ ولايته الأربعين في فقر محض. مرّت عليه أيام لم يتيسر لديه حتى رغيف خبز، والكساء الذي عليه هو كل ما عنده. ومع أن السنوات القليلة الأخيرة من حياته الأرضية عاشها بشيء من الراحة نسبياً إلاّ أنها بقيت مطبوعة بطابع التقشف ومتأثرة إلى حدّ كبير بنمط حياته منذ أيام سجن سياه چال بطهران حينما صودرت كافة ممتلكاته وحُرم من وسائل إعالة نفسه وأسرته.[١]

إن الرغبة في الثروة معدومة في شخص المظهر الإلهي. فهو يحيا في عالم مستقل ومنزه عن كل الإمكان. وهو منقطع عن كل المتعلقات الأرضية. لقد صرّح حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه بأن هذه الدنيا ليست إلاّ كحفنة تراب وعَدَم صِرْفٍ بنظره. فمثلاً نجد في لوحه الثاني لناپليون الثالث أن حضرة بهاءالله يحذرُ الإمبراطور بألاّ يتعلّق بهذه الدنيا مبيّناً له تفاهتها في نظره. وفيما يلي نص كلماته المفعمة بالقوة والسلطنة:

"إن الذي خلق العالم لنفسه قد حُبس في أخرب الديار[٢] بما اكتسبت أيدي الظالمين، ومن أفق السجن يدعو الناس إلى فجر الله العليّ العظيم، هل تفرح بما عندك من الزخارف بعد الذي تعلم أنها ستفنى أو تسترّ بما تحكم على

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١١.

(٢) عكاء.

شبرٍ من الأرض بعد الذي كلها لم يكن عند أهل البهاء إلاّ كسواد عين نملةٍ ميتةٍ دعها لأهلها ثم أقبل إلى مقصود العالمين."(٢)

وقد ترك لنا في كتاب وصيّته، "كتاب عهدي" هذه الكلمات العليا:

"إنه وإن كان الأفق الأعلى خالٍ من زخرف الدنيا ولكننا تركنا في خزائن التوكّل والتفويض ميراثاً مرغوباً لا عِدل له للوارثين. إننا لم نترك كنزاً ولم نزد في المشقة والعناء. إن لفي الثروة وأيم الله خوفاً مستوراً وخطراً مكنوناً. **انظروا ثم اذكروا ما أنزله الرحمن في الفرقان. (ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالاً وعدّده).** ليس لثروة العالم وفاء وكل ما يدركه الفناء وقابل للتغيير ما كان مستحقاً للاعتناء به ولن يكون إلاّ على قدر معلوم."(٣)

ويجب الإشارة هنا إلى أن هذا الانقطاع نفسه عن أمور الدنيا كان قد تشربت به أرواح كل من حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي، مركِزَيْ أمر حضرة بهاءالله المتتابعَين، بحيث كان ضد طبيعتهما التعلق بشؤونات هذه الدنيا. وكلاهما عاش حياة تقشّف متّخذَين حياة حضرة بهاءالله مثالاً وقدوة. ومع أن كليهما توفرت لديهما مبالغ كبيرة تبرع بها المؤمنون، فإنهما فوّضا صرفها على تقدّم أمر الله بشكل صارم دون أي ميل لاستغلال شيء منها لأغراضهما الشخصية. وفي الواقع كما كان حال حضرة بهاءالله، فإن كلاً منهما لم يكن لديه ممتلكات خاصة سواء مالية أو أي نوع آخر.

عندما سافر حضرة عبدالبهاء إلى الغرب لنشر دين حضرة بهاءالله ونشر نفحات الله إلى أوروبا وأمريكا، اضطر للصرف من مبالغ تبرعات المؤمنين الإيرانيين التي سبق تقديمها للحاج أمين كحقوق الله. لكنه تقشّف في الصرف على نفسه ملتزماً بالحد الأدنى لدرجة أثارت قلق أصحابه أحياناً لأنهم شعروا أن ذلك كان على حساب راحته في أغلب الأحيان.

لقد سجّل ميرزا محمود الزرقاني، المحرر المعروف لأسفار حضرة عبدالبهاء في الغرب وسكرتيره المخلص ورفيقه، في مذكراته، "بدائع الآثار"، بأنه عندما

تنقّل حضرته ورفاقه عبر أمريكا تبيّن أن ركوب القطار كان متعباً –خاصة بالنسبة لحضرة عبدالبهاء الذي كان يقارب السبعين من عمره. لكنه رغم ذلك غالباً ما امتنع عن دفع مبلغ بسيط إضافي لاستعمال مقصورة النوم بالقطار. كان بدلاً من ذلك يجلس ويكتفي، طلباً للراحة، بإغماض عينيه على المقعد الخشبي الصلب طوال الليل. وكعادته في تلك الرحلة كان يفتح حافظة نقوده متى رأى فقيراً أو محتاجاً وصبّ في يده دراهم الفضة والذهب. حقاً ما أبعد الفرق بين طرق الله والإنسان!

وفي تلك الرحلات التاريخية نفسها، أظهر حضرة عبدالبهاء من السمو والشهامة والانقطاع ما تميّز به أصفياء الله وذلك برفضه المؤدب لاستلام أموال وهدايا من الأصدقاء والغرباء.

ويروي ميرزا محمود في مذكراته الشهيرة قصة عن حضرة عبدالبهاء في نيويورك قبيل مغادرته الولايات المتحدة:

... في ذلك اليوم قدّم بعض الأحباء لحضرة عبدالبهاء بعض المال، لكنه لم يتقبله رغم استمرارهم بالتوسل والإلحاح لقبوله. قال لهم: 'أنفقوه على الفقراء نيابة عني. بذلك كأنني أنا قدّمته لهم. لكن بالنسبة لي فإن خير هدية هي الاتحاد فيما بين أحباء الله، وخدماتهم في سبيل أمره، ونشر النفحات الإلهية وتطبيقهم لتعاليم الجمال المبارك ووصاياه.'

في مثل هذه المناسبات كان المؤمنون يحزنون جداً لأن محبوبهم لم يقبل عطاياهم. لكن مع ذلك جمع الأحباء في نيويورك بعض الهدايا لأفراد العائلة المباركة[1]... لعلمهم بأن زيارة حضرته لأمريكا أوشكت على الانتهاء، وقد عقدت جماعة منهم العزم على أنهم سوف يمضون في إلحاحهم لكي تُقبل هداياهم بحيث يبقون متمسكين بأذيال ردائه ولن يدعوه حتى يقبلها! فقدّموا الهدايا راجين بإلحاح قبولها. فتكلّم معهم قائلاً:

(١) تشمل حرم حضرة عبدالبهاء، وأخته، وبناته وأخريات من المقيمات في منزله.

'إني شاكر جداً لكل خدماتكم. حقاً إنكم خدمتموني وأكرمتموني وقمتم على الخدمة ليل نهار وثابرتم على نشر النفحات الإلهية. ولن أنسى خدماتكم المخلصة، إذ لم تكن غايتكم سوى الفوز بمرضاة الله كما لم تتمنوا غير الدخول في ملكوته. وها إنكم الآن أتيتم بهدايا لعائلتي. ومع أن هذه الهدايا ممدوحة جداً، إلاّ أن ما هو أفضل وأجمل منها محبة الله التي تبقى مكنوزة في خزائن القلوب. إن الأولى زائلة بينما الأخرى باقية. فهذه الهدايا ستحفظ في صناديق وتوضع على الرفوف وأخيراً مصيرها الزوال، بينما الأخرى ستبقى أبداً محفوظة في القلب في كل العوالم الإلهية. وعليه فإني سأحمل إليهم (أي أسرته المباركة) حبكم لهم الذي هو أعظم هدية. في بيتنا لا محل لخواتم ألماسية أو أية مجوهرات أخرى. فذلك البيت خال من زخرف هذا العالم ومتاع غروره.

'والآن فإني أتقبل هذه الهدايا ولكني أودعها أمانة عندكم لتبيعوها وترسلوا عوائدها إلى شيكاغو لإنشاء مشرق الأذكار.'

وبعيون تذرف الدمع خابت آمال الأحباء. ثم تفضل حضرة عبدالبهاء قائلاً: 'إني أريد أن آخذ معي هدية منكم تبقى إلى الأبد، وهي الجواهر التي تعود إلى مخزن كنز الفؤاد.'

ورغم كثير من الإلحاح والتوسلات والدموع، أعرض المولى المحبوب عن قبول الهدايا وطلب من الأحباء أن يصرفوها على بناء مشرق الأذكار بشيكاغو.(٤)

عوداً لسيرة الحاج أمين، فإنه عاش حياة مديدة أميناً لحقوق الله عبر أيام ولاية كل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء وجزء من ولاية حضرة شوقي أفندي. كان خلال حياته الطويلة المملوءة بالأحداث مصدر إلهام وإرشاد لكل المؤمنين. كان يزورهم من حين لآخر بمنازلهم حاثاً إيّاهم على الانقطاع عن الدنيا والاكتفاء بالاعتدال والمعيشة البسيطة في كافة مناحي الحياة. كان يكره البذخ، إذ إنه يحول دون قيام المؤمنين بالتبرع بقدر أكبر في سبيل أمر الله. بلغ كرهه ذاك بحيث كان المؤمنون يعلمون مسبقاً بأنه سيشعر بعدم الارتياح والرضى لو دُعي ورأى على

المائدة عدة ألوان من الطعام. فكان يصر على ضرورة الاكتفاء بطبق واحد يحوي أبسط الطعام. وغالباً ما كان يطلب من مضيفه أن يضيف قليلاً من الماء إلى وعاء المرق كحصته في الطعام بحيث شاع بين المؤمنين بإيران وصار يُعرف تخفيف المرق بالماء باسم "حساء الحاج أمين"!

هناك روايات كثيرة تبعث الدفء بالقلب عن كيفية حياته وتضحياته من أجل خدمة مولاه. إن هذه الروايات، والتي تتراوح ما بين طرائف بسيطة وتعليقات وملاحظات توجيهية مثيرة للاهتمام، مسلية ومرغوبة لكن يجب تركها الآن إذ لأجل أن يقدّرها القارئ عليه أن يلمّ بما كان شائعاً في ذلك الوقت من عادات وأنماط معيشة في منطقة الشرق الأوسط.

لقد ذاق الحاج أمين في حياته الطويلة اضطهادات عديدة. منها كانت حبسه أولاً في طهران ثم في قزوين سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) صحبة الملاّ على أكبر الشهميرزادي، المعروف بالحاج آخوند، أحد أيادي أمر الله الذين عيّنهم حضرة بهاءالله. كان حبس هذين البطلين بأوامر من ناصر الدين شاه وابنه كامران ميرزا، حاكم طهران. دام سجنهما في قزوين نحو ثمانية عشر شهراً أطلق بعدها سراح الحاج آخوند لكن الحاج أمين نُقل إلى سجن بطهران حيث بقي فيه سنة أخرى. خلال فترة حبسهما كانت أقدامهما وعنقاهما مكبلة بالسلاسل والأغلال. وعندما كانا في سجن قزوين أرسل مصوّر خصيصاً التقط لهما صورة فوتوغرافية ليراها الملك. وهذه الصورة، التي يظهر فيها الاثنان مكبّلين بالسلاسل وجالسَين بكمال التسليم والسكون، موجودة بنحو واسع لدى المؤمنين. كما وضع حضرة عبدالبهاء نسخة منها في صالة الممر بمنزله قبالة غرفته. كان ينظر إليها من حين لآخر ويسر في قلبه لرؤية وجهيّ مؤمنَيْن حُبسا وكُبلا في سبيل حضرة بهاءالله وكانا نموذجين للاستقامة والإيمان بين الأحباء.

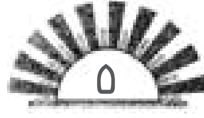
وبعد سجن هذين النفسيْن في قزوين بقليل أشار حضرة بهاءالله في "لوح الدنيا"[١] إلى سجن قزوين بـ"السجن المتين" وأنزل هذه الكلمات العليا في حقهما:

(١) أنزل هذا اللوح في حق ميرزا آقا أفنان الملقب بـ"نور الدين". سوف نشير إليه وإلى اللوح في المجلد التالي.

"حمداً وثناءً لله الذي يليق بهما وحده والمتفرد بسلطانه المبين والذي زيّن السجن المتين بحضور حضرة علي قبل أكبر وحضرة أمين وطرّزه بأنوار الإيقان والاستقامة والاطمئنان **عليهما بهاء الله وبهاء من في السموات والأرضين. النور والبهاء والتكبير والثناء على أيادي أمره الذين بهم أشرق نور الاصطبار وثبت حكم الاختيار لله المقتدر العزيز المختار. وبهم ماج بحر العطاء وهاج عرف عناية الله مولى الورى. نسأله تعالى أن يحفظهم بجنوده ويحرسهم بسلطانه وينصرهم بقدرته التي غلبت الأشياء. المُلك لله فاطر السماء ومالك ملكوت الأسماء."(٥)**

مما يلفت الاهتمام هو أن واحداً فقط من الاثنين المذكورين في اللوح، الملاّ علي أكبر، قد عُين أيادياً لأمر الله من قبل حضرة بهاءالله. إلاّ أن حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، منح الحاج أمين، بعد وفاة الأخير، الرتبة نفسها. توفي الحاج أمين في طهران عام ١٩٢٨م، مخلفاً وراءه ذكرى خالدة بين المؤمنين. وقد عيّن حضرة شوقي أفندي بعده الحاج غلام رضا (الملقب أمين الأمين) الذي كان لعدة سنوات مساعداً للحاج أمين، خلفاً له كأمين حقوق الله.

وتقديراً لخدمات الحاج أمين، سمّى حضرة عبدالبهاء أحد أبواب المقام الأعلى باسمه.



"لوح فؤاد"

كان فؤاد باشا وزير خارجية الإمبراطورية العثمانية، شريكاً مقرّباً لرئيس الوزراء، عالي باشا، في اتخاذ قرار نفي حضرة بهاءالله إلى عكاء وحبسه هناك. في عام **١٨٦٩**م عُزل فؤاد باشا من منصبه وتوفي فيما بعد في نيس بفرنسا. لقد رأينا من قبل الطريقة والعبارات التي خاطب حضرة بهاءالله بها رئيس الوزراء في "سورة الرئيس" و"لوح الرئيس". بعد هذا أنزل حضرة بهاءالله "لوح فؤاد"، وهو لوح آخر ذو مغزى عميق وأهمية عظيمة، يؤنب فيه فؤاد باشا تأنيباً شديداً، ويصرّح بأن الله أماته عقاباً له، ويصف بعبارات غاية في القوة والبيان عذاب روحه عند مواجهة غضب الله في الآخرة جزاء ما اقترفه في تعذيب المظهر الكلي الإلهي. في اللوح نفسه ينبأ حضرة بهاءالله عن سقوط عالي باشا والسلطان نفسه بهذه العبارات الواضحة النبوءة:

"سوف نعزل الذي كان مثله[١] ونأخذ أميرهم[٢] الذي يحكم على البلاد وأنا العزيز الجبار."(١)

لم يمض زمن طويل بعد نزول هذا اللوح حتى عُزل عالي باشا بنحو مهين من منصبه ومات سنة ١٨٧١م. في الوقت نفسه انطلقت عملية معارضة ضد السلطان في تركيا عام ١٨٧٦م وانتهت بإسقاطه عن العرش وحبسه على يد الثوار. وقُتل بعد ذلك بأيام قليلة.

---

(١) عالي باشا.

(٢) السلطان عبد العزيز.

وكما سنرى لاحقاً فقد لعب "لوح فؤاد" دوراً هاماً في اعتناق أمر الله من قبل أبرز وأقدر علمائه، ميرزا أبو الفضل.

الشيخ كاظم سمندر

كان "لوح فؤاد" قد وُجه للشيخ كاظم سمندر، من أهالي قزوين. وهذا الرجل العظيم كان أحد حواريي حضرة بهاءالله و"شعلة من حب الله" كما وصفه حضرة شوقي أفندي. كان جده قد التقى بحضرة الباب في كربلاء قبل إعلان دعوته، وشهد قدراته الاستثنائية في الدعاء أثناء الصلاة فانجذب بشدة إلى عظمة شخصيته وجلالها. كان والده، الشيخ محمد الملقب بـ"النبيل"،[١] أحد أتباع حضرة الباب المخلصين وفاز بمحضره في قلعتيْ ماه كو وچهريق. فيما بعد ذهب إلى بغداد وفاز بمحضر حضرة بهاءالله. وقد عانى الاضطهاد والعذاب، وكان بيته في قزوين مركز نشاطات البابيين الأوائل.

ولد الشيخ كاظم قبل إعلان حضرة الباب دعوته ببضعة أشهر، وترعرع في منزل أتاح له منذ أوائل أيامه التعرف والاتصال بتلاميذ حضرة الباب الأوائل، من بينهم بعض حروف الحيّ وخال حضرة الباب. حتى منذ صباه المبكر أبدى الشيخ كاظم حماساً عظيماً لقضايا البابية، وعند بلوغه صار مؤمناً ضليعاً مخلصاً. وفيما بعد أدرك مقام حضرة بهاءالله وأصبح من أتباعه البارزين، وأفلح في نشر نور أمره في ربوع إيران عموماً وقزوين خاصة.

حينما وصلته أنباء إعلان حضرة بهاءالله دعوته وادعاءات ميرزا يحيى،[٢] قام بدراسة شاملة لكتابات حضرة الباب. فتوصل لنتائج جلية لا لبس فيها وهي أن حضرة بهاءالله وحده هو موعود "البيان". وفي سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦–١٨٦٧م) حرّر مقالة بالعربية يستنكر فيها عصيان ميرزا يحيى، ويفند حججه ثم يبرهن

(١) لا يشتبه مع الملاّ محمد الزرندي (النبيل الأعظم)، أو مع الملاّ محمد القائني (النبيل الأكبر).

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني.

على بطلان ادعاءاته بطلاناً تاماً. يشير حضرة بهاءالله في "لوح سراج"(١) إلى هذه المقالة، مصرحاً بأن الله قد ألهم الشيخ كاظم كتابتها. ويُروى بأن حضرة بهاءالله كان قد منح الشيخ كاظم لقب "سمندر"(٢) بعد كتابته لتلك المقالة المتحدية.

كثيراً ما أثنى حضرة بهاءالله في ألواحه على أولئك الذين يدحضون حجج أعداء أمر الله. ففي "لوح سلمان"(٣) ينصح أتباعه بهذه الكلمات:

"يا سلمان حذّر أحباء الحق ألاّ يعترضوا بعين ناقدة على كلمات أحد من العباد. إذ عليهم ملاحظتها بعين الشفقة والرحمة. فهذه النفوس التي تكتب اليوم في ردّ الله بألواح نارية يتحتم الردّ عليها بما يقدر عليه **كذلك قدّر من لدن مقتدر قدير**. إذ إن اليوم تتم نصرة الحق بالذكر والبيان لا بالسيف وأمثاله **كذلك نزّلنا من قبل وحينئذ إن أنتم تعرفون. فوالذي ينطق حينئذ في كل شيء بأنه لا إله إلاّ هو** لو قام نفس بالردّ على **من ردّ على الله** بكلماته ليرد مقاماً يتحسّر عليه **جميع أهل** الملأ الأعلى وتعجز أقلام الممكنات عن ذكر ذلك المقام وتقصر ألسن الكائنات عن وصفه. إذ إن كل نفس استقامت اليوم على هذا الأمر الأقدس الأرفع الأمنع ستمنح من القدرة ما يمكّنها من مقابلة **كل من في السموات والأرض وكان الله على ذلك لشهيد وعليم."(٢)**

كان الشيخ كاظم مبلّغاً بارزاً لأمر الله. فكثير من مؤمني قزوين الأوائل مدينون في ولائهم لأمر الله إلى مجهوداته التي لم تقف عند حدّ في نشر رسالة حضرة بهاءالله. وكم من مستمع إليه تأثر وانتبه قلبه لنداء الله في هذا العصر بما وجد من حماس في إيمانه واشتعال مخلص. وقام أيضاً بدور فاعل هام لحماية أمر الله من تلفيقات أتباع ميرزا يحيى وفيما بعد أولئك الذين غُرر بهم خلال ولاية حضرة عبدالبهاء من قبل ميرزا محمد علي،(٤) الناقض الأكبر لميثاق حضرة بهاءالله

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٢٥٧.

(٢) طير خرافي يفترض أنه يعيش في النار.

(٣) انظر المجلد الثاني، الفصل ١٣.

(٤) انظر المجلدين الأول والثاني.

وعهده. أما المؤمنون في قزوين، وهم الذين أثّرت فيهم ميول الانشقاق والخلاف ونقض الميثاق في الأيام الأولى، فقد وجدوا عوناً كبيراً ودعماً عظيماً بوجود الشيخ كاظم بينهم. وهكذا بواسطة ثباته واستقامته بصفة رئيسة تحوّلت جماعة المؤمنين واتحدت.

أولى الشيخ كاظم اهتماماً خاصاً بتعليم أطفاله وتربيتهم. ولتحقيق ذلك أتى لهم برجل، اسمه الملاّ علي ومعروف بلقب "معلم"، كان قد أعانه في تفهم حقيقة أمر الله واعتناقه. أقام ذلك المعلم بمنزل الشيخ وتبرع بمهمة تعليم أطفاله.[1] قام بذلك الواجب حينما اطلع على نصح حضرة بهاءالله الوارد في "الكتاب الأُقدس":

"كُتب على كل أب تربية ابنه وبنته بالعلم والخطّ ودونهما عمّا حدّد في اللوح والذي ترك ما أُمر به فللأمناء أن يأخذوا منه ما يكون لازماً لتربيتهما إن كان غنياً وإلاّ يرجع إلى بيت العدل إنّا جعلناه مأوى الفقراء والمساكين. إن الذي ربّى ابنه أو ابناً من الأبناء كأنه ربّى أحد أبنائي عليه بهائي وعنايتي ورحمتي التي سبقت العالمين."(٣)

كانت الجملة الأخيرة هي التي ألهمت الملاّ علي لتعليم أطفال الشيخ كاظم الكثيرين. واستمر بهذا العمل قرابة ستة وثلاثين سنة. وقد أثنى حضرة بهاءالله في أحد ألواحه(٤) على الملاّ علي لتنفيذه إحدى وصاياه مشيراً إليه بأنه أول معلم فاز برضى الله إذ عمل بما أنزل في "الكتاب الأقدس". وخصّه ببركاته مصرّحاً بأن مجرد ذكره في ذلك اللوح هو أعظم مكافأة لروحه، ويؤكد له بأن اسمه سوف يُخلد في كل مدارس العالم، ويلمّح بأنه سيرسل له هدية رمزية تقديراً لعمله. فيما بعد أشار حضرة بهاءالله على الحاج أمين بأن يرسل عباءة إلى الملاّ علي هدية نيابة عنه، مضيفاً ملاحظة بأن العباءة يجب أن تكون من النوع الجيد جداً.

ذهب الشيخ كاظم مرتين للزيارة والتشرف بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء. من ضمن الذين رافقوه في زيارته الثانية سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) كان الملاّ

(١) في تلك الأيام غالباً ما كان الموسرون يوظفون معلماً في المنزل للعناية بتعليم أطفالهم.

علي "المعلم"، وابن الشيخ، طراز الله سمندري، الذي خدم أمر الله كمبلّغ بارز لسنوات طويلة. وفيما بعد أنعم عليه حضرة شوقي أفندي برتبة أيادي أمر الله.

إيمان ميرزا أبو الفضل بأمر الله

لقد كانت النبوءات الوخيمة الواردة في "لوح فؤاد"، والمنبئة بكل وضوح عن سقوط كل من السلطان وعالي باشا، في أغلب الأحيان محور تكهنات ونقاش بين المؤمنين في تلك الأيام. بل إن كثيراً من غير البهائيين الذين حضروا الاجتماعات البهائية سمعوا كلمات حضرة بهاءالله في هذا اللوح وألواح مماثلة. وبينما كان هؤلاء يلاحظون تحذيراته بذهول وعجب، راح آخرون يعلّقون إيمانهم بأمر الله على تحققها. ومن أبرزهم ميرزا أبو الفضل الشهير، وهو عالم بارز كان ينشد، بعد تحريه أمر الله، برهاناً قاطعاً يمكّنه من الاعتراف بأحقيّته. فظل يترقب تحقق هذه النبوءات. وعندما اعتنق أمر الله صار من أعظم عناصره النيّرة ودافع عنه ضد أعدائه بمهارة فائقة وتفان مثالي.

ولمّا كان ميرزا أبو الفضل واحداً من أعظم بحّاثة أمر الله، ونصيراً من أرفع مقام، وهو الذي أثرى المكتبة البهائية بإسهاماته الضخمة، فيجدر أن تحتل ذكراه العزيزة بضع صفحات من هذا الكتاب.

إن قصة مواجهاته مع المؤمنين بعد تعرّفه على أمر الله لهي قصة مشوّقة حقاً. ففي عام **١٢٩٣**هـ (١٨٧٦م) عندما كان في أوج مهنته مديراً لمعهد ديني بطهران، تقدّم إليه أحد تلاميذه مستنجداً بعونه في الرد على حجج طرحها نفر من البهائيين كان على اتصال معهم. وكان هذا الرجل يأتي بالأسئلة لميرزا أبو الفضل ثم يرجع بأجوبته وملاحظاته إلى البهائيين.

في تلك الآونة كان هناك مؤمن اسمه عبد الكريم ماهوت فروش (تاجر أقمشة) يملك حانوتاً في السوق، وكان منزله ملتقى يعقد فيه البهائيون مجالسهم ويحضر فيها أيضاً من أراد البحث والتعرف على أمر الله. وغالباً ما كانت تلك الاجتماعات تمتد حتى الساعات المبكرة من الصباح. وبكيفية ما تعرّف ميرزا أبو الفضل، ودونما

علاقة بتلميذه الذي كان مهتماً بالدين البهائي، على عبد الكريم وصار يزوره من حين لآخر في دكانه. ظل ميرزا أبو الفضل لفترة يجهل بأن عبد الكريم كان بهائياً. لكن وقعت بعدئذ حادثة بسيطة دفعته لمجابة شخص بهائي مباشرة.

ففي عصر أحد أيام الجمعة ترك ميرزا أبو الفضل المدينة برفقة نفر من الملاّوات قاصدين زيارة ضريح في إحدى ضواحي العاصمة. كانوا جميعاً راكبين على الحمير. وزيارات كهذه كانت أمراً مألوفاً في المجتمع آنذاك في أيام الجمعة ويقصد منها الترفيه وزيارة أماكن مقدسة.

وتصادف أثناء خروجهم من المدينة أن فُقدت حدوة أحد الحمير، فقصدت الجماعة أقرب حداد طلباً للعون. عند ملاحظة الحداد، واسمه الأستاذ حسين نعل بند (صانع ومركّب الحدوات)، لحية وعمامة ميرزا أبو الفضل الضخمة – دلالة على واسع علمه – أحب الدخول معه في حديث. فقال للميرزا بما أنه قد شرّفه بوجوده فهلا تكرّم عليه كذلك بالسماح له أن يسأله عن مشكلة باتت تشغل باله منذ زمن. ولمّا أذن له بالسؤال قال: 'هل صحيح بأن هناك من أحاديث شيعة الإسلام[1] ما يفيد أن كل قطرة من المطر تنزل من السماء تكون مصحوبة بملاك؟ وبأن هذا الملاك هو الذي ينزل المطر على الأرض؟' 'هذا صحيح' أجاب ميرزا أبو الفضل. وبعد برهة صمت عاد الحداد واستأذن ليسأل سؤالاً آخر وأذن له، فقال: 'هل صحيح بأنه لو وُجد كلب في بيت فلن يدخل ملاك ذلك البيت؟' وقبل التفكير في العلاقة بين السؤالين أجاب ميرزا أبو الفضل بالإيجاب. 'في هذه الحالة' علّق الحداد 'لا ينبغي نزول مطر أبداً في بيت فيه كلب.' هنا وجد ميرزا أبو الفضل، العلامة المسلم المعروف، نفسه في ارتباك مخز أمام حداد. فاستشاط غضباً بحيث لاحظ عليه رفاقه مدى حرجه وعاره. فهمسوا في أذنه: 'إن هذا الحداد بهائي.'

---

(١) من الجدير بالذكر أن معظم ما يعرف بأحاديث الشيعة هي من وضع الناس وتحتوي على أقوال تافهة. إلاّ أنه توجد هناك بعض الأحاديث الصحيحة للأئمة الأطهار وتوافق مضمون القرآن الكريم وروحه. كما توجد طرق معينة للتأكد من صحة تلك الأحاديث. على سبيل المثال، اقتطف حضرة بهاءالله العديد من الأحاديث الصحيحة في "كتاب الإيقان".

تركت هذه الحادثة أثراً عميقاً في نفس ميرزا أبو الفضل. أمّا الحداد فقام بدوره بنقل كل ما حدث لعبد الكريم ملمحاً بأن ميرزا أبو الفضل، نتيجة جرح كرامته إثر الحادثة، قد يرحب الآن بملاقاة مبلّغ بهائي أملاً باسترداد شعوره بالتفوق والسيادة. أثبتت الوقائع فيما بعد صحة تقديره. فعندما دعا عبد الكريم ميرزا أبو الفضل للمشاركة في حوار مع أحد البهائيين، قبِل الدعوة. ويبدو أن ميرزا أبو الفضل، حتى ذلك الحين لم يشك بأن عبد الكريم نفسه كان بهائياً.

فعقد اللقاء في منزل عبد الكريم. لكن المبلّغ البهائي الذي دعاه عبد الكريم للحضور لم يكن رجلاً متعلماً إلاّ أن قلبه كان متوجهاً ومتصلاً بمصدر كل العلوم. ورغم صعوبة وغموض الموضوعات التي أثارها ميرزا أبو الفضل أثناء الاجتماع والمناقشة، وورغم كل ما أبداه من اعتراضات فإنه لم يتمكن من الطعن بسلامة واستقامة الحجج التي طرحها ذاك المبلّغ البهائي الذي أجاب وشرح بأسلوب غاية في البساطة والتعبير.

قد يبدو غريباً أن يصبح أناس غير متعلمين مستنيرين بعرفان الله وعلمه. في الواقع إن إحدى براهين نفوذ الله في هذا الظهور هو أنه إلى جانب وجود عدة نفوس متعلمين ممن ارتقوا إلى مقدمة صفوف المبلّغين في أمر الله، فإن هناك أيضاً من لم يحصل على تعليم جيد بل كان بعضهم أمياً لكنهم أفلحوا في هداية نفوس كثيرة لأمر الله.

وكما ذكر في المجلدات السابقة(١) فإن موضوعات مثل عرفان الله ومظاهره، والقدرة على اكتشاف أسرار الحياة، وإدراك الحقيقة الدينية، وتفهّم حقيقة الإنسان، لا تعتمد على الدراسة العلمية. إن هذه المعرفة يمنّ بها الله على الفرد، وإن قلب الإنسان هو الذي يتلقاها فيصبح منبعاً للتنوّر والقوة والإدراك.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٤٤-٤٥، ١٠٣، ١٨٢، ١٩٦؛ والمجلد الثاني، الصفحتين ٢٩ – ٣٠.

وقد صرّح حضرة بهاءالله بجلاء بأن الشرط الأساسي لاكتناز هذه المعرفة وهذا الإدراك هو الانقطاع عن هذه الدنيا. ففي مستهل فقرة افتتاح "كتاب الإيقان" يصرّح بما يلي:

"... أن العباد لن يصلوا إلى شاطئ بحر العرفان إلاّ بالانقطاع الصرف عن كل من في السموات والأرض. قدّسوا أنفسكم يا أهل الأرض لعل تصلنّ إلى المقام الذي قدّر الله لكم وتدخلنّ في سرادق جعله الله في سماء البيان مرفوعاً.

جوهر هذا الباب هو أنه يجب على السالكين سبيل الإيمان والطالبين كؤوس الإيقان أن يطهّروا أنفسهم ويقدّسوها عن جميع الشؤونات العَرَضية– يعني ينزّهون السمع عن استماع الأقوال، والقلب عن الظنونات المتعلقة بسبحات الجلال، والروح عن التعلق بالأسباب الدنيوية، والعين عن ملاحظة الكلمات الفانية، ويسلكون في هذا السبيل متوكلين على الله، ومتوسلين إليه حتى يصبحُنّ قابلين لتجليات إشراقات شموس العلم والعرفان الإلهي، ومحلاً لظهورات فيوضات غيب لا يتناهى. لأن العبد لو أراد أن يجعل أقوال العباد من عالم وجاهل وأعمالهم وأفعالهم ميزاناً لمعرفة الحق وأوليائه فإنه لن يدخل أبداً رضوان معرفة رب العزة، ولن يفوز بعيون علم سلطان الأحدية وحكمته، ولن يرد منزل البقاء ولن يذوق كأس القرب والرضا."(٥)

إن العرفان الحقيقي هو تفهّم المعنى الباطني وإدراك أهمية حقيقة ما. والانقطاع عن هذه الدنيا، الذي تتكرر الإشارة إليه ويتوفر شرحه في آثار حضرة بهاءالله، هو السر في الوصول إلى حياة تنسجم مع قوانين الخليقة. وكما ذكرنا في المجلدات السابقة،[١] فإن الانقطاع عن الدنيا لا يعني بالضرورة حياة تسوّل، أو زهد، أو فقر أو عدم الاهتمام والاعتناء بأمور الدنيا. ولعل أحد أشكال التعلق بالدنيا، وربما يكون أخطرها، هو حب الإنسان لذاته ولمنجزاته.

(١) انظر المجلدين الأول والثاني، "الانقطاع".



الشيخ كاظم سمندر

أحد حواريي حضرة بهاءالله والمبلّغين المخلصين لدعوتهصورة



الأستاذ حسين "نعل بند"

(الإسكافي) أول من تعرّف على ميرزا أبو الفضل



ميرزا أبو الفضل

علاّمة بهائي نابغة، وأحد حواري حضرة بهاءالله وأشهر مبلّغي أمره



مانكچي صاحب

مبعوث زرادشتي أصبح من المعجبين بحضرة بهاءالله وتلقّى عدداً
من ألواحه. عمل ميرزا أبو الفضل سكرتيراً له لبعض الوقت
وكان الواسطة بينه وبين حضرة بهاءالله (انظر الصفحة ٣٧٢)

في الفقرة السالفة يتبين كيف أن حضرة بهاءالله يؤكد بقوة ووضوح على أن ليس هناك بديل آخر يسلكه الإنسان لنيل هبة العرفان العظمى، وهذا العرفان هو ما لا يُكتسب بالدراسة والتعلم.

فالعالِم العظيم، ورجل العِلم قد لا يكون بالضرورة قادراً على فهم أو اكتشاف الحقائق الباطنية لمخلوقات الله والظهور الإلهي. يجب عليه أن ينقطع عن هذا العالَم، إذ إن علوم مثل هذا الرجل نفسها تشكل في الواقع أعظم تعلّق[1] بالدنيا، كما يؤيد ذلك حضرة بهاءالله في كتاباته مراراً، إن العلوم المكتسبة غالباً ما قد تكون حجاباً يحول بين قلب المرء وتقبُّل نور الهداية الإلهية وهبة العرفان الحقيقي. إن عبد الكريم، الذي لم يكن متعلماً، وغيره من أمثاله الذين ساهموا بتبليغ أمر حضرة بهاءالله لنفوس بارزة في العلم والمعرفة مثل ميرزا أبو الفضل، كانوا ممن وُهبوا عرفان الله وأوتوا حظاً عظيماً من قوة الإدراك والفهم. ولم يوهبوا ذلك إلاّ بإيمانهم بحضرة بهاءالله وانقطاعهم عن أنانيتهم الذاتية وأهواء أنفسهم.

لقد تملّك ميرزا أبو الفضل العجب في اجتماعه الأول بالمؤمنين إذ وجد نفسه غير قادر على محاورة بهائي غير متعلم، ورغم ذلك لم يستطع دحض حججه. إلاّ أنه طلب من مضيفه عبد الكريم عقد جلسة يحضر فيها بهائي متعلم لأنه يود منازلة شخص من مستواه كي يثبت أخيراً تفوقه وغلبته ويدلل على بطلان ادعاءات حضرة الباب وحضرة بهاءالله!

تم ترتيب الاجتماع، لكن عبد الكريم تعمّد ألاّ يدعو إليه بهائياً متعلماً كما طلب ميرزا أبو الفضل. ومع أن عبد الكريم لم يكن مثقفاً، لكن أدرك بحكمته الواسعة أن رجلاً مغتراً بعلمه بمثل تلك الدرجة سوف لن يكون ذا بصيرة تهديه لدين الله. كما علم بأن ما كان يحتاجه ميرزا أبو الفضل هو شخص باستطاعته كشف جهله الحقيقي للدين الحق. ولن يكون أكثر لياقة لعمل تلك المهمة إلاّ شخص مؤمن بسيط خال من العلم المكتسب لكنه غني بإيمانه وفهمه الروحاني.

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٦–٤٠.

عند حضور ميرزا أبو الفضل هذا الاجتماع وجد نفسه مرة أخرى أمام أشخاص غير متعلمين. وسرعان ما وجد نفسه أيضاً مدحوراً تماماً تلقاء حجج وبراهين بسيطة لكنها وافية منيعة طُرحت في سياق النقاش، ورداً على ما طرحه هو من أسئلة. فلم يسعه إلاّ الحيرة والعجب لرؤية هؤلاء الرجال غير المتعلمين وهم يملكون مثل ذاك الفهم العميق العجيب لأسرار القرآن الكريم وغيره من الكتب المقدسة.

استمرت تلك المناقشات عبر عدة جلسات بين ميرزا أبو الفضل ومبلغيه البسطاء غير المتعلمين. وكما توقّع مضيفه كان لتلك المناقشات أثر بيّن في توعيته وصحوته. ولمّا كان هدفه الأساسي لحضور اجتماعات البهائيين كشف سخف ادعاءاتهم وبطلانها، فقد أصيب بالخذلان وأحس بشيء من الضِّعة ملحوظ أمام عجزه في دحض بعض الأدلة المقدّمة من كل هذا النفر من النفوس غير المتعلمة من بين المؤمنين، وهو ما سبب له جرحاً في كبريائه إذ مُني بعدة هزائم خلال حواره معهم. لكنه قابل فيما بعد بهائيين متعلمين وتحاور معهم في شتى الاجتماعات حيث وجد دائماً حججهم منيعة لا تُدحض. وذات مرة دخل في حوار مع الملاّ محمد القائني[(1)] الشهير (النبيل الأكبر). ويروى أنه عند نهاية لقائه معه قد هتف، وقد عبر صوته عن مدى دهشته قائلاً: "والله! لا يمكن أن يوجد أحد يستطيع مقاومة قوة حجة هذا الرجل المتبحر بالعلم."

في إحدى مؤلفاته يصف ميرزا أبو الفضل أوائل أيام معرفته بأمر الله بهذه العبارات:

> في عام **١٢٩٣**هـ (**١٨٧٦**م) لمّا كان كاتب هذه الصفحات مقيماً في طهران وراسخاً في عقيدة شيعة الإسلام، اتّفق أن صارت له علاقة، من خلال بعض الأحداث، مع أهل البهاء. كان غرض جهده الأول هو إفحامهم وإلزامهم بالتسليم والمساهمة في قمع نموّهم. فقام لمدة ثمانية أشهر تقريباً بإجراء

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة **٩٥**.

مناقشات مع أهل العلم في هذه الطائفة في مجالس عديدة. لكنه وجد في النهاية بأن كل حبال أوهامه قد انفصمت وظهر مقاومته انقصم. بعد ذلك بدأ يسلك طريق الاجتهاد والطلب للبحث عن الحقيقة. فبذل كل جهوده تحرياً عن أدلة هذا الدين، وإقامة صلات متينة بروح من الأخوّة مع رؤساء الأديان والمذاهب، من اليهود والزرادشت والمسيحيين والسنّة والشيعة والأزليين والبهائيين، وقام باستعلامات مستفيضة من الأعداء والأصدقاء بشأن مؤسس الدين، ودرس عن كثب الكتب المقدسة، وتأمل بكامل العناية في كلمات الغنوصيين والإلهيين، وصلّى مناجياً ربه في الليالي والأسحار في نهاية العجز والاكتراب عسى أن يمنّ عليه بالهداية ويفتح بصيرته. إلى أن أخيراً، وبمشيئة الله تبارك وتعالى، استنارت بصيرته بشأن شتى الشرائع الإلهية، وبذلك زال عن قلبه الحيرة والاكتئاب وامتلأ بالسكينة والإيقان.(٦)

إلاّ أن ميرزا أبو الفضل، قبل الوصول للمرحلة الأخيرة من الفوز باليقين والدخول في حظيرة أمر الله، كان قد صارع صراعاً فكرياً هائلاً. ففي الوقت الذي عجز عقله عن رفض ومقاومة أحقية أمر الله، لم يكن قلبه بعد قد استضاء بنور الإيمان والإيقان. وقد قرأ خلال هذه الفترة معظم كتابات حضرة الباب وحضرة بهاءالله التي كانت متوفرة. إن قصة قراءته "كتاب الإيقان" لأول مرة وردود فعله، سبق عرضها في مجلد سابق.[1] لم تكن تلك التجربة مسلية جداً فحسب، بل كشفت في الوقت ذاته عن صفاء نيّته.

لمّا أحسّ ميرزا أبو الفضل بالخيبة والخذلان التامّين أمام قوة الحجج التي جاء بها مبلّغوه البهائيون، خطرت له فكرة أنه ما لم يحقق له حضرة بهاءالله معجزة فلن يطمئن قلبه. وقد حاول البهائيون أن يشرحوا له بأن المعجزات لا يمكن الركون إليها كبرهان قاطع لأحقية رسل الله، ذلك لأنها لا يمكن رؤيتها من قبل سائر البشر وفي كل وقت وزمان. بل تنحصر قيمتها وفائدتها للقليل ممن شاهدوها. ثم من جهة أخرى ليس للإنسان أن يمتحن الله. لكن ميرزا أبو الفضل ظلّ مصّراً على

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢١٦–٢١٧.

مطلبه. فكتب بضعة أسئلة على ورقة ووضعها في مغلف وختمه بخاتمه الخاص وسلّمه إلى عبد الكريم ليحفظه. ثم وضع ورقة بيضاء في مغلف آخر وطلب من عبد الكريم إرساله إلى حضرة بهاءالله. قال لو أجاب حضرته عن أسئلته فلن يبقى عنده أدنى شك بأحقية أمر الله.

قام عبد الكريم بعد ذلك، رفقة ميرزا أبو الفضل، وأخذ معه الرسالة الخالية والظرف المختوم وتوجّها إلى منزل الحاج محمد إسماعيل الذبيح[١] ليرسلها إلى حضرة بهاءالله. فيما بعد روى ميرزا أبو الفضل القصة للحاج ميرزا حيدر علي، وفيما يلي ترجمة موجزة لها:

لمّا وصلنا علمنا بأن الحاج لم يكن موجوداً، لكن زوجته التي كانت تعرف عبد الكريم... رحبت بنا بحرارة وألحت، بروح من الود والكرم، على أن ندخل... دخلنا حجرة كان فيها كتب وحقيبة تحوي ألواحاً مباركة... أذنت لنا بفتح الحقيبة لو رغبنا بالإطلاع على الآثار المباركة. ولمّا كان عبد الكريم أميّاً سألني لو أقرأ أنا له. فلبيت طلبه بدافع اللباقة التي عرفت بها.

كان هناك لوح مكتوب على ورق أزرق وموجه للسلطان عبد العزيز.[٢] مررت أثناء قراءتي بقصة "عرض السلطان سليم"[٣] وفتنت بها. وجدت فقراتها في غاية البلاغة والجلاء والجمال. وكلما قرأت أكثر زاد لهفي في القراءة. لم أقرأ طوال حياتي بيانات بمثل هذه الروعة، مما سحر لبّي وانجذب لها فؤادي. إلاّ أنني فكرت بكل شيء من هذا القبيل إلاّ أن تكون تلك الكلمات من عند الله!

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٤٠٣–٤٠٥.

(٢) يبدو أن الحاج ميرزا حيدر علي قد اشتبه عليه موضوع اللوحين. وكانا "لوح الرئيس" و"لوح فؤاد" ووجها إلى عالي باشا وفؤاد باشا بالترتيب وليس للسلطان، مع أن هناك إشارات للسلطان في هذين اللوحين.

(٣) حضر حضرة بهاءالله في طفولته حفل زفاف أحد إخوانه في طهران. وهناك شاهد عرضاً للدمى يذكره في "لوح الرئيس".

بعد ذلك أتيت على هذه الكلمات العليا: **"سوف نعزل الذي كان مثله ونأخذ أميرهم[1] الذي يحكم على البلاد وأنا العزيز الجبار"**.[2]

عند قراءتي ذلك البيان ذهلت وانتابتني الحيرة والعجب. بقيت صامتاً مدة نصف ساعة تقريباً غارقاً في أفكاري متسائلاً عمّا إذا كان ذلك من قبيل السحر والشعوذة، ومن المؤكد أنه كان امتحاناً خطيراً لي.

أخيراً استقر ذهني على أن "وقت النهاية" قد حان، وما لم يشيع الكفر لا يظهر الموعود المنتظر. لذا أصررت في جدالي مع نفسي قائلاً بأن حضرة بهاءالله نطق بهذه البيانات والتنبوءات بغية تضليل عامة الناس وإحكام سيطرته على أتباعه. وإلاّ لن يمكن لشخص سجين بأمر الملك أن يخاطبه بهذه اللهجة الشديدة خصوصاً وأنه فرد وحيد لا عون له في بلاد غريبة... بهذه الأوهام والأفكار الشيطانية كان رأسي مشغولاً ومع ذلك أحمد الله بما أنعم عليّ من عناياته ومحبته إذ لم يدر في خاطري كره حضرة بهاءالله أو إساءة الأدب إليه.

... وعلى أي حال قلت لعبد الكريم، وأنا أحاول إنقاذ نفسي منه... 'إن امتلاك القدرة للتحكم في حياة المخلوقات لهو معجزة لم يأت بمثلها الأنبياء السابقون'... وعليه استرجعت المغلف المختوم ورسالتي الخالية الموجهة لحضرة بهاءالله ومزقتهما معلناً أنه بالنسبة لي سيكون تحقق هذه النبوءات برهاناً وميزاناً على الحق. وكذلك أخذت عهداً بألاّ أسمع أحداً يحدثني عن أمر الله بعد ذلك حتى يتم تحقق هذه النبوءات.

ظننت في نفسي بأن حادثة ذهابي لمنزل الحاج لم تكن مجرد عناية إلهية أنقذتني من الخوض مع البهائيين بمناقشات أخرى، بل إنها وفّرت لي فرصة عسى أن أتمكّن بها من إنقاذهم من المضي بطريق الضلال.

---

(١) السلطان عبد العزيز.

(٢) هذه فقرة من "لوح فؤاد"، انظر الصفحة **٩٥**. ومما يرويه الحاج ميرزا حيدر علي، يستنتج أن ميرزا أبو الفضل قد قرأ "لوح الرئيس" (النازل في عكاء) أولاً ثم "لوح فؤاد". ويُفترض أنه قرأ "سورة الرئيس" أيضاً، لأن الأخيرة (الموجهة إلى عالي باشا) قد نزلت في حق "الذبيح" الذي كان ميرزا أبو الفضل مقيماً في منزله.

لكن المؤمنين لم يقطعوا من جانبهم كل علاقة بي. فكانوا يأتون لزيارتي من وقت لآخر، ومن خلال محاوراتهم... حاولوا أن يحرروني من قيود الأوهام. لكنني كنت كالعنكبوت، كلما قطعوا خيط أوهامي زدت بنسج غيرها.

مرّت بعد ذلك خمسة أو ستة شهور (على يوم قراءة تلك الألواح). كنت خلال هذه الفترة أفكر في كثير من الأحيان بنبوءة حضرة بهاءالله بشأن السلطان. وحدث يوماً أن كنت ماراً بمسجد الشاه بطهران إذ وقع نظري على الحاج ميرزا أفنان الذي كان تاجراً محترماً وأحد المؤمنين اللامعين بهذا الأمر الأعظم. كان برفقته ميرزا حيدر علي الأردستاني،(١) من الناجين من قلعة الشيخ الطبرسي.(٢)

كان الرجلان يقفان في الشارع يتحدثان. وبما أنني كنت مصمماً على تجنب البهائيين والتهرب من لقائهم، رفعت عباءتي مغطياً رأسي وقطعت الشارع مبتعداً عنهما. لكنهما شاهداني وناديا باسمي، ولم يكن لي خيار إلاّ الاستجابة لندائهما. فاجئاني بالقول: 'إن برهان أمر الله قد ثبت وتحقق لك. فقد وصلت أنباء عزل السلطان عبد العزيز بالتلغراف.' كان لذلك النبأ وقع ثقيل وصدمت لسماعه صدمة هائلة. ورغم علمي بما كانا يعنيان من وراء ذلك، فإني أجبت بسورة غضب صائحاً: 'وما شأني وخلع السلطان، فلست من أقربائه.' فذكّراني قائلَين: 'ألم تشترط على قبولك لأحقية هذا الأمر أن يتحقق هذا الحدث؟' فزادني ذلك غضباً بحيث تركتهما ومشيت دون كلمة وداع. لم أقصد المكان الذي كنت متّجهاً إليه بل رجعت إلى بيتي.

ولعلمي بجسامة هذا الامتحان، استسلمت لنوبة غضب عاصفة سالت دموعي بأثرها من عيوني دون سيطرة، وصرت أتضرع إلى الله أن يعينني لئلا

(١) لا يشتبه مع الحاج ميرزا حيدر علي الإصفهاني الذي نقتطف من مذكراته في هذه الصفحات.

(٢) انظر "مطالع الأنوار".

أضلّ. بينما أنا في تلك الحال وصل عبد الكريم مع اثنين آخرين. لكنني لم أكن في مزاج ذهني يمكنني معه دعوتهم للدخول وعليه تركت المنزل ولم أعد إلاّ في وقت متأخر من المساء. لقد عرف هؤلاء الأصدقاء بأنني كنت عاجزاً عن مواجهتهم وبأنني هربت منهم. فانتظروا يومين أو ثلاثة ثم عادوا. أبديت لهم اعتذاري لسلوكي تلك الأمسية، ثم قلت لهم بأن علينا الآن أن نترقب تحقق بقية تلك النبؤة –**ونأخذ أميرهم**– وقد بينت مفسراً بأن كلمة "نأخذ" لا تعني موتاً طبيعياً، إذ إن كل إنسان يموت. بل إنها تعني بأنه لا بد أن يموت قتلاً.

كان حماسي لإيجاد الحقيقة قد بلغ أوجه في تلك الآونة. فزرت جميع العلماء الذين كنت أثق بهم وناقشتهم في مبادئ الدين لكني وجدتهم بلا عون أو فائدة. بينما وجدت ما قدّمه البهائيون من حجج وأدلة كانت، في نظري، قاطعة وتفوقها قوة وإقناعاً. من جهة أخرى فإني أصبحت آنذاك أكثر قدرة على استنباط أسرار القرآن الكريم وفهم معانيه.

مضت بضعة أيام وإذا بنبأ اغتيال السلطان يُبرق بالتلغراف فطار لبّي واضطربت كل الاضطراب. بلغ بي الحال أن وجّهت اللكمات إلى نفسي. فتارة كنت أتخاصم مع الله، وأخرى أنقلب كافراً ثم أعود بعدها أستغفر وأطلب من الله أن يعينني ويهديني ويحفظني. اجتزت من العذاب بحيث لم أتمكن من صرف تلك الأفكار عنّي واسترجاع راحة بالي لا في الليل ولا في النهار. فتعذر عليّ الأكل والنوم. واكتفيت بشرب الشاي والتدخين والبكاء.

في إحدى الليالي استيقظت من النوم وصرت أحاسب نفسي بهذه الكلمات: 'لقد مرّ عام تقريباً وأنت تعاشر وتناقش هؤلاء البهائيين. ورغم أنهم رجال أميّون غير متعلمين، إلاّ أنهم أكدوا سطوتهم عليك في كل مرة، وأتوا بالبراهين ودللوا على أحقية دينهم. ومع أنك تعتبر نفسك رجلاً متعلماً وبحّاثة في الكتب المقدسة، والتفسير والحديث، لكنك تعلم في الوقت نفسه بأن هؤلاء الرجال أكثر دهاء منك. وكأنهم ملهمون وأن الله

بجانبهم، وروح القدس ينطق من خلالهم. كما أنك شهدت بنفسك سمو خلقهم وفضائلهم السماوية. فلِمَ تفسر كلامهم على أنه وساوس الشيطان؟ تذكّر كيف سُحرت بقراءة حكاية "عرض السلطان سليم" في "لوح الرئيس" وكيف فُتنت ببيان تلك الكلمات وسموّها! والآن عليك أن تقرأ وتتحرى كتابات من يدّعي أنه مُنزل الكلمة الإلهية بعين العدل والإنصاف. وإن لم يكن هذا الأمر حق، فإن أول من يقاومه هو الله. وبناء عليه يستحيل بقاؤه...

فقمت وتوضأت وصلّيت. ثم أخذت لوح حضرة بهاءالله ("لوح الرئيس") الذي، رغم احتفاظي بنسخة منه لزمن طويل، لم أشعر بميل لقراءته. ففتحته وبعيون تدمع توجهت مخلصاً لله وشرعت بقراءته. وعندها سمعت صوت الله... يناديني من خلال لسان هذا المظهر (الإلهي)، 'ألست بربك؟' فأجبت لندائه الصادر عن الجمال الأبهى: "لبيك، لبيك!"[١] آمنت وصدّقت.

هكذا اجتزت حالة الظنون والأوهام إلى اليقين... وأصبحت منجذباً كل الانجذاب للكلمة الإلهية ومنجرفاً بقوّتها. كما شعرت بحب وتفان نحو مطلع الظهور الإلهي (حضرة بهاءالله) وذقت نوعاً من البهجة والانشراح في باطن نفسي ما لن أستطيع وصفه. ولا يمكن للكلمات التعبير عن السموّ الروحي الذي ارتقيت إليه... وأدركت بأني حتى لو قمت بخدمة هذه النفوس التي صارت سبباً في هدايتي، لو قدر لي خدمتهم مدى حياتي، بل لو فديت حياتي في سبيلهم، لن يمكنني إيفاء حقهم عليّ بما وهبوني خلاصاً أبدياً وروح الحياة...

قضيت تلك الليلة في نعيم لا متناه. وقبل الفجر أسرعت إلى بيت عبد الكريم. وقبّلت عتبة البيت، ثم سجدت عند قدميه وأبديت من التواضع ونكران الذات ما بعث في نفسه حرجاً شديداً. قال لي بأن سلوكي ذاك لم يكن له ما

(١) في الإسلام يستعمل هذا التعبير استجابة من المؤمن لنداء الله عندما يظهر نفسه للمؤمن.

يبرره وجاء وليد ظنوني، فإن الله وحده الذي يهدي القلوب وليس العبد.(٧)

بعد اعتناقه دين حضرة بهاءالله، أصبح ميرزا أبو الفضل خلقاً جديداً. فصار له من عمق البصيرة الروحانية والإيمان ما يندر وجوده لدى أتباع حضرة بهاءالله. يعود ذلك ربما، في الدرجة الأولى، لطهارة قلبه التي أعانته خلال رحلة بحثه عن الحقيقة على مجاهدة وخرق كثير من الحجبات كالشعور بالعزة والفخر والمعتقدات الخرافية والأوهام، حتى لم يبق فيه سوى نفس مطهرة منجذبة لحضرة بهاءالله شأنها شأن قطعة حديد حيال مغناطيس قوي. وقد كان انجذابه تاماً لدرجة، كالحديد الممغنط، أنه أسلم إرادته تسليماً كاملاً لإرادة حضرة بهاءالله وأصبح نتيجة ذلك من عمالقة الروح، مزيناً بفضائل وإنجازات لم يفُقْه فيها غير القليل، إن كان هناك، من حواريي حضرة بهاءالله في الصفات والكمالات.

وفي الدرجة الثانية، وبتأثير دين حضرة بهاءالله، فإن علمه الواسع بالدين عموماً، والتاريخ والفلسفة اكتسب بعداً ونوعية وقوة جديدة. فقد عملت قوى ظهور حضرة بهاءالله كشعاع النور بينما كان علمه بمثابة العين. فبدمج الاثنين اكتسب رؤية جديدة. وهذا العلم، الذي صار الآن موجّهاً بهداية نور الإيمان ومؤيداً بالانقطاع عن كل الشؤونات الدنيوية، أسبغ هبة فهم حقيقي لدرجة جعلته ينبوعاً للعرفان الإلهي. واستخدم هذه المعرفة كواسطة ليفهم، بالقدر الذي يستوعبه الإنسان، الحقيقة الكامنة في ظهور حضرة بهاءالله. ومن خلال عرفان الله، والانقطاع عن كل علائق الدنيا، والعيش وفق الحياة البهائية، تمكّن من إدراك مقام حضرة بهاءالله وعظمة أمره بدرجة ربما لم يبلغها إلاّ القليل.

إن عرفان المظهر الإلهي (حضرة بهاءالله في هذا العصر) هو أول خطوة نحو ترقية النفس روحانياً. وبما أن هذا العرفان نسبي ويختلف من شخص لآخر، فإنه يتبين جلياً بأن الذين ينجحون في إدراك عظمة ظهور حضرة بهاءالله إدراكاً عميقاً، ويصبحون واعين حقاً بسمو مجده وهيبة جلاله المذهلة، فإنهم يوهبون

قدراً أعظم من قوى الإدراك الروحاني. وقد نال ميرزا أبو الفضل ذلك بدرجة فائقة وصار مصداقاً لقول حضرة بهاءالله:

"من عرفني يقوم على خدمتي بقيام لا تقعده جنود السموات والأرضين."(٨)

أمّا وأنه قد استوعب بمثل هذه البصيرة النافذة أهمية يوم الله وعظمته الذي أشرق بظهور حضرة بهاءالله فإنه واضح بيّن من كتاباته وسيرة حياته.

وقد وصف المرحوم علي قلي خان،[١] الذي أمضى فترة طويلة مع ميرزا أبو الفضل، العشق الذي كان يتوجه به الأخير في صلاته ومناجاته، ويضيف معلقاً: 'إن سبب توجهه بذلك العشق في دعائه وصلاته وبكائه أثناء ذلك مرجعه إلى مفهومه لعظمة الله ونكران ذاته هو ووجوده، معتقداً بأن وجوده نفسه، الذي هو هبة من رحمة الله، إنما هو خطيئة في هذا اليوم الذي **"لا يُرى فيه إلاّ سناء النور المشرق من وجه ربك الكريم الفضال."'(٩)**

بهذه السجايا أصبح ميرزا أبو الفضل مصدراً للعرفان الإلهي ومثلاً للفضائل البهائية، وأبدى من التواضع ونكران الذات بحيث وصفه حضرة عبدالبهاء في إحدى خطبه(١٠) بعد وفاة ميرزا أبو الفضل بأنه "مثل أعلى يحتذون به (البهائيون) في حياتهم." وفي مناسبة أخرى أشار إليه بـ"سراج هذا الأمر"، "نور الهداية"، "نجم ساطع"، "بحر موّاج". وعندما كان في أمريكا بعث المولى ببرقية إلى أحد الأحباء في مصر يوصيه بأن يولي ميرزا أبو الفضل عظيم عنايته ويقول: "وينبغي اعتبار شخصه نفس شخصي."

وقد وصفه علي قلي خان نفسه بهذه الكلمات: 'لو لم أرَ حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي، لاعتبرت ميرزا أبو الفضل أعظم النفوس ممن رأتهم عيني.'(١١)

---

(١) أدى خدمات جليلة للأمر المبارك في الأيام الأولى لتأسيسه في الغرب، ومن بين خدماته أعمال الترجمة.

كان ميرزا أبو الفضل مدركاً لعلو مقام حضرة بهاءالله، وبالوقت نفسه دنو ذاته بالمقارنة، مما منعه من الاستئذان بالتشرف لزيارته. كان أحد حواريي حضرة بهاءالله ولكن لم يُقدر له النظر إلى طلعة مولاه. لكنه فاز بمحضر حضرة عبدالبهاء لأول مرة سنة ١٨٩٤م واستمتع بدفء شمس محبته قرابة عشرة أشهر. وهنا أبدى من التواضع ومحوية الذات بحيث تعلم منه بقية المؤمنين الحاضرين معنى العبودية الحقة والانعدام الصرف. وصف علي قلي خان ذلك بهذا الوصف الجميل:

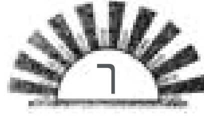
"... نعم، ولكن لكي تعرف عظمته حقاً، كان عليك مشاهدته وهو في محضر حضرة عبدالبهاء. حينذاك يهوي به علمه إلى العدم، بحيث يقترن مثله بمثل حصاة على شاطئ البحر."(١٢)

وبخصوص الفضل العظيم الذي أسبغ عليه بتشرفه بمحضر حضرة عبدالبهاء كتب هذا الوصف:

وإني في سنة (١٨٩٤) من الميلاد لمّا سافرت إلى الأرض المقدسة وساعدتني العناية الإلهية بالتشرف بالحضرة القدسية قد دهشت وتحيرت فيما شاهدت من عظائم أطواره وآثاره. ورأيت بعيني في مدة عشرة أشهر أيام إقامتي في جواره مراراً، ما بمحضره الأقدس من كبار القضاة والعلماء، وأكابر رجال العسكرية والملكية، من الأمم والشعوب المختلفة في الأديان واللسان. وكانت تأتي إليه الرسائل من أطراف الممالك رزماً مع ما يحيط به من الصعوبات التي تنوء بها الجبال يكتب جواب كل واحد من تلك الرسائل بنفسه الكريمة. (والكل يكلمونه في حاجاتهم، ويجيبهم في مطالبهم) دون تأمل أو تفكر أو سكون قلم أو رجوع إلى مسودة أو مساعدة كاتب حتى ملئت من ألواحه المقدسة جميع الآفاق. وبلغ نداء ربه الأبهى إلى السبع الطباق. فانجذبت القلوب إلى ألواحه المنثورة، وطارت الأرواح إلى صحفه المكرمة المنشورة، التي يفوح شذا طيب بيانه من كلماتها، وتنفجر ينابيع العلم والحكمة من آياتها.(١٣)

إن هذا الرجل العظيم، الذي أعزّه كل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء إعزازاً خاصاً، وأوصى حضرة عبدالبهاء أن يقتدي الأحباء من أتباعه بسيرته كقدوة لهم، والذي سُمّي باسمه أحدُ أبواب المقام الأعلى تخليداً لخدماته الرائعة، قد أفلح في تقديم ما قدّم من خدمات لأمر الله بذلك المستوى من الامتياز لأنه بصفة رئيسة انقطع عن كل الشؤونات الدنيوية وكانت لديه الأهلية ليصبح موضع مواهب حضرة بهاءالله وتأييداته.[1]

(١) انظر الملحق رقم ٢ للإطلاع على نبذة عن نشاطات ميرزا أبو الفضل.



أقوى حكّام الأرض

رغم شدة القيود التي فُرضت على حضرة بهاءالله في ثكنات عكاء، فقد بشّر أتباعه بكل غبطة بأن أبواب السجن سوف تُفتح قريباً بقدرة الله، وبأن التأثير الروحاني لظهوره المهيمن سيحيط الأرض كلها بنحو مطّرد. وإذ نستعرض سلسلة الأحداث منذ يوم إعلان حضرة بهاءالله عن مقامه عام **١٨٦٣**م في حديقة الرضوان وحتى حبسه في السجن الأعظم، نلاحظ بذهول وعجب الوقائع الجسيمة التي حدثت وضخامة واتساع وحي ظهوره الذي أحيى بنحو فاعل مصائر جامعة الاسم الأعظم.

خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن والتي لم تصل لست سنوات كاملة، كان حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، قد كشف عن بهاء طلعته المستورة "خلف ألف حجاب من نور" لعدد من أصحابه في تلك الحديقة، عندما **"انغمست الأشياء في بحر الطهارة"** طبقاً لما شهد به قلمه، وأشرقت الأرض بضياء طلعته. في تلك اللحظة غُرست في المجتمع الإنساني بذرة نظم عالمي جديد سماوي المنشأ ويمتلك قدرات تفوق التصور قدّر لها أن تنبت بعد عقد من السنين بنزول "الكتاب الأقدس" عندما تصاغ أحكام ذاك النظم نفسه وحدوده ومؤسساته.

خلال تلك الفترة القصيرة الفاصلة بين إعلان دعوته وحبسه في عكاء، كان أغلب أتباع حضرة الباب قد أقبلوا إلى أمر حضرة بهاءالله وانتموا لاسمه، فيما راح بعضهم سيراً على الأقدام في معظم الأحيان، قاطعين مسافات طويلة ابتغاء الفوز بشرف زيارته. ونتيجة لاتصالهم بمعين الروح الخلاق لشخصه المبارك المتعالي، صار معظمهم خلقاً جديداً. تحولوا إلى كرات من نار متوهجة، وعادوا

إلى أوطانهم وهم يشعّون بنور دينه الذي حملوه إلى جموع لا تحصى من أهالي إيران، وكثيرون منهم تقبّلوا راضين تاج الشهادة فادين أنفسهم في سبيله.

في الفترة ذاتها شهد أمر الله فيضاً عجيباً من الوحي الإلهي طيلة خمس سنوات في أدرنة. وبلغ ذروته في إعلان رسالته التاريخي في تلك الديار. نزلت "سورة الملوك"[١] بلغة الهيمنة والقوة وبها نفخ مالك الملوك في صور جبروته وأكد دعاويه بنحو تام. أمّا اللوح الذي دعاه بـ"دمدمة" إعلانه، والموجّه لناصر الدين شاه، فكان قد نزل لكنه لم يُرسل بعد.

اللوح الأول لنابليون الثالث كان قد أرسل. و"سورة الرئيس"[٢] التي أنّب فيها عالي باشا، رئيس الوزراء، تأنيباً شديداً وفيها شهد حضرة بهاءالله بأن منذ لحظة نزولها وحتى ذلك اليوم لم يعرف العالم السكينة، ولم تذق قلوب البشر الراحة والاستقرار، كانت قد نزلت وما جاء فيها من نبوءات بات موضع ترقب مشوب بالذهول والعجب.

إضافة لذلك ابتدأت عملية تفكك النظم القديم وطيّ بساطه عندما قوبلت نداءات رب الجنود إلى ملوك العالم ورؤسائه إمّا بالرفض أو التجاهل. وفي تلك الفترة القصيرة نفسها تم طرد ميرزا يحيى –الذي نقض عهد حضرة الباب وسمّاه حضرة بهاءالله بـ"الصنم الأعظم"– بيد القدرة والاقتدار من جامعة الاسم الأعظم.

بهذه الأحداث الجسيمة تميزت أوائل سنوات ولاية حضرة بهاءالله منذ إعلان دعوته ببغداد، والآن، في عكاء، ورغم عزله عن جموع المؤمنين في إحدى حجرات السجن، ظل فيض وحيه مستمراً دون انقطاع. واستمر بحر بيانه يموج ولسان العظمة ينطق بسلطان واقتدار مبين. فمن خلف جدران السجن الأعظم، شرع القلم الأعلى يوجه تحذيراته ونصائحه أولاً لأقرب مضطهديه من الملوك ومن بعدهم أبرز ملوك العالم آنذاك.

---

(١) انظر المجلد الثاني، الفصل ١٥.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٤٠٣.

"منذ بداية الخلق حتى يومنا هذا لم تبلّغ (رسالة) بمثل هذا البلاغ العلني الشامل". وهو يشير إلى الألواح التي وجهها إلى حكام الأرض، والتي امتدحها حضرة عبدالبهاء فيما بعد ووصفها بأنها "معجزة"، فيقول: "سُمّي كل لوح منها باسم خاص؛ فسُمّي الأول بـ"الصّيحة"، والثاني بـ"القارعة"، والثالث بـ"الحاقة"، والرابع بـ"الساهرة"، والخامس بـ"الطامة" وكذلك سُمّيت الألواح الأخرى بالصاخّة والآزفة والفزع الأكبر والصور والناقور وأمثال ذلك حتى يوقن جميع أهل الأرض ويشاهدوا بأبصارهم وبصائرهم أن مالك الأسماء كان وما زال غالباً على البريّة في كل الأحوال".(١)

"لوح نابليون الثالث"

عندما تسلّم نابليون الثالث اللوح الأول الذي أنزله حضرة بهاءالله له، والذي أرسل عندما كان حضرته في أدرنة، كان ردّ فعله وقحاً متغطرساً[١] إذ يروى بأنه رمى اللوح جانباً وقال: 'إذا كان هذا الرجل هو إله، فإني إلهان!' أمّا اللوح الثاني لنابليون (بالعربية) فأرسل إليه سنة ١٨٦٩م، بعد استلام حضرة بهاءالله رسالة من أحد وزراء الإمبراطور تفيد بأنه حتى ذلك الحين لم يصدر جواب بعد على لوحه الأول. خلافاً للأخير، والذي كُتب بلهجة لينة، فإن هذا اللوح قد نزل بلسان الجلال والكبرياء، ويعلن صاحبه بجلاء وبلهجة من له سلطان رفيع بأنه ليس إلاّ مالك الملوك. هذا وإن مطلع اللوح وحده كاف ليعطي القارئ لمحة عن عظمة بيان حضرة بهاءالله:

"قل يا ملك الباريس نبّأ القسيس بأن لا يدّق النواقيس تالله الحقّ قد ظهر الناقوس الأفخم على هيكل الاسم الأعظم وتدّقه أصابع مشيّة ربك العلي الأعلى في جبروت البقاء باسمه الأبهى... أن يا ملك أن استمع النداء من هذه النار المشتعلة من هذه الشجرة الخضراء في هذا الطّور المرتفع على البقعة المقدسة البيضاء خلف قلزم البقاء إنه لا إله إلاّ أنا الغفور الرحيم."(٢)

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٣٦٠.

يتنبأ حضرة بهاءالله في هذا اللوح بسقوط نابليون، مبيناً سبب ذلك، ويصرح بأن نهايته حتمية ما لم يتدارك ما فات عنه ويقوم على خدمة أمره.

إن الفقرات التالية المختارة من اللوح تطلع القارئ على هيمنة بيان حضرة بهاءالله في توبيخ أحد أقوى ملوك زمانه:

"أن يا مَلك إنّا سمعنا منك كلمة تكلّمت بها إذ سألك مَلك الروس عمّا قُضي من حكم الغزا[1] إن ربك لهو العليم الخبير، قُلتَ: كنتُ راقداً في المهاد أيقظني نداء العباد الذين ظُلموا إلى أن غرقوا في البحر الأسود، كذلك سمعنا وربك على ما أقول شهيد، نشهد بأنك ما أيقظك النداء بل الهوى لأنا بلوناك وجدناك في معزلٍ أن اعرف لحن القول وكن من المتفرسين... لو كنتَ صاحب الكلمة ما نبذتَ كتاب الله وراء ظهرك إذ أرسل إليك من لدن عزيز حكيم، إنا بلوناك ما وجدناك على ما ادّعيت قم وتدارك ما فات عنك سوف تفنى الدنيا وما عندك ويبقى المُلك لله ربك ورب آبائك الأولين، لا ينبغي لك أن تقتصر الأمور على ما تهوى به هواك اتق زفرات المظلوم أن احفظه من سهام الظالمين، بما فعلتَ تختلف الأمور في مملكتك وتُخرَج المُلك من كفّك جزاء عملك إذاً تجد نفسك في خسران مبين، وتأخذ الزلازل كل القبائل في هناك إلاّ بأن تقوم على نصرة هذا الأمر وتتبع الروح[2] في هذا السبيل المستقيم، أعِزّك غرّك لعمري إنه لا يدوم وسوف يزول إلاّ بأن تتمسّك بهذا الحبل المتين، قد نرى الذّلة تسعى عن ورائك وأنت من الراقدين... دع القصور لأهل القبور والمُلك لمن أراد ثم أقبل إلى الملكوت، هذا ما اختاره الله لك لو أنت من المقبلين... لو تحب أن تحمل ثقل المُلك أن احمله لنصرة أمر ربك، تعالى هذا المقام الذي من فاز به فاز بكل الخير من لدن عليم حكيم... هل تفرح بما عندك من الزخارف بعد الذي تعلم أنها ستفنى أو تستر بما تحكم على شبرٍ من الأرض

(١) حرب القرم.

(٢) حضرة المسيح.

بعد الذي كلها لم يكن عند أهل البهاء إلاّ كسواد عين نملةٍ ميتةٍ دعها لأهلها ثم أقبل إلى مقصود العالمين، أين أهل الغرور وقصورهم فانظر في قبورهم لتعتبر بما جعلناها عبرة للناظرين، لو تأخذك نفحات الوحي لتفر من المُلك مقبلاً إلى الملكوت وتنفق ما عندك للتقرب إلى هذا المنظر الكريم."(٣)

في سنة ١٨٧٠م، أي بعد بضعة أشهر فقط من نزول هذا اللوح، تحققت نبوءات حضرة بهاءالله ولقي الإمبراطور نهايته.

في كتاب "قد أتى اليوم الموعود" كتب حضرة شوقي أفندي عرضاً وجيزاً لهذا، فيما يلي ترجمته (عن الإنكليزية):

لقد انكشفت دلالات الكلمات الرهيبة المفعمة بالمعاني والتي نطق بها حضرة بهاءالله في لوحه الثاني، انكشفت دلالاتها سريعاً. فالذي حرّكته أهواؤه الأنانية لإثارة حرب القرم، مدفوعاً بضغينة ضد إمبراطور روسيا، وكان متلهفاً لتمزيق معاهدة ١٨١٥م من أجل الثأر لكارثة موسكو، وبقصد تزيين عرشه بنصر عسكري، وجد نفسه متورطاً بكارثة هوت به على التراب، وجعلت فرنسا تهبط من مكانتها الرفيعة بين الأمم إلى دولة من الدرجة الرابعة في أوروپا.

جاءت معركة سيدان في عام ١٨٧٠م خاتمة لمصير الإمبراطور الفرنسي. فقد تمزق جيشه بكامله واستسلم، مسجلاً بذلك أضخم استسلام عُرف حتى ذلك الوقت في العصر الحديث. فُرضت (على فرنسا) تعويضات مالية ماحقة نتيجة ذلك. أخذ نفسُه أسيراً. وابنه الوحيد، الأمير الإمبراطوري، قُتل بعد ذلك ببضع سنين في حرب الزولو. وانهارت إمبراطوريته دون تحقيق أهداف برامجها. وأعلنت الجمهورية إثر ذلك. أعقب ذلك حصار باريس ثم استسلامها. تلا ذلك "العام الفظيع" الذي عمّت فيه الحرب الأهلية بنحو من الشراسة فاق الحرب الفرنسية الألمانية نفسها. ثم أُعلن ويلهلم الأول ملك پروسيا، إمبراطوراً لألمانيا في القصر نفسه الذي أقيم "صرحاً تذكارياً عظيماً ورمزاً لقوة وفخر لويس الرابع عشر، وهي قوة كانت إلى حد ما قد اكتُسبت على حساب مذلة ألمانيا". لقد عانى هذا الملك الأجوف المتباهي الذي

"ترددت أصداء سقوطه بتلك الشناعة في أرجاء العالم كله" عانى في النهاية، وحتى مماته، النفي نفسه الذي، كما في حالة حضرة بهاءالله، لم يعبأ به وتجاهله بكل جمودة قلب.(٤)

أرسل لوح حضرة بهاءالله إلى ناپليون بواسطة شخص تمكن من إخراجه من السجن بإخفائه تحت قبعته خشية اكتشافه من قبل الحراس. سلم اللوح بعد ذلك إلى وكيل القنصلية الفرنسية[١] بعكاء والذي قام بترجمته إلى الفرنسية وإرساله إلى الإمبراطور. وكان لقراءة اللوح المنزل بتلك اللغة الفخمة البليغة، والمتضمن مثل تلك الإنذارات إلى الإمبراطور، أثر عميق في نفس ابن وكيل القنصلية والذي أصبح من المؤمنين عندما رأى لشدة دهشته تحقق نبوءات حضرة بهاءالله في ظرف زمن قصير.

بالنسبة للذين اعتنقوا أمر حضرة بهاءالله واعترفوا بمظهريته الإلهية، ليس هناك وجه مقارنة بين كلماته –التي هي كلمات الله– وكتابات البشر. بل في الحقيقة لا يمكن القياس بين الاثنين. فبالإضافة لكون كلماته خلاقة، وتنفذ إلى أعماق القلوب وتقلب المجتمع الإنساني إلى الأفضل، فهي على المستوى الأدبي وحده نجدها لا تتبع دائماً النمط المنطقي الذي ابتدعته عقول البشر. إن الكاتب الملتزم بمهنته عادة يعالج كل موضوع على حدة، بانياً الفكر خطوة خطوة بنحو منطقي. وهو لا يأتي بموضوع غير مناسب لفكرته في وسط البحث. لكن كلمة الوحي الإلهي لا تنزل من عند الله وفق نمط تفكير الإنسان ومنطقه. فهي مقدسة عن حدودات البشر، إنها كمحيط غير محدود وليس في متناول الإنسان، محيط لا يسع إدراك الإنسان وفهمه إلاّ أن يأخذ قطرات قليلة من أمواجه المتلاطمة بشكل كلمات مماثلة. إلاّ أن فيوضاته لا تنزل أو تتبع نمطاً مما يعقله الإنسان.

في لوح ناپليون مثال على هذه الاستقلالية والبدع، حيث يُلزِم حضرة بهاءالله أتباعه بأحد أهم الأحكام وهو تبليغ أمره بهذه الكلمات:

---

(١) لويس كتافاجو، عربي مسيحي.

"قد كتب الله لكل نفس تبليغ أمره والذي أراد ما أمر به ينبغي له أن يتّصف بالصفات الحسنة أولاً ثم يبلّغ الناس لتنجذب بقوله قلوب المقبلين ومن دون ذلك لا يؤثّر ذكره في أفئدة العباد..."(٥)

وينصح أحباءه كذلك:

"يا أهل البهاء سخّروا مدائن القلوب بسيوف الحكمة والبيان. إن الذين يجادلون بأهواء أنفسهم أولئك في حجاب مبين. قل سيف الحكمة أحر من الصيف وأحد من سيف الحديد لو كنتم من العارفين. أخرجوه باسمي وسلطاني ثم افتحوا به مدائن أفئدة الذين اعتكفوا في حصن الهوى كذلك يأمركم قلم الأبهى إذ كان جالساً تحت سيوف الغافلين. إن اطلعتم على خطيئة استروها ليستر الله عنكم إنه هو الستار ذو الفضل العظيم. يا ملأ الأغنياء إن رأيتم فقيراً لا تستكبروا عليه تَفكّروا فيما خُلقتم منه قد خُلق كل من ماء مهين."(٦)

مثال آخر هو عندما يختار حضرة بهاءالله أن يعلن، وسط لوحه لناپليون، بأن أعظم عيدين هما عيد الرضوان وعيد إعلان دعوة حضرة الباب، وبأن بعدهما يأتي عيدان آخران هما ذكرى مولده ومولد حضرة الباب. في هذا اللوح أيضاً يعلن حضرة بهاءالله عن سن حكم الصوم محدداً أمده بتسعة عشر يوم.

هكذا هو شأن الوحي الإلهي!

"لوح البابا پيوس[١] التاسع"

أنزل حضرة بهاءالله اللوح الموجّه للبابا پيوس التاسع (بالعربية) حوالي الفترة نفسها التي أنزل فيها لوح ناپليون. يعرّف فيه حضرة بهاءالله نفسه بأنه رب الأرباب ويخاطب البابا بلسان عظمة الله وسلطانه، معلناً له بلغة لا لبس فيها عن رجعة المسيح بمجد الآب، وداعياً إيّاه بصوت الله الآمر كي يترك قصوره ويسرع في الحضور أمام عرش ربه.

---

(١) تلفظ "پيه".

فيما يلي بعض المقتطفات من هذا اللوح الجبار:

"أن يا بابا اخرق الأحجاب قد أتى رب الأرباب في ظلل السحاب وقضي الأمر من لدى الله المقتدر المختار. أن اكشف السبحات بسلطان ربك ثم اصعد إلى ملكوت الأسماء والصفات كذلك يأمرك القلم الأعلى من لدن ربك العزيز الجبار إنه قد أتى من السماء مرة أخرى كما أتى منها أول مرة إيّاك أن تعترض عليه كما اعترض الفريسيون من دون بينة وبرهان...

أسكنت في القصور وسلطان الظهور في أخرب البيوت دعها لأهلها ثم أقبل إلى الملكوت... قم باسم ربك الرحمن بين ملأ الأكوان وخذ كأس الحيوان بيد الاطمينان أن اشرب منها أولاً ثم اسق المقبلين من أهل الأديان...

أن اذكر إذ أتى الروح أفتى عليه من كان أعلم علماء عصره وآمن به من يصطاد الحوت فاعتبروا يا أولي الألباب...

أن يا رئيس القوم أن استمع لما ينصحك به مصوّر الرمم من شطر اسمه الأعظم بع ما عندك من الزينة المزخرفة ثم أنفقها في سبيل الله مكوّر الليل والنهار. دع المُلك للملوك ثم اطلع من أفق البيت مقبلاً إلى الملكوت ومنقطعاً عن الدنيا ثم انطق بذكر ربك بين الأرض والسماء كذلك أمرك مالك الأسماء من لدن ربك العزيز العلاّم."(٧)

تجدر ملاحظة مغزى سقوط سلطنة البابا الدنيوية بنحو درامي، بعد نزول هذا اللوح بزمن قصير وبفعل أثر كلمات الآب السماوي. تلك السلطنة التي أثبتت طيلة عدة قرون بأنها كانت أكثرها قوة في العالم المسيحي ولكنها كانت آخذة بالتضاؤل من حيث القوة والنفوذ لبعض الوقت.

وكتب حضرة شوقي أفندي، في تقييمه لهذا الحدث، ما يلي:

في سنة ١٨٧٠م، بعد إنزال حضرة بهاءالله لوحاً للبابا پيوس التاسع، شنّ الملك ڤكتور عمانوئيل الأول حرباً ضد الدويلات البابوية، ودخلت جيوشه روما

واحتلتها. في عشية الاحتلال، قصد البابا اللاتران[1] وصعد، رغم تقدّم سنّه وبوجه مبلل بالدمع، زاحفاً على ركبتيه إلى سكالا سانتا (الدرج المقدس). ومع بدء قصف المدفعية صباح اليوم التالي، أصدر أمراً برفع العلم الأبيض فوق قبة القديس بطرس. وإن سُلِبَ بذلك النحو، رفض البابا الاعتراف بهذا "المخلوق الثوري"، وحرم كنسياً الذين احتلوا دويلاته، مستنكراً ڤكتور عمانوئيل وواصفاً إيّاه "الملك اللص" وبأنه "غافل عن كل مبدأ ديني، ومستهين بكل حق، ودائس على كل قانون". وأخيراً صارت روما، "المدينة الخالدة، التي عرفت خمس وعشرين قرناً من المجد"، وتوالى عليها حكم البابوات بحق غير قابل للنزاع لمدة عشرة قرون، صارت أخيراً مقراً للمملكة الجديدة، ومسرحاً لتلك المذلّة التي تنبأ بها حضرة بهاءالله والتي جلبها سجين الڤاتيكان على نفسه.

'كانت الأعوام الأخيرة من حياة البابا المسن مليئة بالكروب' طبقاً لما كتبه أحد المعلّقين على حياته. 'فإلى جانب علله البدنية أضيف همّ مشاهدة انتهاك الدين، في أغلب الأحيان، في قلب روما، ومؤسسات الرهبنة تُسلب وتُضطهد، والأساقفة والقسيسين ممنوعين من أداء وظائفهم.'

هذا ولم تثمر أيّ من الجهود لتصحيح الوضع الذي خُلق في سنة ١٨٧٠م. فقد استقبل مطران پوسان ببرود عندما ذهب لڤرساي التماساً لتدخل بسمارك لجانب البابوية. فيما بعد نُظم حزب كاثوليكي في ألمانيا بهدف الضغط سياسياً على مستشار ألمانيا. إلاّ أن كل ذلك راح سدى. فالعملية الجبارة آنفة الذكر كانت ماضية في مسارها دون توقف. وحتى هذا الحين، بعد أزيد من نصف قرن، لم يُجْدِ ما يسمى باستعادة السلطة الدنيوية إلاّ بتوكيد عجز هذا الأمير القوي فيما مضى والذي كان الملوك يرتجفون من اسمه، ولسلطته الثنائية طوعاً يستسلمون. وحتى هذه السلطة الدنيوية، التي تنحصر داخل مدينة الڤاتيكان الصغيرة، وتترك روما مُلكاً لا يُنازع بيد ملكية علمانية، كانت قد اكتسبت على حسابه اعترافاً غير مشروط، طال وتأخر الإحجام عنه،

(١) قصر البابا الصيفي.

بالمملكة الإيطالية. أمّا معاهدة لاتيران، التي تدعي تسوية روما تسوية نهائية، فقد ضمنت في الواقع لسلطة دنيوية، فيما يتعلق بالمدينة المطوّقة (الڤاتيكان)، مجالاً في حرية التصرف مملوء بالشكوك والمخاطر. وسجّل أحد الكتّاب الكاثوليك ملاحظاً: 'إن روحَيْ المدينة الخالدة قد انفصلا عن بعضهما فقط ليعودا يصطدمان بشدة أكثر من ذي قبل.'

وقد يتذكر الحبر الأعظم جيداً عهد من كان أقوى سابقيه، إينوتشنته الثالث الذي نَصّب وعَزل، خلال الثماني عشرة سنة البابوية، ملوكاً وأباطرة، وأوامر تحريمه التي سبّبت تعطيل العبادات المسيحية بين بعض الأمم، وعند قدميْ ممثله سلّم ملك إنجلترا تاجه، واستجابة لصوته انطلقت حملات الحرب الصليبية الرابعة والخامسة.(٨)

"لوح القيصر ألكساندر الثاني"

لوح آخر نزل في عكاء هو "لوح قيصر الروس ألكساندر الثاني". وقد أنزل باللغة العربية. يعلن فيه حضرة بهاءالله عن مقامه، معرّفاً نفسه بأنه الآب السماوي، ويدعوه للقيام باسمه وإعلان أمره بين الأمم. فيما يلي بعض كلمات حضرة بهاءالله التي خاطب بها القيصر:

"أن يا مَلك الروس أن استمع نداء الله المَلك القدوس ثم أقبل إلى الفردوس المقر الذي فيه استقر من سُمّي بالأسماء الحسنى بين ملأ الأعلى وفي ملكوت الإنشاء باسم الله البهي الأبهى، إيّاك أن يحجبك هواك عن التوجّه إلى وجه ربك الرحمن الرحيم... إيّاك أن يمنعك المُلك عن المالك إنه قد أتى بملكوته وتنادي الذرات قد ظهر الرب بمجده العظيم، قد أتى الأب والابن في الواد المقدس يقول لبيك اللهم لبيك والطور يطوف حول البيت والشجر ينادي بأعلى النداء قد أتى الوهّاب راكباً على السحاب طوبى لمن تقرّب إليه ويل للمبعدين، قم بين الناس بهذا الأمر المبرم ثم ادعُ الأمم إلى الله العلي العظيم."(٩)

وفي وصف علوّ ظهوره وعظمته، يكتب حضرة بهاءالله:

"قل هذا نبأ استبشرت به أفئدة النبيين والمرسلين، هذا لهو المذكور في قلب العالم والموعود في صحائف الله العزيز الحميد... منهم من ناح في فراقي ومنهم من حمل الشدائد في سبيلي ومنهم من فدى نفسه لجمالي إن أنتم من العارفين، قل إني ما أردت وصف نفسي بل نفس الله لو أنتم من المنصفين، لا يُرى فيّ إلاّ الله وأمره لو أنتم من المتبصرين، قل إني أنا المذكور بلسان أشعيا وزُيّن باسمي التوراة والإنجيل..."(١٠)

لكن نصائح حضرة بهاءالله وقعت على آذان صمّاء. فاستمر ألكساندر الثاني يحكم بلاده، دون أن تؤثر فيه دعوة رسالة بهذه الرفعة والعزة، إلى سنة ١٨٨١م حينما اغتيل، وبظهور البلشفية عام ١٩١٧م أبيدت أسرته.

في إحدى فقرات هذا اللوح يشير حضرة بهاءالله إلى تضرّع القيصر إلى الله لكن دون أن يكشف تفصيله، فيكتب:

"إنا سمعنا ما ناديت به مولاك في نجواك لذا هاج عرف عنايتي وماج بحر رحمتي وأجبناك بالحقّ إن ربك لهو العليم الحكيم."(١١)

كان أحد مؤمني إصفهان، آقا محمد رحيم، قد سُئل من قبل قنصل روسي في إستراباد بشأن الفقرة أعلاه. فيما يلي روايته كما جاءت في مذكرات الأستاذ علي أكبر البنّاء[1] من يزد:

اعتنق آقا محمد رحيم أمر الله في أيام شهدت اضطهادات ومحناً. لكنه لم يدع الإعراض يصدّه، بل راح يبلّغ أمر الله علناً مما أدى إلى إيمان بعض النفوس في حين قام آخرون على الإعراض والعداء بنيّة إيذائه، ومن بينهم خصوصاً

(١) كان الأستاذ علي أكبر من أتباع حضرة بهاءالله البارزين واستشهد في يزد في عام ١٩٠٣م. عاش بضع سنوات في عشق آباد وقدم خدمات جلّى للأمر المبارك. وتقص مذكراته غالبا تاريخ الأمر والأحباء في عشق آباد. وقد نزل "لوح التجليات" في حقه. سنتطرق إليه بتفصيل أوفى في المجلد القادم.

والده الذي ناصبه عداءً شديداً. أخيراً اضطر لترك ثروة أسرته ورفاهها، وهاجر منقطعاً عن كل أمور الدنيا، إلى سبزوار (مقاطعة خراسان) حيث اشتغل لفترة في مناجم النحاس. فيما بعد، ونتيجة اضطهاد المؤمنين في سبزوار قرر مغادرتها إلى عشق آباد حيث أقام فيها حتى نهاية حياته.

إضافة لكونه مبلّغاً قديراً لأمر الله، كان آقا محمد رحيم كاتباً أيضاً. زار عكاء مرتين خلال حياته وفاز بلقاء حضرة بهاءالله. وقد أخبرنا هذه القصة:

'قبل ذهابي للتشرف بزيارة حضرة بهاءالله لأول مرة، كان القنصل الروسي في إستراباد قد أسرّ لتاجر أرميني رغبته في ملاقاة أحد البهائيين من سبزوار يأتيه ببعض الكتب البهائية. وقد تبرّع بدفع ما يترتب على ذلك من مصاريف. وفعلاً، أبلغ التاجر الأرميني الرسالة إلى الحاج محمد كاظم، وهو تاجر (بهائي) من إصفهان. بعد تشاور الأخير مع مؤمنين آخرين تقرر أن أقوم أنا بالمهمة.

كتب التاجر الأرميني رسالة تعريف إلى القنصل وأخذتها معي كما أخذت بعض الكتب البهائية. سافرت إلى إستراباد حيث قصدت القنصل بعد يومين من وصولي وسلمته الرسالة. دعاني لأقيم معه في منزله، ففعلت. كنا نتحدث سوية في الأمسيات، حيث تكلم عن بعض جوانب تاريخ أمر الله التي يعرفها، بينما زوّدته من جانبي بمواضيع لم يكن مطّلعاً عليها بعد. قال لي ذات ليلة: 'كان الهدف الرئيس من دعوتك هنا هو أن أسألك عن معنى العبارة التالية التي وردت في لوح بهاءالله للقيصر وهي: **(إنا سمعنا ما ناديت به مولاك في نجواك لذا هاج عرف عنايتي وماج بحر رحمتي وأجبناك بالحقّ إن ربك لهو العليم الحكيم)**.

فماذا سأل القيصر في دعائه واستجيب له؟ لم أكن أعلم بماذا أجيب، لذا قلت: 'الله أعلم بذلك'. فقال: 'هذا واضح، لكن كيف تفسر هذه العبارة؟' فتأملت قليلاً بالموضوع ووصلت إلى استنتاج مفاده أن الملوك عادة لا يطلبون من الله سوى الانتصار في فتوحاتهم وهزيمة أعدائهم... ولعل القيصر كان يريد أن يعكس هزيمة روسيا في حرب القرم، قد سأل الله النصر في حربه مع

العثمانيين وليتمكن من احتلال مدنهم. فنقلت للقنصل كل ما كنت أفكر به بهذا الخصوص واقترحت عليه بأن يكتب رسالة للقيصر يُعلمه بأن دعائه سوف يستجاب وما عليه إلاّ أن ينفذ خططه ونواياه.

بعد بضعة أيام دفع لي مصاريف عودتي لموطني. لكنني في سري كنت أخشى أن يكون تفسيري للوح غير صحيح، فانتابني القلق حول هذا الموضوع. ظلّ قلبي يتأرجح بين الخوف والرجاء حتى سفري إلى عكاء حيث نزلت في نزل للمسافرين. لم يمر وقت طويل قبل مجيء ميرزا آقا جان (كاتب وحي حضرة بهاءالله) لزيارتي. من جملة ما سألني: 'ما هي الأمور التي قلتها للقنصل الروسي؟' وقد زادني ذلك خشية وقلقاً وبقيت صامتاً. بعد ساعة تقريباً جاء لزيارتي الغصن الأكبر (ميرزا محمد علي، ابن حضرة بهاءالله الذي أصبح فيما بعد الناقض الأكبر لعهد حضرته). سألني أيضاً السؤال نفسه مما زاد في قلقي.

في الصباح التالي حضر الغصن الأعظم (حضرة عبدالبهاء). حينذاك شعرت بضرورة إخباره بكل ما حدث بالدقة واعترفت بخطأي فيما صرّحت به. فتفضل حضرة عبدالبهاء قائلاً: 'افرح واطمئن إذ ما صرّحت به كان صحيحاً، لأن في أحد الأيام ذكر الجمال المبارك بأن في تلك اللحظة بالذات هناك شخص يقرأ لوح القيصر. ثم ذكر حضرة بهاءالله اسمك بعد ذلك قائلاً: "لقد سأل القنصل الروسي أحد عبادنا: ''ماذا كانت مناجاة الملك؟'' والجواب الذي تلقاه كان صحيحاً." بعد ذلك كشف عن اسمك قائلاً: "كان ذلك آقا محمد رحيم الإصفهاني."[1] فشكرت الله لذلك وسررت أيّما سرور لسماعه.(١٢)

هذه الأفكار التي خطرت ببال آقا محمد رحيم ونقلها للقنصل الروسي، تشير لحرب سنة ١٨٧٧–١٨٧٨م بين روسيا وتركيا. ويبدو أن القيصر شن تلك الحرب ليثأر لاندحار والده في حرب القرم. في البداية أحرزت جيوشه تقدماً ملموساً

(١) ليست هذه كلمات حضرة بهاءالله أو حضرة عبدالبهاء بالنص. بل هي ذكريات آقا محمد رحيم.

وكانت تتحرك نحو الآستانة. لكن بعد ذلك أوقف زحفهم من قبل الأتراك وفي المعارك التي تلت هلك العديد من الجنود الروس. في تلك الآونة تراءى للقيصر شبح هزيمة أخرى، وعلى هذا استنتج آقا محمد رحيم بأن القيصر في ذلك الوقت توجه لله في دعائه سائلاً عونه. في لوحه للقيصر يصرح حضرة بهاءالله بأن تضرعات القيصر وصلاته قد استجيبت.

تجدر الملاحظة هنا بأن حضرة بهاءالله كان قد تنبأ في "سورة الرئيس" التي أنزلها قبل بضع سنين في طريقه إلى عكاء، بما سيحل بحكومة تركيا وشعبها من نكبات عقاباً من الله لما اقترفوه من مظالم نحوه وأتباعه. وأكد ذلك فيما بعد في "الكتاب الأقدس" حيث استنكر مجدداً الحكم الظالم في تركيا وتنبأ بسقوطه.[١]

كان اغتيال السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٦م بداية العقاب، ثم تلته حرب ٧٧–١٨٧٨م التي جلبت نصراً للروس وبدأت معها عملية تفكك الإمبراطورية العثمانية. فقد احتل الروس أدرنة وتحرر ما لا يقل عن أحد عشر مليون شخص من وحشية ذلك النظام المستبد.

"لوح الملكة ڤكتوريا"

خاطب حضرة بهاءالله الملكة ڤكتوريا بلوح أنزله باللغة العربية مفعماً بالنصائح والتوجيهات. يعلن فيه مجيء الرب بمجده العظيم ويدعوها للإقبال إلى أمره:

"يا أيتها الملكة في اللوندرة أن استمعي نداء ربك مالك البرية من السدرة الإلهية إنه لا إله إلاّ أنا العزيز الحكيم، ضعي ما على الأرض ثم زيني رأس المُلك بإكليل ذكر ربك الجليل إنه قد أتى في العالم بمجده الأعظم وكمل ما ذُكر في الإنجيل... دعي هواك ثم أقبلي بقلبك إلى مولاك القديم، إنا نذكرك لوجه الله ونحب أن يعلو اسمك بذكر ربك خالق الأرض السماء إنه على ما أقول شهيد."(١٣)

(١) انظر الصفحات ١٥٦–١٥٩.

يثني حضرة بهاءالله على الملكة في هذا اللوح لأنها **"منعتِ بيع الغلمان والإماء"**، وكذلك لأنها **"أودعتِ زمام المشاورة بأيادي الجمهور"**. هذا وتجدر الملاحظة هنا بأن حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" قد حرم تجارة العبيد. وهو يؤيد نظم الحكم الذي يتولى فيه السلطة ممثلون عن الناس. في لوحه للملكة ڤكتوريا ينصح حضرته أعضاء مجلس البرلمان البريطاني بهذه الكلمات:

"ينبغي لهم بأن يكونوا أمناء بين العباد ويرون أنفسهم وكلاء لمن على الأرض كلها، هذا ما وُعظوا به في اللوح من لدن مدبّر حكيم... طوبى لمن يدخل المجمع لوجه الله ويحكم بين الناس بالعدل الخالص ألا إنه من الفائزين..."(١٤)

ما أشد التباين بين هذه التعاليم السامية، التي تشكل السمات المميزة للمؤسسات التي يضمها اتحاد العالم البهائي[١] في المستقبل، والمؤسسات السياسية الراهنة التي يكافح فيها كل واحد من أجل ذاته ووطنه وبمعزل عن غيره!

إن المبدأ الأساسي لوحدة العالم الإنساني، وهو في صلب تعاليم دين حضرة بهاءالله الذي وعد هو بتحقيقه على الصعيد الروحاني عند تمام الوقت في عصر دينه الذهبي، يلعب دوراً هاماً في مواقف وسلوك أتباعه في حياتهم اليومية. ذلك لأن نظرة عالمية كهذه، أي أن البشرية جنس واحد من خلق إله واحد أحب خلقهم، بالنسبة للبهائي تسمو على كل المفاهيم والمعايير بهذا الشأن.

في هذا اللوح للملكة ثبّت حضرة بهاءالله هذا المبدأ الأساسي ليعمل به أعضاء البرلمان. أما بخصوص نصحه: **"ويرون أنفسهم وكلاء لمن على الأرض كلها"** فقد يكون مقبولاً لبعض الناس على أساس أخلاقي، لكنهم يعتبرون أنه لا يمكن

---

(١) لدراسة "الكومونولث البهائي العالمي" انظر كتاب "النظام العالمي لحضرة بهاءالله"، الصفحات ١٦١-٢٠٦ (من الأصل الإنجليزي)، وكتابات أخرى لحضرة شوقي أفندي.

تنفيذه عملياً في عالم منقسم على نفسه بهذا الشكل، وقد يرى البعض الآخر، ممن لم يقرّوا بعد بالمصدر الإلهي لرسالة حضرة بهاءالله، استحالة تطبيقه. أمّا في نظر الذين اعتنقوا دينه ويشهدون حالياً ممارسة هذه الروح من المحبة العالمية في نطاق مجالسهم المحلية والقطرية والعالمية، فلا يراودهم شك في أن أعضاء هذه المجالس، وهي تتطور من مرحلتها الجنينية الراهنة لحين وصولها إلى نقطة في المستقبل تتبناها المجتمعات الإنسانية نظاماً للحكم، إن أولئك الأعضاء، عبر هذا التطور، سيكونون قد اكتسبوا في كل بقاع الأرض من هذه النظرة العالمية الشاملة ما تتحقق معه بصورة تامة نصيحة حضرة بهاءالله آنفة الذكر في هذا اللوح. حينذاك يتحقق أيضاً "الصلح الأكبر" الذي أشار إليه حضرته.

عن وحدة العالم

في لوحه للملكة نجد أن حضرة بهاءالله ينصح حكام الأرض بالعمل على تأسيس السلام والصلح في العالم. ثم يعقب ذلك بهذا التصريح الهام:

"لمّا نبذتم الصلح الأكبر عن ورائكم تمسّكوا بهذا الصلح الأصغر لعلّ به تصلح أموركم والذين في ظلّكم..."(١٥)

إن أي مراقب منصف يرغب بدراسة كتابات حضرة بهاءالله سوف يستنتج أن كل مبدأ أو نصح مما أتى به قبل أزيد من قرن، قد أصبح جزءاً من روح العصر، ولا سيما تلك المبادئ التي تمس الحياة الاجتماعية للإنسان على هذا الكوكب. كل ذلك يجري بينما الناس غافلون عن مصدر هذه التعاليم، وهم مدفوعون بصورة متزايدة بقوى خارجة عن سيطرتهم تأييداً وتنفيذاً لها.

أحد هذه التعاليم هو تأسيس الصلح الأصغر، الذي هو شكل من أشكال السلام السياسي. وتوضع شروطه بين أمم العالم لمنع نشوب حروب عالمية. ويعتقد البهائيون بأنه لمّا كان ذلك مما دعا حضرة بهاءالله إليه فإن الصلح الأصغر لا محالة سيتحقق مثله كمثل تعاليمه الأخرى. إن الكلمات الإلهية الخلاقة التي نطق بها حضرة بهاءالله سوف تبسط نفوذها بحيث لا يسع الإنسان إلاّ الانصياع

وتأسيس الصلح الأصغر. فقد صنع الإنسان حتى الآن وخزن من أسلحة الدمار ما يكفي للقضاء على النوع الإنساني برمته. من المحتمل أن الصلح الأصغر سيكون الحل الأخير وخطوة لا مناص منها إنقاذاً للبشرية من هلاك تام.

ومع أن الصلح الأصغر، وهو نظام سياسي، أدنى بكثير من الصلح الأكبر وبعيد كل البعد عن النِعم والفضائل الذاتية للأخير، إلاّ أنه علامة هامة على الدرب المؤدي إلى المصير المجيد للإنسانية الذي تنبأ حضرة بهاءالله به. وبخصوص الصلح الأكبر، الذي يمكن اعتباره مرادفاً بمعناه لكل من تأسيس ملكوت الله على الأرض الذي تنبأ عنه حضرة المسيح، ورابطة الاتحاد العالمي البهائي، يكتب حضرة شوقي أفندي:

> أمّا السلام الأعظم بحسب الوضع الذي حدده بهاءالله فهو سلام يتحقق بنفحة رحمانية روحانية في هيكل العالم وبه تندمج كافة الشعوب والملل والأجناس، ولا سبيل إلى استقرار مثل هذا السلام وصيانته إلاّ بأن يقوم على أساس وقوة الأوامر الإلهية المنصوصة في صلب النظام العالمي قرين اسمه المقدس.(١٦)

مع تأسيس الصلح الأكبر وتفعيل روحانية شعوب العالم، فإن الإنسان سيصبح مخلوقاً نبيلاً متحلياً بفضائل وكمالات إلهية. هذه إحدى ثمرات ظهور حضرة بهاءالله التي وعد بها. سيبلغ الإنسان درجة من النبل ويتطور روحياً في المستقبل بحيث لن يحلو له أكل طعام ولا يستريح في بيت وهو يعلم بوجود أحد في مكان ما من العالم محروم من طعام أو مأوى. إن مهمة حضرة بهاءالله خلق مثل هذا النوع الإنساني الجديد.[١]

في لوحه إلى الملكة ڤكتوريا، يوجه حضرة بهاءالله نصحه أيضاً إلى أهل المجالس المنتخبين في أرجاء العالم بهذه الكلمات:

> **"يا أصحاب المجلس في هناك وديار أخرى تدبّروا وتكلّموا فيما يصلح به العالم وحاله لو أنتم من المتوسمين. فانظروا العالم كهيكل إنسانٍ إنه خُلق صحيحاً كاملاً فاعترته الأمراض بالأسباب المختلفة المتغايرة وما طابت**

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١٣٤ – ١٣٥.

نفسه في يوم بل اشتدّ مرضه بما وقع تحت تصرّف أطباء غير حاذقة الذين ركبوا مطيّةً الهوى وكانوا من الهائمين. وإن طاب عضو من أعضائه في عصر من الأعصار بطبيب حاذق بقيت أعضاء أخرى فيما كان، كذلك ينبّئكم العليم الخبير. واليوم نراه تحت أيدي الذين أخذهم سكر خمر الغرور على شأن لا يعرفون خير أنفسهم فكيف هذا الأمر الأوعر الخطير. إن سعى أحد من هؤلاء في صحّته لم يكن مقصوده إلاّ بأن ينتفع به اسماً كان أو رسماً لذا لا يقدر على برئه إلاّ على قدر مقدور."(١٧)

لقد مضت مائة سنة الآن منذ أن نطق المظهر الكلي الإلهي بهذه الكلمات، وهو الطبيب الإلهي الحق الذي أتى لبرء علل البشر. ومنذ ذلك الحين الذي صدرت عنه تلك الكلمات الزاخرة بالتنبوءات، تدهورت أوضاع العالم بنحو خطير. فقط عندما تعترف البشرية ككل بحضرة بهاءالله على أنه الطبيب الإلهي وتعتنق دينه، ستتحقق كلماته هذه التي خاطب بها الملكة ڤكتوريا:

"والذي جعله الله الدّرياق الأعظم والسبب الأتمّ لصحّته هو اتحاد من على الأرض على أمرٍ واحدٍ وشريعةٍ واحدةٍ هذا لا يمكن أبداً إلاّ بطبيب حاذق كامل مؤيد لعمري هذا لهو الحق وما بعده إلاّ الضلال المبين."(١٨)

لذا فإن أتباع حضرة بهاءالله لا يؤيدون الرأي السائد، وما أكثر الناس الذين يعتقدون به في كل مكان في العالم، من أنه بالإمكان حل المشاكل الخطيرة التي تواجه الإنسانية باستعمال وسائل العلاج المألوفة التي يبتدعها عقل الإنسان. بل يؤمن البهائيون إيماناً صادقاً بأن أحوال العالم المزرية لن تتحسن كلية بوسائل وإجراءات علمية، اقتصادية أو سياسية، وبأن ما من واحدة من الطرق السهلة التي استخدمت طوال القرن الماضي، ولا ما يتبع منها في الوقت الراهن، بإمكانها معالجة جسد البشرية المعلول علاجاً ناجعاً. يمكن لأي شخص متبصر محايد الوصول للاستنتاج نفسه. ذلك لأنه من الواضح جداً بأن مأزق الإنسانية، رغم كل الجهود المبذولة من قبل البشر عموماً، حكاماً وعقلاء، لتحسين وضع العالم، ورغم كل معارفهم ومنجزاتهم، يستفحل يوماً بعد يوم.

في سنة **١٩٣١**م كتب حضرة شوقي أفندي بهذا الشأن:

إن البشرية، سواء من منظور سلوك الفرد أو العلاقات الراهنة فيما بين الجماعات المنظمة والأمم، قد أمعنت، للأسف، في التيه والضلال وعانت من فداحة الانحطاط ما لا يرجى معه خلاصها عن طريق المجهودات المستقلة غير المؤيدة لخيرة حكامها وساستها المعترف بهم –مهما خلصت نواياهم– ومهما اتسقت جهودهم، وتفانوا في اندفاعهم وتكريسهم لهذا الهدف. فما من منهج قد تبتكره حسابات أرفع السياسيين شأناً، أو خطة يأمل تقديمها أشهر أنصار ومفسري النظرية الاقتصادية، أو مبدأ قد يسعى أشد دعاة المثل الأخلاقية حماساً لغرسها في الأذهان، ما من شيء من هذا كله بقادر على أن يكون، في المدى الأخير، أساساً يمكن أن يستقر عليه مستقبل عالم مشتت الانتباه مذهول.

وليس من نداء للتسامح المتبادل قد يرفعه حكماء الدنيا، مهما كان مؤثراً ومستمراً، يمكنه تهدئة أهوائه أو المساعدة على إعادة حيويته. كما لن يجدي نفعاً أي مخطط عام، في أي ميدان من النشاط الإنساني، مهما بلغ من الإبداع والعبقرية في فكرته وتصوره، واتساع مداه، ولا يمكنه النجاح في إزالة جذور الشر الذي قلب اتزان المجتمع المعاصر. وكذلك بوسعي أن أقرر، أن حتى نفس القيام بابتكار الجهاز المطلوب لتوحيد العالم السياسي والاقتصادي –وهو مبدأ راج بكثرة في الآونة الأخيرة– لن يستطيع بحد ذاته تزويد ترياق ضد السم الماضي في تقويض حيوية المجتمعات البشرية المنظمة والأمم باطّراد.

أي شيء، ألا يحق لنا التأكيد واثقين، سوى قبول دون تحفّظ للبرنامج الإلهي الذي نادى به حضرة بهاءالله، منذ ستين عاماً وبهذه البساطة والقوة، والمتضمن في أساسياته مخططاً إلهياً لتوحيد الجنس البشري في هذا العصر، مقروناً بإيمان لا يتزعزع بفاعلية مضمونه لكل وكافة خصومه، أي شيء سوى هذا سيكون في النهاية قادراً على مجابهة قوى التحلل الداخلي التي، ما لم تُكبت، سوف تستمر

بالضرورة في عملية نحر حيوية مجتمع يائس. وإلى صوب هذا الهدف -هدف نظم عالمي، سماوي في أصله، يحتضن الجميع في مداه، عادل في مبادئه، ومتحدياً في ملامحه- يجب على بشرية منهكة أن تسعى.

أمّا أن يدّعي أحد الإلمام بكل ما ينطوي عليه المخطط الهائل لحضرة بهاءالله من أجل تضامن إنساني عالمي، أو أنه قد فهم أعماق مضمونها، فإنه تجرؤ وافتراض حتى بالنسبة للمسجلين من مؤيدي دينه. ومحاولة تخيله في كافة إمكاناته أو تقييم فوائده المستقبلية، أو تصور مجده، فإنه أمر سابق لأوانه حتى في هذه المرحلة المتقدمة من تطور البشرية.(١٩)

إن اتحاد العالم كما تصوره حضرة بهاءالله ليس مجرد نظام تتمتع البشرية بواسطته باتحاد سياسي والمشاركة بخيرات وثروات العالم بالعدل فيما بين الشعوب والدول. بل إنه ينطوي على أكثر من ذلك بكثير. فالاتحاد الذي يدعو له حضرة بهاءالله في ألواحه وكتبه هو قبل كل شيء اتحاد القلوب، وهذا يمكن أن يتحقق فقط حينما يعترف البشر بالمظهر الإلهي لهذا العصر ويقبلون إليه ويصبح محط اهتمامهم وتوجههم، مؤمنين بكلماته على أن الكل قد خُلقوا من قبل إله واحد ينبغي إطاعة ما أوصى به من محبة لكل إنسان.

إن البيان التالي لحضرة بهاءالله هو مفتاح اتحاد العالم:

"الأمل أن يتّجه أهل البهاء إلى الكلمة المباركة **(قل كلّ من عند الله)**. وهذه الكلمة العليا بمثابة الماء لإطفاء نار الضغينة والبغضاء المكنونة المخزونة في القلوب والصدور وإن الأحزاب المختلفة لتفوز بنور الاتحاد الحقيقي من هذه الكلمة الواحدة. **إنه يقول الحقّ ويهدي السبيل وهو المقتدر العزيز الجميل.**"(٢٠)

لقد بيّن التاريخ بأن كلمات المظاهر الإلهية وتعاليمهم خلاقة. فهي موهوبة بقدرة تمكنها من النفوذ في الأفئدة وتحرّك الناس لإطاعتها والعمل بها. في الواقع إن أعظم مهمة يضطلع بها كل مظهر إلهي خلال دورة رسالته هو بثّ القوى

الروحية في العالم بحيث تجعل المقبلين إليه ذواتاً مبتعثة بروح وحيوية متجددة. لكن كلمات الإنسان، مهما سمت في نوعها ومستواها، قاصرة عن التأثير في قلوب البشر وتوحيدهم.

إن مجيء مظهر إلهي للعالم مماثل جداً لحلول الربيع في الطبيعة. فأشعة الشمس وزخات الربيع تجدد الحياة في عالم المادة. وتظهر الأثمار في الصيف نتيجة ما أمده الربيع من قوى حيوية. ثم يأتي الشتاء وتدخل الطبيعة في سبات وبرودة. وعند حلول الربيع التالي تعيد العملية نفسها ثانية.

على غرار ذلك يكون مجيء المظاهر الإلهية. فعند كل ظهور يهبون جسد الإنسانية حياة روحية. لكن لكل منهم دورة، فترة محددة من الزمان تنتعش خلالها الإنسانية من تعاليمه وتنبعث فيها نبضات من أثر إشراقه على آفاق القلوب تكون سبباً في تقدمها. يلي ذلك انحدار وسقوط نحو النهاية، وذلك عندما تفقد تعاليم ذلك الدين فاعليتها تماماً. وبعد الوصول إلى هذه المرحلة يبعث الله رسولاً جديداً للبشر لإطلاق قوى روحية جديدة ليبعثوا مجدداً. وتأتي تعاليمه وفق أحوال ومتطلبات العصر الجديد.

إن تعاليم الله لهذا العصر، والتي أنزلها حضرة بهاءالله، تتمحور حول الوحدة والاتحاد، وهي الغاية التي تسعى نحوها إنسانية مغمومة. لكن الإنسان، مع كل موارده وقدراته، أعجز من أن يكون قادراً على تأسيس سلام دائم بين أمم وشعوب العالم المتحاربة. هذا رغماً عن حقيقة أن البشرية قد تقدمت تقدماً هائلاً في شتى ميادين المعرفة ويوجد في صفوفها نفوس، رجال ونساء، ظهرت منهم منجزات عظيمة في كل مناحي الحياة تقريباً على هذا الكوكب. لكن شيئاً واحداً أثبتوا عجزهم فيه -ألا وهو توحيد قلوب من هم أعداء لبعض، وجعلهم يحب بعضهم الآخر.

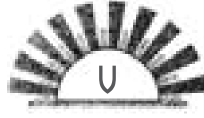
إشارة للاتحاد وتآلف القلوب اللذين توطدا بين القبائل العربية المتناحرة، يصرّح القرآن الكريم:

"... الله هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين. وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم."(٢١)

إن دراسة عابرة لطبيعة وتكوين الجامعة البهائية العالمية لتكفي برهاناً على التأثير الخارق لكلمات حضرة بهاءالله في إحداث وحدة فيما بين قلوب ملايين من الناس من شتى الأصول، أناس ينتمون لأي منبت يمكن تصوره في سائر أنحاء العالم. إن الوحدة التي تجمع بين أفراد هذه الجامعة متعددة الجنسيات والمتواجدة في كل بقاع الأرض، غير مستوحاة برغبة من أجل الصداقة أو أسباب نفعية أخرى. بل إنها وليدة وعي بمجيء مظهر إلهي[١] في هذا العصر، والخضوع لأوامره. فعندما يؤمن المرء بأن حضرة بهاءالله هو الناطق بلسان وحي الله لهذا العصر، يسهل عليه قبول تعاليمه والعمل بموجبها، وترك مختلف التعصبات القديمة التي أحدثت الانقسام بين البشر، واستبدالها بمحبة شاملة تضم كل إنسان. وهذا شبيه بأثر كلمات حضرة المسيح التي بدلت أتباعه في أوائل أيام المسيحية بحيث ألهمتهم العمل بما أمر به بإدارة الخد الآخر (إذا لُطم المؤمن على وجهه).

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٣٢٥.



"سورة الهيكل"

إنّ إحدى أهم وأخطر كتابات حضرة بهاءالله هي "سورة الهيكل". وكان حضرته قد أمر أن تستنسخ تلك السورة مع ألواحه إلى الملوك على هيئة نجمة خماسية ترمز لهيكل الإنسان. فنسخت الألواح بالترتيب التالي: "سورة الهيكل" نفسها، ثم "لوح البابا پيوس التاسع"، "لوح ناپليون الثالث"، "لوح القيصر ألكساندر الثاني"، "لوح الملكة ڤكتوريا" و"لوح السلطان" (ناصر الدين شاه). وفي ختام "سورة الهيكل" يربط حضرة بهاءالله بين هذا ونبوءة زكريا في العهد القديم بهذه الكلمات:

"كذلك عمّرنا الهيكل بأيادي القدرة والاقتدار إن أنتم تعلمون. هذا لهيكل الذي وعدتم به في الكتاب تقربوا إليه هذا خير لكم إن أنتم تفقهون. أن أنصفوا يا ملأ الأرض هذا خير أم الهيكل الذي بني من الطين. توجهوا إليه كذلك أمرتم من لدى الله المهيمن القيوم. أن اتبعوا الأمر ثم احمدوا الله ربكم فيما أنعم عليكم إنه لهو الحق لا إله إلاّ هو يظهر ما يشاء بقوله كن فيكون."(١)

يخاطب القلم الأعلى في مختلف فقرات هذه السورة هيكل المظهر الإلهي كاشفاً ما وهبه الله من آيات عظمته وبهائه. في جوابه عن سؤال بهذا الشأن(٢)، بيّن حضرة بهاءالله أن المقصود من الهيكل المخاطب في هذه السورة هو شخص حضرة بهاءالله، وكذلك الصوت الذي يخاطب الهيكل هو صوته نفسه. ومن المثير أن نعلم بأن المتكلم بصوت الله في هذه السورة هو المخاطَب نفسه.

في هذه السورة يبين حضرته بأن الهيكل قد جُعل مرآة تنطبع فيها وتنعكس عليها سلطنة الله ويظهر منها جماله وعظمته للبشرية جمعاء. بل قد وُهب الهيكل

القدرة ليفعل ما يشاء. في فؤاده أودعت بحور العلم والبيان، كما جُعل مظهراً لنفس الله لمن في السموات والأرض.

في إشارة لسمو العظمة والمجد اللذين اختص بهما الهيكل، يصرّح حضرة بهاءالله في هذه السورة:

"قل لن يرى في هيكلي إلاّ هيكل الله ولا في جمالي إلاّ جماله ولا في كينونتي إلاّ كينونته ولا في ذاتي إلاّ ذاته ولا في حركتي إلاّ حركته ولا في سكوني إلاّ سكونه ولا في قلمي إلاّ قلمه العزيز المحمود. قل لم يكن في نفسي إلاّ الحقّ ولن يُرى في ذاتي إلاّ الله."(٣)

من المستحيل على المرء أن يقدّر حق التقدير عظمة وقوة هذا الأثر البارز من قلم حضرة بهاءالله إلاّ في لغته الأصلية. يكفي لذلك القول بأنه في كل خطاب للهيكل فإنه يكشف عن وجه جديد للوحي الإلهي، وكأنما يفتح بذلك باباً يؤدي لسر مكنون في كتاباته، سر كان مخفياً عن أنظار العباد. وإذا ما قدّر لقلب طاهر أن ينال لمحة فقط من هذا الملكوت اللامحدود للوحي الإلهي والذي هو أبعد وأعمق من أن يدركه بعقله، فإن بوسع هذه اللمحة أن تغني بصيرته الروحانية بما لا يمكن لأي مصدر بشري أن يأمل بإعطائه.

ويصرح حضرة بهاءالله في أحد ألواحه إشارة لسعة سماء وحيه وغناها بالتالي:

"...تغمّسوا في هذا البحر الذي فيه سُتر لئالئ الحكمة والتبيان..."(٤)

إن كلمات حضرة بهاءالله هذه تصبح حقيقة عندما يتأمل المؤمن، وهو منقطع عن هذا العالم، بآيات "سورة الهيكل". ذلك لأنه سيجد في بواطن آياتها كثيراً من مثل هذه اللئالئ المستورة. ففكرة الهيكل، على هيئة شكل إنسان يرمز لشخص حضرة بهاءالله، هي بحد ذاتها حافز لأفكار عديدة وتفتح بدورها عدة أبواب لتفهم أعمق لوحي ظهوره. فبينما هيكل الإنسان مكوّن من لحم وعظم، إلاّ أن الهيكل هنا مكوّن من الكلمة الإلهية. ويصور حضرة بهاءالله ذلك بجلاء تام في هذه السورة الشهيرة، مضيفاً عليها مزيداً من الرمزية والحقيقة عندما يخاطب بعض أعضاء وأطراف ذلك الهيكل، وكذلك الحروف (هـ – ي – ك – ل) المكوّنة للكلمة.

كل كلمة وحرف ينطق بهما المظهر الإلهي يحمل من المعنى والدلالة ما يتعدى فهم الإنسان. فمثلاً هناك ألواح مطولة من قلم حضرة الباب وحضرة بهاءالله في تفسير حرف واحد مما ذكر في الكتب المقدسة للأديان السابقة. وسبق أن ضربنا لذلك أمثالاً في مجلد سابق.[1] يكشف حضرة بهاءالله في "سورة الهيكل" عن معاني الحروف المكوّنة لكلمة "هيكل"، وما أودع الله في كل منها من قدرات. فيصرّح أن الهيكل هو مبدأ وجود خلق جديد، وبأن الله سوف يبعث من كل حرف من هذه الحروف **"خلقاً لا يعلم عدّتهم إلاّ الله"** و**"يُشهد من وجوههم نضرة الرحمن" "ويتحركون حول أمر الله كما يتحرك الظل حول الشمس" "ويحفظون جمال الأمر من عجاج كل مشرك مبغوض" "ولا يخافنّ من أنفسهم في سبيل الله وينفقونها رجاء للقاء المحبوب"**. في هذا اللوح بشارات عديدة بخصوص ظهور نخبة من المؤمنين المخلصين الذين يدعوهم حضرة بهاءالله بالخلق البديع. وهذه الكلمات التي نزلت في "سورة الهيكل" بهذا الشأن:

"ويبعث بإرادته خلقاً ما اطّلع بهم أحد إلاّ نفسه المهيمن القيوم".(٥)

ينصح حضرة بهاءالله عين الهيكل بأن **"لا تلتفت إلى السموات وما فيها ولا إلى الأرض وما عليها لأنّا خلقناك لجمالي"**. ويعد بأن **"نبعث بك أعيناً حديدة وأبصراً ناظرة كل يشهدن بارئهم"**.

ويشير حضرة بهاءالله على سمع الهيكل بأن يطهر نفسه **"عن نعيق كل ناعق مردود ثم استمع نغمات ربك..."** ومرة أخرى يُنبئ بأن **"نبعث بك آذاناً مطهرة لإصغاء كلمة الله"** النازلة من قلمه في هذا اليوم.

ولسان الهيكل أيضاً مخاطب على هذا النحو – فإنه خلق لذكر اسم الله وثنائه. ويبشر بأن بخلق هذا اللسان **"نبعث ألسناً ناطقة كلها يحركن بالثناء في ملأ البقاء وبين ملأ الإنشاء ببدايع الذكر هم يذكرون"**.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١٣٢.

ثم يأمر حضرة بهاءالله الهيكل: **"فابسط يدك على من في السموات والأرض ثم خذ زمام الأمر في قبضة إرادتك"**. ويعد بأنه سوف **"نبعث من يدك أيادي القوة والقدرة والاقتدار ونظهر بها قدرتي لمن في ملكوت الأمر والخلق"**. وفي هذا المقام أنزل حضرته في هذه السورة ما يلي:

"فسوف يُخرَج الله من أكمام القدرة أيادي القوة والغلبة وينصرنّ الغلام ويطهرن الأرض عن دنس كل مشرك مردود ويقومنّ على الأمر ويفتحنّ البلاد باسمي المقتدر القيوم."(٦)

يصرّح حضرة بهاءالله بأن فؤاد الهيكل **"مخزن علم ما كان وما يكون"** وعن هذا العلم يتفضل حضرته قائلاً:

"ولنا علم أخرى لو نلقي على الكائنات كلمة منه ليوقنن كل بظهور الله وعلمه ويطّلعن بأسرار العلوم كلها ويبلغن إلى مقام الذي يشهدن أنفسهم غنياً عن علم الأولين والآخرين ولنا علوم أخرى التي لا نقدر أن نذكر حرفاً منها ولا الناس يستطيعن أن يسمعن ذِكراً منها كذلك نبأناكم من علم الله العالم الخبير."(٧)

يؤكد حضرة بهاءالله بأن من فيض علم فؤاد الهيكل سيبعث نفوساً **"ذا علوم بديعة وذا صنايعٍ قوية ونظهر منهما ما لا خطر به قلب أحد من العباد"**. هذا وقد تحققت فعلاً نبوءة حضرة بهاءالله هذه -وهي مجرد بداية. فقد سبق لنا القول[١] بأن ظهور حضرة الباب قد افتتح عهداً جديداً في ميادين العلوم والتقنية، والمواصلات بصفة خاصة، تمهيداً لمجيء حضرة بهاءالله. وهذا أمر حتّمته طبيعة رسالته العالمية التي بُعثت لجميع البشرية مما يجعل الافتراض منطقياً بأن الله الذي أوحى إليه بها هو نفسه الذي خلق الوسائل اللازمة لتسهيل نشرها وشيوعها على مستوى العالم، لأجل نقل نبأ مجيء حضرة بهاءالله إلى كل أطراف الأرض.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٢٣٠ – ٢٣٢.

إن في التقدم التقني الذي حصل في مجال الاتصالات منذ ظهور حضرة الباب ليشهد شهادة وافية على هذا. وظلت وسائل الاتصال تواكب دين حضرة بهاءالله في نموه وتقدمه باطراد. ففي أوائل أيام ولاية حضرته كان أتباعه يسيرون على الأقدام أو يركبون الدواب بصورة رئيسة في أسفارهم التبليغية، لكن لم يدم الحال طويلاً قبل استخدام البعض منهم السفن البخارية واسطة للسفر. فحملوا رسالته إلى الهند وبلدان أخرى بهذه الوسائط.

بعد صعود حضرة بهاءالله بفترة قصيرة، آن الأوان لنشر أمر الله في العالم، لا سيما الغرب، لكن كانت خطواته لا تزال بطيئة. وعندما توجّه حضرة عبدالبهاء إلى الغرب سافر بواسطة السفن البخارية والقطارات والسيارات. في ذلك الوقت بقيت الجامعات البهائية في معظمها معزولة عن بعضها والحركة بطيئة. لكن اليوم نرى الجامعة البهائية منهمكة في نشاط تبليغي هائل يشمل العالم كله. فحيثما تتوفر الحرية الدينية تجدهم يلفتون انتباه مواطنيهم لرسالة حضرة بهاءالله وبالتالي يعتنق أمر الله مزيد من الناس. ففي قارات الأرض الخمس هناك مئات من مشاريع التبليغ المحلية والعالمية، إضافة إلى الوظائف الإدارية التي تضم أناساً من كل الأمم والأجناس، جارية على قدم وساق. في كل هذه المشاريع يظهر واضحاً دور وسائل الاتصالات السريعة والعجيبة في تسهيل إنجازها، وهي جميعاً ما ابتكر وصنع حديثاً. ويعتقد البهائيون أن هذا ليس من قبيل الصدفة: فإن الله الذي دعا الناس إلى الاتحاد بواسطة رسالة حضرة بهاءالله، قد جهز الوسائل والأسباب لتأسيس هذا الاتحاد. في هذه الأثناء تستمتع البشرية من كل ذلك دونما وعي بالأسباب التي أتت بهذه المخترعات العجيبة.

وبلا شك سينظر الذين يجهلون أمر الله أو من لم يعترف بمقام حضرة بهاءالله، بعين الشك إلى الرأي القائل بأن وسائل المواصلات الحديثة إنما ظهرت بشكل رئيس نتيجة ظهور دين عالمي جديد. لأن ذلك يبدو من الغرابة بحيث يصعب قبوله. لكن عند استعراض تقدم دينهم، وجد أتباع حضرة بهاءالله أنه كلما احتاج نشر دينهم أو تأسيس نظمهم الإداري[1] لوسائل مادية، ظهرت الأخيرة في الوقت

(١) انظر كتابات حضرة شوقي أفندي للمزيد من الإلمام والتقييم للنظام الإداري لحضرة بهاء الله.

المناسب وكأنما بمعجزة. هذا وإن بعض المخترعات الحديثة التي لعبت دوراً حيوياً في تطور أمر الله كانت قد ظهرت في ذات الوقت الذي كان هناك حاجة معينة لها. لنأتِ بمثال واحد من بين كثير منها: لو جُمع ما أنزله حضرة بهاءالله من ألواح وكتب لقارب حجمها مائة مجلد. ولا يقل ما ترك حضرة عبدالبهاء من كتابات عن ذلك. وتتضمن آثار كل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء، بين موضوعات أخرى، تعاليم روحانية واجتماعية في طبيعتها، وأحكام ونصائح وتفاسير تخص عدة موضوعات تشمل الإنسان وغاية وجوده وعلاقته بالله. بالإضافة لذلك هناك كتابات وافرة لحضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله. فإلى جانب مؤلفاته الشهيرة، حرر ما لا يقل من ستة وعشرين ألف رسالة، بلغ حجم بعضها ما استوجب إصداره ككتاب. وتحتوي كتاباته على توجيهات لا تثمن كان قد زوّد بها العالم البهائي بصفته المبيّن الشرعي لكلمات حضرة بهاءالله. وعليه يتضح بأن الآثار البهائية المقدسة هائلة في حجمها وتحتوي على مواد تتناول مصالح حيوية لعموم البشر.

فعندما تأسس بيت العدل الأعظم، الهيئة الإدارية العليا لجامعة البهائيين في العالم، سنة ١٩٦٣م، كانت أمامه إحدى أشد الحاجات حيوية وضرورة وهي جمع وتمحيص كل آثار الشخصيات الرئيسة لأمر الله، وعمل فهرس شامل بكل ما فيها من موضوعات. كانت هذه ضرورة حيوية بالنسبة لهيئة أمر الله العليا التي كان عليها الولوج في كل واحد من هذه الموضوعات المسجلة في هذه الآثار، وذلك من أجل إرشاد الجامعة البهائية على ضوء تعاليم حضرة بهاءالله وهديها، وكذلك للاستعداد للتشريع في أمور لا تنص عليها هذه الآثار نصاً صريحاً، وذلك عند ملاءمة الوقت واقتضاء الحاجة لذلك.

لكن حين تشكيل بيت العدل الأعظم كان من المحال حتى محاولة إعداد هذا الفهرس الشامل. فمثل هذه المهمة الجبارة، التي تنطوي على إعداد قائمة مفصلة بكل موضوع تتطرق إليه هذه المجموعة الشاسعة من الآثار، لم يكن ممكنا عملياً أن تتم إذا أخذنا بعين الاعتبار صغر حجم الجامعة البهائية،

وعدم وجود الوسائل التقنية المتطورة آنذاك. لقد تزامن تقريباً اختراع هذه الوسائل الحديثة، مثل أجهزة الاستنساخ وآلات الطبع الإلكترونية واستعمالها التجاري، مع مولد الهيئة العليا لدين حضرة بهاءالله. وسرعان ما تمت تلك المهمة بعدئذ. ولولا ذلك التطور الذي جاء في الوقت المناسب والذي قد يبدو ضئيلاً الآن، يصعب أن يتصور المرء كيف كان لبيت العدل الأعظم أن ينجز وظائفه المقدسة بكفاءة داخل العالم البهائي، علماً بأن على الهيئة العليا أن تراجع، قبل اتخاذ أي قرار هام، آثار كل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي آخذة بعين الاعتبار كلماتهم ذات العلاقة بالموضوع قيد البحث.

وبينما يمضي المؤمنون قدماً في نشر أمر حضرة بهاءالله وترسيخه، يهيء الله الأسباب والوسائل لتقدمه وتثبيته في المدى الأخير كدين عالمي للبشرية جمعاء. فكل من قوى البناء وقوى الهدم في العالم تدعم انتشاره. بل إن عملية تفكك النظم القديم وطيّه بحد ذاتها هي خطوة إيجابية تفسح الطريق وتمهده لبسط النظم الجديد.

من ناحية أخرى وبفضل القوة الخلاّقة لظهور حضرة بهاءالله، فإن خلقاً جديداً من البشر ما زالوا يظهرون إلى الوجود ويقومون على نصرة أمره. وبما يقدم هؤلاء من تضحيات جمّة بالنفس والنفيس، تجذب تأييدات روحية تتضافر مع البركات المادية النازلة من سماء العناية الإلهية لتؤدي إلى تقدم عجلة أمر الله إلى الأمام.

يؤنب حضرة بهاءالله في "سورة الهيكل" أهل "البيان"(١) لعميهم عن رؤية أنوار ظهوره وذلك رغم أن حضرة الباب قد عكف على تربيتهم وإعدادهم لمجيئه. وفي هذه السورة ينسب نفسه بحضرة الباب عند مخاطبته البابيين:

---

(١) أتباع حضرة الباب. إلاّ أن مصطلح "أهل البيان" هنا يشير إلى أتباعه الذين لم يعتنقوا دين حضرة بهاءالله.

"ولو كان نقطة الأولى[1] على زعمكم غيري ويدرك لقائي تالله الحق لن يفارق مني ويستأنس بنفسي واستأنست بنفسه المقدس المهيمن العزيز القدير."(٨)

يطنب حضرة بهاءالله في هذه السورة في ذكر ما عاناه من بلايا على يد الذين نقضوا عهد حضرة الباب، وخانوا أمانته وأعرضوا عن أمره. ويذكر أيضاً **"بأنّا اصطفينا من إخواننا** (ميرزا يحيى) **أحداً ثم رشحنا عليه من طمطام بحر العلم رشحاً ثم ألبسناه قميص اسم من الأسماء وأرفعناه إلى مقام الذي قام الكل على ثناء نفسه وأحفظناه عن ضر كل ذي ضر"**.[2] لكن مع ذلك لمّا شاهد ميرزا يحيى غلبة حامل الرسالة الإلهية لهذا العصر، قام على معارضته وإنكاره، وقام على قتله وجاحد أمره. ويحذر حضرة بهاءالله أتباع ميرزا يحيى متحدياً عندما يعلن:**"أن يا ملأ البيان أنتم إن لن تنصروه** (أي حضرة بهاءالله) **فسوف ينصره الله بجنود السموات والأرضين ثم جنود الغيب بأمره كن فيكون ويُبعَث بإرادته خلق ما اطّلع أحد بهم إلاّ نفسه المهيمن القيوم"**.

يكشف حضرة بهاءالله في "سورة الهيكل" بأن الإنسان أعجز من أن يدرك قدرة الله. وبواسطة هذه القدرة ظهرت الكائنات في عالم الوجود. ويؤكد حضرته بأنه **"لو نريد أن نقبض كل الأرواح من كل الأشياء في نفس وأبعث منها لأقدر..."** وهذه هي كلماته بهذا الشأن:

"ولو نريد أن نظهر من ذرة شموساً لا لها بداية ولا نهاية لنقدر ونظهر كلها بأمري في أقل من الحين ولو نريد أن نبعث من قطرة بحور السموات والأرض ونفصل من حرف علم ما كان وما يكون لنقدر وإن هذا لسهل يسير."(٩)

---

(١) حضرة الباب.

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني. أعطي ميرزا يحيى لقب "صبح الأزل". وكان حضرة الباب قد عينه رئيساً لجامعة البابيين.

ويزيد حضرته في الشرح مبيّناً أن المخلوقات مثل **"الأوراق على الشجر وإنها قد كانت ظاهرة بوجودها وقائمة بنفسها ولكن كانت غافلة عن أصلها"**.

ففي "سورة الهيكل"، بينما يؤنب أهل البيان لضلالهم وعميهم عن ظهوره، فإن حضرة بهاءالله يشير إلى المظهر الإلهي الذي سوف ياتي من بعده.(١) وهذه كلماته:

"لم يكن مقصودي في تلك الكلمات نفسي بل الذي يأتي من بعدي وكان الله على ذلك شهيد وعليم. لا تفعلوا به ما فعلتم بنفسي."(١٠)

ما من شك بأن هذه الفقرة تشير للمظهر الإلهي القادم بعد حضرة بهاءالله لأن حضرة شوقي أفندي قد أيّد هذا في كتاباته.(٢) وفي لوح آخر هناك فقرة مماثلة بشأن المظهر الإلهي التالي:

"ليس خوفي من أجل نفسي بل على الذي يأتي إليكم من بعدي الذي يظهر بسلطان عظيم وقدرة غالبة."(١١)

إلاّ أن الفقرة التالية من كتابات حضرة بهاءالله وهي مماثلة لما اقتبس أعلاه تشير إلى شخص حضرة عبدالبهاء:

"تالله يا قوم! يبكي عيني وعين عليّ(٣) في الرفيق الأعلى، ويضج قلبي وقلب محمد في السرادق الأبهى، ويصيح فؤادي وأفئدة المرسلين عند أولي النهى... لم يكن حزني من نفسي بل على الذي يأتي من بعدي في ظلل الأمر بسلطان لائح مبين. لأن هؤلاء لا يرضون بظهوره وينكرون آياته ويجحدون بسلطانه ويحاربون بنفسه ويخادعون في أمره..."(١٢)

---

(١) حسب نص "الكتاب الأقدس" فإن المظهر الإلهي القادم لن يظهر قبل انقضاء ألف سنة على الأقل.

(٢) انظر "دورة حضرة بهاءالله"، الصفحة ٣٠.

(٣) حضرة الباب.

في كتابات حضرة بهاءالله هناك إشارات أو تشبيهات رمزية لظهور حورية السماء له.[1] وفي "سورة الهيكل" وصف بأسلوب ساحر قيام الحورية بإعلان دعوته وهي رمز "الروح الأعظم" -مصدر وحيه وإلهامه طوال فترة ولايته. هكذا يصف تجلّي هذا الروح الخفيّ الأخفى عليه:

"فلمّا شاهدت نفسي على قطب البلاء سمعت صوت الأبدع الأحلى عن فوق رأسي فلمّا توجهت إلى الفوق رأيت حورية ذكر اسم ربي معلقة في الهواء محاذى رأسي وشهدت بأنها مستبشرة في نفسها ومسرورة في سرها كأن طراز الرضوان يظهر من وجهها ونضرة الرحمن تعلن من خدها وكانت تنطق بين السموات والأرض بنداء قدس محبوب وتنادي كل الجوارح من ظاهري وباطني ببشارة التي استبشرت عنها نفسي واستبشرت منها عباد مكرمون وأشارت بإصبعها إلى رأسي وخاطبت كل من في السموات والأرض تالله هذا لمحبوب العالمين ولكن أنتم لا تفقهون وهذا لجمال الله بينكم وسلطانه فيكم إن أنتم تعرفون وهذا لسر الله وكنزه وأمر الله وعزه على من في ملكوت الأمر والخلق إن أنتم تعقلون."(١٣)

إنه لمن المستحيل على الإنسان فهم طبيعة المظاهر الإلهية والروح التي تحفزهم. وكما أنه من المستحيل أن يدرك كائن من المملكة الحيوانية طبيعة الإنسان، كذلك فإن الإنسان لا حول له في فهم حقيقة رسل الله، ذلك لأنهم ينتمون لعالم روحاني أسمى وأرفع من أن يطاله الإنسان. فيما سبق من دورات سماوية تجلّى روح القدس لمؤسسي ديانات العالم الكبرى ومكّنهم من تنزيل التعاليم الإلهية للبشرية. لكن الإنسان لن يتمكن من إدراك ذلك أو المرور بتلك التجربة. ومن أجل إبلاغ أتباعه بأنه قائم بالقدرة الإلهية، فقد أشار كل رسول بعبارات رمزية لمصدر وحيه وظهور روح القدس فيه. ففي كتب الديانات السماوية السابقة نقرأ كيف سمع حضرة موسى صوت الله من الشجرة المحترقة،

---

(١) انظر المجلد الأول.

وكيف هبطت حمامة من السماء على السيد المسيح، وكيف تلقّى حضرة محمد نبأ بعثته بواسطة الملاك جبريل. كل هذه رموز مختلفة لذات واحدة، روح القدس، التي تعمل كواسطة بين الله ومظاهر أمره. هذه الواسطة أشبه ما تكون بشعاع الشمس الذي ينقل طاقتها إلى الكواكب. أما حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي[1] الذي بشرت الكتب السماوية بقدومه على أنه قدوم يوم الله نفسه،[2] فقد صرّح في بعض ألواحه بأن روح القدس قد خُلق بحرف مما نزل من عنده. وفي "سورة الهيكل" يعلن ذلك بقوله:

"قل إن روح القدس قد خلق بحرف مما نزل من هذا الروح الأعظم إن أنتم تفقهون."(١٤)

يشير حضرة بهاءالله في كتاباته إلى أنه في حين أن تجلّي الوحي الإلهي قد تم في دورات أنبياء الله ورسله السابقين عن طريق وسيط، إلاّ أنه في هذه الدورة يمكن سماع صوت الله مباشرة من شخص حضرة بهاءالله. تأكيداً لهذا يصرّح حضرته في أحد ألواحه(١٥) بأن في هذا اليوم يمكن الاستماع للصوت نفسه الذي كلّم موسى من الشجرة المحترقة وذلك من حضرة بهاءالله مباشرة.

لدى قراءة مثل هذه البيانات قد يخطئ المرء بظنّه أن حضرة بهاءالله ينسب الألوهية إلى نفسه. إن مردّ مثل هذا الظن هو عجزنا عن فهم عوالم الله اللامحدودة. فعقولنا محدودة، بينما عالم مظاهر الله هي فوق منال إدراكنا. هذا وقد صرّح حضرة بهاءالله بجلاء بأن الله في جوهره وذاته لا يمكن أن يُعرف، والطريق إلى ذلك مسدود بوجه الكل بمن فيهم مظاهر أمره. في إحدى مناجاته يصف حضرة بهاءالله نسبته مع الله بهذه الكلمات:

"يا إلهي إذا أنظر إلى نسبتي إليك أحب بأن أقول في كل شيء بأنني أنا الله وإذا أنظر إلى نفسي أشاهدها أحقر من الطين."(١٦)

---

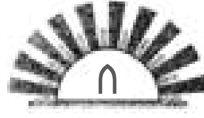
(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٣١١–٣١٣.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحات ٦٧، ٢٥١–٢٥٣.

إن مقام حضرة بهاءالله هو المظهر الكلي الإلهي. ومن خلال قراءة كلماته فقط والتأمل بها تأملاً خاشعاً قد نتمكن من اكتساب فهم محدود لما وُهب من صفات وقدرة إلهية، ويمكن إجمال وصفه بكلمات حضرة شوقي أفندي حين كتب بأنه "ظاهراً بعظمته الفائقة صافياً في بهائه ذي الرهبة والجلال الذي لا يتدانى".(١٧)

تضم "سورة الهيكل" عدة مواضيع متحدية. فكل سطر منها مشحون بقوة هائلة بينما كل موضوع يدل على عظمة أمر حضرة بهاءالله، عظمة تذهل وتتحدى التصور أحياناً. ونختتم حديثنا بالمقتبس التالي:

"قل اليوم قد هبّت لواقح الفضل على كل شيء بحيث حمل كل شيء على ما هو عليه إن أنتم أنفسكم لا تحرمون. مثلاً حملت الأشجار من أثمار البديعة والبحور من لئالىء المنيرة والإنسان من المعاني والعرفان والأكوان من تجلّيات الرحمن والأرض من بدايع الظهور فسوف يضعن كل حمله فتبارك الله من هذا الفضل الذي أحاط كل الأشياء عمّا يظهر وعمّا هو المكنون."(١٨)



الأمراء والعلماء

كان حضرة بهاءالله قد بدأ إعلان رسالته إلى الملوك وحكام العالم في الآستانة حيث بعث أول لوح إلى السلطان التركي (العثماني) عبد العزيز. في أدرنة بلغ إعلانه الذروة بإنزال "سورة الملوك"، وهي سورة مطولة موجهة للملوك مجموعين. استمرت عملية الإعلان تلك بنزول الألواح التي تشكل جزءاً من "سورة الهيكل"، وكملت بنزول "الكتاب الأقدس" خلال السنوات القليلة بعد حبس حضرة بهاءالله في عكاء.

الملوك المخاطبون في "الكتاب الأقدس"

إنّ "الكتاب الأقدس"، الذي سمّاه حضرة بهاءالله "قسطاس الحق"، هو أمّ الكتاب في دورته. في الفصول ١٣-١٧ من هذا المجلد بحث مستفيض أكثر عنه. لكن مما له دلالته أنْ يخاطب حضرته في هذا الكتاب أيضاً الملوك والحكام ورؤساء الدين مجموعين وبعضهم فرادى.

فيما يلي بعض الفقرات المنتخبة من "الكتاب الأقدس" يخاطب فيها حضرة بهاءالله حكام العالم بلسان العظمة والجلال داعياً إيّاهم لأمره:

"يا معشر الملوك قد أتى المالك والمُلك لله المهيمن القيّوم. ألاّ تعبدوا إلاّ الله وتوجّهوا بقلوب نوراء إلى وجه ربكم مالك الأسماء هذا أمر لا يعادله ما عندكم لو أنتم تعرفون. إنّا نراكم تفرحون بما جمعتموه لغيركم وتمنعون أنفسكم عن العوالم التي لم يحصها إلاّ لوحي المحفوظ. قد شغلتكم الأموال عن المئال هذا لا ينبغي لكم لو أنتم تعلمون. طهّروا قلوبكم عن

ذفر الدّنيا مسرعين إلى ملكوت ربكم فاطر الأرض والسماء الذي به ظهرت الزلازل وناحت القبائل إلاّ من نبذ الورى وأخذ ما أمر به في لوح مكنون... يا معشر الملوك قد نزل الناموس الأكبر في المنظر الأنور وظهر كل أمر مستتر من لدن مالك القدر الذي به أتت الساعة وانشق القمر وفصّل كل أمر محتوم. يا معشر الملوك أنتم المماليك قد ظهر المالك بأحسن الطراز ويدعوكم إلى نفسه المهيمن القيّوم. إيّاكم أن يمنعكم الغرور عن مشرق الظهور أو تحجبكم الدنيا عن فاطر السماء قوموا على خدمة المقصود الذي خلقكم بكلمة من عنده وجعلكم مظاهر القدرة لما كان وما يكون. تالله لا نريد أن نتصرّف في ممالككم بل جئنا لتصرّف القلوب. إنها لمنظر البهاء يشهد بذلك ملكوت الأسماء لو أنتم تفقهون. والذي اتّبع مولاه إنه أعرض عن الدنيا كلها وكيف هذا المقام المحمود. دعوا البيوت ثم أقبلوا إلى الملكوت هذا ما ينفعكم في الآخرة والأولى يشهد بذلك مالك الجبروت لو أنتم تعلمون."(١)

يخاطب حضرة بهاءالله القيصر ويلهلم الأول، إمبراطور ألمانيا، في "الكتاب الأقدس" بهذه الكلمات:

"قل يا ملك برلين اسمع النداء من هذا الهيكل المبين. إنه لا إله إلاّ أنا الباقي الفرد القديم. إيّاك أن يمنعك الغرور عن مطلع الظهور أو يحجبك الهوى عن مالك العرش والثرى كذلك ينصحك القلم الأعلى إنه لهو الفضال الكريم اذكر من كان أعظم منك شأناً وأكبر منك مقاماً أين هو وما عنده انتبه ولا تكن من الراقدين. إنه نبذ لوح الله وراءه إذ أخبرناه بما ورد علينا من جنود الظالمين. لذا أخذته الذلة من كل الجهات إلى أنْ رجع إلى التراب بخسران عظيم. يا ملك تفكر فيه وفي أمثالك الذين سخّروا البلاد وحكموا على العباد قد أنزلهم الرحمن من القصور إلى القبور اعتبر وكن من المتذكرين. إنا ما أردنا منكم شيئاً إنما ننصحكم لوجه الله ونصبر كما صبرنا بما ورد علينا منكم يا معشر السلاطين."(٢)

في الفقرة أعلاه يشير حضرة بهاءالله إلى ناپليون الثالث (**اذكر من كان أعظم منك شأناً...**) ويدعو الإمبراطور للاستجابة لندائه. لكن القيصر اختار تجاهل النداء ولم يستجب له.

بعد ذلك ابتدأ تعثر حظوظ ويلهلم الأول وحفيده ويلهلم الثاني، وانتهت بتفكك إمبراطوريته وتأسيس الجمهورية. وفي موضع آخر من "الكتاب الأقدس" يكشف حضرة بهاءالله عن هذه النبوءة العجيبة التي ظهر بجلاء تام تحققها الآن بمرور الحربين العالميتين:

"يا شواطئ نهر الرّين قد رأيناك مغطاة بالدماء بما سلّ عليك سيوف الجزاء ولك مرة أخرى ونسمع حنين البرلين ولو أنها اليوم على عزّ مبين."(٣)

ملك آخر ورد ذكره في "الكتاب الأقدس" بلهجة تأنيب كان ملك الهاپسبرگ، فرانسيس جوزيف، إمبراطور النمسا وملك هنغاريا. فقد زار القدس حينما كان حضرة بهاءالله في عكاء. بهذه الكلمات يعاتب حضرة بهاءالله الإمبراطور:

"يا ملك النمسة كان مطلع نور الأحدية في سجن عكاء إذ قصدتَ المسجد الأقصى مررتَ وما سئلتَ عنه بعد إذ رُفع به كل بيت وفُتح كل باب منيف. قد جعلناه مقبل العالم لذكري وأنت نبذت المذكور إذ ظهر بملكوت الله ربك ورب العالمين. كنا معك في كل الأحوال ووجدناك متمسكاً بالفرع غافلاً عن الأصل إن ربك على ما أقول شهيد. قد أخذتنا الأحزان بما رأيناك تدور لاسمنا ولا تعرفنا أمام وجهك افتح البصر لتنظر هذا المنظر الكريم. وتعرف من تدعوه في الليالي والأيام وترى النور المشرق من هذا الأفق اللميع."(٤)

بعد نزول هذه الكلمات بفترة وجيزة توالت سلسلة من الكوارث والمصائب على أفراد الأسرة الملكية مما جلب التعاسة لحكم الإمبراطور لكن هذه لم تكن سوى مقدمات للتلاشي النهائي لأسرة دامت في الحكم قرابة خمسمائة سنة، وتمزق إمبراطورية جبارة.

مملكة أخرى طالما أدانها حضرة بهاءالله كانت تركيا. وكما سبق ذكره[1] فإنه أنذر حكامها وأدانهم بشدة منذ أيام إقامته في الآستانة.

فيما يلي بعض نبوءات حضرة بهاءالله التي وردت في "سورة الرئيس":

"يا رئيس اسمع نداء الله الملك المهيمن القيوم... قد ارتكبتَ ما ينوح به محمد رسول الله في الجنّة العليا وغرّتك الدنيا بحيث أعرضتَ عن الوجه الذي بنوره استضاء الملأ الأعلى. سوف تجد نفسك في خسران مبين... سوف تبدل أرض السر وما دونها وتخرج من يد المَلِك ويظهر الزلزال ويرتفع العويل ويظهر الفساد في الأقطار وتختلف الأمور بما ورد على هؤلاء الأسراء من جنود الظالمين. ويتغير الحكم ويشتد الأمر بحيث ينوح الكثيب في الهضاب وتبكي الأشجار في الجبال ويجري الدم من الأشياء وترى الناس في اضطراب عظيم."(٥)

بعد نزول "لوح فؤاد" الذي تنبأ فيه بصراحة عن سقوط السلطان ونهايته[2] نطق حضرة بهاءالله بهذه الكلمات المنبئة في "الكتاب الأقدس":

"يا أيتها النقطة[3] الواقعة في شاطئ البحرين قد استقر عليك كرسي الظلم واشتعلت فيك نار البغضاء على شأن ناح بها الملأ الأعلى والذين يطوفون حول كرسي رفيع. نرى فيك الجاهل يحكم على العاقل والظلام يفتخر على النور وإنك في غرور مبين. أغرّتك زينتك الظاهرة سوف تفنى ورب البرية وتنوح البنات والأرامل وما فيك من القبائل كذلك ينبئك العليم الخبير."(٦)

إن سقوط السلطان عبد العزيز، ونهاية حكمه المخزي وحكم خلفائه، وانقراض أسرة تواجدت عبر ستة قرون ونصف، وتفكك إمبراطورية كانت تمتد سابقاً ما

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٥٥.

(٢) انظر الصفحة ٩٥.

(٣) الآستانة.

بين هنغاريا في أوروپا وبحر قزوين في آسيا ووهران في أفريقيا، وفوق كل ذلك انهيار الخلافة الإسلامية، أقوى مؤسسة في الإسلام، كل هذه الأحداث وقعت في الفترة القصيرة التي أعقبت إصدار "سجين عكاء" تحذيراته وإنذاراته الواضحة بإنزال أفدح المصائب جزاء وفاقاً لحكام تركيا الطغاة.

وقد كتب حضرة شوقي أفندي ملاحظات هامة حول زوال أسرة آل عثمان والخلافة:

ورغم أن حضرة بهاءالله كان قد نفي من وطنه فإن ذلك النفي لم يوقف تيار المصائب الشديدة التي استمرت تنصبّ عليه وعلى أتباع حضرة الباب. ذلك لأن حكم سلطان تركيا، العدو اللدود لأمر حضرة بهاءالله، بدأ فصلاً جديداً في سِفر بلايا حضرة بهاءالله ومصائبه. ولهذا فإن خلع السلطنة وزوال الخلافة اللذين هما عماد أهل السنّة من الإسلام لا يمكن أن ينظر إليه بغير منظار واحد وهو أنه جاء نتيجة حتمية لأشكال الفظاعة والاضطهاد المريع الذي أظهره ضد هذا الأمر ملوك آل عثمان خلفاء رسول الله محمد. ففي إسطنبول، مقر السلطنة والخلافة، قام رجال الحكم وجاهدوا لأكثر من ثلاثة أرباع قرن وعملوا بكل قوة وحماس لا يضارعه أيّ حماس آخر ليوقفوا تيار دين كانوا منه وجلين وله كارهين. ومنذ وطئت أقدام حضرة بهاءالله أرض تركيا وصار سجيناً لأقوى ملك إسلامي إلى السنة التي تحررت فيها الأرض المقدسة من النير التركي، كان الخلفاء المتعاقبون وخاصة السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد يعملون بما أوتوا من سلطة روحية ودنيوية على إيقاع المصائب والبلايا بمؤسس ديننا وبمركز عهده على شأن لا يمكن لنا سبر غورها وبما يعجز القلم واللسان عن وصفها، وما من أحد غيرهما (حضرة بهاءالله ومركز عهده) يقدّر كنه تلك البلايا والمصائب التي احتملاها...

إن الأوامر التي أصدرها هؤلاء الأعداء، والنفي الذي أفتوا به، والإهانات التي وجّهوها، والخطط التي دبروها، والتحريات التي أجروها، والإنذارات التي هددوا بها، والفظائع التي كانوا على استعداد لارتكابها، ثم المفتريات

والوضاعة التي لجأوا إليها هم ووزراؤهم وولاتهم وقادة عسكرهم - كل هذا يكوّن سفراً من الوقائع يصعب جداً وجود شبه له في تاريخ الأديان، بل إن مجرد سرد الوقائع البارزة في هذا السفر المشؤوم يكفي لملء مجلد ضخم. كان أولئك الأعداء على يقين من أن المركز الروحي والإداري للدعوة التي قاموا على قمعها قد أصبح الآن ضمن ممالكهم، وأن قادة تلك الدعوة مواطنون في الدولة التركية، وأن موارد أولئك المواطنين هي تحت رحمتهم. ورغم سبعين سنة من عنفوان السلطة التركية المطلقة والمدعمة بالمكائد الحثيثة المحاكة من قبل السلطات المدنية والدينية في بلد مجاور (إيران)، ورغم حصول تلك السلطة على الدعم الأكيد من تلك الزمرة الخائنة من أقرباء حضرة بهاءالله الذين عصوا أمره وانفصلوا عنه، فقد فشلت هذه السلطة الطاغية في النهاية في استئصال عصبة قليلة من رعاياها المحكومين. الحق أن هذا لحادث جدير بغير شك أنْ يظل في نظر كل شخص لا يدين بهذا الدين أبرز سفر وأعجب لغز بين أسفار التاريخ الحديث وأحاجيه!

فالأمر الذي كان حضرة بهاءالله زعيمه البارز قد فاز في النهاية فوزاً مبيناً رغم ما بذله عدو قصير النظر بحيث لا يمكن لعقل منصف، وهو يستعرض الحالات التي كانت محيطة بسجين عكاء، أنْ يتردد في الإقرار بهذا الفوز. ومع أن الشدة التي خفت وطأتها لفترة ما عادت بعد صعود حضرة بهاءالله إلى قوتها وانتعشت الأخطار المحدقة بموقف لم يكن قد استقر بعد فإن جراثيم الانحطاط المترصدة التي كانت تنخر منذ سنوات طويلة في عظام أمة مريضة كانت تقترب من نهايتها. فقد انسابت سلسلة من الأزمات الداخلية والاضطرابات والخلل كانت كل واحدة منها تفوق ما تقدمها وتعمل بدورها على إيقاع أشد ما عرف في التاريخ الحديث من مصائب. فكان اغتيال العاهل الظالم في سنة ١٨٧٦م متبوعاً باندلاع نيران الحرب بين روسيا وتركيا، فحروب التحرير، فقيام حزب تركيا الفتاة واندلاع الثورة التركية في سنة ١٩٠٩م مؤذنة بسقوط عبد الحميد، ونشوب حروب البلقان وما ترتب عليها من النتائج الخطيرة، ثم تحرير فلسطين التي تضم عكاء وحيفا المركز العالمي

للدين المتحرر، وانسلاخها من السلطنة بحكم معاهدة ڤرساي، وأخيراً خلع السلطنة وسقوط دولة آل عثمان وزوال الخلافة، وإلغاء دين الدولة الرسمي، وإبطال قوانين الشريعة واستبدالها بأخرى مدنية، وإبطال النظم المختلفة والعقائد والرسوم التي كانت متأصلة في صلب العقيدة وثيقة الاتصال بالدين الإسلامي - كل هذه الوقائع جرت وتمت بصورة سهلة سريعة لم يجرؤ أحد أن يتوقعه. وفي كل هذه الضربات الشديدة التي تمت على يد الصديق والعدو على السواء وبأيدي الأمم المسيحية ومن يقرون بالإسلام، شاهد كل تابع لدين حضرة بهاءالله المضطهَد آثار يد مؤسس الدين الذي صعد إلى عوالمه الأخرى وأجرى من ملكوته الأخفى طوفان البلاء المستحق على عقيدة وشعب متمردَيْن.

قارنوا بين العقاب الإلهي الذي حل بالذين اضطهدوا المسيح وبين هذا القصاص العجيب الذي حل في الشطر الأخير من القرن الأول من العصر البهائي وهوى إلى الحضيض بالعدو الرئيس لدين حضرة بهاءالله. ألم يحدث في إبّان النصف الثاني للقرن الأول المسيحي أن الإمبراطور الروماني، بعد حصاره الشديد لأورشليم، قد داس قدس الأقداس وخرب الهيكل وجرّده من كنوزه ونقلها إلى روما، وأقام مستعمرة وثنية على جبل صهيون وذبح اليهود ونفى وشتت من بقي منهم على قيد الحياة؟

قارنوا أيضاً بين كلمات المسيح المضطهَد، كما شهد الإنجيل، والتي وجهها إلى أورشليم وبين الخطاب الذي وجهه حضرة بهاءالله إلى إسطنبول بينما كان في سجنه البعيد وهو المنصوص في كتابه الأقدس. قال المسيح: **"يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أنْ أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً"**.وفي مقام آخر بينما كان يقترب من المدينة بكى عليها وقال: **"إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أخفى عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك**

وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك".(٧)

وجّه حضرة بهاءالله إلى رؤساء الجمهوريات في أمريكا الكلمات التالية النازلة في "الكتاب الأقدس":

"يا ملوك أمريقا ورؤساء الجمهور فيها اسمعوا ما تغنّ به الورقاء على غصن البقاء إنه لا إله إلاّ أنا الباقي الغفور الكريم. زيّنوا هيكل الملك بطراز العدل والتقى ورأسه بإكليل ذكر ربكم فاطر السماء كذلك يأمركم مطلع الأسماء من لدن عليم حكيم. قد ظهر الموعود في هذا المقام المحمود الذي به ابتسم ثغر الوجود من الغيب والشهود اغتنموا يوم الله إن لقاءه خير لكم عمّا تطلع الشمس عليها إن أنتم من العارفين. يا معشر الأمراء اسمعوا ما ارتفع من مطلع الكبرياء إنه لا إله إلاّ أنا الناطق العليم. أجبروا الكسير بأيادي العدل وكسّروا الصحيح الظالم بسياط أوامر ربكم الآمر الحكيم."(٨)

في كافة كتاباته هذه تنبعث رسالة وهدف واحد على الخصوص منها بلغة لا التباس فيها، وعبارات تتسم بالقوة والبيان والجلال، ألا وهو أن الله قد أظهر نفسه وأن الناطق بلسان عظمته في الأرض يدعو الملوك للإقبال إليه. والتحذيرات في كافة هذه الرسائل كذلك جلية لا تقبل الاشتباه ويمكن تلخيصها بالفقرة التالية النازلة في "سورة الملوك":

"وإنْ لن تستنصحوا بما أنصحناكم في هذا الكتاب بلسان بدع مبين يأخذكم العذاب من كل الجهات ويأتيكم الله بعدله إذاً لا تقدرون أنْ تقوموا معه وتكوننّ من العاجزين. فارحموا على أنفسكم وأنفس العباد."(٩)

منذ صدور تلك النداءات التي ذهبت دون استجابة، وغضب الله وعذابه يلاحق الملوك والملكية بفعل القوى المنبعثة من كلمات حضرة بهاءالله الخلاّقة. فما أعجب وأروع تحقق نبوءات حضرة بهاءالله التي تنذر باندثار سلطنة ملكيات استبدت طيلة العصور! وبهذا الشأن أصدر حضرة بهاءالله حكمه القاطع الجلي:

"رُفعت العزة عن طائفتين: الأمراء والعلماء."(١٠) لقد هوت الملكيات بسرعة بحيث في خلال بضعة عقود من السنين بعد إبلاغ إنذارات حضرة بهاءالله، أطيح بعدة ملكيات قوية بينما المتبقية منها فقدت سائر سلطاتها. قامت بعد ذلك ثورات، غالباً ما كانت مصحوبة بعنف، في مختلف مناطق العالم قلبت بنحو درامي نظام المؤسسات السياسية والحكومية برمته.

في باب الملكية

في "لوح سلمان" الذي سبق الإشارة إليه في الفصل الأول من هذا المجلد أنزل حضرة بهاءالله الملاحظة الهامة التالية عن نظام الملكية:

"ومن جملة علامات بلوغ العالم أن أحداً لن يتحمل أمر السلطنة. فتبقى السلطنة ولا يقترب أحد منها ليتحمل وحده وزرها. تلك هي أيام ظهور العقل ما بين البرية. طوبى لنفس قام وحمل ذلك الثقل العظيم **لإظهار أمر الله وانتشار** دينه وطوبى لمن قبل هذه المشقة والتعب **لحبّ الله وأمره ولوجه الله وإظهار دينه.**"(١١)

لقد أعطى حضرة بهاءالله في كتاباته ثلاث علامات لبلوغ الإنسانية رشدها. إحداها ما ورد في المقتبس أعلاه بشأن اضمحلال النظام الملكي وزواله. الآخر هو ما أشرنا إليه في المجلد السابق،[1] والمتعلق باكتشاف تحويل العناصر (الكيميائية)، أي قلب المعادن إلى ذهب. والثالث ورد في "الكتاب الأقدس" وهو الاتفاق على استعمال لغة عالمية مساعِدة (بجانب اللغات القائمة).

لكن يجب ألا يُستنتج مما جاء أعلاه بأن التعاليم البهائية تُدين الملكية، بل عكس ذلك إذ صرّح حضرة بهاءالله في أحد ألواحه:

"إن الجمهورية وإنْ كان نفعها راجعاً إلى عموم أهل العالم ولكن شوكة السلطنة آية من آيات الله لا نحب أنْ يحرم منها مدن العالم..."(١٢)

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٢٦٣.

هذا ومن المنتظر وفقاً للتعاليم البهائية أنْ تنبعث في المستقبل ملكيات دستورية تعمل بنحو صحيح مقبول في مختلف بلدان العالم.

في لوح آخر يتنبأ حضرة بهاءالله عن مستقبل هذا النظام بهذه الكلمات:

"فسوف يظهر الله في الأرض ملوكاً يتكئون على نمارق العدل ويحكمون بين الناس كما يحكمون على أنفسهم أولئك من خيرة خلقي بين الخلائق أجمعين."(١٣)

حول موقف التعاليم البهائية من النظام الملكي كتب حضرة شوقي أفندي هذا الشرح:

ولكن لا ينبغي أن يخطئ المرء فهم غاية حضرة بهاءالله أو يفسرها تفسيراً مخطئاً من غير قصد فإنه مهما قسا في تنديده بهؤلاء الملوك الذين اضطهدوه، ومهما عنّف في نقده وتجريحه لأولئك الذين عجزوا عجزاً بيناً عن القيام بواجب البحث عن حقيقة دينه أو الضرب على أيدي الظالمين، فإن تعاليمه لا تتضمن ما يمكن أو يؤول بالتنكر للنظام الملكي أو الحطّ من قدره لا تصريحاً ولا تلميحاً. أمّا سقوط الأسر المالكة الفاجع وزوال إمبراطوريات من تنبأ بنهايتهم المحزنة تنبؤاً خاصاً، أو إدبار الأمر عن ملوك عصره الذين ندد بهم عموماً – فهما أمران يدخلان في تكوين مرحلة منتهية من مراحل تطور دينه –، فلا ينبغي لحال من الأحوال أنْ يخلط بينها وبين مركز ذلك النظام في المستقبل. والواقع أننا لو أمعنا النظر في كتابات مؤسس الدين البهائي لما عجزنا أنْ نستكشف فقرات لا حصر لها ولا عد يمتدح فيها مبدأ الملكية بعبارات لا يمكن لأحد أنْ يسيء فهمها ويمجد فيها مكانة الملوك العادلين المنصفين ومسلكهم بل ويصور فيها قيام الملوك ليحكموا بين الناس بالعدل بل ويعتنقوا دينه ويلقن فيها واجب القيام على نصرة الملوك البهائيين. وعلى هذا فالاستدلال –من الكلمات الواردة آنفاً مما وجهه حضرة بهاءالله إلى ملوك الأرض أو من سرد هذه الكوارث الرهيبة التي داهمت كثيراً منهم، على أن أتباعه يعتنقون أو يتوقعون زوال النظام الملكي زوالاً تاماً – أمر يوازي تشويه تعاليمه.(١٤)

في "الكتاب الأقدس" ينبئ حضرة بهاءالله عن وقت سيعتنق فيه ملوك العالم وحكامه أمره، ويخص كلاً من هؤلاء بفيض بركاته. فيما يلي كلماته بهذا الصدد:

"طوبى لملك قام على نصرة أمري في مملكتي وانقطع عن سوائي إنه من أصحاب السفينة الحمراء التي جعلها الله لأهل البهاء ينبغي لكل أن يعزّروه ويوقّروه وينصروه ليفتح المدن بمفاتيح اسمي المهيمن على من في ممالك الغيب والشهود. إنه بمنزلة البصر للبشر والغرّة الغرّاء لجبين الإنشاء ورأس الكرم لجسد العالم انصروه يا أهل البهاء بالأموال والنفوس."(١٥)

بمناسبة الحديث عن الملوك الذين سيعتنقون أمر الله، يجدر هنا سرد قصة الحاج شاه خليل الله الفاراني، من المؤمنين المعروفين الذي حظي، رفقة والده اللامع، آقا مير محمد بيك، بمحضر حضرة بهاءالله بعكاء سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩م). كان من مواطني فاران[١] بمقاطعة خراسان. يصف بمذكراته وصولهما لعكاء وكيفية تشرفهما بمحضر حضرة بهاءالله:

أخيراً وصلنا إلى مدينة عكاء حيث نُقلنا إلى بيت المسافرين البهائيين الكائن في الخان[٢] حيث ينزل فيه الزوار (البهائيون) والمؤمنون المقيمون بالمدينة. انشرحنا كل الانشراح بصحبة هؤلاء المؤمنين المخلصين المنقطعين. في عصر ذاك اليوم جاء لزيارتنا حضرة عبدالبهاء. فاستنارت أبصارنا من نور محياه. ثم شرع يغمرنا بفيض ألطافه وسألنا عن رحلتنا وحال الأحباء في مختلف المدن. ونفخ في كياننا روح الانشراح والاطمئنان.

في اليوم التالي دُعينا لزيارة الجمال المبارك. والله أعلم بما كان عليه حالنا آنذاك. انهمرت الدموع من عيوننا عند مشاهدة طلعته. فتلطّف علينا لسان العظمة[٣] مخاطباً: 'هل رأيتم كيف أتت بكم يد القدرة إلى هنا؟ وإلاّ فإن

---

(١) انظر الصفحة ٧١.

(٢) خان العواميد. (أ. ط.)

(٣) حضرة بهاءالله. (أ. ط.)

فاران تقع في طرف، وعكاء في طرف آخر من العالم...»[1] بعد ذلك تحدّث إلينا بكلمات ملؤها العناية واللطف وأفاض علينا من البركات ما يعجز قلمي عن تسجيله... وهكذا في كل يوم نلنا شرف زيارته ورزقنا من سلسبيل فضله. خلال ذلك كانت عين ألطافه الفياضة غالباً ما تتوجه نحونا... وفي أحد الأيام دُعينا (لمحضره) حين تنزيل الوحي[2] حيث سمعنا تغنيات ورقاء الفردوس. سبحان الله! في مثل هذا الوقت لم تهتز النفس فقط وتطير إلى عوالم القدس بل حتى كل ما حولنا من جدران الحجرة وبابها بل الأشجار وأثمارها بدت تردد انفعالها واستجابتها. فكان الجمال المبارك مستقراً على عرش البيان، وينزل من غمام وحيه أمطار الآيات الغزيرة بينما يُسمع صرير قلمه الأعلى يسجل ذلك. في كل يوم كنا نستلم رزقنا من بركات حضوره ونعمنا بمنتهى الانشراح والسرور... وفي أحد الأيام علمنا في بيت المسافرين بأن حضرته سيتوجه إلى قصر البهجة...[3] بعد ذلك دُعينا إلى التشرف بمحضره في القصر... وتمت تهيئة مكان لإقامتنا بالمنطقة.(١٦)

وروى الحاج شاه خليل الله لبعض الأحباء قصة زيارة حضرة بهاءالله لهم في منزلهم في أحد الأيام، قال:

أخبر حضرة بهاءالله والدي يوماً بأنه سيأتي لزيارتنا عصراً. وصل ذلك اليوم مع عدد من أصحابه فكان شرفاً رفيعاً لكلينا بحضوره إذ غمرنا مجدداً ببحر عناياته وبركاته. وبعد فترة من الزمن نهض للمغادرة، فسرنا بصحبته حتى باب المنزل وبينما هو خارج أومأ لنا بإشارة بألاّ نتبعه أبعد من ذلك. بقيت أرقب هيكله الجميل من الخلف وهو يسير بهيبة وجلال حتى اختفى عن ناظري. سرحت في أفكاري وقلت لنفسي وأنا بتلك الحال: واحسرتاه! يا

(١) ليست هذه كلمات حضرة بهاءالله بالنص. (أ. ط.)

(٢) حول نزول الكلمة الإلهية انظر المجلد الأول، الصفحات ١٩–٤٦.

(٣) انتقل حضرة بهاءالله إلى القصر قبل ذلك بوقت طويل ولكنه كان يزور عكاء أحياناً ويمكث فيها بعض الوقت.

ليت ملوك العالم يعترفون به ويقومون على خدمته، فيرتفع بذلك شأن الأمر والمؤمنين معاً في هذا اليوم.

عندما تشرفنا بمحضره في اليوم التالي، أدار وجهه المبارك نحوي وخاطبني بهذه الكلمات بمنتهى العذوبة واللطف: 'لو أن ملوك العالم وحكامه أقبلوا إلى الأمر في هذا اليوم، لما أمكنكم أنتم الورود في هذه الساحة العليا. بل لم يكن باستطاعتكم الدخول في محضرنا، ولما كانت لكم حظوة استماع كلمات رب العالمين. طبعاً سيأتي اليوم الذي سيؤمن فيه ملوك العالم وحكامه، ويظهر عزّ أمر الله ومجده. لكن هذا سيحدث بعد أنْ يكون المستضعفون والأذلة في الأرض قد فازوا بهذه العطية العظمى التي لا تقدّر بثمن.'[١](١٧)

نشأ الحاج شاه خليل الله في مجتمع بهائي. كان والده من المؤمنين البارزين وصاحب نفوذ كبير بين الناس وذا فهم عميق بالإلهيات. كان منزله مركزاً للنشاطات البهائية في فاران. فسار الحاج شاه خليل الله على درب والده. صار من البهائيين البارزين الذين تقربوا إلى قلوب وإعجاب المؤمنين في إيران كلها بما أبداه من إخلاص واشتعال في محبة أمر الله وخدمته. في مدينته كان مواطناً موثوقاً به كأبيه من قبله، ورغم كونه بهائياً معروفاً إلاّ أنه كان موضع احترام كثير من غير البهائيين الذين كانوا غالباً ما يتوجهون إليه طلباً لمساعدة أو مشورة.

بعد صعود حضرة بهاءالله ببضع سنين تشرف بمحضر حضرة عبدالبهاء حيث حظي بعناياته وألطافه لبعض الوقت في عكاء. وفي أيام ولاية حضرة شوقي أفندي أيضاً أُذن له مرتين بزيارة الأرض الأقدس حيث حظي بشرف الدخول إلى محضر حضرة شوقي أفندي يومياً تقريباً.

كان الحاج شاه خليل الله مبلّغاً عظيماً لأمر الله. فاستطاع بما وُهب من دماثة الخلق وبشخصيته المحبوبة أنْ يجذب كثيرين إلى أمر الله. فبما جمع من خصال روحانية مقرونة بحب مشتعل لحضرة بهاءالله وأمره، صار مؤمناً بارزاً ومصدر دفء لقلوب المؤمنين حيثما ذهب.

---

(١) ليست هذه كلمات حضرة بهاءالله بالنص التي أنزلها في تلك المناسبة. (أ. ط.)

رؤساء الدين المخاطبون في "الكتاب الأقدس"

كانت الفئة الأخرى من الناس التي تمتعت بسلطة هائلة هي رجال الدين. وقد ظل هؤلاء طوال فترة التاريخ المسجل يقبضون على زمام القوة فوجهوا الجماهير وجهتهم. وربما كان ذلك ضرورياً في سالف الأزمان حيث كان معظم الناس أميين وبحاجة إلى من يقودهم. كانت السلطة التي يحكم بها رؤساء الدين داخل المجتمع، سواء في الشرق أو الغرب، تبلغ من العمق والرسوخ في قلوب الناس ما جعل حتى الملوك يحسبون لها حسابها ويطيعونها. مثال ذلك: حكم ملوك أسرة القاجار إيران حكماً استبدادياً مطلقاً. وفي وقت من الأوقات أصدر أحد كبار علماء الدين بإيران أمراً منع بموجبه على كل مواطن التدخين. ومع أن ذلك الأمر لم يدم طويلاً، إلاّ أن سائر الناس أرغموا على الالتزام به حتى إلغائه. حتى ملك القاجار لم يجرؤ في تلك الفترة على أنْ يدخن في قصره. هكذا كانت سطوة رجال الدين ونفوذهم بإيران وقت ظهور حضرة بهاءالله! لكنه بحركة من قلم قدرته جرّدهم من سلطتهم تلك بنسخه كيان مؤسسة رجال الدين، الكهنوت نفسها، وإعلانه بأنه قد قبض عنهم سطوتهم، تلك السطوة التي كانت لهم منذ القدم.

خاطب حضرة بهاءالله الشيخ باقر، أحد مجتهدي إيران والذي لقّبه حضرته بـ"الذئب" لأنه كان قد أفتى بقتل اثنين من ألمع البهائيين، خاطبه بهذه الكلمات:

"يا باقر لا تطمئن بعزك واقتدارك. مثلك كمثل بقية أثر الشمس على رؤس الجبال سوف يدركها الزوال من لدن الله الغني المتعال. قد أخذ عزك وعز أمثالك وهذا ما حكم به من عنده أم الألواح..."(١٨)

فيما يلي منتخبات من خطاب حضرة بهاءالله لرجال الدين عموماً كما وردت في "الكتاب الأقدس":

"قل يا معشر العلماء لا تزنوا كتاب الله بما عندكم من القواعد والعلوم إنه لقسطاس الحق بين الخلق قد يوزن ما عند الأمم بهذا القسطاس الأعظم

وإنه بنفسه لو أنتم تعلمون. تبكي عليكم عين عنايتي لأنكم ما عرفتم الذي دعوتموه في العشي والإشراق وفي كل أصيل وبكور. توجهوا يا قوم بوجوه بيضاء وقلوب نوراء إلى البقعة المباركة الحمراء التي فيها تنادي سدرة المنتهى إنه لا إله إلاّ أنا المهيمن القيوم. يا معشر العلماء هل يقدر أحد منكم أن يستنّ معي في ميدان المكاشفة والعرفان أو يجول في مضمار الحكمة والتبيان لا وربي الرحمن كل من عليها فان وهذا وجه ربكم العزيز المحبوب. يا قوم إنا قدّرنا العلوم لعرفان المعلوم وأنتم احتجبتم بها عن مشرقها الذي به ظهر كل أمر مكنون. لو عرفتم الأفق الذي منه أشرقت شمس الكلام لنبذتم الأنام وما عندهم وأقبلتم إلى المقام المحمود. قل هذه لسماء فيها كنز أم الكتاب لو أنتم تعقلون. هذا لهو الذي به صاحت الصخرة ونادت السدرة على الطور المرتفع على الأرض المباركة الملك لله المَلك العزيز الودود. إنا ما دخلنا المدارس وما طالعنا المباحث اسمعوا ما يدعوكم به هذا الأمّيّ إلى الله الأبدي إنه خير لكم عمّا كنز في الأرض لو أنتم تفقهون."(١٩)

وفي موضع آخر:

"يا معشر العلماء لمّا نزلت الآيات وظهرت البينات رأيناكم خلف الحجبات إن هذا إلاّ شيء عجاب... إنّا خرقنا الأحجاب إيّاكم أن تحجبوا الناس بحجاب آخر كسّروا سلاسل الأوهام باسم مالك الأنام ولا تكونن من الخادعين. إذا أقبلتم إلى الله ودخلتم هذا الأمر لا تفسدوا فيه ولا تقيسوا كتاب الله بأهوائكم هذا نصح الله من قبل ومن بعد... لو آمنتم بالله حين ظهوره ما أعرض عنه الناس وما ورد علينا ما ترونه اليوم اتقوا الله ولا تكونّن من الغافلين... هذا أمر اضطرب منه ما عندكم من الأوهام والتماثيل... يا معشر العلماء إيّاكم أن تكونوا سبب الاختلاف في الأطراف كما كنتم علة الإعراض في أول الأمر اجمعوا الناس على هذه الكلمة التي بها صاحت الحصاة الملك لله مطلع الآيات...اخرقنّ الأحجاب على شأن يسمع أهل الملكوت صوت خرقها هذا أمر الله من قبل ومن بعد طوبى لمن عمل بما أمر ويل للتاركين."(٢٠)



الحاج شاه خليل الله الفاراني
من البهائيين البارزين. فاز بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء



ميرزا عزيز الله جذاب
بهائي من أصل يهودي كلّفه حضرة بهاءالله بإبلاغ دينه للبارون روتشيلد

في كثير من ألواحه أشار حضرة بهاءالله إلى علماء الدين. فيما يلي بعض بياناته:

"**لمّا تفرسنا وجدنا أكثر أعدائنا العلماء.** من الناس من قال'إنه أعرض عن العلماء'. قل إي وربي بل كنت من كسّر الأصنام."

"قد نفخنا في الصور وهو قلمي الأعلى إذاً انصعق العلماء والفقهاء والسلاطين إلاّ من حفظه الله بفضله إنه هو الوهاب القديم."

"**يا معشر العلماء. ضعوا الظنون والأوهام متوجهين إلى أفق أشرق منه نير الإيقان.** لعمر الله لن ينفعكم كل ما ملكتموه ولا كل كنوز الأرض ولا رياساتكم التي اغتصبتموها. اتقوا الله ولا تكونوا من الهائمين."

"قل يا معشر العلماء! دعوا حجباتكم وغشواتكم لتسمعوا ما يدعوكم القلم الأعلى في هذا اليوم البديع."

"قد غشت العالم غبرة التراب من أثر أوهامكم واضطربت أفئدة المقربين من ظلمكم. اتقوا الله وكونوا من المنصفين."**(٢١)**

كتب حضرة شوقي أفندي حول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابه "قد ظهر يوم الميعاد"، وهنا بعض ملاحظاته:

... واكب انحطاط مصائر أصحاب السلطة الدنيوية من المتوّجين، تردٍ لا يقل إجفالاً في النفوذ الذي كان بيد رؤساء العالم الروحيين. فالأحداث الجسام التي أنبأت بتفكك العديد من الملكيات والإمبراطوريات قد تزامنت تقريباً مع تداعي ما كان يبدو منيعاً من حصون الأديان العتيقة. وإن تلك العملية نفسها التي ختمت بتلك السرعة المفجعة على مصير ملوك وأباطرة، وقضت على أسرهم، قد عملت فعلها في رؤساء الدين في المسيحية والإسلام، ملحقة الضرر بمكانتهم، وفي بعض الحالات هادمة لأعلى مؤسساتهم. ولقد "رُفعت العزة" حقاً من "الأمراء والعلماء". وبذلك أفل مجد الفئة الأولى، وكسرت شوكة الآخرين نهائياً.

هذا وقد وُجّه أيضاً إلى أولئك الرؤساء الذين احتفظوا بتوجيه سيطرة التشكيلات الكنسية العائدة لأديانهم، التنبيه والتحذير والزجر من قبل حضرة بهاءالله، بعبارات لا تقل جلاء عن تلك التي خاطب بها الملوك الذين استحوذوا على مصائر رعاياهم. هؤلاء هم الآخرون، وبالأخص رؤساء المذاهب والطرق الإسلامية، قاموا، بالمشاركة مع الحكام المستبدين والملوك، بحملات عدوانية وقذفوا بتكفيراتهم ضد مؤسسي دين الله وأتباعه ومبادئه ومؤسساته. أوَ لم يكن علماء إيران أول من رفع علم التمرد والإعراض، وهيجوا الجماهير الجاهلة المستعبدة ضده، وحرّضوا السلطات المدنية، من خلال احتجاجاتهم الصاخبة، وتهديداتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم واستنكاراتهم، لإصدار أحكام النفي والإبعاد، وتشريع القوانين والبدء بحملات عدائية والقيام بتنفيذ الإعدامات والمذابح التي تملأ صفحات تاريخها؟ بلغت وحشية المجزرة وشناعتها التي ارتكبت في يوم من الأيام، والتي أثارها هؤلاء العلماء، وكانت أنموذجاً مألوفاً لـ"غلظة وقساوة مخيلة الأشرار" كما دمغها رينان في كتابه (Les Apotres) واعتبر ذلك اليوم على أنه "ربما لا نظير له في تاريخ العالم".

إن هؤلاء العلماء هم الذين بذروا بذور انحلال مؤسساتهم بأعمالهم، مؤسسات كانت على درجة من القوة والشهرة وبدت بتلك المناعة عند مولد الدين. وكانوا هم الذين، بتحملهم تلك المسؤوليات الثقيلة بذلك النحو الهيّن الأرعن، يُعتبرون مسؤولين بالدرجة الأولى عن انطلاق تلك المؤثرات العنيفة الهادمة التي ولّدت كوارث ماحقة كالتي عصفت بالملوك والأسر الحاكمة والإمبراطوريات، والتي تشكل أكثر العلامات المميزة والجديرة بالملاحظة في القرن الأول من العصر البهائي.

ومهما كانت مُجفلة في مظاهرها الأولى، فإن عملية التفكك هذه ما تزال تعمل بقوة غير متناقصة، وسوف تزداد، كلما زادت وتعاظمت قوى الإعراض والاضطهاد ضد دين الله من شتى المصادر وفي ميادين نائية، وتظهر آثاراً أكثر عجباً لقدرتها المدمرة.(٢٢)

أعلن حضرة بهاءالله دعوته لقادة العالم مجموعين ولقليل من الملوك فرادى. لكن هذا الإعلان لم يكن يختص بالملوك ورؤساء الأديان وحدهم. بل كان المفروض أنْ تستمع له أيضاً جماهير البشر عن طريق رؤسائهم إذ لم يكن يومها وسائل أخرى للاتصال. فوسائط الإعلام العامة لم تكن موجودة في أيام حضرة بهاءالله. في التقدير الإلهي كان على رؤساء العالم أنْ يُقْبِلوا إلى دعوته حين مجيء المظهر الإلهي ويعتنقوا أمره ويبلّغوا رسالته لرعاياهم. لكن لم يستجب لذلك واحد منهم. مع ذلك فإن الله قد وفّى بعهده تجاه خلقه بأن ضمن نزول وحيه وإعلانه لهم. وبقي الآن الأمر متروكاً للإنسان ليستجيب مختاراً لنداء خالقه.

إعلان الظهور لرؤساء اليهود

يتضح من فحص خطابات حضرة بهاءالله إلى رؤساء العالم بأن كافة أمم العالم وأديانه قد مُنحت الفرصة لسماع نبأ مجيئه. لكن الاستثناء الوحيد ربما يكون اليهود إذ لم يكونوا يومها تابعين لدولة معينة. هذا وبخصوص إعلان دعوته إلى رؤساء العالم، علّق حضرة بهاءالله، قبل صعوده بعام، قائلاً بأنه قد أتمّ حتى ذلك الحين مهمته تلك لرؤساء العالم المتوّجين، لكنه يرغب أن يعلن رسالة الله للبارون روتشيلد[1] الذي يمكن اعتباره رئيس أمة اليهود في ذلك الوقت. وجّه تعليقه ذلك إلى مؤمن من أصل يهودي، هو ميرزا عزيز الله جذّاب الذي كان قد توجه إلى عكاء للتشرف بزيارة حضرة بهاءالله للمرة الثالثة سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م). فعهد حضرة بهاءالله إليه أن يكتب للبارون روتشيلد معلناً الأمر وأن يذهب لزيارته لو أمكن ذلك.

إن سيرة حياة ميرزا عزيز الله وخدماته لأمر الله ممتعة ومُلهمة حقاً. كان من أصل يهودي، ووالده المقيم في مدينة مشهد، كان رجلاً متعلماً ضليعاً في كتاب "العهد القديم" وغيره من كتب الأديان. وكان يدرّس "العهد القديم" لشباب

(١) قد يكون البارون ناثانيال ماير، اللورد روتشيلد من لندن (١٨٤٠-١٩١٥م)، الذي كان يعتبر وقتها زعيم اليهودية العالمية؛ أو البارون إدموند دي روتشيلد من باريس (١٨٤٥-١٩٣٤م)، المحسن الكبير لآلاف اليهود الذين استوطنوا فلسطين حينها.

اليهود. اعترف بأحقية دين الإسلام، بما وُهب من قلب طاهر وتبصّر عميق في أمور الدين، وأسرّ بإيمانه للسلطات الإسلامية. وباستثناء زوجته لم يعلم باعتناقه الإسلام أحد من طائفة اليهود ولا حتى أولاده. كان ذلك قبل ميلاد الدعوة البابية بستة عشر عاماً. أوصى أسرته بصفة خاصة أنْ تترقب ظهور رب الجنود إذ تحقق لديه من دراسة الكتب المقدسة أن مجيئه كان وشيكاً.

بعد ذلك بسنوات قليلة، في ١٨٣٨م، أدت حادثة فاجعة إلى مذبحة قتل فيها قرابة خمسة وثلاثين يهودياً بمدينة مشهد على يد المسلمين. فالتجأ اليهود الناجون إلى منازل رجال الدين المسلمين، ومن أجل الحفاظ على حياتهم قبلوا الاعتراف بدين الإسلام. فبينما تم تحولّهم إلى الإسلام رسمياً، لكنهم في الخفاء، ظلوا يمارسون دينهم اليهودي. هذا ومع أنهم نجوا بحياتهم، إلاّ أنهم بقوا يعيشون في حيّ مستقل بالمدينة، ولم يندمجوا تماماً في المجتمع الإسلامي. وقد سُمّوا بـ"الوافدين الجدد" وظلوا يعانون من اضطهاد المسلمين.

عاش ميرزا عزيز الله وسط هذه الجماعة. كان يذهب في طفولته إلى مدرسة إسلامية لكنه سرعان ما تركها. توجه بدل ذلك لتعلم "العهد القديم"، وأصبح واسع الإطلاع بالعقيدة اليهودية ومارسها سراً. ولو أن تحصيله الثقافي لم يتجاوز المرحلة الابتدائية، إلاّ أنه صار تاجراً ناجحاً وبرز كرجل أعمال نابغ.

أول مناسبة سمع فيها كلمة "بهاءالله" كانت عندما ذكر له أحد إخوانه –الذي كان قد آمن بالدين البهائي– قصة استشهاد بديع. لكن ميرزا عزيز الله، لكونه يهودياً متحمساً جداً لدينه، لم يُبْدِ أي اهتمام بذلك، ولم يتابع أخوه الأمر بعد ذلك.

مرت فترة من الزمن وكان على الأخوين القيام بسلسة من الرحلات معاً لأغراض التجارة. في أثناء تلك الرحلات قرر ميرزا عزيز الله أنْ يرفع من مستوى معرفته باللغة الفارسية التي لم تتعدَّ مبادئ القراءة والكتابة الأولية. ونظراً لمواهبه الذهنية، فإنه لم يمضِ وقت طويل قبل أنْ يصبح قارئاً متمكناً.

في أحد الأيام بينما كان أخوه خارج المنزل تناول أحد الكتب البهائية وبدأ يقرأ. وقد حركه ما قرأ، إلاّ أنه لم يعبأ بفكرة دين جديد. ثم في إحدى الليالي رأى في المنام حلماً كتب عنه الآتي في مذكراته:

سمعت في منامي نداءً بأن رب الجنود، موعود كل الأزمنة، قد ظهر وأنه كان يتفحص ملأ الأنبياء جميعهم وكافة أتباعهم. فقصدت في الحال ذاك المكان. وجدته محلاً واسعاً جداً فيه حشود من الناس مجتمعين بهيئة صفوف. وكل نبي كان جالساً بصف أتباعه باتجاه القبلة. وقد أدهشني حدة البصر التي أعطيت لعيني إذ كان باستطاعتي أنْ أشاهد بيسر كافة الناس المصطفين في ذلك الفناء الفسيح.

قبالة الجموع جلس شخص مهيب وقور على كرسي ينطق ببعض الكلمات. كنت واقفاً في نهاية صف. كان الشخص المبارك يجاوز الخمسين من العمر وله لحية سوداء ويلبس تاجاً أخضر مخيّطاً بخيط حرير أخضر. أومأ لي بيده المباركة بالذهاب إليه. بدوري عبّرت بحركة يدي لأقول: كيف آتي وكل أولئك الواقفين أمامي لا يدعون مجالاً لي للحركة؟ فأشار بيديه لهم فسجدوا جميعاً على الأرض. ثم دعاني بإيماءة يده للتقدم. عندئذ لم أكن متأكداً فيما إذا كنت المقصود بالإشارة أو شخصاً آخر. فأعاد إشارة الأمر، هذه المرة لبّيت إشارته وأقبلت إليه ماشياً على ظهور كل الساجدين أمامي حتى وصلت إليه. فسجدت عند قدميه وقبّلتهما. فأعانني بيديه على الوقوف على قدميّ وردد الآية القرآنية: **"فتبارك الله أحسن الخالقين."(٢٣)**

بالرغم مما أحدثه هذا المنام من أثر عظيم في نفس ميرزا عزيز الله، إلاّ أنه بقي متمسكاً بعقيدته اليهودية حتى وقت لاحق حيث تم إيمانه بدين حضرة بهاءالله على يد الحاج عبد المجيد، والد بديع. وبعد إيمانه بقليل توجه ميرزا عزيز الله وأخوه إلى عكاء للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله. كان ذلك سنة ١٨٧٦م، في أول زيارة للأرض الأقدس. وفي الموعد المحدد أدخل في حجرة حضرة بهاءالله بعكاء. ولم تكد عيناه تقعان على شخص حضرة بهاءالله حتى كاد ينصعق إذ وجد نفسه بمحضر ذات الشخص الذي سبق أنْ رآه في منامه الخالد منذ سنين، مرتدياً

الملابس نفسها والتاج الأخضر عينه. فلم يكن منه إلاّ أن يتقدم بكل ما في جوارحه من إخلاص وحب ويسجد فوراً عند قدمي مولاه، وانحنى حضرة بهاءالله وأعانه على النهوض على قدميه مردداً الآية القرآنية: **"فتبارك الله أحسن الخالقين!"**

خلال إقامته بعكاء تشرف ميرزا عزيز الله بمحضر حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء عدة مرات. ونتيجة لذلك وهب روح إيمان جديد حلّ في أعماق كيانه وزاده في إيقانه. كيف لا وقد شهد حضرة بهاءالله خلال تشرفه الأول بمحضره، وهو ينزل الألواح من سماء الوحي، كما سمع صوته وهو ينزلها. وقد تركت تلك التجربة أثراً باقياً في نفسه. كان أسفه الوحيد هو عدم قدرته قراءة العربية مما حرمه من الإدراك الكامل للكتابات المقدسة. كان ذلك بسبب تركه المدرسة في سن مبكرة وفقد فرصة تعلم العربية. طالما شعر بالأسف والتأنيب بسبب ذلك. وعندما تبرع شخص بعكاء تعليمه العربية اعتذر عن قبول العرض إذ لم يكن لديه الوقت أو الصبر لدراسة لغة بهذا الغنى في مفرداتها وهذا التعقيد في قواعدها.

في اليوم التالي عندما تشرف بمحضر حضرة بهاءالله توجه إليه بقلبه راجياً أن يتلطف عليه من فيض عطائه عسى أنْ يجعله قادراً على فهم اللغة العربية دون استعمال الطريقة المألوفة في دراستها. وفعلاً تم له مراده، وذات يوم وجد عزيز الله نفسه، لشدة دهشته وانفعاله، قادراً على قراءة وفهم القرآن وألواح حضرة بهاءالله العربية.

إن الكثيرين من أوائل المؤمنين لم يكونوا متعلمين لكنهم وُهبوا من حضرة بهاءالله معرفة لم تتوفر للمتعلمين الذين ينقصهم الإيمان. وقد سبق أنْ وصفنا(١) هذا النوع من المعرفة، وهي المعرفة التي تنبثق عن القلب ولا تعتمد على الدراسة.

وبخصوص المهمة الخاصة التي عهدت إليه أثناء زيارته الثالثة لعكاء للقيام بإبلاغ البارون روتشيلد بأمر الله، سجل ميرزا عزيز الله في مذكراته التالي:

بعد مغادرة الأرض الأقدس(٢) وصلت إلى الآستانة. كنت أعرف هناك سمساراً يعرف اللغة الفرنسية. سألته فيما إذا كان بإمكانه أنْ يعلمني قليلاً منها كل يوم

(١) الصفحات ١٠١–١٠٢.

(٢) كان ذلك في عام ١٨٩١م. (أ. ط.)

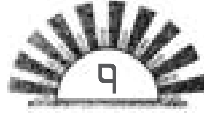
حتى أستطيع أنْ أتحدث قليلاً بهذه اللغة أثناء رحلتي للاجتماع بروتشيلد. خلال ذلك كنت قد حررت رسالة لروتشيلد تُرجمت إلى الفرنسية. وفي تلك الرسالة أعلمته بمجيء حضرة بهاءالله وتحقق نبوءات "العهد القديم" بشأن مجيء رب الجنود الذي شهد جبل الكرمل ظهوره في هذه الأيام. شرحت بأن أتباع حضرة بهاءالله كانوا يدعوننا لاعتناق أمره، ومعهم البراهين والأدلة على أن النبوءات كلها قد تحققت. وذكّرته بأنه يمثل رئاسة الشعب اليهودي. وعليه سألته بأن يحيل هذا الأمر إلى علماء اليهود في بيت المقدس علّهم يجيبون على هذا المطلب. وعلاوة على ذلك بيّنت بأن على المرء الاختيار إمّا أن يكذّب دلائل ونبوءات "العهد القديم" أو الإقبال والتصديق بهذا الأمر المبارك. وبعد إرسال هذا الخطاب بدأت أتعلم الفرنسية. في تلك الأيام كان آقا سيد أحمد أفنان[1] في الآستانة. وقد أثار فضوله اهتمامي بتعلم الفرنسية وودّ لو عرف سبب دراستي لها في هذه المرحلة من حياتي، ولأي غاية كنت أفكر بالذهاب إلى پاريس ولندن، ولكن لمّا كانت زيارة روتشيلد أمراً خاصاً فلم أشأ الكشف عنه...**(٢٤)**

للأسف إن مذكرات ميرزا عزيز الله لا تبت بموضوع هذه الزيارة من حيث لا يوجد فيها ذكر قاطع فيما إذا نجح بملاقاة البارون أم لا.

ولميرزا عزيز الله مهمة شيقة أخرى قام بها خلال فترة ولاية حضرة عبدالبهاء وهي زيارة ليو تولستوي، الفيلسوف والكاتب الروسي الشهير. كان تولستوي قد أبلغ أصلاً بظهوريْ حضرة الباب وحضرة بهاءالله، وأثنى على تعاليمهما. وقد نجح ميرزا عزيز الله بملاقاته في أيلول **١٩٠٢**م حيث تحدث إليه بإسهاب حول تاريخ أمر الله وتعاليمه شارحاً مقام حضرة بهاءالله على أنه موعود كل الأزمنة. إن تفاصيل المناقشات والأسئلة والأجوبة في هذا اللقاء وردّ تولستوي الإيجابي، الذي اعتقد بأن أمر حضرة بهاءالله سينتشر في جميع أرجاء العالم، كلها مسجلة في مذكراته.

---

(١) أحد أفراد عائلة الأفنان وكان يدير مصلحة تجارية في الآستانة.



فخر الشهداء

إرسال "لوح السلطان"

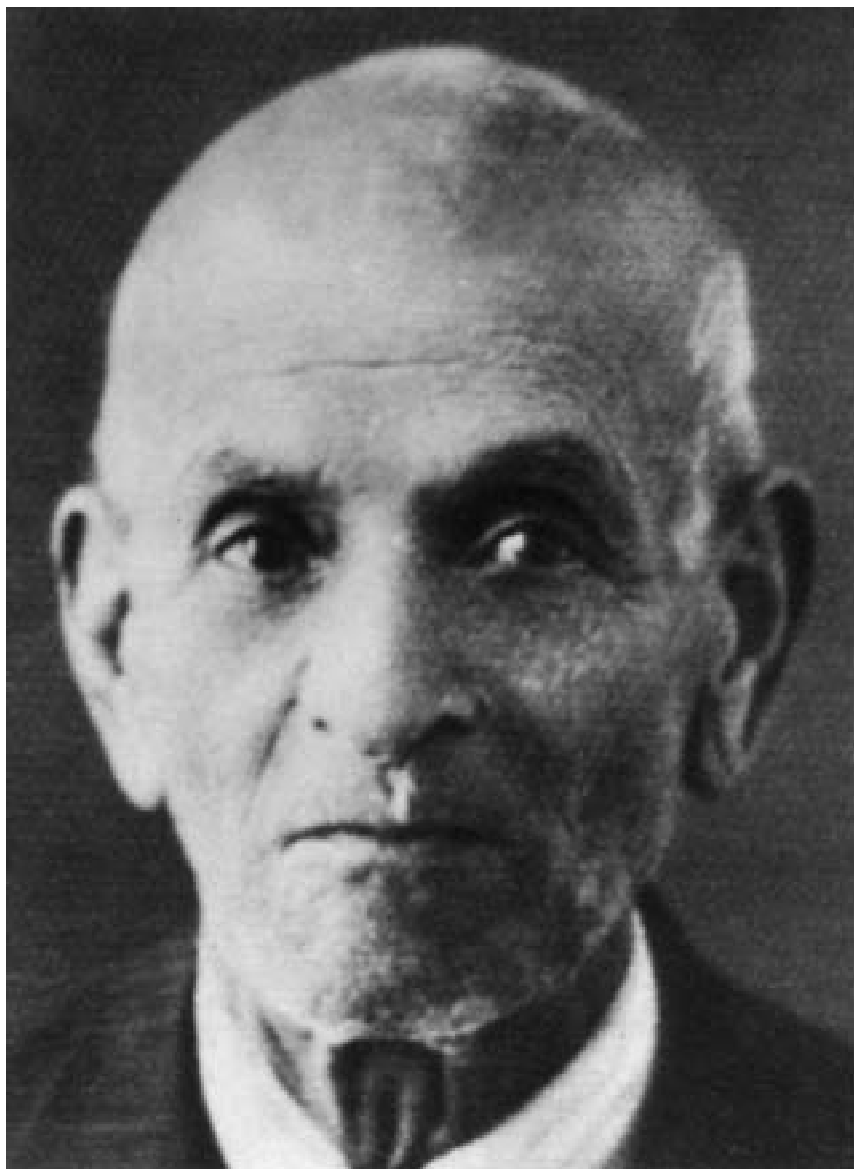
هذا لوح ذو أهمية عظيمة، إذ وصفه حضرة بهاءالله بأنه "الصيحة" لإعلان أمره لملوك العالم وحكامه. أنزل في أدرنة ووُجّه لناصر الدين شاه، ملك إيران، إلاّ أنه أرسل إليه من عكاء. وفي المجلد السابق وردت نبذة عن "لوح السلطان". وقد تطلب إبلاغه وتسليمه إيّاه رسولاً خاصاً إذ كان من المستحيل أن يصل ليد الشاه بأية واسطة أخرى.

في أيام حكم ناصر الدين شاه اتفق كل من رجال الدين وحكومة إيران معاً على اضطهاد أتباع الدين الوليد العزّل بكل وحشية. فكل شخص أو شيء ارتبط، من قريب أو بعيد، بكلمة بابي أو بهائي صار عرضة وهدفاً للهجوم والدمار. حتى حيازة رسالة فيها علاقة ما بأمر الله مع أحد قد تحمل عواقب خطيرة لذلك الشخص. عند دخول المسافرين المدينة كانوا يُسئلون عن هوياتهم وقد يُفتشون من قبل موظفين غالباً ما اعتمدوا على الرشاوى والابتزاز كوسيلة لضمان رزقهم، حتى وإن اتبعوا في ذلك وسائل المضايقة أو الحبس أو التعذيب ضد الناس من أجل الحصول منهم على أكثر ما يمكن من المال. وعندما يصادفون بهائياً يفتشونه بدقة بحثاً عن مستمسكات بهائية مثل رسائل أو كتب أو ألواح. فإذا وجدوا شيئاً منها فلن تُصادر فقط بل إن حياة ذلك البهائي تتعرض لخطر عظيم. نظراً لهذه المصاعب فإن كل كتابات حضرة بهاءالله كانت تؤخذ لإيران بواسطة أفراد من المؤمنين وغالباً ما قام



بديع، فخر الشهداء

تشاهد أمامه قضبان الحديد المحمّى التي استعملت في كيّه موضوعة في المجمرة



آقا رضا سعادتي
تشرف بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء

بذلك الشيخ سلمان.(١) كان هذا المؤمن من الحكمة والتعقل بمهمته أثناء أسفاره بحيث لم يقع أي من الألواح التي عُهد بها إليه في أيدي الأعداء.

إلاّ أن إرسال لوح إلى شاه إيران كان أمراً يختلف عن المألوف. فإلى جانب ضرورة الالتزام بمنتهى الحكمة حفاظاً على اللوح، لكن توجّب على حامله أن يكون مستعداً للفداء بحياته أيضاً. عندما أنزل حضرة بهاءالله اللوح علّق بأن الذي سيحمله لناصر الدين شاه لم يكن قد خُلق بعد. لأن ذاك الشخص كان عليه أن يتحلى بأرفع درجات الإيمان ويبدي من الشجاعة والتحمل في وجه الشدائد والعذاب ما يحير العالم. وقد كتب حضرة بهاءالله بضعة أسطر عن تسليم اللوح على غلافه:

هو الله تعالى

نسئل الله بأن يبعث أحداً من عباده وينقطعه عن الإمكان وتزين قلبه بطراز القوة والاطمينان لينصر ربه بين ملأ الأكوان وإذا اطلع بما نزل لحضرة السلطان يقوم ويأخذ الكتاب بإذن ربه العزيز الوهاب ويمشي مسرعاً إلى مقر السلطان وإذا ورد مقر سريره ينزل في الخان ولا يعاشر مع أحد إلى أن يخرج ذات يوم ويقوم على معبره وإذا ظهرت طلائع السلطنة يرفع الكتاب بكمال الخضوع والآداب ويقول قد أرسل من لدى المسجون. وينبغي له أن يكون على شأن إن يأمر السلطان بالقتل لا يضطرب في نفسه ويسرع إلى مقر الفداء ويقول أي رب لك الحمد بما جعلتني ناصراً لأمرك وقدرت لي الشهادة في سبيلك فوعزتك لا أبدل هذه الكأس بكؤوس العالمين لأنك ما قدرت لها من بديل ولا يعادلها الكوثر والسلسبيل[٢] وإن تركه وما تعرض عليه يقول لك الحمد يا رب العالمين. إني رضيت برضائك وما قدرته لي

(١) أنعم عليه حضرة بهاءالله بلقب "رسول الرحمن"، حمل الشيخ سلمان ألواح حضرته إلى الأحباء وعاد برسائلهم إليه. وقد أدى هذه الخدمة لعدة عقود. للمزيد عن سيرة حياته انظر المجلد الأول، الصفحات ١١٠–١٢٠، والمجلد الثاني.

(٢) نهرين في الجنة.

في سبيلك ولو أني أردت أن تصبغ الأرض بدمي في حبك ولكن ما أردته هو خير لي إنك تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وأنت العليم الخبير.(١)

قصة بديع

أمّا الشخص الذي قُدّر له أن يُخلق من جديد وأنجز هذه المهمة المقدسة فكان شاباً في السابعة عشر من العمر اسمه آقا بزرگ والملقب بـ"بديع". كان والده، الحاج عبد المجيد النيشاپوري (ويُعرف أيضاً باسم "أبو بديع") من أنصار الدعوة البابية البارزين وأصبح فيما بعد من أتباع حضرة بهاءالله المخلصين. عرضت سيرة حياته واستشهاده في سن متقدم في مجلد سابق.[١] رغم ولادته ونشأته في بيت بهائي لمؤمن مخلص جداً، إلاّ أن بديع لم ينفذ إلى أعماق ذاته نور أمر الله بحيث يجعله يؤمن به، لذا بقي بمعزل عنه متحفظاً حياله.

قرابة انتهاء أيام إقامته في أدرنة، كان حضرة بهاءالله قد بعث النبيل الأعظم إلى إيران لتقوية إيمان الأحباء بسبب عصيان ميرزا يحيى ضد أمر الله. في أثناء تنقلاته بإيران مر النبيل بمدينة نيشاپور حيث استضافه أبو بديع والذي أعرب للنبيل خلال إقامته هناك عن عظيم حزنه وخيبته من ناحية ابنه. ويذكر النبيل في تاريخه –الذي لم يُنشر– بأنه لمّا دُعي إلى بيت أبي بديع في نيشاپور كان الأخير يقوم بنفسه على خدمته. فسأله النبيل: 'أليس لك ولد كبير؟' أجابه أبو بديع بأن لديه واحد لكنه عنود غير مطيع.[٢] طلب النبيل حضور الابن فحضر. رآه فتى بسيط القلب طويل القامة، وطلب النبيل منه أن يقوم هو بدور مضيفه.

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ١٢٣ – ١٣٠.

(٢) كان سبب السؤال أن النبيل اندهش عندما قام أبو بديع على خدمته بنفسه. ففي تلك الأيام اعتاد صغار السن على احترام آبائهم، وفي حالة كتلك، كان من المفترض أن لا يدع الابن والده يخدم الضيف بنفسه، ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أنه كان من غير المألوف أن تقوم إحدى أفراد العائلة من الإناث بخدمة ضيف من الجنس الآخر.

شيئاً فشيئاً صار ينجذب للمسائل المرتبطة بالله والروحانيات بحيث تأثر من أعماقه وسُمع وهو يبكي طوال الليل. في الصباح أعد الشاي وخرج إلى المدينة. بعد خروجه تحدث أبو بديع مع النبيل. قال: 'لم يسبق أن سمعته يبكي... ولو أنه يستقيم على أمر الله ويثبت فإني مستعد أن أخدمه.' أصرّ آقا بزرگ على أن يرافق النبيل إلى مشهد لكن والده طلب منه أن ينهي دراسته أولاً، ثم يدرس "كتاب الإيقان" ويستنسخه[1] قبل الذهاب في سفر كهذا.

بعد مغادرة النبيل خراسان ووصوله إلى طهران، ذهب أحد المؤمنين المخلصين، اسمه الشيخ الفاني،[2] إلى نيشاپور. هناك أفصح عن نيّته في السفر إلى بغداد ومنها إلى أدرنة وصرّح بأن لديه إذن من حضرة بهاءالله باصطحاب شخص واحد معه. فزوّد أبو بديع ابنه ببعض المال ودابة للركوب ليرافق الشيخ إلى بغداد حيث يلتقيان بالنبيل ثم يتوجهون منها معاً لزيارة حضرة بهاءالله. رافق بديع الشيخ إلى مدينة يزد. هناك افترق عنه مسلّماً إيّاه كل ممتلكاته وتوجّه لبغداد وحيداً سيراً على الأقدام. بلغ به روح الاشتعال بأمر الله حداً بحيث تشوّق لمشاهدة طلعة حضرة بهاءالله والانغمار ببهاء محضره شخصياً.

خلال إقامة بديع ببغداد، جرح أعداء أمر الله آقا عبد الرسول القمي[3] جرحاً قاتلاً، وهو من المؤمنين المتفانين بحبهم لحضرة بهاءالله وقد نذر نفسه للعمل الشاق بنقل قِرب الماء[4] من نهر دجلة إلى بيت حضرة بهاءالله في تلك المدينة. كانت تلك العملية ضرورية، إذ إن عدداً من المؤمنين كانوا يسكنون في ذلك البيت. حينما سمع بديع بالقصة المأساوية لاستشهاد آقا عبد الرسول تبرع بالقيام

(١) في الأيام الأولى من ظهور أمر الله لم تكن الآثار المباركة تنشر. وكان أفراد الأحباء ينسخونها بخط اليد.

(٢) الشيخ أحمد النيشاپوري، وهو غير الشيخ محمد الحِصاري، الملقب أيضاً بالشيخ الفاني.

(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٣٢٥.

(٤) في تلك الأيام في الشرق الأوسط، لم تكن هناك مياه جارية في المنازل. كان الماء يحمل من الينابيع أو الأنهار؛ وكان هناك حاملو مياه في كل بلدة. وكانت أكثر الطرق شيوعاً هي حمل قربة كبيرة من الجلد على الظهر.

بعمله وفعلاً صار يحمل قِرب الماء من النهر إلى بيت حضرة بهاءالله والمؤمنين ونتيجة لذلك أصبح هو نفسه هدفاً لأذى الأعداء. فهوجم عدة مرات وهو يحمل الماء وفي كل مرة تصيبه طعنة سكين أو خنجر. لكنه لم يكترث لذلك ولم تمنعه جهالة الرعاع وحقدهم، بل استمر هذا الفتى، الذي قُدّر له أن يصبح من خلق الله البديع في هذا اليوم وأحد عمالقة الروح في هذه الدورة، استمر في عمله وخدمته. وقد ضمن الله حفظه وسلامته خلال تلك الأيام المضطربة.

لقد سبق أن عرضنا لذكر مصير المؤمنين المقيمين ببغداد. كان عددهم ثمانية وثمانين جميعاً من الذين نُفوا إلى الموصل.[1] لكن بديع لم يكن بينهم. كان قد سبقهم إلى الموصل، واستمر بخدمتهم في عملية تزويدهم بالماء. وبعد فترة من الزمن وصلت للمؤمنين أخبار نفي حضرة بهاءالله إلى عكاء، أمّا بديع فلم يتمكن من الصبر فغادر الموصل متوجهاً إلى عكاء ماشياً المسافة كلها.

وصل إليها في أوائل عام ١٨٦٩م. كان ذلك بعد وصول الحاج شاه محمد أمين البيان والحاج أبو الحسن أمين[2] (أمينا حقوق حضرة بهاءالله) ببعض الوقت إلى تلك المدينة. يبدو أن بديع لم يجد صعوبة كبيرة عند دخوله المدينة. فقد فشلت عيون الرصد لكل من السيد محمد الإصفهاني وعضيده آقا جان، اللذين كانا قد أسكنا فوق بوابة المدينة عسى أن يخبرا السلطات بوصول أي شخص يشتبه بكونه بهائياً، فشلت في تشخيص ذلك الفتى الذي دخل المدينة متسربلاً عباءة قطن خشنة طويلة، كالتي يرتديها الأعراب، حاملاً قربة ماء على كتفه.

هام بديع في المدينة بعض الوقت حيث لم يعرف مقر مولاه أو كيف يدخل إليه. توجه بعد ذلك إلى مسجد حيث لاحظ نفراً من الإيرانيين وأدرك تلقائياً بأن الشخص الواقف أمامهم لم يكن سوى حضرة عبدالبهاء. فانتظر حتى انتهت الصلاة ثم أقبل إلى المولى بعظيم الاحترام وسلّمه ورقة كان قد سطّر عليها بيتين من الشعر ألّفهما بعجالة آنذاك. وفيها أعرب، دون تعريف نفسه، عن ولائه للمولى

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٣٢٧.

(٢) انظر الفصل الرابع.

وإيمانه بحضرة بهاءالله بعبارات رقيقة مؤثرة. فرحّب حضرة عبدالبهاء ببديع بحرارة وتمكن من أن يأخذه إلى الثكنات.[1]

جاء في أحد الألواح(٢) المكتوبة بخط ميرزا آقا جان، بأن بديع كان قد حظي بزيارتين لمحضر حضرة بهاءالله بمفرده. هذا ولم يعلم أحد بما جرى في اللقاءين سوى أن حضرة بهاءالله تفضل بأن الله كان بصدد خلق جديد وأن بديع نفسه لم يعي ذلك. في لوح آخر(٣) يقرر حضرة بهاءالله بأنه قد خلقه خلقاً جديداً بأيادي القدرة والاقتدار وأرسله ككرة النار. وفي أثناء تلك المقابلتين منحه حضرة بهاءالله لقب "بديع".

وفي لوح آخر(٤) يصرح حضرة بهاءالله بأنه أخذ قبضة من التراب وعجنها بماء القدرة والاقتدار ونفخ فيها روحاً جديداً من عنده ثم زينها بطراز اسم (بديع) في ملكوت الإنشاء وأرسلها إلى السلطان بكتاب أنزل من لدى الله.

في لوح(٥) إلى أبي بديع يصف حضرة بهاءالله بعبارات مثيرة ما جرى من أحداث شيقة عندما تشرف ابنه بمحضره. يشير فيه إلى أنه لمّا أراد أن يخلق خلقاً جديداً دعا بديع للحضور إلى غرفته ونطق بكلمة اضطربت لها أركانه. ويؤكد بأنه في تلك الحال كاد ينصعق لولا أن الله عصمه. وشرعت يد القدرة بعد ذلك كما يصف حضرة بهاءالله، بخلقه من جديد ونفخت فيه روح القدرة والاقتدار. ويشهد حضرته بأنه لو أمر بديع، بما أصبح لديه من قوة الله واقتداره، لسخّر العالم بمفرده.

يصرح حضرة بهاءالله بأنه عندما ظهر هذا الخلق الجديد إلى حيز الوجود ابتسم أمام وجه مولاه وأظهر من الاستقامة ما استبشرت به الملأ الأعلى[2] و"ارتفع النداء

---

(١) عزيز الله جذاب (انظر الصفحة ١٧٢)، مؤمن مخلص، سجل في مذكراته أن عبد الأحد (انظر الصفحة ٥٧) أخذ بديعاً مع قربة الماء خاصته إلى داخل الثكنات. ومن الممكن أن حضرة عبدالبهاء قد أمر عبد الأحد باصطحاب بديع إلى السجن.

(٢) أرواح الأنبياء والقديسين في العالم الآخر.

من شطر الكبرياء: "تبارك البهاء الذي خلق ما شاء إنه هو العزيز الوهاب." يشهد حضرة بهاءالله أنه كشف لبديع **"ملكوت الأمر"** ونتيجة ذلك بثّ في كيانه انقطاعاً تاماً عن الدنيا والقيام لنصرة أمر مولاه.

في الآثار المباركة إشارات عديدة لـ**"ملكوت الأمر"** الذي يذكره حضرة بهاءالله في اللوح آنف الذكر. وهذا الملكوت يفوق إدراك الإنسان وفهمه. في المجلد السابق[1] كتبنا بإيجاز عنه. إنه الملكوت الذي يتنزل خلال كل وحي ورسالة إلهية. وملكوت الإنشاء، الذي يشكّل الإنسان جزءاً منه، قد خُلق أيضاً عن طريق **"ملكوت الأمر"**. وغالباً ما يُشار لهما معاً في الكتابات البهائية. وما زال الإنسان في هذه الدنيا يتوجب عليه خدمة **"ملكوت الأمر"** لأنه سنّة الخلق أن تخدم المملكة الدنيا ما فوقها. لقد أنزل أمر حضرة بهاءالله للبشرية بواسطة **"ملكوت الأمر"**، وعليه فإن وظيفة المؤمن الحقيقية هي خدمة أمر حضرة بهاءالله، وهناك عدة ألوف ممن فدوا حتى بحياتهم في هذا السبيل.

على ضوء ذلك فإنه لن يسعنا فهم العطية الفريدة التي منّ بها حضرة بهاءالله على بديع بحيث مكّنه، وهو بمحضره، من رؤية **"ملكوت الأمر"**. وكل ما يمكننا استنتاجه من ملاحظتنا لهذا الفتى اللميع هو أنه مهما حدث له في محضر حضرة بهاءالله، فإنه كان شخصاً آخر تماماً عند خروجه. قبل ذلك كان مجرد "قبضة من التراب"، لكنه بعد لقاءين مع حضرة بهاءالله أصبح خلقاً جديداً نُفخت فيه "روح القدرة والاقتدار". هذا ولم يكن لسبب بسيط أن يُعد اسم هذا الشاب، وهو في السابعة عشر من العمر، ضمن حواريي حضرة بهاءالله التسعة عشر. نحن لا نحاول بهذا عمل مقارنة بين مقام هؤلاء الحواريين لأنه أمر يتعدى مقدرة أي إنسان القيام بتقدير المقام الذي قدره الله لأصفيائه في عوالم الله، مع هذا يمكننا أن نعرف بأنه وُضع في المرتبة الثانية بينهم، مسبوقاً بميرزا موسى، آقا كليم،[2] أخلص أخوة حضرة بهاءالله.

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١٨٢ – ١٨٤.

(٢) انظر المجلدين الأول والثاني.

لم تكن تجربة بديع، وقد انتقل به حضرة بهاءالله عند حضوره بين يديه إلى عوالم البهجة والنعيم الأبدي، لم تكن بحد ذاتها تجربة فريدة. فكل واحد من أتباعه طاهري القلوب أحس وتأثر بأعماقه بمشاعر النشوة والرفعة عند لقائه بحضرته، تماماً كما يتأثر الحديد بالمغناطيس. لكن بديع كان حالة خاصة. ولقد شرح الحاج ميرزا حيدر علي -الذي وردت سيرة حياته وخدماته في مجلدات سابقة وغالباً ما يُذكر بعبارة "ملاك الكرمل" كما سماه حضرة عبدالبهاء- شرح بعض تجاربه بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء مع تعليق عن بديع. فيما يلي ترجمة لبعض كلمات الحاج ميرزا حيدر علي في وصف الأثر في نفسه وهو بمحضر حضرة بهاءالله عند ترتيله لوحاً أنزله في حقه:

هذا اللوح... أنزل مرتلاً من سماء وحي جمال المنان.[1] أمّا أي أثر كان له في نفسي، وإلى أي عالم رُفعت، وأية جنة وأي رضوان دخلت، وماذا شهدت، وبأي كيفية استمعت لذلك الصوت وذلك النغم! ... فلا يمكنني وصف ذلك. فقد دخلت الجنة التي **ما رأت عين، ولا سمعت أذن، وما خطر على قلب**. شهدت ملكوت العظمة والجلال والقدرة والقوة والإجلال وسلطنة الله الحيّ الباقي الفريد. فيعجز هذا الفاني وكل من في الوجود عن التحرير والتشبيه والتمثيل والتقديس والتنزيه والإشارة والتوصيف والتعريف والحكاية والرواية والذِكر. فنحن إنما نعبّر بالألفاظ والعبارات، في حين تقف تلك التجربة وتلك الحالة مقدسة عن كل هذه الأشياء. فلا يمكن وضعها في قالب ألفاظ ولا وصفها بالتعابير. كما لا يمكن لأحد تفسير اختلاجات ضميره... لكن هذه الحالة لا تبقى سوى للحظة واحدة. إنها تجربة خاطفة. وظهورها في باطن إنسان هو عطية خاصة من عند الله. أما دوامها الذي يتراوح من لمح البصر إلى أبعد من ذلك فيتوقف على مدى استعداد الشخص لتسلّم هذه العطية. بعد ذلك فإن أعمال الشخص وأفعاله نفسها تدلل على وجودها. لكن لم يسمع بأن هذه الحالة قد دامت لدى شخص مدة ثلاثة أو أربعة أشهر سوى حضرة بديع...(٦)

(١) حضرة بهاءالله. (أ. ط.)

لمّا علم بديع بأن حضرة بهاءالله كان يبحث عن شخص يقوم بمهمة تسليم لوح خاص إلى ناصر الدين شاه، التمس أن يؤذن له بتنفيذ تلك الخدمة، ولو كان على يقين تام بأن ذلك سيعني التضحية بحياته. فقبل حضرة بهاءالله طلبه للقيام بهذه المهمة الخطيرة، وأمره بالتوجه إلى حيفا حيث سيسلم له اللوح وأشار عليه بألاّ يتصل بأحد من المؤمنين سواء في طريقه أو في طهران. فلم يُسلم اللوح المذكور لبديع في عكاء. وكان حضرة بهاءالله قد عهد إلى الحاج شاه محمد أمين[1] بصندوق صغير ولوح ليسلّما بيد بديع.

فيما يلي قصة ذلك كما رواها الحاج شاه محمد إلى الحاج ميرزا حيدر علي وسجلها الأخير:

... سلّم إليّ صندوق صغير... وأبلغت بتسليمه إلى بديع مع مبلغ صغير من المال. لم أكن أعلم بما احتواه ذلك الصندوق.التقيت به في حيفا وبشّرته بأنه قد شُرف بأمانة... تركنا المدينة وصعدنا جبل الكرمل حيث سلّمته الصندوق. أخذه بيديه وقبّله ثم خرّ ساجداً على الأرض. سلّمته أيضاً مغلفاً مختوماً (لوح من حضرة بهاءالله لبديع نفسه). خطى قرابة عشرين أو ثلاثين خطوة ثم جلس قبالة ساحة الأقدس (عكاء)، قرأ اللوح ثم سجد مرة أخرى على الأرض. أنار وجهه بضياء الابتهاج والاستبشار. فسألته لو يسمح لي بقراءة اللوح أيضاً. أجاب: 'ليس هناك وقت.' فعلمت أن الأمر كله شخصي. لكن يا ترى ما هو؟ لم تكن لدي أية فكرة. فلم أكن لأتصور مهمة كهذه.

بعد ذلك ذكرت بأنه يستحسن ذهابنا للمدينة (حيفا) لأجل أن أسلّمه بعضاً من النقود كما أمر حضرة بهاءالله. قال: 'إني لست ذاهباً إلى المدينة، فاذهب أنت واحضر النقود إلى هنا.' ذهبت، وعندما رجعت لم أجده، رغم محاولات العثور عليه. فقد اختفى... ولم نحصل على أخباره حتى سمعنا باستشهاده في طهران. عندئذ عرفت بأن الصندوق كان يحوي لوح حضرة

(١) أول أمناء حضرة بهاءالله؛ انظر الصفحة ٨١.

بهاءالله لناصر الدين شاه، بينما الظرف المختوم كان فيه لوح بشر باستشهاد من كان جوهر الثبات والقوة.(٧)

وقد كتب الراوي نفسه المقال الآتي كما نقله أحد المؤمنين، وهو الحاج علي، الذي قابل بديع في طريق عودته إلى إيران وسافر معه مسافة في الطريق:

كان شخصاً سعيداً جداً، متبسّماً، صبوراً، شكوراً، حليماً، ومتواضعاً. كل ما عرفناه عنه أنه كان قد فاز بمحضر حضرة بهاءالله وأنه كان عائداً لموطنه في خراسان. وكان يُشاهد أكثر من مرة وهو ينحرف بعيداً عن الطريق بحوالي مائة قدم على أحد الجانبين ويستدير متجهاً صوب عكاء ويسجد على الأرض مردداً: 'اللهم لا تأخذ مني بعدلك ما وهبتني بفضلك وقوّني للحفاظ عليه.'(٨)

أمّا اللوح(٩) الذي أرسله حضرة بهاءالله إلى بديع نفسه عندما كان في حيفا فإنه مؤثر وجميل جداً. ففيه يستعمل اسمه الجديد: بديع، ويدعوه ليرتدي قميص ذكر ربه البديع ويتوّج رأسه بإكليل حبّه. ويذكّره بحتمية فناء هذه الحياة الدنيا، ويحضّه على إنفاق جسده الفاني في سبيل محبوبه فينال حياة الخلد ومجداً باقياً لا يزول.

قطع بديع كل الطريق إلى طهران ماشياً. عندما وصل في صيف سنة ١٨٦٩م، وجد أن الشاه قد ذهب في رحلة خارج المدينة. فتوجه صوب المنطقة وجلس على قمة صخرة قبالة سرادق الشاه. بقي في موضعه ثلاثة أيام وليالٍ في صوم ودعاء ترقباً لمرور الحاشية الملكية. ترى أي أفكار خطرت بباله وهو يتأمل ويناجي مولاه، وأية مشاعر وعواطف غمرت وجدانه وهو جالس على مشارف موضع سيشهد تحقيق ما عهد إليه من مهمة مقدسة؟ ما من أحد يمكنه القول. لكننا متأكدون من شيء واحد هو أنه توفر على قوة خارقة وكان بمنتهى الفرح والابتهاج وواثقاً من النصر.

في اليوم الرابع، وبينما الشاه ينظر من خلال عدسة منظاره لاحظ رجلاً برداء أبيض جالساً دون حراك على صخرة مقابله بهيئة تنم عن احترام عميق. فظنّ أن لديه عريضة يطالب فيها بالعدل أو ربما ينشد عوناً لمشاكله. فبعث

رجاله لاستقصاء أمره ويعرفوا من هو وماذا يريد. أخبرهم بديع بأن لديه رسالة من شخص رفيع الشأن وعليه تسليمها ليد الشاه شخصياً. ففتشه الضباط ثم أتوا به إلى الشاه. ومما يدعو للاستغراب والعجب هنا هو أن هؤلاء الموظفين المعروفين بغرورهم وتجبّرهم وطغيانهم لم يسلبوا الرسالة منه عنوة ويعودوا بها. التفسير الوحيد هو أنهم لا بد شعروا بما كان لبديع من قوة تأثير غير عادية، وهي القوة التي وهبها حضرة بهاءالله لرسوله. وإلاّ فإنه من غير المألوف تماماً السماح لمواطن عادي بالمجيء وملاقاة الشاه وجهاً لوجه.

إن الذين اطلعوا جيداً على تاريخ إيران في القرن التاسع عشر هم فقط يمكنهم أن يقدّروا مدى الأخطار التي كان سيواجهها شخص عادي مثل بديع لو رغب أن يقابل أحد خدام القصر، فكيف الشاه نفسه. فإن طاغية مثل ناصر الدين شاه حكم بلاده بيد من حديد. وبسط موظفو الدولة سلطتهم عن طريق الاستبداد. واعتادوا أن يعاملوا أي شخص بلا رحمة إن تجرأ أن يجابههم بكلمة، أو يرفع إصبعاً في وجههم أو النظام القائم. إذ إن مجرد منظر جندي بالزي العسكري، أو حتى موظف حكومي برتبة متواضعة، كان كافياً لبعث الخوف بالنفوس لدرجة الفرار. وإذا مرّ هؤلاء في الشوارع كان معظم الناس يبدون لهم الاحترام، وأحياناً كانوا يرشونهم بينما الجبان غالباً ما يهرب من أمامهم.

أمّا لقاء الشاه فكان أشد هلعاً! فعندما كانت تصل طليعة مرافقي الشاه في الشارع، كانت صيحة المنادي الذي يعلن للناس اقتراب حاشية الشاه تكفي لبث الرعب في قلوب المواطنين. وكانت عبارة مفهومة ومألوفة للجميع عندما كان يصيح: "الكل يموت، الكل يعمى!" أي عند مرور الشاه وحاشيته يجب على كل مواطن يشهد ذلك الوقوف بلا حراك كجثة ميت والأعين تتجه إلى الأرض كأنها لا ترى.

يمكننا إذاً، بعد معرفة الظروف السائدة في ذلك الوقت، أن نقدّر مدى شجاعة بديع وثباته وروح الغلبة والجرأة الخارقة التي ظهرت من هذا الشاب الذي لم يتجاوز السابعة عشر من العمر وهو يقف واثقاً مطمئناً، مستقيماً رافع الرأس،

وجهاً لوجه أمام الشاه وهو يسلّم اللوح للشاه بهدوء وأدب ردد بصوت عال مؤثر آية شهيرة من القرآن: "يا ملك! قد جئتك من سبأ بنبأ عظيم."(١)

بعد ذلك قُبض على بديع. أمّا الشاه، الذي لا بد عادت إليه ذكريات محاولة اغتياله على يد اثنين من البابيين قبل نحو عشرين سنة، فقد فوجئ بجرأة رسول حضرة بهاءالله وشجاعته. بعد أن طلب إرسال اللوح إلى الملاّ علي الكَني، أحد علماء الإسلام المعروفين، للإجابة عليه، أمر رجاله أن يستحصلوا من بديع، أولاً بالإقناع والإغراء، وإن لم يتعاون فبالتعذيب، أسماء غيره من البهائيين. كان اسم كبير المسؤولين عنه كاظم خان قرچه داغي. لمّا فشل هذا في إقناع بديع ليكشف أسماء بهائيين آخرين له، أمر بتجريده من لباسه وكيّه عدة مرات بالحديد المحمّى. فتحمل بديع ذلك العذاب لثلاثة أيام متتالية بثبات حيّر المسؤولين الذين كانوا يشهدون ما جرى له. تحيروا ودهشوا إذ رأوه مبتهجاً كل الابتهاج وهم يفعلون ما فعلوا به. بل بدا لهم وكأن بديع فقد الإحساس بالألم، خصوصاً عندما رأوه أحياناً يبدو ضاحكاً. هذا رغم أن بعضهم لم يحتمل الرائحة والدخان الذي نتج عن الكيّ المتكرر واشتعال اللحم بحيث خرجوا من الخيمة. أمّا الشاه الذي كان عادة مولعاً برؤية الصور الفوتوغرافية للسجناء، فقد أمر بالتقاط صورة لبديع خاصة بعد سماعه أخبار ثباته تحت التعذيب. ويظهر في الصورة المجمر وعليه حديد الكيّ في مقدمتها، وهي خير شاهد على روح الثبات والتسليم والسكينة واليقين المتجلي في وجه بديع.

ولمّا لم تثمر الأيام الثلاثة من التعذيب بالكيّ في استخراج معلومات عن هويات بهائيين آخرين من بديع، جرب كبير المأمورين كاظم خان وسيلة التهديد بقتله ما لم يتعاون معهم. كان رد بديع أن ابتسم تلقاء ذلك التهديد، ولمّا خاب أملهم ولم يكشف لهم أي اسم، ضُرب بأخمص بندقية على رأسه وسحقت جمجمته. ثم ألقي بجسده في حفرة وطمر بالتراب والحجارة. حدث ذلك في شهر تموز سنة ١٨٦٩م.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ٢٢. تختلف هذه الآية عما تفوه به بديع في محضر الشاه. تشير الآية إلى الكلمات التي وجهها الهدهد إلى سليمان عندما جاء بأنباء سارة من سبأ.

وفي سنة ۱۹۱۳م، أثناء زيارة حضرة عبدالبهاء لپاريس كان هناك ضابط إيراني متقاعد برتبة عالية (مشير) اسمه محمد ولي خان، جاء للعلاج الطبي. تصادف أن تعرفت عليه السيدة درايفوس – بارني، إحدى المؤمنات الأمريكيات المخلصات. وكانت السيدة بارني قد سبق أن زارت حضرة عبدالبهاء في الأرض الأقدس في السنوات السابقة وقدمت له مجموعة أسئلة ليجيب عنها. فيما بعد جُمعت تلك الإجابات ونشرت بهيئة كتاب تحت عنوان "مفاوضات عبدالبهاء".

في پاريس عندما التقت السيدة دريفوس-بارني بذلك الضابط الإيراني، قدمت له نسخة من ذلك الكتاب. عندما وصل محمد ولي خان في قراءته إلى حديث حضرة عبدالبهاء عن دعوة حضرة بهاءالله وألواحه إلى الملوك وبضمنهم ناصر الدين شاه، خطّ بقلمه على هامش الصفحة بعض ما عرفه شخصياً من كاظم خان المذكور أعلاه، ذلك المأمور الذي عذب وأخيراً قتل بديع الشهيد. فيما يلي ترجمة ملاحظاته:

٦ ربيع الأول ۱۳۳۱هـ
٢٦ شباط ۱۹۱۳م
پاريس، فندق الألب، شارع الشانزليزيه

في تلك السنة، التي أرسلت فيه الرسالة (لوح حضرة بهاءالله)، جاء حاملها (بديع) إلى الشاه الذي كان وقتها في مصيف لار، وفيما يلي تفصيل ما حدث:

كان المرحوم الشاه يحب مصايف لار ونور[1] وكُجور. أمر الشاه أبي، سعيد الدولة الحاكم، وأنا (كنت شاباً آنذاك برتبة زعيم [كولونيل])، بالذهاب إلى كجور وإعداد المؤن والأغذية للمخيم الملكي.[2] قال: 'سآتي إلى مصيف لار ومن هناك إلى مصيف "بَلَدِه" في منطقة نور ومنها إلى كجور.' وهذه

(١) منزل أسلاف حضرة بهاءالله في مقاطعة نور. (أ. ط.)

(٢) عندما كان ناصر الدين شاه يذهب إلى رحلة صيد أو للسياحة في الصيف كان يصطحب حاشية كبيرة تضم وزراءه والآلاف من الجنود والضباط والخدم والجلادين. (أ. ط.)

المصايف قريبة ومتصلة ببعض. كنت مع والدي آنذاك في ضواحي "مَنْجِيل كجور" عندما وصلتنا أخبار وصول الشاه إلى لار، وبأنه أعدم شخصاً خنقاً. بعد ذلك علمنا بأن ذلك الشخص كان رسولاً أرسل من قبل البابيين. لم تكن حينذاك كلمة بهائي معروفة ولم نسمع بها أبداً. فرح كل الناس بمقتل ذلك الرسول. وصل الشاه بعد ذلك إلى "بَلَدِه" في منطقة نور. فذهبت مع والدي لنرحب به. فقد نصبوا سرادق الشاه قريباً من قرية "بَلَدِه" حيث يجري عندها نهر كبير، لكن الشاه لم يكن قد وصل بعد، وجدنا كاظم خان التركي،[(١)] قهرمان الشاه (فرّاش باشي)، قد أتى بالمعدات الأولية. فأحببنا أن نمرّ عنده، لأن والدي الذي كان برتبة لواء (جنرال) ولم يكن بعد منح لقب سعيد الدولة، كان يعرف كاظم خان هذا. فقال لي: 'هلم نذهب ونزور هذا المأمور.' فذهبنا وصعدنا إلى موضع السرادق وترجّلنا. كان كاظم خان جالساً في أبهة وغرور في خيمته. دخلنا السرادق وجاء كاظم خان ليستقبل والدي باحترام وأبدى لي كثيراً من اللطف. جلسنا وأوتي لنا بالشاي. دار الحديث حول الرحلة. بعد ذلك قال أبي: 'يا حضرة القهرمان، من كان ذلك البابي وكيف قُتل؟' أجاب: 'أيها اللواء، دعني أقص لك حكاية. كان هذا الرجل مخلوقاً غريباً. وعند موقع "سفيد آب لار" ركب الشاه للذهاب للصيد. لكني لم أكن قد ركبت بعد. فجأة رأيت فارسين يقتربان نحوي. لقد أرسل الشاه في طلبي. فركبت فوراً وعندما وصلت قال لي الشاه بأن بابياً قد جاء برسالة. 'أمرت بالقبض عليه'، قال الشاه، 'وهو الآن موقوف لدى "كِشِكچِي باشي" (رئيس الحرس). اذهب وخذه إلى مقر الحرس. عامله باللين أولاً، وإن لم تفلح فلك استعمال كل أشكال القوة لجعله يعترف ويدل على هوية أصحابه وأماكنهم، حتى أرجع من الصيد.' فذهبت وأخذته من رئيس الحرس مقيد اليدين والذراعين. لكن دعني أخبرك بدهاء الشاه وفراسته. فلم يكن هذا الرجل

(١) هو كاظم خان قرچه داغي نفسه الذي كان والده، إسماعيل خان صهراً لفتح علي شاه، وكان موجودا في مؤتمر تبريز عندما أعلن حضرة الباب دعوته رسمياً أمام مجمع العلماء وناصر الدين شاه ولي العهد. (أ. ط.)

راكباً في تلك البادية وحالما رفع ورقته مشيراً بأن لديه رسالة لتسليمها، أحس الشاه بأن لا بد وأن يكون بابياً فأمر بإلقاء القبض عليه وأخذ أي رسالة كانت معه. فأودع بالتوقيف والرسالة كانت ما تزال معه لم يسلمها لأحد محتفظاً بها في جيبه. أخذت هذا الرسول إلى بيتي. في البداية تحدثت معه برفق وعطف: 'هيا حدثني عن كل هذا. من أعطاك هذه الرسالة؟ من أين أتيت بها؟ متى كان ذلك؟ ومن هم رفاقك؟' قال: 'هذه الرسالة أعطيت لي في عكاء من حضرة بهاءالله. قال (حضرته) لي: [عليك أن تأخذ هذه الرسالة وتذهب إلى إيران وحدك وتسلمها بطريقة ما إلى شاه إيران. لكن حياتك ستكون في خطر. إذا قبلت بذلك، فاذهب، وإلاّ فسأرسل رسولاً آخر.] قبلت المهمة. وقد مضى الآن ثلاثة أشهر منذ أن غادرت (عكاء). وكنت أترقب الفرصة لتسليم هذه الرسالة ليد الشاه وأن أجلب انتباهه إليها. والحمد لله إذ أتممت اليوم خدمتي. إن كنت تريد البهائيين فهم كثيرون في إيران، وإن أردت رفاقي فإني كنت وحيداً وليس معي أحد.' فضغطت عليه ليكشف أسماء أصحابه وأسماء البهائيين في إيران، وبالأخص في طهران. وظل هو ينكر: 'ليس لي رفيق ولا أعرف البهائيين في إيران.' أقسمت له: 'لو أعطيتني هذه الأسماء سأضمن من الشاه إطلاق سراحك ونجاتك من الموت.' كان رده لي: 'إني أشتاق الموت. هل تظن بأنك تخيفني بذلك؟' عند ذلك أرسلت لإحضار الفلقة وبدأ الفرّاشون (ستة منهم في كل دفعة) بضربه. ومهما ضربوه لم يصرخ أو يتأوه، كما لم يتوسل. ولمّا رأيت تلك الحال أمرت بفكّه من الفلقة وإحضاره للجلوس بجانبي وقلت له مجدداً: 'قل لي أسماء أصحابك.' فلم يجبني إطلاقاً وبدأ يضحك. يبدو أن كل ذلك الضرب لم يؤلمه بأي نحو كان. أثار ذلك غضبي. عندئذ أمرت بإحضار حديد الكيّ ومجمر مشتعل.[1] بينما كان الأخير يُعدّ قلت له: 'تعال وقل الحقيقة، وإلاّ سآمر بكيّك.' فلاحظت

(١) كان كيّ الشخص عادة متبعة في التعذيب في تلك الأيام في إيران. فكانت قضبان الحديد توضع في منقل من الفحم الملتهب. وعندما تحمرّ القضبان توضع على الجسد العاري للضحية وتترك كذلك حتى تبرد.

عند ذلك أنه ازداد ضحكاً. بعدها أمرت بالفلقة ثانية. ضربوه لدرجة أنهكت الفرّاشين. وأنا نفسي عييت أيضاً. أمرت بفك رباطه ونقله إلى مؤخرة خيمة أخرى، وأخبرت الفرّاشين بأن ينزعوا بالكيّ اعترافاً منه. فشرعوا يكووه بحديد محمّى على ظهره وصدره. كنت أسمع أزيز اللحم المحترق وأشمّه أيضاً. ولكن مهما حاولنا أكثر لم نفلح بالحصول على شيء منه. كان وقت الغروب عندما عاد الشاه من الصيد وأرسل يطلبني. ذهبت وأخبرته بكل ما حدث. فأصرّ الشاه على أن أحمله على الاعتراف ثم أقتله. عدت وأمرت بعملية كيّ أخرى. وعاد هو يضحك تحت وطأة الحديد المحمّى دون أن يسترحم أبداً. بل إني قبلت أن يقول أن ما جاء به كان عريضة ولا يذكر بأنها رسالة لكنه رفض حتى ذلك. عند ذاك فقدت أعصابي وأمرت بإحضار لوحة من الخشب. وضع الفرّاش اللوحة على الأرض ووضع رأس هذا الرجل عليها بينما حمل بيده مِدّك حديد ضخم، مما يستعمل لغرس أوتاد الحديد داخل الأرض، في وضع فوق رأس الرجل. قلت له: 'إن كشفت عن أسماء أصحابك سيطلق سراحك، وإلاّ سآمرهم بإنزال المدك على رأسك.' صار يضحك ويحمد الله إذ تحقق مبتغاه. مرة أخرى أبديت استعدادي إن قال بأن ما أتى به هو عريضة وليس رسالة. لكنه لم يوافق حتى على قول ذلك. ورغم كيّه بالحديد المحمّى لم يحدث لديه ألم ولا عذاب. وعليه وأخيراً أعطيت الإشارة للفرّاش فأنزل المدك على رأسه مهشماً جمجمته بحيث عُصر مخه من خلال منخريه. بعد ذلك ذهبت بنفسي ونقلت كل ما وقع للشاه.'

لقد ذهل كاظم خان القهرمان بما شهد في ذلك الرجل من اصطبار وتحمّل. ذهل وهو يرى كيف فشلت كافة ألوان التعذيب من ضرب وكيّ بالحديد المحمّى بالتأثير عليه أو أن تسبب له أي معاناة... أمّا الرسالة تلك فقد أرسلها الشاه إلى الملاّ علي الكاني في طهران وغيره من الملاّوات لقراءتها والرد عليها. لكنهم قالوا أن ليس هناك ما يُرد عليه، وكتب الحاج الملاّ علي إلى مستوفي الممالك (الذي كان رئيس الوزراء آنذاك) ليقول للشاه بأن 'لو كان لديك شك بالإسلام، لا قدّر الله، ولم يكن إيمانك راسخاً تماماً، فإنه

يتعين عليّ اتخاذ اللازم من أجل إزالة هذه الشكوك، وإلاّ فإن رسائل كهذه لا يوجد رد عليها. بل إن جوابها هو عين ما فعلت برسول كاتبها. والآن يجب أن تكتب إلى السلطان العثماني ليكون في أقصى الصرامة معه وأن تمنع كل الاتصالات.' هذا وكان السلطان عبد العزيز آنذاك على قيد الحياة وحصل ذلك إبان حكمه.

٢٧ ربيع الأول **١٣٣١**هـ، **٢** آذار **١٩١٣**م
كتب في فندق الألب بباريس

لم أستطع الليلة النوم. أرسلت لي السيدة دريفوس هذا الكتاب ولم أقرأه بعد. الوقت الآن هو الصباح الباكر. بدأت بقراءة الكتاب حتى وصلت موضوع الرسائل الموجهة للملوك وإلى ناصر الدين شاه. وبما أنني كنت هناك في تلك المناسبة وسمعت وقائع الحادثة شخصياً من القهرمان، كاظم خان، فقد قمت بكتابتها.

هذا وبعد تلك الحادثة بعام ونصف، وخلال رحلته إلى كربلاء، أُصيب كاظم خان هذا بالجنون. فأمر الشاه بربطه بالسلاسل وانتهت حياته بأتعس حال. وفي السنة التي ذهبت إلى تبريز، بصفة حاكم عام لآذربيجان، وجدت أحد أحفاده يتسول. "فاعتبروا يا أولي الأبصار".

اللواء محمد ولي(١٠)

يروى بأن الشاه كان في غاية الكدر حيال موقف العلماء إذ رفضوا الاستجابة للتحدي وكتابة ردّ على حضرة بهاءالله إلاّ أنه لم يتمكن أن يعمل شيئاً بتاتاً لتبديل قرارهم.

صبر الشهداء

لم يكن موقف بديع، بصموده واصطباره أمام العذاب الذي لا يطاق، بنحو من الابتهاج بحيث لم يبدُ عليه التألم أو الشعور به خلال جلسات التعذيب، لم يكن ذلك

بحد ذاته فريداً في تاريخ أمر الله. فما أكثر الشهداء الآخرين الذين فدوا بأرواحهم، خلال أيام ولايتَيْ حضرة الباب وحضرة بهاءالله، راضين مستبشرين وبذلك أثبتوا لأعين من شاهدهم بنحو لا يرقى إليه الشك أبداً بأنهم كانوا يتوقون لتاج الشهادة في سبيل مولاهم. وأثبتوا أيضاً على أن ما ظهر منهم من البطولة والتضحية بالنفس لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية. فمنهم الكثيرون ممن تعرضوا وتحملوا أشد التعذيب إيلاماً (بالنسبة لغيرهم) ولكنهم لم يبدوا أي شعور بالألم. مثال ملحوظ كان الملاّ محمد رضا من "محمد آباد" المعروف أيضاً باسم الشيخ رضا اليزدي.

وردت قصة سجن الملاّ رضا في مجلد سابق.[1] فقد انهال عليه السجّان ورجاله جلداً على ظهره العاري لمدة طويلة لكنه لم يئن أو يصِحْ أو حتى يظهر أقل علامة تألم على وجهه. وعند انتهاء معاناته أسرّ لصاحبه البهائي السجين معه بأنه فعلاً لم يشعر بأقل ألم وبأنه خلال الضرب كان بمحضر حضرة بهاءالله يناجيه.

ولم يكن الملاّ رضا أو بديع الوحيدين اللذين أظهرا هذا الصبر الخارق، فتاريخ الأمر مليء بقصص مماثلة. لأن قوة الإيمان، كما أكد حضرة المسيح، يمكنها أن تحرك الجبال. وفي كتابات حضرة بهاءالله عبارات وتأكيدات مشابهة بهذا المعنى تفيد بأن الإنسان، إذا أخلص بإيمانه، بوسعه أن يحقق منجزات عظيمة تتناسب ودرجة إيمانه.

دعنا نحاول اكتشاف السبب لهذا الثبات غير العادي الذي تحلّى به الكثيرون من شهداء الأمر، وذلك من خلال دراسة كتابات أمر الله وكذلك تاريخه الذي يؤكد أن كل مؤمن سيق لمكان استشهاده من قبل جلاده أو كان قد تعرض لتعذيب وحشي قبل الاستشهاد، كان يختار ما بين التضحية بحياته في سبيل الله، أو إنكار عقيدته وفي هذه الحالة الأخيرة يضمن سلامته وحريته.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٩٢. وهناك قصة مشابهة، عندما ضرب الملاّ رضا على أقدامه، انظر المجلد الأول، الصفحتين ٨٨–٨٩.

فلو لم يستطع حين البتّ والقرار قطع علائقه بهذا العالم من ملذاتها ومتعها، أو مسرات حياة الأسرة التي تضمن له العيش مع الذين يحبهم، فإن شخصاً كهذا سيبقى متعلقاً كل التعلق بهذه الدنيا وبذلك يقطع علاقته بحضرة بهاءالله. وفي تلك اللحظة تحت التهديد بالموت يحرم المرء نفسه من قوة حضرة بهاءالله التي تسنده، ونتيجة لذلك يتملكه من الهلع ما يجعله ينكر إيمانه لإنقاذ حياته. فبعد أن كان يعتبر أحد المؤمنين قبل تلك الامتحانات الشديدة والافتتان العسير، إلاّ أنه بسبب فشله في الانقطاع عن الدنيا، نجده يتهاوى تحت ضغط الامتحانات، كمن كان فوق قمة جبل وسقط إلى أسفل الهاوية.

لقد سبق أن بحثنا بتفصيل واسع فكرة أن العائق الوحيد الذي يفصل بين الإنسان والمظهر الإلهي هو التعلق بالدنيا، وأن هذا الحاجز نفسه هو الذي يمنع عن ذلك الإنسان مدده من فيض القوى الإلهية ويعريه من رداء الشجاعة والإيمان.

من الناحية الأخرى، لو اختار المؤمن في ساعة امتحانه الأخطر ألاّ يقايض هبة إيمانه الثمينة مقابل حياة الدنيا العابرة، فإن مؤمناً كهذا يبلغ قمة الانقطاع. وهذا منتهى المنال إذ ليس هناك انقطاع أعظم من التضحية بالحياة. في اللحظة التي يُتخذ فيها هذا القرار بفضل الانقطاع التام عن هذا العالم، تهبط على قلب المؤمن هذا من قوى عوالم الروح ما يجعله في مصاف عمالقة الروح. فيصبح في الحين مهبطاً لتأييدات حضرة بهاءالله التي تحيط به وتقوّيه.

فمع أنه ما يزال هنا مع الناس، لكنه في الحقيقة قد ارتقى إلى عالم آخر. لم يعد للخوف أي أثر في كيانه. وبدلاً عن ذلك يصير وجهه منيراً بالبِشر والقوة مما يتحير منه الذين يشاهدونه وهو يسلّم حياته.

يؤكد حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه بأن النفس المنقطعة تحظى بفيض عظيم من القوى والتأييدات النازلة من الملأ الأعلى. مثال لذلك يصرح في أحد الألواح(١١) بأن الذي ينقطع عمّا سوى الله يكون قادراً على التأثير في حقائق سائر الموجودات وأن يفعل ما يشاء. لأن شخصاً كهذا لن يرى في الوجود سوى وجه محبوبه كما لن يخاف من أحد ولو قام أهل العالم ضده.

القليلون من أشباه بديع والملاّ رضا ممن ارتقوا إلى ذروة الإيمان كانت لهم قوى غير اعتيادية منها الصبر الخارق. فكانوا منجذبين لحضرة بهاءالله بحيث لم يمنعهم البعد الجسماني عنه من استمرار الوصل الحقيقي معه بالروح. فلم يكن اعتبارهم بأنهم بمحضره الدائم معه مجرد عبارات بالقول أو توّهم. بل لا بد وأنها كانت تجربة حقيقية بالنسبة لهم. فبديع، مثلاً، كان متصلاً روحياً بحضرة بهاءالله اتصالاً بلغ بحقيقته مستوى كان يرى نفسه في محضره، خلال وقت استشهاده أو تلك الساعات الطويلة من تعذيبه، بحيث لم يتأثر بالبلايا مهما كانت.

وعليه لن يتمكن مَنْ لم يبلغ ذروة الإيمان القصوى من أن يقدّر حقاً مثل هذه الحالة من الوجود. لكن أولئك الألوف من الرجال والنساء الذين سقطوا في ميادين الاستشهاد مستبشرين في سبيل الله، لا بد وأنهم لمسوا حضور حضرة بهاءالله في ذواتهم كوجود حقيقي واضح بدرجة صار إنفاق الحياة لهم سروراً وليس تعذيباً. مثال واحد على ذلك قصة رواها الحاج محمد طاهر المالميري(١٢) عن ميرزا آقا حلبي ساز وهو مؤمن مخلص كان قد تشرف بمحضر حضرة بهاءالله. كان يعمل سمكرياً وله دكان في أحد أسواق يزد. في سنة **١٨٩١**م قُتل سبعة بهائيين بأمر من محمود ميرزا، جلال الدولة، حاكم يزد. عُرفوا بشهداء يزد السبعة الأُوَل، والذين أرسل حضرة بهاءالله قصة استشهادهم إلى جريدة التايمز اللندنية.(١) فقد اقتيد السبعة مربوطين بسلسلة معاً نحو السوق وسط مشاهد ابتهاج العوام، وعند كل مفترق أو تقاطع طرق رئيسي كان يُقتل أحدهم بنحو يتسم بمنتهى البربرية. أمّا المؤمنون الآخرون من أصحاب الحوانيت والتجار فأرغموا على البقاء بمحلاتهم والمشاركة مع الآخرين في تزيين محلاتهم احتفالاً بالمناسبة.

بينما كان الحاج ميرزا جالساً في حانوته مكتئب القلب إزاء تطور الأحداث المأساوي. جاءت اللحظات العصيبة عندما مرّت من أمام حانوته بقية المؤمنين السبعة وهم مربوطون إلى بعضهم. هذا ولم يكن ملتقى الطرق التالي، حيث

---

(١) سيرد وصف لذلك في المجلد القادم.

سيُعدم أحدهم، يبعد كثيراً عن حانوته بحيث يمكن رؤية المنظر من هناك. ويروي الحاج محمد طاهر المالميري بأن الحاج ميرزا طالما حدّث مؤمني يزد عن تجربته العجيبة التي رواها في تلك المناسبة. فلشدة دهشته رأى حضرة بهاءالله نفسه يمر أمام حانوته خلف المؤمنين الذين قدر لهم الاستشهاد، ببضع مئات من الخطوات فقط وكان يسير مسرعاً ليتمكن من اللحاق بهم. عند ذلك خرج الحاج ميرزا من حانوته ليتبع حضرة بهاءالله لكنه أشار عليه بحركة من يده أن يعود إلى حانوته. ومن هناك صار الحاج ميرزا يراقب المشهد حيث رأى أن حضرة بهاءالله قد التحق بالمجموعة عند مفترق الطرق وفي الوقت الذي فكّ الجلاد السلسلة عن أحد الرجال وقتله.

كان الحاج ميرزا يعلم طبعاً أن حضرة بهاءالله لم يكن آنذاك في يزد بل في عكاء، لكنه بالوقت نفسه لم يشك أبداً في أن الذي رآه في السوق في تلك المناسبة المفجعة كان حضرة بهاءالله. فأدرك من تلك الرؤيا العجيبة بأن في ساعة الاستشهاد لم يكن الشهداء وحيدين، وبأن بطولتهم وشجاعتهم الفذة التي لا مثيل لها لم ترجع كلها لأنفسهم، بل كان حضرة بهاءالله يمدهم بقوته الفياضة دوماً، وبأن الذين بلغوا ذروة الإيمان والإيقان حتماً كانوا يأنسون بوجود حضرة بهاءالله إلى جانبهم. من الطريف أن الحاج ميرزا نفسه قد استشهد، بعد سنوات، في يزد.[1]

إن ما شهده الحاج ميرزا في السوق، ولو يستحيل إثباته، لم يكن مجرد خيال وتصوّر. فظهور حضرة بهاءالله ليس دعوة أو فرقة من صنع مخيلة الإنسان وفكره. فأي مذهب يبتدعه عقل الإنسان لا يمكن التعبير عنه إلاّ في إطار تجربة مبدعه وما تفرضه محدوديتها. لكن ظهور حضرة بهاءالله، على عكس ذلك، مصدره من عند الله، وفجّر من القدرات الكامنة، على الصعيدين المادي والروحي، في المجتمع الإنساني ما لا يمكن تخيله. وكغيره من الأديان أتى أيضاً بأسرار يعجز الإنسان عن إدراك كنهها. يحتوي تاريخ أمر الله على تجارب شبيهة بما شهد الحاج ميرزا.

---

(١) انظر قصة حياته في المجلد الثاني، الصفحات ٣٤٧–٣٥٧.

مثال واحد على ذلك: عندما حُبس حضرة الباب في قلعة ماه كو، عُرف عن حارس القلعة، علي خان، بأنه كان متشدداً للغاية في تنفيذ واجباته، ولم يسمح لأي من أصحاب حضرة الباب بزيارته. من بين أولئك كان الشيخ حسن الزنوزي، أحد تلاميذ حضرة الباب المتحمسين. وقد سرد النبيل الأعظم القصة التالية كما رواها السيد حسين اليزدي، كاتب وحي حضرة الباب:

وأضاف السيد حسين قائلاً: (في الأسبوعين الأولين لم يسمح لأحد بزيارة حضرة الباب. وكنت أنا وأخي الوحيدين المسموح لنا بملاقاته، وكان السيد حسن في كل يوم ينزل إلى المدينة ومعه أحد الحراس لشراء اللوازم اليومية الضرورية، وأما الشيخ حسن الزنوزي الذي وصل إلى ماه كو فصرف الليالي في مسجد خارج بوابة المدينة، وكان يقوم بدور وسيط بين أتباع حضرة الباب الذين كانوا يأتون أحيانًا للزيارة في ماه كو وبين أخي السيد حسن، الذي بواسطته كانت تسلّم العرائض من المؤمنين إلى مولاهم وترسل الأجوبة بواسطته إلى الشيخ حسن الزنوزي.

وفي ذات يوم طلب حضرة الباب من أخي أن يبلغ الشيخ حسن بأنه سوف يطلب بنفسه من علي خان أن يغير سلوكه تجاه المؤمنين الذين يزورون ماه كو وأن يترك قسوته. وأضاف: 'أخبره بأني سوف آمر المحافظ غدًا ليأتي إلى هذا المكان.' فحصلت لي دهشة من هذه الرسالة. وفكرت في نفسي كيف يمكن إقناع علي خان المتسلط أن يلطف من قسوة انضباطه. وفي اليوم التالي في وقت مبكر دهشنا لطرق بوابة القلعة المغلقة فجأة مع علمنا الأكيد بأن الأوامر أعطيت أن لا يسمح لأحد بالدخول قبل طلوع الشمس. وعرفنا صوت علي خان وهو يتناقش مع الحرس، وجاء أحدهم وأخبرني بأن محافظ القلعة مصمم على التصريح له بالدخول لمقابلة حضرة الباب في زنزانته. فأوصلت الرسالة وأمرت أن أدخله إلى محضره. وإذ شرعت بالخروج من الغرفة المجاورة لغرفته، وجدت علي خان واقفًا على العتبة بهيئة خضوع تام وتظهر على وجهه علائم الخشوع والتعجب على غير المعتاد. وظهر لي أن كِبره وغطرسته قد زالتا بالكلية. وبكل خضوع وبكمال الأدب رد عليّ التحية

ورجاني أن أصرح له بالدخول لمقابلة حضرة الباب. فأخذته إلى الغرفة التي يشغلها مولاي، وكانت أطرافه ترتعش وهو يتبعني. وظهر في باطنه هيجان لم يقدر على إخفائه وظهر جليًا على أسارير وجهه. فقام حضرة الباب من مقعده ورحّب به. فاقترب علي خان وانحنى تعظيمًا له وارتمى على أقدامه وتوسل قائلاً: 'خلصني من حيرتي، فإني أستحلفك بالنبي جدّك العظيم أن تقشع عني شكوكي لأن ثقلها عليّ يقطّع نياط قلبي. فإني كنت أقود جوادي في البيداء وعندما اقتربت من بوابة المدينة وقت الفجر، رأيتك بعينَي فجأة بجانب النهر واقفًا تؤدي صلاتك. وبيدين ممدودتين وعينين مرتفعتين إلى السماء كنتَ مشتغلاً بالمناجاة لله. فوقفت ساكنًا ألاحظك وانتظرت حتى أتممت الصلاة لأقترب منك وأوبخك على التجاسر لترك القلعة دون أذني. وكنت أثناء مناجاتك مع الله منهمكًا في العبادة والابتهال ناسيًا نفسك تمامًا، فاقتربتُ منكَ بهدوء وأنت في حالة وله ولم تشعر بوجودي بتاتًا. وفجأة شعرت بخوف شديد ورجعت عن عزمي عن إيقاظك من هيامك، فقررت أن أتركك وأذهب إلى الحرس لأوبخهم على إهمالهم. ولكني سرعان ما دهشت إذ وجدت البوابتين الخارجية والداخلية مغلقتين ولم يُفتحا إلا بناء على طلبي، فدخلت إلى محضرك، والآن وجدتك جالسًا أمامي مما أوجب تعجبي وارتبت أن يكون عقلي قد فارقني.' فأجابه حضرة الباب قائلاً: 'إن الذي رأيت هو حق لا ينكر. لقد بخست قدر هذا الأمر واحتقرت صاحبه ولم يشأ الله برحمته أن يوقعك في العقاب بل أراد أن يظهر الحق أمام عينيك وبتوسطه الإلهي أوقع في قلبك محبة وليّه وجعلك تعترف بقوة أمره التي لن تُقهر.')

وقلّبت هذه الحادثة العجيبة قلب علي خان كلية. وهدّأت تلك الكلمات اضطرابه وأخضعت وحشيته وأزالت عداوته. وأراد أن يكفّر عن سابق سلوكه بكل ما أوتي من نفوذ، وأسرع بإخبار حضرة الباب قائلاً: 'هناك شيخ مسكين يحنّ للقائك وهو قاطن في مسجد خارج بوابة ماه كو. أرجوك أن تأذن لي أن أحضره بنفسي إلى هذا المكان لمقابلتك. وبذلك العمل أرجو أن تغفر لي

سيئاتي حتى أكون قادرًا على محو شوائب آثار سلوكي السيئ مع أحبائك.' فأذن له في ذلك، وذهب توًا وأحضر الشيخ حسن الزنوزي للمثول بين يدي مولاه.(١٣)

مقام بديع

عوداً على قصة بديع: فبعد استشهاده ناح قلم حضرة بهاءالله للتعذيب الذي تعرض له، ومجّد تضحيته وبطولته منعماً عليه لقب "فخر الشهداء". وظل يشير إلى بديع في كل لوح تقريباً أنزله لثلاث سنوات بعد استشهاده بألمع العبارات ذاكراً إيمانه الراسخ. وقد خصّ هذه الألواح بعبارة "ملح ألواحي".

في هذه الألواح لا يمجد حضرة بهاءالله مقام بديع فقط، بل يعلّق أهمية كبرى على إعلان رسالته لشاه إيران. ففي أحد هذه الألواح(١٤) يصرح في سياق إشارته لبديع بأنه قد أنفق حياة أحد عباده بعد أن نفخ فيه روحاً جديداً بأيادي القدرة والاقتدار، وبعثه صوب فم الثعبان مباشرة، ليعلم أهل العالم ويوقنوا بسطوة الله وهيمنته على خلقه. ويصرح حضرة بهاءالله أيضاً بأنه قد أرسل بديع بكتاب أعلن فيه أمره وأتمّ حجته على العالمين، ويؤكد بأنه قد رفع عن شخص بديع كل أثر للخوف وزينه بطراز الإيمان والقوة، وبكلمة واحدة أوقد روحه وأرسله ككرة النار لإعلان أمره.

نجد عبارات مثل هذه في كثير من الألواح التي نزلت من قلم حضرة بهاءالله خلال هذه السنوات الثلاث.

كان لإعلان أمر حضرة بهاءالله لشاه إيران دلالة خاصة. فكان المقصود من تسليم هذا اللوح الخطير[١] ليد الشاه شخصياً تعريف أهالي إيران بدين حضرة بهاءالله في منظوره الحقيقي. كان سكان ذلك البلد على علم واسع بدين حضرة

(١) شرحت المواضيع الرئيسة في "لوح السلطان" باختصار في المجلد الثاني، الصفحات ٣٢٩–٣٤٧.

الباب ووقف أغلبهم ضده. وقد شهد أهالي إيران لأكثر من عقدين من الزمن مواقف بطولية أبداها ثلة الأبطال القلائل ممن ثملوا بمحبة الله فأضرموا بإيمانهم وفدائهم ناراً كبرى اندلعت في طول البلاد وعرضها.

وقد كانت رسالة حضرة الباب، وروايات استشهاده وقوة دينه المحوّلة منتشرة في كل زاوية من البلاد كما ترددت أصداؤها من هناك إلى عالم الغرب. لكن بالنسبة لأهل إيران لم يميزوا بين دعوة حضرة بهاءالله ودعوة حضرة الباب. إذ ظل معظم الناس يعتبرون الدعوتين على أنهما ذات الشيء دون أن يميزوا الفروقات الكبيرة بين تعاليم كل منهما.

وكما شهد حضرة بهاءالله في أحد الألواح(١٥)، فإن طبيعة أمر الله، أو ادعاءات مؤسسه أو تعاليمه ومبادئه لم تكن، قبل تسليم هذا اللوح الخطير إلى الشاه، قد أعلنت بجلاء لأولي الحكم في البلاد. ويذكر في اللوح نفسه بأنه قبل أن يُسلم بديع تلك الرسالة الجبارة إلى الملك لم تكن حجة الله قد تمت بعد أو براهين دينه اللائحة قد أعلنت. لكن بعد إعلان رسالته لم يبقَ عذر لأحد في إعراضه وعدائه لأمر الله. ولمّا لم يستجب سكان إيران لنداء الله، الذي أعلنته تلك الرسالة بوضوح تام، حقّ عليهم ما كان قلم حضرة بهاءالله قد تنبأ به أصلاً من غضب الله جزاءً وفاقاً.

العقاب الإلهي

نزل ذلك في إحدى صوره بشكل مجاعة في البلاد بعد استشهاد بديع بقليل مما أودى بحياة نفوس كثيرة. وصل تأثير المجاعة لدرجة من الدمار بحيث أن الحاج الملاّ علي أكبر الشهميرزادي، المعروف بالحاج آخوند،[١] اضطر لكتابة رسالة إلى حضرة بهاءالله يلتمس المغفرة للشعب الإيراني ويطلب الغوث وتخفيف

---

(١) أحد أيادي أمر الله الذين عينهم حضرة بهاءالله قبل صعوده ببضع سنوات. سوف نستعرض ذلك في المجلد القادم.

عنائهم. في اللوح(١٦) الذي أرسل جواباً له، يؤكد حضرة بهاءالله على أن المجاعة تلك كانت عقاباً من الله لقتل بديع، مصرحاً بأنه سبق له في ألواحه أن تنبأ قبل ذلك بما سيرد من بلايا وكوارث قريبة، ويعلن بأنه لولا المؤمنين (البهائيين) لأخذ الله تلك الأمة برمتها. بعد ذلك يستجيب لتوسط الحاج آخوند مؤكداً له أن الوضع سيتغير قريباً وأن الله سيفرج عليهم.

في أحد الألواح(١٧) آنفة الذكر يصرح حضرة بهاءالله بأنه بعد إبلاغ شاه إيران رسالته، ومن خلاله إلى عموم الرعية، لم يبقَ عذر لأحد. بعد ذلك يصرح، في إشارة مثيرة للاهتمام لحتمية الجزاء الإلهي، بأنه ينبغي للمؤمنين أن يتفكروا ويتأملوا في سبب نزول غضب الله بتلك السرعة على الناس بينما قدّر للشاه نفسه مهلة إلى حين.

هذه نقطة كانت قد حيّرت كثيراً من المؤمنين بخصوص ناصر الدين شاه، الذي لقّبه حضرة بهاءالله بـ"أمير الظالمين"، والذي أذاق أتباع حضرة الباب وحضرة بهاءالله مرّ العذاب والاضطهاد. لكن رغم كل قساوة أفعاله قدر له البقاء خمسين سنة في الحكم، في حين لم يمض زمن طويل على سقوط نابليون بعد تحذير حضرة بهاءالله الذي أرسله إليه.

لقد شرح حضرة بهاءالله هذه المسألة بعدة طرق. ففي أحد ألواحه(١٨) يصرح، في معرض تعليقه على فساد علماء الدين بإيران وعدائهم المستمر لأمر الله من فوق المنابر، بقوله بأن لولا رحمة الله التي أحاطت العالمين، لهلك كل أعداء أمر الله. وكان هناك سببان لبقائهم في منجى من ذلك. أحدهما هو مغفرة الله، والآخر هو سوء أعمال بعض المدعين بالولاء لأمره.

ولأجل تفهّم السبب الثاني، دعنا نتفحص علاقة المؤمنين بحضرة بهاءالله. فصاحب الأمر يعتبر المؤمنين "أحباء" الله. وحتى بالنسبة للمجتمع غير البهائي أيضاً فإن المؤمنين، أفراداً أو جماعة، هم على صلة وثيقة بحضرة بهاءالله بحيث إن سلوكهم، حسناً كان أم قبيحاً، ينسب عادة إلى حضرته. وعليه فيمكن لأي عمل سيئ يصدر من أحد أتباع حضرة بهاءالله أن يعتبر في عين الناس بأنه صادر عن

حضرته. فطبقاً لقول حضرة بهاءالله بهذا الصدد نرى كيف أن إجراء العدل يُعاق عندما يكون المذنب المستحق للعقاب هو نفسه كان ضحية اعتداء أو ظلم صدر عن أولئك الذين يقرّون بولائهم لأمر الله ويرتبطون باسم صاحبه. فكيف يعاقب الله شخصاً قام ضد أمره، حينما كان أحباؤه قد أساءوا التصرف معه؟

وقد سجل الحاج ميرزا حبيب الله أفنان الذي تشرف، رفقة والده اللامع، ميرزا آقا، الملقب "نور الدين"،[١] بمحضر حضرة بهاءالله في حيفا وعكاء سنة ١٨٩١م، في مذكراته ما يلي:

كان المرحوم الحاج أبو الحسن الشيرازي... حاضراً. عرض لحضرة بهاءالله أنه في حين زال عهد يزيد[٢] بعد استشهاد الإمام الحسين بثلاث سنوات، فإن ناصر الدين شاه ما يزال يحكم بسلطة غير متناقصة منذ حوالي خمسين عاماً بعد استشهاد حضرة الباب. هذا علماً بأنه لا يكفّ ليل نهار عن مقاومة أمر الله، دون أن يقتص الله منه، وبدل ذلك فقد أعطي هذه المهلة الطويلة. فكان ردّ حضرة بهاءالله هو أن تأخير نهايته يرجع إلى محاولة الاعتداء على حياته من قبل بعض المؤمنين الجهلة في أوائل أيام أمر الله. لكن عاد حضرة بهاءالله وأكد له بأن دوره هو الآخر سيأتي أيضاً.(١٩)

في اللوح(٢٠) المذكور سابقاً والموجّه إلى الحاج عبد المجيد، أبي بديع، يصرح حضرة بهاءالله بأن هيكل أمر الله قد تزيّن ببديع وبأن مقامه بلغ من الرفعة بحيث ما من قلم يستطيع وصفه. ويؤكد حضرة بهاءالله بأن من خلاله اضطربت أركان الظلم وأشرق وجه النصر. أمّا علو مقامه الذي ارتقى إليه في العوالم العليا فلا يمكن ذكره أبداً.

---

(١) كان أحد أفراد عائلة حضرة الباب المميزين. وكان الابن الوحيد لأخت حرم حضرة الباب، وتابعاً مخلصاً لحضرة بهاءالله وخدماته لأمر الله موضع تقدير حضرته. سنعرض لمحة مختصرة عن حياته في المجلد القادم.

(٢) يزيد الأول، أحد الخلفاء الأمويين، تسبب في استشهاد الإمام الحسين.

يعيد حضرة بهاءالله في هذا اللوح للأذهان أحد تعاليم الله الأساسية. فقد كتب لكل ابن[1] خدمة أبيه وأن ذلك أمر قدر في كتاب الله. ثم يوصي الحاج عبد المجيد بألاّ يعفو عن ابنه عما فاته في خدمة أبيه في حياته فحسب بل أن يرضى عنه أيضاً.

أصبح الحاج عبد المجيد من أكثر الآباء فخراً عندما سمع أنباء بديع وقصة استشهاده. فسافر في سنة ١٨٧٦م إلى عكاء، حيث تشرف بمحضر حضرة بهاءالله. فيما يلي كلماته:

> حظيت يوماً بشرف محضر الجمال المبارك وهو يتحدث عن بديع الذي كان قد تشرف بمحضره الكريم، ثم حمل لوحه المبارك إلى طهران (إلى ناصر الدين شاه) وفاز بتاج الشهادة. بينما كان حضرته يتحدث، سالت دموعي بغزارة حتى ابتلّت لحيتي. التفت إليّ حضرة بهاءالله قائلاً: 'يا أبا بديع إن رجلاً قضى ثلاثة أرباع عمره ينبغي أن ينفق بقيته في سبيل الله...' فسألت: 'تُرى هل يمكن للحيتي المبتلة بدمعي أن تخضّب يوماً بحمرة دمي؟' فأجاب الجمال المبارك: 'إن شاء الله...'[2](٢١)

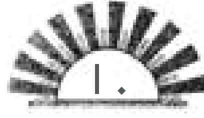
وكان كذلك، إذ توّج أبو بديع رأسه هو الآخر بإكليل الشهادة كما وردت قصته في مجلد سابق.[3]

---

(١) ينطبق هذا بالطبع على البنت أيضاً.

(٢) الكلمات المنسوبة لحضرة بهاءالله ليست بالضرورة نص كلماته بالضبط.

(٣) المجلد الثاني، الصفحات ١٢٣ – ١٣٠.



وفاة الغصن الأطهر

كان قد مرّ أقل من سنتين على ورود حضرة بهاءالله وحبسه في الثكنات عندما وقعت فجأة أفجع حادثة. كانت وفاة ميرزا مهدي، الملقب بالغصن الأطهر، أخ حضرة عبدالبهاء الأصغر، والذي سقط من سطح الثكنات ومات متأثراً بجرح قاتل.

في عام ١٨٤٨م، حينما كان أتباع حضرة الباب تتقاذفهم أمواج البلايا والاضطهاد، ولد بطهران ابن لحضرة بهاءالله وحرمه المكرمة آسية خانم، الملقبة نوّاب.[1] كان أصغر من حضرة عبدالبهاء بأربع سنوات وسمّي مهدي إحياء لاسم أخ لحضرة بهاءالله كان عزيزاً عليه وقد توفي قبل ذلك بسنة. فيما بعد لقبه القلم الأعلى بـ"غصن الله الأطهر".

خلافاً لحضرة عبدالبهاء لم تكن لميرزا مهدي ذكريات عن حياة ترف في طهران، إذ كان عمره أزيد من أربعة أعوام بقليل عندما حبس والده في سياه چال، ثم نهبت كل ممتلكاته وصادرها أعداء أمر الله. في أثناء الشهور الأربعة التي وضع فيها حضرة بهاءالله في ذلك السجن الشنيع، قضت عائلته المباركة أيامها في هلع وكرب، لا يعلم أحد منها ما قد يحدث له. أما الطفل، الذي كان رقيق الطبع والكيان وواعياً ومتأثراً بجو الخوف والقلق السائد حوله، فلم يكن له ملجأ وملاذ سوى ذراعَيْ أم محبة متفانية. لكن شاءت عناية الله أن تحرمه حتى ذلك أيضاً. لأن رحلة النفي التي كانت تنتظرهم، في أوج موسم الشتاء وما انطوى عليها من مشاق ومخاطر جمة لا يحتملها طفل رقيق مرهف كميرزا مهدي،

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١٦.



ميرزا مهدي، الغصن الأطهر

الابن العزيز لحضرة بهاءالله والذي انطلقت بوفاته في ثكنات عكاء قوىً روحانية هائلة لتوحيد الجنس البشري



الغصن الأطهر مع حضرة عبدالبهاء
صورة التقطت في أدرنة

استوجبت تركه في طهران برعاية بعض الأقرباء. بقي لمدة تقارب سبع سنوات يعاني مرارة الفراق عن والديه المحبوبين. يبدو أن الله كان بصدد إعداد روحه، بهذه السن المبكرة، من خلال المعاناة والألم ليتحمل فيما بعد دوراً رئيساً في ميدان التضحية والفداء ويضفي بذلك بريقاً لا يخبو على دين أبيه السماوي.

أُخذ ميرزا مهدي إلى بغداد للالتحاق بأسرته سنة ١٢٧٦هـ (حوالي ١٨٦٠م). في تلك المدينة فتح هذا الصبي الطاهر النقي، الذي عرف بوداعته، بصيرة روحه على أنوار الروح الإلهي. فانجذبت روحه وانتعشت بما مرّ عليها من نسائم ظهور حضرة بهاءالله. منذ ذلك الوقت فصاعداً كرّس كل لحظة من حياته لخدمة أبيه السماوي. فكان رفيق حضرة بهاءالله في كل من بغداد وأدرنة وعكاء، وقد عمل كاتب وحي[١] له حتى أواخر حياته، تاركاً للأجيال اللاحقة ما خطّ بيده من ألواح. كانت السنوات العشر الأخيرة من عمره زاخرة بالشدائد والمعاناةالتي فرضت على حضرة بهاءالله وأصحابه خلال مراحل النفي الثلاث من بغداد إلى عكاء.

كان الغصن الأطهر يشبه حضرة عبدالبهاء، وقد تحلى، طوال حياته الحافلة القصيرة، بالسجايا الروحانية نفسها التي ميّزت أخاه اللامع. فأحبّه المؤمنون ووقروه كما فعلوا تجاه حضرة عبدالبهاء.

سكن الغصن الأطهر في عكاء قرب والده داخل الثكنات. في أغلب الأحيان كان يتشرف بمحضر والده قرب نهاية النهار ليعمل كاتباً للوحي. في يوم **٢٢** حزيران عام ١٨٧٠م، وفي أوائل المساء، أخبر حضرة بهاءالله ابنه بألاّ حاجة له ذاك اليوم للكتابة وأن بإمكانه بدلاً من ذلك أن يقضي وقته في الصلاة والتأمل على سطح السجن كالمعتاد. تجدر الإشارة هنا إلى أن الصعود إلى سطح السجن بالنسبة للسجناء كان أمراً عادياً بغية التمتع بهواء طلق بارد نسبياً في المساء سيما في فصل الصيف. وطالما استعمل الغصن الأطهر ذلك السطح يتمشى بخطواته جيئة وذهاباً وهو غارق في دعائه ومناجاته وتأملاته. لكن في تلك الأمسية المحتومة

(١) يجب ملاحظة أن ميرزا آقا جان كان كاتب وحي حضرة بهاءالله، وكان هناك أيضا آخرون كانوا يقومون بتلك المهمة من حين لآخر.

وهو مستغرق في نشوة تلاوة وتأمل عميق في "القصيدة الورقائية"، إحدى أعمق قصائد حضرة بهاءالله وأشدها أثراً في النفس والتي نزلت في كردستان،[1] بحيث كان في حالة انقطاع صرف عن الدنيا، وبينما هو كذلك عاكفاً في مناجاته ماشياً مغمض العين كعادته في ذلك المكان وإذا بقدمه تقوده إلى فجوة للإنارة في السقف فسقط خلالها ووقع على قفص خشبي كان على الأرض في الأسفل. جرح على أثر ذلك جرحاً بليغاً ونزف بغزارة بحيث اضطروا لتمزيق ثيابه عنه لإزالتها. فيما يلي وصف لذلك الحادث المفجع تركه حسين آشچي، طباخ عائلة حضرة بهاءالله ومن أصحابه المخلصين، يشير لظروف المأساة وكيفية سقوط الغصن الأطهر ووفاته:

> لا يمكن لأحد أن يصف أو يتصور مدى التواضع ونكران الذات والعشق والمحوية في حياة الغصن الأطهر. كان يصغر المولى (حضرة عبدالبهاء) ببضع سنوات لكنه أطول منه قليلاً. كرس نفسه للخدمة كاتباً لوحي حضرة بهاءالله وعكف على نقل الآثار المباركة واستنساخها... اعتاد أن يصعد، بعد فراغه من الكتابة، إلى سطح الثكنات للدعاء. كانت توجد فتحة للإنارة في وسط السطح قرب موقع المطبخ. وفي أثناء استغراقه في الدعاء رافعاً رأسه منجذباً إلى الملكوت الأبهى، سقط خلال الفتحة ووقع على مواد صلبة. فزعنا جميعاً لسماع صوت ارتطامه الفظيع، فهرعنا لمنظر الفاجعة وروعنا بما وقع بقضاء الله، وبلا وعي ضربنا على رؤوسنا أسفاً ولوعة من شدة الصدمة. ثم خرج جمال القدم مستفسراً عما كان سبب سقوطه. فأجاب الغصن الأطهر بأنه كان يعي بوجود الفتحة وموقعها، وفي السابق دأب على اجتنابها وعدم الاقتراب منها، لكن في هذه المرة كان القدر وراء غفلته عنها.
>
> حملنا جسده الغالي إلى غرفته وأرسلنا بطلب طبيب إيطالي لكنه لم يقدر أن يفعل شيئاً... هذا ورغم ما كان يعانيه من ألم شديد، ورغم ضعفه، فإنه لم يتجاهل من وقف قرب سريره بل حيّاهم بحرارة وأبدى لهم وافر

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٦٥–٦٦.

المحبة واللطف، وحتى اعتذر لاضطراره البقاء مستلقياً على الفراش في محضرهم...(١)

تجمع حوله أفراد العائلة وعدد من الأصحاب وهم في غاية الغم والحزن، وبلغوا من التألم واللوعة بحيث دخل حضرة عبدالبهاء بعيون تدمع إلى محضر حضرة بهاءالله وركع عند قدميه ملتمساً إنقاذه. يروى أن حضرة بهاءالله أجاب: 'يا غصني الأعظم دعه بيد بارئه.' ثم قام وتوجه إلى حيث رقد ابنه الجريح، وطلب من الحاضرين إخلاء الغرفة وبقي معه لبعض الوقت. ولو أن أحداً لم يسمع ما دار بينهما خلال تلك الساعة الغالية بين العاشق والمحبوب، لكن بإمكاننا التأكد من أن ابن حضرة بهاءالله هذا، الذي لم يعرف حبه وإخلاصه المتفاني لأمر أبيه حدوداً، شعر بمنتهى الاطمئنان والانشراح بما خصّه مولاه من فيض ألطافه وحبّه.

ينبغي أن نتذكر بأن العلاقة الشخصية بين حضرة بهاءالله وأفراد أسرته الذين استقاموا في ولائهم وإخلاصهم لأمر الله لم تكن تشبه العلاقة السائدة بين أفراد العائلات الأخرى. عادة، في أي بيت يتخذ الأب وابنه موقفاً يتّسم بكثير من التقارب والعلاقة غير الرسمية تجاه كل منهما للآخر. لكن في حالة حضرة بهاءالله وأبنائه المخلصين، كانت العلاقة مختلفة تماماً، ولو أن علاقة الأب والابن كانت طبعاً قائمة بأكمل حال. إلاّ أن مقام حضرة بهاءالله كمظهر إلهي طغت على مكانته كوالد جسماني. فلم ينظر حضرة عبدالبهاء والورقة العليا والغصن الأطهر إلى حضرة بهاءالله كمجرد أب لهم، بل على أنه مولاهم. ولمّا كانوا مدركين لمقامه، فإنهم تصرفوا دوماً حياله كعباد في أدنى مراتب العبودية لدى عتبته. فعندما كان حضرة عبدالبهاء يدخل في محضر حضرة بهاءالله كانت تتجسد في هيئته وتصرفاته سمات العبودية البحتة ونكران الذات الصرف والتواضع الأصيل والتبجيل مما لم يظهر مثله من قبل كل أصحابه. إن مثال التواضع الذي تجسد في حضرة عبدالبهاء وهو ينحني أمام والده، أو يسجد عند قدميه أو ينزل عن مطيته عند اقترابه من القصر (البهجة) الذي كان يقيم فيه حضرة بهاءالله، إن كل ذلك يبرهن على العلاقة الفريدة التي كانت تربط بين هذا الوالد وإبنيه وابنته المخلصين.

على ضوء ذلك كله بوسعنا أن نقدّر ما شعر به الغصن الأطهر حينما ذهب أبوه إلى جانب سريره. فلا يمكننا أن نتخيل أي عبارات من الإخلاص والحب والامتنان نطقت بها شفتاه في تلك المناسبة. كل ما نعرفه هو أن حضرة بهاءالله، بما كان يملك في يديه مقدرات الحياة والموت، قد سأل ابنه الذي كان يقترب من الموت فيما إذا كان يرغب بأن يعيش وأكد له بأنه لو كان ذلك ما يريد فإن الله سيمكنه من الشفاء ويمنحه صحة جيدة. إلاّ أن الغصن الأطهر توّسل بحضرة بهاءالله أن يقبل حياته فداء عسى أن تفتح مقابلها أبواب السجن ويتمكن كثير من المؤمنين المتلهفين من القدوم والدخول في محضر مولاهم. فقبل حضرة بهاءالله تضحيته ومات في **٢٣** حزيران ١٨٧٠م، بعد اثنتين وعشرين ساعة من سقوطه.

هكذا انتهت حياة من صرّح حضرة بهاءالله بأنه "خُلق من نور البهاء"، وكانت ولادته في أحلك ساعات تاريخ أمر الله، وقضى سني الطفولة في مهد المصائب، واشتعلت روحه منذ عمر مبكر بنار الرزايا والافتراق، وصرف أيام فرحه ومرحه في المنفى وبين جدران السجن، وبفاجعة موته ترك الدنيا برداء محمر بالفداء والتضحية، وبذلك ألقى سناء خالداً على دين والده الماجد.

خلقت وفاة الغصن الأطهر داخل أسوار السجن اضطراباً مريراً بين الأصحاب الذين ثكلوا وناحوا على فقدان أحد ألمع أفراد عائلة حضرة بهاءالله المباركة. فيما يلي موجز لمذكرات حسين آشجي:

عندما توفي الغصن الأطهر التمس الشيخ محمود[١] من المولى السماح له بشرف غسل جسده وألاّ يدع لأحد من مدينة عكاء القيام بتلك الخدمة. أذن المولى له بذلك. فنصبت خيمة في وسط الثكنات. وضعنا جسده المبارك فوق منضدة وسط الخيمة وبدأ الشيخ محمود مهمة الغسل.[٢] في أثناء ذلك كان أحباء الله يطوفون حول الشمعة التي أوقدتها يدا الله، نائحين باكين

(١) انظر الصفحات ٧٣–٧٦.

(٢) وشخص آخر شارك في غسل الجثمان كان ميرزا حسن المازندراني، ابن عم حضرة بهاءالله. انظر الصفحة ٢٢٠.

بحرقة، مثل الفَراش الذي يدور حول مصدر النور. فأتيت بالماء وشاركت بغسل الجثمان. أما المولى فكان يتمشى خارج الخيمة ذهاباً وإياباً وقد بدا على وجهه حزن عميق...

بعد الغسل والتكفين وضع جثمانه داخل صندوق جديد. وعند ذلك الحين تعالت أصوات العويل والنحيب وبلغت السماء. ثم حمل النعش على أكتاف الرجال وساروا به خارج الثكنات بوقار مهيب وجلال فائق. تم الدفن في مقبرة النبي صالح خارج عكاء... وعند العودة إلى الثكنات وقعت هزة أرضية في تلك المنطقة وعلمنا جميعاً بأنها كانت من تأثير دفن ذلك الكيان القدسي.(٢)

وقد ذكر النبيل الأعظم بأنه، والسيد مهدي الدهجي[١] والنبيل القائني[٢] كانوا في الناصرة عند وقوع الزلزلة. دامت لثلاث دقائق وفزع الناس لها. وعندما علموا فيما بعد بصعود الغصن الأطهر فطنوا باتفاق حدوثها مع وقت دفنه وعرفوا سببها. ويؤكد حضرة بهاءالله في أحد ألواحه التي يشير فيها للغصن الأطهر سبب وقوع تلك الهزة بهذه الكلمات:

"طوبى لك ولمن يتوجه إليك ويزور قبرك ويتقرب بك إلى الله رب ما كان وما يكون... وأشهد أنك رجعت مظلوماً إلى مقرك طوبى لك وللذين تمسكوا بذيلك الممدود... إنك أنت وديعة الله وكنزه فيهذه الديار سوف يظهر الله بك ما أراد إنه لهو الحق علام الغيوب. باستقرارك على الأرض تزلزلت في نفسها شوقاً للقائك كذلك قضي الأمر ولكن الناس لا يفقهون... إنا لو نذكر أسرار صعودك لينتبهن أهل الرقود ويشتعلن الوجود بنار ذكر اسمي الودود."(٣)

بعد الموت المفجع للغصن الأطهر حزنت عليه أمه المقدسة وبكته بلا انقطاع تقريباً. ولكن عندما طمأنها حضرة بهاءالله بأن الله قد قَبِلَ وفاته على أنه فداء

(١) انظر المجلد الثاني.

(٢) انظر الصفحتين ٦٠–٦١.

مقدس لأجل انفتاح الأبواب في وجه المؤمنين القاصدين وجه مولاهم ومحضر محبوبهم، وأن يكون سبباً في تنبّه العباد عامة وابتعاثهم، شعرت تلك الأم النبيلة بالسكينة ووجدت في كلماته سلواناً فكفّت عن البكاء.

احتفظت أخته المخلصة، الورقة المباركة العليا، ضمن آثاره الثمينة، بأثوابه المدماة كتركة لأجيال المستقبل تشهد بصمت على هذا الفداء العظيم.

فبعد استشهاد الغصن الأطهر بفترة قصيرة خففت قيود كثيرة في داخل الثكنات وسمح لعدة مؤمنين ممن كانوا متلهفين للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله بالقيام بذلك. وبعد نحو أربعة أشهر من تلك الفاجعة غادر حضرة بهاءالله وأصحابه ثكنات السجن نهائياً. كما سنرى فيما بعد، فقد أقام حضرته بمنزل بعكاء، ولم يمضِ زمن طويل قبل وصول العديد من الزوار من إيران للتشرف بمحضره.

في شهر كانون الأول **١٩٣٩**م قام حضرة شوقي أفندي، بصحبة عدد من المؤمنين ووسط أخطار عظيمة ومصاعب جمة بنقل رفات الغصن الأطهر، بمنتهى العناية وبيده شخصياً، وكذلك رفات أمه اللامعة (آسية خانم)، من مقبرتين منفصلتين في عكاء، وحملهما بصندوق على كتفه وأودعهما في مستقرهما الأخير على سفح جبل الكرمل بجوار مرقد الورقة المباركة العليا قريباً من ضريح حضرة الباب.[١]

إن وفاة الغصن الأطهر يجب اعتبارها بأنها فداء حضرة بهاءالله نفسه، فداء بمستوى صلب السيد المسيح واستشهاد حضرة الباب. يصرح حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، حول هذا الموضوع بأن حضرة بهاءالله قد رفع من شأن وفاة الغصن الأطهر إلى "منزلة الفداء العظيم الذي فدى ولد إبراهيم، وإلى مقام صلب السيد المسيح، واستشهاد الإمام الحسين."(٤) وفي مناسبة أخرى يصرح حضرة شوقي أفندي(٥) بأن قربان الدورة البابية كان حضرة الباب نفسه الذي ضحى بحياته من أجل خلاص البشرية وتطهيرها. وفي دورة حضرة بهاءالله كان الغصن

(١) انظر الملحق رقم ٣.

الأطهر قربانها إذ ضحى بحياته لتنطلق كل القوى اللازمة لتحقيق وحدة الجنس البشري واتحاده.

ولو أننا لن نقدر أن نفهم فهماً تاماً سرّ التضحية في هذا العالم، لكننا نجد في الآثار المباركة ما يؤكد على أن قوى هائلة تنطلق حينما يفدي إنسان بشيء في سبيل الله. وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في المجلد الثاني. يصرح حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه بأنه ما لم تتلاشى البذرة وتتحلل تماماً في باطن الأرض فلا ترتفع منها شجرة. عندئذ، وبعد تضحية البذرة بنفسها تضحية تامة، يمكن رؤية الحبة، ذلك الكائن البسيط في ظاهره، وقد تحولت إلى شجرة جبارة ذات أغصان وأثمار وأزهار. ويحصل الشيء نفسه عندما يضحي الإنسان بشيء مما يملك.

في باطن الإنسان قوتان متضادتان، القوة الحيوانية والقوة الروحية. فالطبيعة الحيوانية تميل به إلى عالم الماديات. لذلك دأب مظاهر الله على حثّ أتباعهم لينقطعوا عن العلائق المادية وبذلك ترجح كفة الجانب الروحاني على المادي. وكما صرحنا في هذا المجلد وما سبقه،[1] فليس المقصود بالانقطاع نبذ الدنيا، أو اللجوء للتسول أو التنسك. وبعبارة موجزة فإن الانقطاع يعني تفويض إرادة الإنسان لإرادة الله وابتغاء مرضاته قبل رضائه هو. وعليه فإن التحدي الذي يواجه كل مؤمن في هذه الحياة هو انقطاعه عما سوى الله. والانقطاع عن أي شيء في هذا العالم عملية مؤلمة، ولذلك تصبح التضحية هنا أمراً ضرورياً، لأن الإنسان مجذوب بهذا العالم وبنفسه بنحو طبيعي. عندما يفدي الإنسان شيئاً من هذه الدنيا، وبذلك يضحي أو يعاني حرماناً من متعة أو راحة مادية، فإنه سيرتقي إلى مقام روحاني أسمى، تبعاً لأهمية التضحية وقيمتها.

وعندما يضحي بشيء عزيز عليه في سبيل أمر الله فإن قوى خفية، كما يشهد حضرة بهاءالله في آثاره المنزلة، سوف تنطلق وتعمل على نمو أمر الله. فإذا ما قام

(١) للمزيد من الشرح حول هذا الموضوع الهام انظر المجلدين الأول والثاني.

مؤمن مضحياً بوقته، أو عمل على تأسيس أحد المراكز الأمرية في موقع ما، أو هجر حياة الرفاه والراحة بمنزله ليهاجر إلى بلد غريب، أو يتبرع بماله لتقدم أمر الله، أو يتحمل اضطهاداً في سبيل دينه، فكل هذه التضحيات ممدوحة ومقبولة عند الله وتنصر دين حضرة بهاءالله بلا شك، شريطة توفر حسن النية وصدقها لديه. أما إنفاق النفس في سبيل الله إذا استوجبت الظروف فهو أسمى مراتب الفداء. إنه أشبه بتضحية الحبة بذاتها للتربة المحيطة بها. لقد خُيّر آلاف من الشهداء في إيران بين إنكار عقيدتهم أو الموت، وبذلك انطلقت قوى هائلة نتيجة لفدائهم دفعت عجلة تقدم أمر حضرة بهاءالله وتدعيمه إلى الأمام. ذلك لأن شيئين هما المسؤولان عن نشر أمر الله ونفاذه إلى القلوب. أولهما فيض طاقات ظهور حضرة بهاءالله بما له من آثار محيية للنفوس ومجددة للعالم وهي بمثابة أشعة الشمس في فصل الربيع وهي تمد حياة جديدة لكل المخلوقات، والأخرى دماء الشهداء التي بها تسقى شجرة أمره. في إحدى رسائله(٦) للمؤمنين في الشرق، نسب حضرة شوقي أفندي جميع انتصارات أمر الله العظيمة في الغرب، بما فيها اهتداء الملكة ماري، ملكة رومانيا،[١] للقوى الخفية التي أُطلقت بفضل دماء عدد لا يحصى من الشهداء في إيران. إلاّ أن في هذه الدورة نصح حضرة بهاءالله أتباعه ألاّ يبتغوا الاستشهاد. وكتب بدل ذلك على المؤمنين أن يستثمروا هذه الحياة لتبليغ أمر الله، وقد رفع ثواب التبليغ إلى مقام الاستشهاد.[٢]

ولكونه فداءً لحضرة بهاءالله نفسه، فإن الغصن الأطهر بفديه حياته في سبيل أن يفتح الله أبواب السجن قد تسبب في انطلاق طاقات روحانية لا يمكن قياسها في بواطن المجتمع البشري، طاقات من شأنها أن تحقق، في تمام الوقت المناسب طبقاً لتأكيد حضرة بهاءالله، وحدة الجنس البشري. ففي مناجاة أنزلها حضرة بهاءالله في يوم وفاة الغصن الأطهر، نطق حضرته بهذه العبارات التي وصفها حضرة شوقي أفندي بأنها "مذهلة":

---

(١) للمزيد من المعلومات انظر "كتاب القرن البديع"، الصفحات ٤٨٤–٤٩٣.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٩٢.

"سبحانك اللهم يا إلهي تراني بين أيادي الأعداء والابن محمر بدمه أمام وجهك يا من بيده ملكوت الأسماء. أي رب فديت ما أعطيتني لحيوة العباد واتحاد من في البلاد."(٧)

ولولا نطق حضرة بهاءالله بهذه العبارات، التي كشف بها عن الكوامن المهولة التي انطوى عليها ذلك الفداء، فإنه من المحتمل أن أحداً من أتباعه لم يستطع تصور مغزى وفاة هذا الابن النبيل وأهميتها. وفي رسالة بعثها حضرة شوقي أفندي لأحباء الله في الشرق،(٨) مقتبساً فيها العبارات آنفة الذكر، بمناسبة نقل رفات الغصن الأطهر وأمه المجيدة إلى مقرهما الأخير الرائع على جبل الكرمل، أوضح في رسالته بأن انبعاث نفوس أهل العالم، واتحاد الأمم على هذا الكوكب، ووحدة العالم الإنساني –وهي الأهداف الأساسية لهذا الظهور– إنما ستتحقق نتيجة ما انطوى عليه فداء الغصن الأطهر من قوى الغيب الخفية.

كم هو لائق ومناسب إذاً أن يكون موضع المباني التي ستضم مؤسسات أمر الله الإدارية العالمية –وهي المنشآت التي ستعكس نظم حضرة بهاءالله الشامل والمنجي لكل العالم والتي تقام الآن وينتظر إنجازها قريباً. وبذلك ستتم وحدة الجنس البشري– أن يكون موضعها على سفح جبل الكرمل مرتبة على قوس تقع في مركز دائرته ليس فقط رفات الورقة المباركة العليا، ابنة حضرة بهاءالله اللامعة، وأمها، بل تلك التي تعود لغصنه الأطهر الذي فداه أبوه العزيز القدير عسى أن يُقدر لنا، نحن عباده، حظ من كوثر حيوانه **لحيوة العباد واتحاد من في البلاد.**

في عام **١٩٣٩**م كتب حضرة شوقي أفندي الكلمات المرشدة التالية في تعليق عرض فيه بإسهاب مستقبل مركز أمر الله العالمي وارتباطاته الروحية بهؤلاء الأفراد الثلاثة من أسرة حضرة بهاءالله:

إذ يجب أن يكون مفهوماً واضحاً، ولا يمكن المغالاة في تأكيد هذا، بأن إلحاق مرقد الورقة المباركة العليا بكل من أخيها وأمها ليضاعف بلا حدود القدرات الروحانية لهذه البقعة المقدسة المقدّر لها، وهي في

ظل ضريح حضرة الباب ومقامه الأعلى، وبجوار موقع مشرق الأذكار[١] المنتظر بناؤه مستقبلاً على جانب منه، أن تتطور لتصبح المركز المحوري لتلك المؤسسات الإدارية التي ستهز العالم وتحيط به وتوجهه وجهة الحق والصراط المستقيم، كما أمر بها حضرة بهاءالله وانتظرها حضرة عبدالبهاء، والتي ستعمل وفق المبادئ التي يسترشد بها كل من مؤسستَيْ ولاية الأمر وبيت العدل الأعظم التوأمين. عندئذ فقط، سوف تتحقق هذه النبؤة الجبارة التي تستنير بها الفقرات الختامية في "لوح الكرمل"[٢]:

"سوف تجري سفينة الله عليك ويظهر أهل البهاء الذين ذكرهم في كتاب الأسماء."

إن محاولة القيام بتصوّر المجد، ولو بأبسط صوره، الذي سيحيط بهذه المؤسسات، ومحاولة إعطاء وصف مبدئي وجزئي فقط لطبيعتها أو كيفية عملها، أو القيام بسرد، مهما يكن غير واف، لمسلسل الأحداث المؤدية لنشوئها وتأسيسها أخيراً إنما هو خارج عن استعدادي ومقدرتي الشخصية. يكفي هنا القول بأن في هذه الحقبة من تاريخ العالم المضطرب يُعتبر تجمع هذه الذوات الثلاثة بما هم عليه من مكانة قيّمة لا تضاهى والذين يعلون في مقامهم، بعد الذوات المركزية الثلاثة للأمر، فوق حشود الأبطال الضخمة، وحروف الحيّ والشهداء، والأيادي والمبلغين والإداريين في أمر حضرة بهاءالله، تجمعهم في مثل هذه البقعة والمركز المشحون بالطاقات الروحانية والإدارية، لهو بحد ذاته حدث من شأنه أن يطلق القوى الجديرة بتعجيل ظهور أسنى لئالئ ذلك النظام العالمي، في أرض تمثل، جغرافياً وروحياً وإدارياً، قلب هذا الكوكب، ذلك النظم الذي ما زال ينمو برحم هذا العصر.(٩)

---

(١) مكان العبادة البهائي. انظر الصفحات ٣٥١–٣٥٣ أدناه. (أ. ط.)

(٢) يمكن اعتبار "لوح الكرمل"، الذي أنزله حضرة بهاءالله، بأنه دستور بناء المركز العالمي للدين البهائي. سوف نستعرض لهذا اللوح في المجلد القادم. (أ. ط.)

هذا ولم يمنع ذاك الحدث المفجع –موت الغصن الأطهر– القلم الأعلى عن إنزال كلمات الله. فإن مظهر الله لن يشغله شأن واحد في وقت ما وليس من شيء في هذه الدنيا يمكنه أن يغشي أو يحجب نظرته المحيطة بكل شيء. فهو غير محدود أو مقيّد، كما هو شأن البشر، في تعامله مع الأشياء. وقد ناقشنا في مجلدات سابقة هذه الناحية من المظهر الإلهي.[1] ففي اليوم الذي صعدت فيه روح الغصن الأطهر إلى عوالم الغيب العليا، أنزل حضرة بهاءالله لوحاً في حق أحد الأحباء في قزوين ذكر فيه ابنه بعبارات تلهج بالثناء وتسبغ بالبركات. فيما يلي جزء من اللوح:

"هذا حين فيه يغسلون الابن أمام الوجه بعد الذي فديناه في السجن الأعظم، بذلك ارتفع نحيب البكاء من أهل سرادق الأبهى ونَوح الذين حُبسوا مع الغلام في سبيل الله مالك يوم الميعاد. في مثل هذه الحالة ما مُنع القلم عن ذكر ربه مالك الأمم، يَدعُ الناس إلى الله العزيز الوهّاب. هذا يوم فيه استشهد من خُلق من نور البهاء إذ كان مسجوناً بأيدي الأعداء. عليك يا غصن الله ذكر الله وثنائه وثناء من في جبروت البقاء وثناء من في ملكوت الأسماء. طوبى لك بما وفيت ميثاق الله وعهده إلى أن فديت نفسك أمام وجه ربك العزيز المختار. أنت المظلوم وجمال القيوم قد حملت في أول أيامك في سبيل الله ما ناحت به الأشياء وتزلزلت الأركان. طوبى لمن يذكرك ويتقرب بك إلى الله فالق الأصباح."(١٠)

"لوح ابن العم"

أنزل هذا اللوح في ثكنات عكاء في حق ميرزا حسن المازندراني، ابن عم حضرة بهاءالله. سبق أن أشرنا إلى نجاح ميرزا حسن في دخول الثكنات وبقائه فيها لفترة من الزمن. وقدر له أن يكون هناك حين صعود الغصن الأطهر، وشارك الشيخ محمود بغسل جسده. أنزل حضرة بهاءالله هذا اللوح عندما وجّه ميرزا

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٧٩–٢٨٠؛ والمجلد الثاني، الصفحتين ٤٠٨–٤٠٩.

حسن للعودة لموطنه. كان ابن العم هذا عزيزاً على حضرة بهاءالله إذ تمّ على يد حضرته اعتناق ابن عمه دعوة حضرة الباب في أوائل نشوئها وذلك بعد أن بلّغ حضرة بهاءالله عمه، والد ميرزا حسن، الملاّ زين العابدين بدين حضرة الباب. وصار ابنه، ميرزا حسن، بعد ذلك من المؤمنين المخلصين لأمر الله وكرّس نفسه لخدمة مؤسسه.

في مطلع اللوح يحثّ حضرته ميرزا حسن أن يحمد الله إذ سبق **جميع ذوي القربى** في زيارة جمال القدم في السجن الأعظم. وأن يغتنم هذا الفضل إذ لم تنقطع أواصر القربى بينهما، ذلك الفضل الذي لا يعادله كل ما خلق في السماء والأرض.

وكما مرّ سابقاً في المجلدين السابقين[1] فإن عدداً من أقرباء حضرة بهاءالله بضمنهم أعمامه وأبناؤهم، وكذلك من إخوته وأخواته، قد اعترفوا اعترافاً كاملاً بمقام حضرة بهاءالله وصاروا من أتباعه المخلصين. وبذلك كانوا بنظره ممتازين عن غيرهم من حيث إنهم دعموا وقووا علاقتهم العائلية بأواصر روحية تنبع من الإيمان. ولمّا كانت الغاية الأولى لبعثة مظهر أمر الله توعية النفوس ومنحها حياة روحانية، فكل من مُنع وحُرم من هذا يُعتبر بنظره كالميت. وكلمة "ميت" في آثار حضرة بهاءالله وكذلك الكتب المقدسة للديانات الأخرى، غالباً ما استعملت للإشارة إلى الذين خلت نفوسهم من الإيمان والحياة الروحانية. وعلى ضوء ذلك فإن أقرباء حضرة بهاءالله الذين لم تتنور صدورهم بنور الإيمان به قد قطعوا فعلاً قرابتهم به.

في هذا اللوح ينصح حضرة بهاءالله ميرزا حسن بذكر محبوبه وأن يسلك بكيفية من الخُلق بحيث يجد منها **جميع أهل** الديار **رائحة قميص** المختار، وأن يظهر بين البرية بالسجايا الإلهية حتى يشاهد منه الناس كل ما هو محبوب **لدى الحق**. ويشير عليه بالانقطاع عن الدنيا ومتاعها الزائل. وأن يسعى بدل ذلك ليزين نفسه ببهاء اسمه الباقي الذي لا يزول.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٨، ١٣–١٧، ٥١–٥٢، ١٢٨–١٢٩؛ والمجلد الثاني، الصفحة ٢٠٤ح.

بقية اللوح تتضمن نصائح لأناس آخرين. في أولها هناك رسالة طويلة يبدو أنها موجهة لأخ حضرة بهاءالله غير الشقيق، ميرزا رضا قلي. ولو أنه لم يذكر الأخير بالاسم في هذا اللوح، لكن يُفهم من مضمونه ولهجته بأنه يحتمل أن يكون له. وقد أشرنا لهذا الأخ بإيجاز في مجلد سابق.[1] ورغم أن زوجته مريم،[2] ابنة عم حضرة بهاءالله، كانت مؤمنة مخلصة، إلاّ أن ميرزا رضا قلي نفسه لم يتنور قلبه بنور أمر الله بحيث ينضم إلى أتباعه. فظلّ بعيداً عن حضرة بهاءالله. وفي هذا اللوح تلميح بأن أخاه كان في فترة قد طلب من حضرته ألاّ يراسله. تجدر هنا الملاحظة بأن حضرة بهاءالله كان من حين لآخر يبقى على الاتصال بهذا الأخ حاثّاً إيّاه أن يفتح بصيرته عسى أن يستطيع رؤية مولاه ويعتنق أمره. في هذا اللوح يبدي حضرة بهاءالله حزنه وأسفه العميق على أخ اختار موقفاً متحفظاً حيال أمر الله، ثم ينصحه بلطف أن يقوم ليتدارك ما فات عنه.

كان لميرزا رضا قلي منزلة عالية وتقدير في طهران. هذا وتلقي القصة التالية التي سجلها الحاج ميرزا حيدر علي بعض الضوء على موقفه تجاه حضرة بهاءالله. وترتبط القصة بميرزا حسين خان، مشير الدولة،[3] الذي عمل سفيراً لإيران لدى تركيا لمدة عشر سنوات. استدعي لطهران وفي عام ١٨٧١م عُين رئيساً للوزراء.

ولمّا ذهب (مشير الدولة) إلى طهران توافد على زيارته الوزراء والرؤساء وكبار الشخصيات. كان من بينهم المرحوم الحاج ميرزا رضا قلي، الأخ غير الشقيق لجمال القدم. وقد قُدّم على أنه أخا حضرة بهاءالله. إلاّ أنه بدافع من الإحراج والخوف علّق بقوله: 'لي أب، لِمَ لا تعرفوني بواسطته؟' ولدى سماعه ذلك أجاب مشير الدولة بقوة وبنبرة تأنيب: 'ينبغي لك أن تفتخر وتعتزّ بكونك أخو بهاءالله. بل إنه لشرف عظيم ومصدر فخر لإيران وسكان إيران أن يكون

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١٣.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ١٣–١٤.

(٣) انظر المجلد الثاني.

بهاءالله من مواطني هذه البلاد. فلم يذهب أمير أو وزير أو حاكم من إيران إلى إسطنبول في أي وقت إلاّ وأصبح، بكيفية ما، مصدر خزي وحقارة لحكومة إيران وشعبها... لكن بهاءالله، رغم كونه منفياً من قبل الحكومة، فقد تصرف بنحو من الاستقامة وعزة النفس وأظهر من السطوة والمجد ما أعاد الحياة لإيران وأهلها...'(١١)

أمّا وأن يصدر مثل هذا الثناء المجيد عن ميرزا حسين خان، مشير الدولة[١] الذي ناصب العداء لحضرة بهاءالله بكل همة في سابق عهده كسفير لإيران في تركيا، لكنه غير موقفه فيما بعد، لهو برهان يثبت على أنه ليس هناك شيء فاعل مثل الأعمال الصادقة الطاهرة المقدسة لإقناع الناس بأحقية أمر الله. ونجد في كتابات حضرة بهاءالله وصايا عديدة بهذا الشأن. ففي "لوح الإشراقات" يصرح حضرته:

"إن الجنود المنصورة في هذا الظهور هي الأعمال والأخلاق المرضية."(١٢)

ويصرح في لوح آخر:

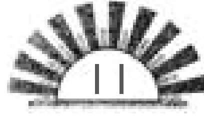
"إن الإنسان بمثابة الشجرة، فإذا تزين بالأثمار كان لائقاً للمدح والثناء ولا يزال يكون، وإلاّ فالشجرة التي لا تثمر تليق بالنار. إن أثمار السدرة الإنسانية لطيفة للغاية وممدوحة ومحبوبة، والأخلاق المرضية والأعمال الحسنة والكلمة الطيبة إنما هي أثمار تلك الشجرة، وفي كل سنة يظهر ربيع الأشجار الظاهرة ويُشاهد، ولكن ربيع الأشجار الإنسانية هو أيام ظهور الحق جل جلاله، فإذا تزينت سدرات الوجود في الربيع الإلهي بتلك الأثمار المذكورة، فإن أنوار شمس العدل تحيط **من على الأرض** ويُرى كل نفس في راحة واطمئنان في ظل حضرة المقصود."(١٣)

---

(١) للمزيد من المعلومات عنه والتغير الذي طرأ على موقفه من حضرة بهاءالله انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٨٨– ٣٩٠.

وفي "لوح الدنيا" يصرح حضرة بهاءالله:

"إن هذا المظلوم قد منع حزب الله عن الفساد والنزاع ودعاهم إلى الأعمال الطيبة والتخلّق بالأخلاق المرضية الروحانية. إن الجنود التي تنصر الأمر في هذا اليوم هي الأعمال والأخلاق **طوبى لمن تمسّك بهما وويل للمعرضين.**"(١٤)



مظلوم العالم

انفتاح أبواب السجن

بعد صعود الغصن الأطهر بأربعة أشهر تقريباً، وكما تمنى وهو على فراش الموت، فُتحت أبواب السجن بعكاء. فخرج حضرة بهاءالله وعائلته وأصحابه مغادرين الثكنات بعد أن حبسوا فيها مدة عامين وشهرين وخمسة أيام. إن هذا الانتقال، الذي حدث في خريف عام ١٨٧٠م، كان اضطرارياً بسبب الحاجة إلى إيواء جنود أتراك في الثكنات. فخصص بيت لإقامة حضرة بهاءالله وعائلته بينما سكن بعض أصحابه في منازل أخرى والباقون وضعوا في نزل يدعى خان العواميد.

أقام حضرة بهاءالله في عدة منازل، مكث في كل منها بضعة أشهر. انتقل أولاً إلى بيت مَلِك، ومنه إلى بيت منصور خوّام المجاور الذي ألحق به. من هناك انتقل إلى دار "رابعة". وأخيراً نقل محل إقامته إلى بيت عودي خمّار. كان هذا المنزل ملاصقاً لبيت عبّود. لكن الجدار الفاصل بينهما أزيل فيما بعد. وصار الاثنان منزلاً واحداً عُرف ببيت عبّود. كان الجزء الشرقي هو بيت خمّار، أمّا الجزء الغربي المواجه للبحر فكان بيت عبّود. وكان عودي خمّار مسيحياً وكذلك عبّود وتربطهما صلة قرابة. كان منزل عودي خمّار غير كاف لحضرة بهاءالله وأسرته، فاختص حضرته لنفسه حجرة صغيرة في الطابق العلوي من الجناح الشرقي للمنزل. والغرفة الثانية في الطابق العلوي كانت مزدحمة، إذ في وقت ما أقام فيها ثلاثة عشر شخصاً من كلا الجنسين وعند النوم كانوا يرقدون في صفوف. والقصة

مشهورة عن أحدهم عندما سقط أثناء نومه في إحدى الليالي من الرف الذي كان ينام عليه ووقع على آخرين كانوا تحته!

أما عن خان العواميد فكان نزلاً للمسافرين لا يصلح للسكن لكن غالبية أصحاب حضرة بهاءالله كانوا قد حشروا فيه، وقد شغلوا طابقه الأعلى في كل من جناحيه الغربي والجنوبي. في إحدى حجراته أقام حضرة عبدالبهاء نفسه وهي التي خصصها فيما بعد ولبعض الوقت لاستقبال الضيوف. وعندما كان الزوار يفدون من إيران كان حضرة عبدالبهاء يستقبلهم في تلك الغرفة. وقد أخذ على عاتقه تهيئتهم للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله. من ذلك أنهم لم يتعلموا فقط، من خلال لطفه ونكران ذاته التام، كيفية التواضع والخشوع في محضر حضرة بهاءالله، بل تلقوا منه أيضاً دروساً في تحسين وتلطيف مظهرهم الخارجي -مثلاً باكتساء ألبسة جديدة عند التشرف بمحضره المبارك.

كانت حجرات خان العواميد رطبة وقذرة. فاضطر حضرة عبدالبهاء لبيع هدية أعطيت له في بغداد وصرف عائدها في إصلاح الغرف وترميمها لأصحاب حضرة بهاءالله. هذا وقد ترك إصلاح غرفته إلى الآخر. لكن النقود نفدت قبل انتهاء الإصلاحات وكان نتيجة ذلك أن غرفته بقيت دون إصلاح وبحالة سيئة جداً. فإلى جانب رطوبة الجدران والأرضية الترابية كان السقف ينضح ماء. وفي تلك الغرفة كان حضرة عبدالبهاء يجلس على حصيرة وينام عليها. وكان غطاء فراشه جلد خروف، مما شجع تجمع البراغيث ولسعاتها إذ كانت الحجرة عامرة بها. لكن حضرة عبدالبهاء دبر خطة لتقليل مضايقتها وذلك بقلب غطائه على فترات. فكان ينام حتى يعرف البرغوث طريق عودته إليه، أي الوجه الصوفي الداخلي للجلد، فيقلبه خارجاً، وهكذا كل ليلة كان يلجأ لتلك الحيلة ما بين ثماني لعشر مرات.

كان أصحاب حضرة بهاءالله هؤلاء مضطرين للعيش في تقشف شبيه بذلك الذي ألفوه داخل الثكنات. فالطعام كان قليلاً وحصة الفرد اليومية أبعد من أن تكون كافية. مع ذلك قضوا أوقاتهم بمنتهى السعادة. وكان أعظم اشتياقهم للحظة دعوتهم لمحضر مولاهم. كان تعلقهم بحضرة بهاءالله مصدر قوّتهم. فهو الذي

مكّنهم من أن يعيشوا بنهاية الفرح رغم كل الصعوبات التي تعرضوا لها في ذلك المحيط الكئيب. لكن مع مرور الزمن تغيرت الأحوال، فصار أصحاب حضرة بهاءالله في وضع يسمح لهم بإيجاد سكن آخر بالمدينة وتمكنوا من الاشتغال ببعض الحرف المتواضعة. فصار خان العواميد أول بيت للمسافرين البهائيين في الأرض الأقدس. فأقام فيه بعض الأفراد وتبرعوا بمهمة خدمة الزوار الذين اختاروا البقاء عدة أشهر، وبعضهم لسنوات. من أبرز أولئك الذين مكثوا مدة طويلة كان زين المقربين ومشكين قلم اللذين سبق الحديث عنهما في المجلد الأول.

"لوح الرؤيا"

أُنزل "لوح الرؤيا" بالعربية، بأسلوب يشبه ما نزل في "لوح الحورية"،[1] وذلك سنة **١٨٧٣**م ببيت عودي خمّار ليلة ذكرى مولد حضرة الباب التي صادفت في تلك السنة الأول من شهر آذار.[2] أنزل حضرة بهاءالله هذا اللوح في حق أحد المؤمنين ليجعله يشاهد لمحة من عالم الروح في هذا العالم الظلماني، حيث يصرح فيه بأنه **لو أراد أن يظهر من الذرة أنوار الشمس، ومن القطرة أمواج البحر ليقدر**. في هذا اللوح الرائع بلغة الاستعارة، تصوير لرؤيا روحانية جميلة في مفهومها وغنية في أسلوبها الوصفي التشبيهي. فلا عجب أن بقراءته يسمو القلب ويندهش العقل.

يصوّر حضرة بهاءالله رؤياه لظهور حورية السماء أمامه، وهي رؤيا مما يمتنع إدراكه وفهم حقيقته لدى البشر الفاني. لقد وُصفت الحورية أحياناً بأنها رمز لتجسيد "الروح الأعظم" الذي تنزّل في حضرة بهاءالله. وقد وُصف نزول روح القدس في مظاهر الله السابقين بنحو رمزي على هيئة نار السدرة، والحمامة ثم الملاك جبريل.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١٣١.

(٢) يحتفل بعيدي ميلاد حضرة الباب وحضرة بهاءالله في الشرق حسب التقويم الهجري.

في "لوح الرؤيا" يصف حضرة بهاءالله رؤياه: **إنا كنا مستوياً على العرش دخلت ورقة نوراء لابسة ثياباً رفيعة بيضاء... ثم ازدادت سروراً وفرحاً وشوقاً إلى أن تغيرت وانصعقت فلمّا أفاقت تقربت وقالت نفسي لسجنك الفداء يا سرّ الغيب في ملكوت الإنشاء... إلى مَ أودعت نفسك بين هؤلاء في مدينة عكاء اقصد ممالكك الأخرى المقامات التي ما وقعت عليها عيون أهل الأسماء.** هذه الكلمات قدر لها أن تتحقق بعد ذلك بتسعة عشر عاماً بصعود حضرة بهاءالله. موضوع هذا اللوح من العمق بحيث لا سبيل لإدراك أسراره.

بعد انتقال حضرة بهاءالله بقليل إلى بيت عودي خمار تفجرت فجأة أزمة كانت تتفاقم داخل جامعة المؤمنين (منذ ورودهم عكاء)، تفجرت عن كارثة جسيمة مسّت كلاً من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء وعدداً من الأصحاب. كانت تلك حادثة قتل قام بها سبعة من المؤمنين لكل من السيد محمد الإصفهاني،[١] وآقا جان كج كُلاه[٢] وميرزا رضا قلي التفرشي، الذين ادعوا بأنهم أتباع ميرزا يحيى. ولقد جلب هذا العمل المنكر الذي يتنافى مع تعاليم أمر حضرة بهاءالله ومبادئه وروحه، أعظم الحزن والغمّ لقلب حضرته كما لطّخ سمعة أمر الله الطيبة لفترة طويلة.

كما مر ذكره فإنه بعد ورودهم عكاء بفترة قصيرة، كان السيد محمد وآقا جان، قد نُقلا وأسكنا في موضع يشرف على بوابة المدينة حيث يسهل عليهما التجسس على كل البهائيين الذين يحاولون الدخول إلى عكاء. وبهذه الوسيلة تمّ طرد كثير من الزوار عن المدينة. اتخذ السيد محمد لنفسه اسم "قدوس أفندي"، وآقا جان صار يلقب نفسه بـ"سيف الحق"، وهو لقب منحه إيّاه ميرزا يحيى. وهكذا شرع كل منهما يعمل كل ما استطاع لتشويه سمعة حضرة بهاءالله. من رفاقهما كان ميرزا رضا قلي، المشار إليه أعلاه، والذي وظّف للاختلاط بحرية مع أصحاب حضرة بهاءالله. لكنه كان يحيا حياة تناقض تعاليم أمر الله وارتكب بعض الأعمال المنكرة المخزية بصحبة بعض المسيحيين في المدينة. وبسلوكه

(١) انظر الصفحة ٥٩، وكذلك المجلدين الأول والثاني.

(٢) انظر الصفحة ٥٩، وكذلك المجلد الثاني، الصفحتين ٣١٩، ٣٩١.

الشائن ألحق الخزي بدين حضرة بهاءالله في أوساط المجتمع بحيث طرد أخيراً من جامعة المؤمنين.

بعد أن وجد نفسه مطروداً ذليلاً، قام ميرزا رضا قلي وأخته بدري جان،[1] زوجة ناشز لميرزا يحيى، بالاشتراك مع السيد محمد في حملة مفتريات ضد حضرة بهاءالله بغية الحطّ من شأنه في نظر الناس، الذين بدءوا في تلك الآونة بتليين موقفهم من جماعة المنفيين. كان نتيجة تلك الحملة من الأكاذيب والتشويه أن تسممت عقول الناس تجاه حضرة بهاءالله وأتباعه المخلصين. وسرعان ما أحاط لهيب الفتنة والفساد، الذي أوقده أولئك الأربعة في قلوب أهالي عكاء، بجامعة الاسم الأعظم. صار الناس يبدون عداء سافراً وحقداً ظاهراً حيال المؤمنين. في ذلك الوقت قرر حضرة بهاءالله ألاّ يسمح لأحد من الأحباء أو الأعداء، بدخول بيته أو التشرف بمحضره. وكذلك ترك حضرة عبدالبهاء خان العواميد وبقي قريباً من والده في بيت عودي خمّار. جلب انزواء حضرة بهاءالله وعزلته، الشيء الذي حصل مثله عندما انتقل إلى بيت رضا بيك في أدرنة، همّاً وحزناً لقلوب أصحابه إذ قطعت صلاته عن كل واحد منهم.

"لوح قد احترق المخلصون" (لوح الاحتراق)

قرب نهاية عام ١٨٧١م استلم حضرة بهاءالله رسالة من أحد أتباعه الأوفياء في إيران، وهو الحاج سيد علي أكبر الدهجي، ابن أخ السيد مهدي، اسم الله المهدي.[2] فأجاب حضرة بهاءالله على تلك الرسالة بإنزال لوح عرف باسم "لوح قد احترق المخلصون". في المجلد السابق[3] أُشير إلى الحاج سيد علي أكبر، الذي نزل في حقه هذا اللوح، مع سيرة موجزة لحياته وخدماته لأمر الله. وتجدر الإشارة

(١) كانت قد تركت ميرزا يحيى في أيام أدرنة والتجأت إلى منزل آقا كليم، الأخ المخلص لحضرة بهاءالله. وكانت مع أخيها ضمن الأصحاب المنفيين إلى عكاء.
(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحات ١١٤–١١٥، ٢٦٩–٢٧٢، ٢٨٥.
(٣) المجلد الثاني، الصفحة ٢٧٢.

إلى أن حضرة بهاءالله أحبّ هذا المؤمن بدرجة أنه سمّى عمّه (عم المتوفى) علي أكبر بعد وفاة الأخير إحياء لذكراه.

يعتبر "لوح الاحتراق" أحد أشهر ألواح حضرة بهاءالله، فهو مشحون بقوى عظيمة وغالباً ما يلجأ المؤمنون لتلاوته عند الشدائد والمعاناة. ويصرح حضرة بهاءالله عن هذا اللوح (في ختامه) بقوله مؤكداً بأن **"لو يقرئه العباد طراً ويتفكرون فيه ليضرم في كل عرق من عروقهم ناراً يشتعل منها العالمين."**(١) نزل "لوح الاحتراق" بالعربية بأسلوب فيه الوزن والقافية، وهو يحرك الوجدان خصوصاً عند تلاوته بهذه اللغة الأصيلة. وقد أنزل في أشد وأحلك فترة من البلايا والآلام التي أحاطت حضرة بهاءالله نتيجة للعداء والخيانة والشرور التي اقترفها أولئك النفر القليل ممن سبق لهم أن ادعوا تأييد أمر الله ونصرته. يكشف حضرة بهاءالله في هذا اللوح عن لوعة قلبه ويسهب في وصف بلاياه. ذلك لأن ما من شيء يحزن قلب مظهر أمر الله مثل الخيانة والغدر الصادرين من داخل جامعة أحبائه. فالحبس وكل أشكال الاضطهاد من الأعداء الخارجيين لا يمكن أن يؤذي أمر الله. بل الذي يؤذيه حقاً هو أفعال بعض المنتسبين لاسمه ممن يعملون ضد مرضاته. فقد قامت تلك الشرذمة القليلة من ناقضي عهد حضرة الباب وميثاقه ممن اتبعوا ميرزا يحيى بالتمرد ضد حضرة بهاءالله من الداخل وسببوا البلبلة في جامعة المؤمنين وفيما بين أهالي عكاء بحيث أطلق حضرة بهاءالله لقلمه العنان في الندبة في هذا اللوح بنحو لم يسبق له مثيل في أي من كتاباته الأخرى.

ولمّا أنزل هذا اللوح تبين لأتباع حضرة بهاءالله مدى معاناته وشدة كربه على يد أولئك الناقضين الأشرار. فيخاطب حضرته الحاج سيد علي أكبر، الذي نزل اللوح في حقه، بهذه الكلمات: **"أن يا علي قبل أكبر أن اشكر الله بهذا اللوح الذي تجد منه رائحة مظلوميتي وما أنا فيه في سبيل الله معبود العالمين."(٢)**

في فقرة موجهة للسيد مهدي الدهجي، آنف الذكر، يصرح حضرة بهاءالله بأنه أنزل "لوح الاحتراق" بحق ابن أخيه ليخلق بداخله مشاعر الفرح والغبطة ويشعل في قلبه نار محبة الله.

لقد أنزل حضرة بهاءالله هذا اللوح بأسلوب خاص عسى أن يتمكن عقل الإنسان، على ما هو عليه من محدودية، من التفكر والتأمل بما تعرض له مظهر أمر الله من عناء وعذاب، وبالوقت نفسه من أن يشاهد لمحة من ذاته الأبهى. ففيه يبدو وكأن شخصه البشري، المتميز عن مظهريته الإلهية، هو الذي يعدد بلاياه ويسرد المظالم التي يكيلها إليه أعداؤه. بعد ذلك يأتي صوت الله واستجابة حضرة بهاءالله له. لكن في الحقيقة لا يمكن لحضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، أن ينقسم إلى ذاتين. فطبيعته البشرية وروحه الإلهية مندمجتان وملتحمتان بحيث لا يمكن تصوره في وقت ما باعتباره رجلاً خالياً من الروح الأعظم الذي كان متجلياً دوماً فيه. وعليه لا يمكن قبول الافتراض بأن مظهر أمر الله يفتقر لصفة المظهرية ويكون مجرد إنسان عادي. بل على العكس، فإنه لا يزال دائماً مظهر أمر الله ولو أنه في غالب الأحيان يحجب عظمته ومجده[1] ويبدو كبشر عادي. ولتفهم هذه الوحدة التي لا تتجزأ في ذاتية مظهر أمر الله دعنا نعتبر الإنسان وازدواجية طبيعته. فنلاحظ ولو أن للإنسان طبيعتان، حيوانية وروحانية، إلاّ أنه إنسان دائماً ولا يمكن أبداً اعتباره في وقت ما بأنه حيوان بحت خال من روح الإنسان أو أنه تجرد بصورة مؤقتة من سجايا وقوى الإنسان. وعلى غرار ذلك لا يمكن افتراض أو قبول انقسام ذاتية مظهر أمر الله إلى جزأين.

من المحتمل أن يكون السبب الرئيس في اختيار حضرة بهاءالله أن ينطق في "لوح الاحتراق" بصوته البشري يعود إلى أنه أراد أن يقدّر المؤمنون خطورة الهجمات التي شنّت ضده، ومدى معاناة أصحابه الذين مُنعوا عن التشرف بمحضره. في مطلع اللوح يشير حضرة بهاءالله إلى هذا الفراق الذي فُرض بينه وبين أحبائه ويناجي الله سائلاً رحمته وفرجه ليخفف عنهم:

"قد احترق المخلصون من نار الفراق أين تشعشع أنوار لقائك يا محبوب العالمين. قد ترك المقربون في ظلماء الهجران أين إشراق صبح وصالك يا مقصود العالمين. قد تبلبل أجساد الأصفياء على أرض البعد أين بحر قربك يا جذاب العالمين."

---

(١) انظر الصفحة ٢.

وفي فقرات أخرى يشير حضرة بهاءالله إلى انعزاله عن كل أصحابه وكل الناس، عندما يذكر عن نفسه: **"ترى مشرق الآيات في سبحات الإشارات"**، أو عندما يصرح بأن **"قد ركد بحر العناية"**، و**"قد غلق باب اللقاء"**.

يجد المرء في هذا اللوح عبارات تشير بوضوح إلى ما كان يقوم به السيد محمد وأعوانه من أعمال شيطانية. ويشير حضرة بهاءالله إليهم بعبارة **"قد قام المشركون بالاعتساف"**، ويصف نشاطاتهم بـ**"نباح الكلاب"** و**"وساوس الشيطان"**، وأن بأعمالهم **"قد خبت مصابيح الصدق والصفاء والغيرة والوفاء"**، ويزيد مؤكداً بأن من خلال روحهم الشريرة **"قد اصفرّت الأوراق من سموم أرياح النفاق"**.

يسهب حضرة بهاءالله في هذا اللوح في ذكر مصائبه ومعاناته. فيذكر **"الذلة"** و**"الأحزان"** التي أحاطت به ويقول: **"قد بقي الوجه في غبار الافتراء"**، وأن **"قد تكدّر ذيل التقديس من أولي التدليس"**. يتضح من هذه المقتطفات، التي تعصر القلب حزناً، وتشير بجلاء إلى آثار الحملة الواسعة من التشهير والافتراء التي قادها السيد محمد ضد حضرة بهاءالله في المجتمع، بأن في ذلك شهادة ودليل وافر على فظاعة الأذى الذي ألحق بحضرته.

بعدما أسهب في وصف كروبه ومعاناته، يجيب حضرة بهاءالله، بكونه "لسان العظمة" نفسه بهذه المقتطفات مما أنزله في هذا اللوح:

"قد جعلنا الذلة قميص العزة والبلية طراز هيكلك يا فخر العالمين. ترى القلوب ملئت من البغضاء ولك الإغضاء يا ستّار العالمين. إذا رأيت سيفاً أن أقبل إذا طار سهم أن استقبل يا فداء العالمين."

في هذا اللوح يستنزل حضرة بهاءالله غضب الله على أعدائه، بسؤاله **"أين غضنفر غياض سطوتك"**، و**"أين شهاب نارك"** و**"أين أسياف انتقامك"**. في حين أن الله ودود وغفور، لكنه من حين لآخر يظهر أيضاً غضبه. إحدى هذه المناسبات هي عندما يقوم فرد ضد مظهر أمره وهو يعلم بما يفعل ويدرك هوية من يعارض ومقامه. وبينما يقدر مظهر أمر الله أن يستنزل غضب الله على من

يستحق من العباد، لكن العبد لا حق له بأن يفعل ذلك. ففي هذه الدورة منع حضرة بهاءالله أتباعه من إدانة أحد أو الحكم عليه.

وفي أحد ألواحه(٣) النازلة في عكاء يشير حضرة بهاءالله إلى هذا الموضوع. يقتبس لذلك الفقرة التالية من "لوح الاحتراق": **"قد طالت الأعناق بالنفاق أين أسياف انتقامك..."**، ويصرح بقوله أنه ولو في ظاهرها تبدو هذه الكلمات مناقضة لتعاليم الله لهذا العصر إذ فيها دعوة لغضبه وانتقامه، لكن ليس القصد أو المعنى ترويج النزاع والفساد. بل إن مثل هذه البيانات وردت بقصد تبيان وتأكيد فداحة الأذى والمعاناة التي سببها نفر قليل من الأشرار. فقد بلغت تجاوزاتهم مدى جعلت القلم الأعلى يضج وينوح بهذا الأسلوب.

بعد شرحه الأسباب التي استوجبت طلب الغضب الإلهي، يحذر حضرة بهاءالله أتباعه في هذا اللوح من استعمال هذه التعبيرات كعذر لخلق الفتنة والفساد. وهو ينصحهم بأن يجنحوا إلى الاتحاد والمحبة والعطف حيال سائر شعوب العالم، مصرحاً بأن الجنود المنصورة في هذا الظهور هي الأعمال والأخلاق المرضية، وأن قائد هذه الجنود تقوى الله.(١)

عندما نتفحص كتابات حضرة بهاءالله وكتابات شخصيات أمر الله الرئيسة، نلاحظ بأن الجزء الأعظم منها يتألف من نصائح وأوامر تدعو لإحياء حياة تستند وتستنير بأنوار التعاليم الروحانية الإلهية. ففي معظم ألواحه، ينصح حضرة بهاءالله أتباعه بالخلق الطيب والأعمال الطاهرة والسلوك الحسن. ويحثهم على تبني روح الألفة والاتحاد بين أهل العالم وأن يصبحوا قدوة ومثلاً في اللطف والمودة لكل سكان الأرض.

موجهاً النصح لبديع الله، أحد أبنائه، أنزل حضرة بهاءالله المواعظ التالية من أجل حياة تتمثل فيها العبودية الحقة. ويمكن اعتبار النصائح الواردة في هذا اللوح أنموذجاً وخلاصة لتعاليم حضرة بهاءالله في مجال سلوك الفرد في هذه الحياة:

---

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٩٠–٩١.

"كن في النعمة منفقاً وفي فقدها شاكراً وفي الحقوق أميناً وفي الوجه طلقاً وللفقراء كنزاً وللأغنياء ناصحاً وللمنادي مجيباً وفي الوعد وفياً وفي الأمور منصفاً وفي الجمع صامتاً وفي القضاء عادلاً وللإنسان خاضعاً وفي الظلمة سراجاً وللهَموم فرجاً وللظمآن بحراً وللمكروب ملجأ وللمظلوم ناصراً وعضداً وظهراً وفي الأعمال متقياً وللغريب وطناً وللمريض شفاء وللمستجير حصناً وللضرير بصراً ولمن ضل صراطاً ولوجه الصدق جمالاً ولهيكل الأمانة طرازاً ولبيت الأخلاق عرشاً ولجسد العالم روحاً ولجنود العدل راية ولأفق الخير نوراً وللإرض الطيبة رذاذاً ولبحر العلم فلكاً ولسماء الكرم نجماً ولرأس الحكمة إكليلاً ولجبين الدهر بياضاً ولشجر الخضوع ثمراً."(٤)

تسليم مظهر أمر الله بالامتحانات

نلاحظ في "لوح الاحتراق" جانبين مختلفين لحضرة بهاءالله. الأول مقام السلطنة والربوبية، وهو مقام يسمو فوق عالم الإنسان. في هذا المقام لا أثر لمصائب وتقلبات هذه الحياة عليه، لأنه يتحرك بإرادة الروح الأعظم الذي يجعله مستقلاً عما سوى الله. المقام الثاني هو الخضوع والتسليم لله. هذا هو المقام الذي يشير إليه في كثير من الألواح بعبارة "مظلوم العالم". في مقامه هذا يسلّم نفسه لأعدائه، يرحب بالبلايا ويقبل السجن والقيود في سبيل تحرير البشرية في هذه الدورة الإلهية من نير الظلم والطغيان وتستنير بنور الاتحاد.

في "لوح السلطان" (إلى ناصر الدين شاه) نجد هذه الملاحظات الباعثة على التفكر:

"تالله لو ينهكني اللغب ويهلكني السغب ويجعل فراشي من الصخرة الصماء ومؤانسي وحوش العراء لا أجزع وأصبر كما صبر أولو الحزم وأصحاب العزم بحول الله مالك القدم وخالق الأمم، وأشكر الله على كل الأحوال ونرجو من كرمه تعالى بهذا الحبس يعتق الرقاب من السلاسل والأطناب ويجعل الوجوه خالصة لوجهه العزيز الوهاب."(٥)

في لوح آخر يبين حضرة بهاءالله بوضوح بأنه قد قبل البلايا في سبيل خلاص الجنس البشري. فيما يلي كلماته العليا بهذا الموضوع:

"تُرى الأرض حاملة اليوم وعمّا قريب تُشاهَد أثمارها المنيعة وأشجارها الباسقة وأورادها المحبوبة ونعماءها الجنية **تعالت نسمة قميص ربك السبحان قد مرّت وأحيت طوبى للعارفين**. ومن المعلوم والواضح أن سلطان الظّهور ليس له من مقصد من تلك الأمور ومع علمه بأن تلك ستكون سبب البلايا وعلة الرزايا واشتداد الأمور إلاّ أنه أغمض عينيه عن راحته وحمل ما لم يحمله ولن يحمله أحد عنايةً منه ورحمةً وإحياءً للأموات وإظهاراً لأمر مالك الأسماء والصفات ولنجاة **من على الأرض**."(٦)

في هذا وكثير غيره من الألواح يصرح حضرة بهاءالله بأن لم يجرِ على أحد في الدنيا ولن يجري ما لاقاه هو من كرب وبلاء. وقد يصعب على الذين لم يطّلعوا على دين حضرة بهاءالله إطلاعاً كاملاً أن يقبلوا تصريحاً كهذا. وقد يجادلوا بقولهم قد كان هناك الكثيرون ممن تعرضوا لتعذيب لا يطاق وعاشوا حياتهم كلها في عذاب ومعاناة. ولأجل أن يقدر المرء كلمات حضرة بهاءالله حق قدرها في هذا المجال دعنا نستعين بمثل نفترض فيه وجود مجتمع في موضع ما في العالم سكانه متوحشون قساة في منتهى الهمجية. فالحياة بالنسبة للذين يولدون وينشئون ويعيشون كل حياتهم في هذا المجتمع دون أن يكون لهم سابق اتصال بأية حضارة أو تمدن، ستكون هي الشكل الطبيعي الذي ألفوه. ومع أن مستوى تلك الحياة وطبيعتها بنظر شخص خارجي يعتبر أو يبدو وحشياً وقاسياً جداً، إلاّ أنه بنظر أبناء ذلك المجتمع كل ما يحدث فيه يعتبر شيئاً اعتيادياً ويُقبل على هذا الأساس. وكما هو الحال في أي مجتمع، لا بد هناك لحظات فرح وارتياح وأخرى من الحزن والعناء بين أفراد هذا المجتمع. فلو فُرض بأن شخصاً نبيلاً من مجتمع راق جداً أرغم على العيش وسط هذا المجتمع غير المتحضر، فإنه من الطبيعي سيعاني أزيد من غيره بكثير. إذ أن مجرد نشوئه وعيشه في مستوى حضاري أعلى بكثير يؤهله للقول بأنه قد تعرض لقسوة وعذاب لم يتعرض له أحد غيره في ذلك المجتمع.

هذا ما يحدث لمظهر أمر الله الذي يُبعث ليعيش بين البشر. فهناك اختلاف وتضاد شاسع فيما بين عالم الإنسان وعالم مظهر أمر الله. الأول محدود ومليء بالنقائص بينما الآخر عالم الكمال الذي يسمو فوق إدراك البشر. إن مجيئهم نفسه من عالم كهذا، مزين بسائر الفضائل الإلهية ومتحلين بالصفات الإلهية، وهبوطهم لهذا العالم يجعلهم سجناء بين بني البشر. وخلال مكوثهم هنا يجدون جهل الإنسان وقسوته وشروره وأنانيته ونفاقه وكل ذنوبه ونقائصه كأدوات تعذيب تجرح وتؤلم روح مظهر أمر الله الذي ليس له، في هذه الأحوال، إلاّ أن يتحمل ذلك العناء بسكون وتسليم. يكفي فعل أو تصرف خياني -أو حتى نظرة تنم وتفضح نفاق شخص أو فكرة شائنة تمر بخاطر أحد- لأن يكون بمثابة عذاب أليم بالنسبة له. إلاّ أنه نادراً ما يفضح نقائص البشر، أو يبث آلامه الشخصية وكروبه. وكالمعلم الذي ينزل إلى مستوى الصغار ويبدو لهم وكأنه لا يعرف الكثير، كذلك يأتي مظهر أمر الله إلى هذا العالم بهيئة إنسان يبدو كغيره من البشر.[١] ونظراً لمدى ستره لذنوب الناس وخطاياهم، فقد يظن بعض الناس بأنه لا يعلم.

خلال الأربعين سنة من ولايته، كان حضرة بهاءالله يعامل الناس بهذه الكيفية. فتحمل من أعدائه مدى حياته شتى المصاعب وألوان الاضطهاد في تمام التسليم، كما أنه غض الطرف دوماً عن نقائص المؤمنين إلاّ إذا مسّ أحدهم أمر الله بضرّ أو جلب له الخزي والعار. كان يفيض على أتباعه بالتشجيع الودود لأية خدمة يقدّمونها. حتى في حالة بعض الأتباع المغرورين من أمثال جمال البروجردي أو السيد مهدي الدهجي[٢] اللذين كانا مشغولين بحماس في تبليغ أمر الله، حتى مع هؤلاء فإنه كان دوماً يتلطف عليهما بعناياته وبالوقت نفسه ينصحهما بالسلوك القويم وخلوص النية. كان تستّر حضرة بهاءالله، على عيوب هؤلاء وغيرهما، من الإحاطة والشمول بحيث ظنّ الكثيرون أن حضرة بهاءالله لم يكن يدري بما كان مكنوناً في قلوبهم!

---

(١) انظر الصفحات ٢–٤.

(٢) هذان الرجلان اللذان كانا من أشهر مبلّغي أمر الله، طردا من جامعة الأحباء عندما أصبحا ناقضين للعهد.

مقتل الأزليين الثلاثة

استغل السيد محمد وأعوانه الفترة التي اعتكف خلالها حضرة بهاءالله في بيت عودي خمّار ولم يأذن لأحد بالتشرف بمحضره. فقاموا من ناحية بالاختلاط ببعض أتباع حضرة بهاءالله، ومن جهة أخرى كثفوا حملة مفترياتهم ضد صاحب أمر الله. كان بحوزة ميرزا رضا قلي بعض ألواح حضرة بهاءالله. فقام هو والسيد محمد بتحريف هذه الكتابات بنحو قُصد فيه إثارة عداء الأهالي، ووزعوا هذه النسخ المزورة على نطاق واسع. وقام ميرزا رضا قلي وأخته بدري جان، اللذين طردهما حضرة بهاءالله من جامعة المؤمنين، بالتصريح علناً بانسحابهما من البهائيين بمحض إرادتهما وأنهما قد اصبحا مسلميْن. بعد ذلك فعل السيد محمد وآقا جان الشيء نفسه.

لم يمضِ وقت طويل بعد نزول "لوح الاحتراق" حتى أنزل حضرة بهاءالله لوحاً هاماً آخر(٧) تنبأ فيه بشكل واضح بقرب ظهور بلاء عظيم. وصفه بأنه كبحر البلايا الهائج الذي أحاطت أمواجه المتلاطمة بفلك أمر الله. لم يمضِ بعد تلك النبوءة سوى يوم واحد على تحققها. ففي عصر اليوم التالي أحاط الجنود بمنزله واستدعوه لمكتب المتصرف وأودع التوقيف هناك. كان السبب في ذلك هو أن السيد محمد وميرزا رضا قلي وآقا جان وجدوا مذبوحين على يد سبعة من أتباع حضرة بهاءالله. تسبب هذا الحادث المريع، الذي يتنافى مع تعاليم حضرة بهاءالله ونصائحه، في إحداث موجة كراهية من الأهالي تجاه جامعة الأحباء ورئيسها.

كانت بدري جان، أخت ميرزا رضا قلي القتيل، هي التي ذهبت لمقر الحكومة وأفادت، دون خجل، بأن حضرة بهاءالله هو الذي أمر بقتل هؤلاء الرجال. فعلت ذلك رغم حقيقة علمها يقيناً بأن حضرة بهاءالله ما انفك ينصح ويحذر أصحابه باجتناب كل عمل من شأنه أذية أي إنسان ولو بأدنى أذى وكيف هذا المنكر المبين. كذلك كانت تعلم بأن حضرة بهاءالله قد نهى بشدة أولئك النفر من أتباعه الذين التمسوا إذنه ليتولوا أمر الخائنين بأنفسهم، عن عمل أي شيء

بهذا الصدد. وكذلك كانت تعلم بأن حضرة بهاءالله نفسه كان قد قطع كل اتصال بالمؤمنين من أتباعه.

بل في الواقع إن السيد محمد كان قد أرسل عدة رسائل إلى الأحباء في إيران يقول فيها بأن حضرة بهاءالله قد قطع اتصالاته بأصحابه كلياً.

أما المؤمنون السبعة الذين اقترفوا، خلافاً لنصيحة حضرة بهاءالله وبغياب علمه، تلك الجريمة النكراء فكانوا يعلمون تمام العلم بأن فعلتهم ستجلب غضب حضرة بهاءالله. وعرفوا أيضاً بأن الذي طرد ميرزا رضا قلي من جامعة المؤمنين لمجرد سوء تصرفه في المجتمع، سوف يتبرأ منهم ويخرجهم من محضره إلى الأبد، لو أنهم نفذوا نيتهم والتي هي أشنع وأقبح مما اقترفه ميرزا رضا قلي. وفي الواقع كان بعضهم قد خلص إلى الاستنتاج أن ارتكابهم تلك الجريمة وتلطيخ اسم أمر الله بالخزي، فإنهم لن يطمعوا بغفران الله أبداً وأن أرواحهم سوف تدان وتلعن في عوالم الله كافة. لكنهم مع ذلك لم يتحملوا رؤية حضرة بهاءالله وأحبائه وقد صاروا هدفاً لحملة شرسة من الافتراءات والاتهامات. فقرروا أن يضحوا بوجودهم الروحي بتنفيذ هذه الجريمة النكراء ولا يدعوا مولاهم يستمر بمعاناته بهذه الكيفية.

وقد وصف حضرة بهاءالله نفسه تفاصيل سجنه في لوح أنزل بكلمات كاتب وحيه، ميرزا آقا جان. في تعليق على هذا الفصل الفاجع، كتب حضرة شوقي أفندي ما يلي مسنداً قسماً من روايته على هذا اللوح:

> وما كادت وطأة العزلة الشديدة تخف، ويصرف الحراس الذين كلفوا بتشديد الحراسة حتى حدثت أزمة داخلية كانت مراجلها تغلي بين الجماعة من قبل، ووصلت فجأة إلى حد الكارثة. وبيان ذلك أن تصرفات اثنين[١] ممن صحبوا حضرة بهاءالله إلى عكاء ساءت فاضطر حضرة بهاءالله إلى طردهما في النهاية، الأمر الذي لم يتردد السيد محمد في استغلاله أسوأ استغلال.

(١) ميرزا رضا قلي وأخته بدري جان. (أ. ط.)



بيت عبّود في عكاء، نحو سنة ١٩٢٠م

تحيط الشرفة بالغرفة التي شغلها حضرة بهاءالله فيما بعد. ويشاهد بيت عودي خمّار في الخلف، وكان ذلك أول مسكن لحضرته



خان العوامید

خان للمسافرين في عكاء الذي أقام فيه كثير من أتباع حضرة
بهاءالله بعد مغادرتهم الثكنات



مقر الحاكم

منظر حديث نحو الغرفة التي جرى فيها استجواب حضرة بهاءالله.
يستعمل المبنى حالياً كمدرسة



خان الشاوردي

خان للمسافرين في عكاء حيث أوقف حضرة بهاءالله ليلة واحدة حين الاستجواب

فبدأ يشن حملة من القذف والوشاية والسعاية والتآمر كانت أخس وأدنأ من تلك التي شنها في الآستانة. وقد انضم هذان المطرودان إلى أعوانه القدامى واجتهدوا في التجسس. وكان هدفهم إثارة الأهالي المتحاملين المتشككين، وإيغار صدورهم ودفعهم إلى درجة أكبر من الكراهية والبغضاء والهياج. ومن ثم أحدق بحضرة بهاءالله خطر جديد. وبالرغم من أنه حرّم على أتباعه شفاهاً وكتابة وفي أكثر من مناسبة القيام بأي حركة انتقامية ضد هؤلاء الظالمين، حتى إنه أعاد إلى بيروت مؤمناً عربياً متهوراً كان يفكر في الثأر لكل المظالم التي عاناها زعيمه المحبوب، إلاّ أن سبعة من الأصحاب قتلوا ثلاثة من الخصوم في الخفاء من بينهم السيد محمد هذا وآقا جان.

وكان الفزع الذي استولى على الجامعة المظلومة يجلّ عن الوصف والبيان. ولم يكن لاستنكار حضرة بهاءالله واستفظاعه لهذه الفعلة النكراء أي حدود. ولقد عبر عن مشاعره في أحد الألواح التي رقمها بعد هذه الفعلة بقليل بقوله:"**لو أذكر حرفاً منه لتنفطر عنه السموات والأرضون**" و"يندك كل جبل شامخ رفيع". وكتب في مناسبة أخرى يقول: "**ليس ضري سجني بل عمل الذين ينسبون أنفسهم إليّ ويرتكبون ما ناح به قلبي وقلمي.**" وكتب مرة أخرى يقول: "**ليس ذلتي سجني لعمري إنه عز لي بل الذلة عمل أحبائي الذين ينسبون أنفسهم إلينا ويتبعون الشيطان في أعمالهم**".

وبينما كان يملي ألواحه على كاتب وحيه إذا بالحاكم على رأس جنود شاهرين أسلحتهم يطوقون بيته. وكانت الأهالي والسلطات العسكرية في هياج شديد، بينما تعالى صياح الناس وضجيجهم من كل حدب وصوب. وعلى الفور استدعي حضرة بهاءالله إلى سراي الحكومة، وبعد استجوابه احتجزوه أول ليلة مع أحد أبنائه في إحدى غرفات خان الشاوردي، ثم نقل إلى مكان أفضل في تلك الناحية. وهناك مكث ليلتين أخريين. ولم يؤذن له في العودة إلى بيته إلاّ بعد سبعين ساعة. أمّا حضرة عبدالبهاء فقد احتجزوه وقيدوه بالسلاسل والأغلال في الليلة الأولى. ثم أذن له في أن

يلحق بوالده. واحتجز خمسة وعشرون من الأصحاب في سجن آخر، وقيدوا بالسلاسل، ثم اقتيدوا بعد ستة أيام أخرى إلى خان الشاوردي حيث احتجزوا ستة أشهر. وأمّا المجرمون الذين ارتكبوا هذه الفعلة النكراء فقد سجنوا عدة أعوام.

التفت حاكم المدينة العسكري إلى حضرة بهاءالله بعد وصوله إلى سراي الحكومة وسأله في جرأة: 'هل من المناسب أن يتصرف بعض أتباعك على هذا النحو؟' فكان الرد السريع هو: 'وهل تعتبر أنت مسؤولاً إذا ارتكب أحد جنودك فعلة نكراء فتعاقب أنت بدلاً منه؟!' وفي أثناء الاستجواب سئل عن اسمه واسم البلاد التي أتى منها فأجاب: 'إنه أظهر من الشمس'. وعند تكرار السؤال عليه أجاب'لا داعي لذكر الاسم فهو مدون عندكم في فرمان الدولة'. فأعادوا عليه السؤال مرة أخرى باحترام ملحوظ. فنطق حضرة بهاءالله هذه الكلمات في وقار وجلال واقتدار: 'اسمي بهاءالله وبلدي نور، فهل عرفتم؟' ثم التفت إلى المفتي ولامه لوماً خفيفاً ثم تحدث إلى جميع الحاضرين في لهجة بلغت من الحرارة والجلال أن أحداً لم يجسر على التعقيب. ثم تلا عليهم بعض آيات "سورة الملوك" ونهض وغادر الاجتماع. وسرعان ما أرسل إليه الحاكم رسالة يعتذر له فيها عما حدث، ويعطيه مطلق الحرية في العودة إلى بيته.

بعد هذا الحادث تملكت الأهالي المتشككين عداوة شديدة ضد المنفيين، وضد كل من انتمى إلى هذا الدين بصلة. وانهالت عليهم التهم العلنية بالفسق والفجور والإلحاد والمروق وإشاعة الرعب والإرهاب، وقوّى عبّود، الذي كان يسكن المنزل المجاور، الحائط الذي يفصل منزله عن هذا الجار المخيف المشكوك في أمره، بل إن الناس كانوا يطاردون أولاد المنفيين المسجونين ويسبونهم ويرجمونهم بالحجارة إذا هم تجاسروا وظهروا في الشوارع في تلك الأيام.(٨)

حكمت السلطات على مرتكبي الجريمة بالسجن لفترة طويلة بينما أبقي على آخرين في الحجز لمدة ستة أشهر ثم أفرج عنهم إذ تبين بمرور الأيام عدم تورّطهم.

ومع مرور الزمن تبين جلياً لكل واحد بأن حضرة بهاءالله نفسه لا يمكن أن يكون له دور إطلاقاً بعمل شنيع كهذا، ناهيك بأن يكون القوة المدبرة وراءه.

قضايا يقيّمها التاريخ

إن إحدى النواحي المأساوية في حياة حضرة بهاءالله هي أن أغلب الناس الذين تعرفوا على أمر الله قد فشلوا تماماً في تقديره شخصياً وتقدير ادعاءاته. وفي الحادثة المذكورة أعلاه أمثلة على ذلك. من الطبيعي أن يُتوقع ممن كانوا أعداءه الألداء أن يشوهوا ويحرفوا سيرته وأهدافه. وكذلك قام بعض المؤرخين غير البهائيين، والمستشرقين والمبشرين -ممن كانوا منحازين أو متعصبين- بإعطاء انطباعات مغلوطة عنه. ومع ذلك فإنه حتى الذين كانوا محايدين أو محبين فإنهم لم يتمكنوا أبداً من إصدار حكم صحيح بشأنه، إذ إنهم لم يعرفوا حقيقة طبيعة ادعاءات حضرة بهاءالله أو مقامه.

كان حضرة بهاءالله قد منع أتباعه بشدة من تبليغ دينه داخل الإمبراطورية العثمانية. لذلك فقد فات حتى عن بعض الشخصيات الهامة ممن كانوا يودونه ومعجبين به إدراك مقامه بشكل تام ولذلك اكتفوا باعتباره زعيماً دينياً أو رئيس مذهب وطائفة، شخصاً عظيماً جداً أقروا وأذعنوا بجلاله وسلطانه، ولكنهم لم يدركوا حق مقامه. ولهذا السبب نجد أن معظم المؤرخين المعاصرين من غير البهائيين والكتّاب قد خلفوا للأجيال روايات إمّا أنها مغلوطة تماماً وتنضح بالتعصب، أو فيها الشيء الكثير من المعلومات الخاطئة.

فما من طريقة يمكن بها لعالِم، أو بحاثة، مهما كان محايداً أو موضوعياً أن يكتب ترجمة صادقة حقيقية لسيرة حياة حضرة بهاءالله، أو أن يعطي تقييماً أصيلاً عن بعثته، إلاّ إذا كان من المؤمنين بدينه. فكما يعجز الشخص العادي عن تقدير وتقيم عمل العالِم واكتشافه إلاّ بكيفية سطحية –إذ يتوجب عليه أن يكون نفسه عالِماً ليفهم المغزى الحقيقي لأي اكتشاف علمي– كذلك فإن من يكتب تاريخ دين من الأديان عليه أن يُقْرِنَ الأحداث التاريخية بحقيقة وحي الله الكامن

في ذلك الدين. وهذا غير ممكن بالنسبة للمتشكك. فإن البراعة في تدوين أي تاريخ لا تكمن في مجرد وصف الأحداث بل ربطها ببعضها ووضعها في مواقعها المناسبة. وفي تاريخ الأديان يحتل موضوع الوحي نفسه موضعاً مركزياً بطبيعة الحال، ولا يمكن إهماله أو حذفه. ولمّا كان مؤسسو الديانات يتلقون تعاليمهم بوحي سماوي، وهي تجربة لن يقدر بشر بلوغها أبداً، لذا فإنها تصبح خارج نطاق البحث العلمي.

إن العمل التاريخي الوحيد الذي يمكنه أن يقدّم، بدرجة محدودة، صورة حقيقية عن حضرة بهاءالله وظهوره هو ما يسجله أحد المؤمنين المخلصين له ممن ألمّ إلماماً جيداً بكتاباته –شخص يفهم ادعاءاته وقادر على أن يفسّر أعماله وبياناته على ضوء تعاليمه. لكن حتى مثل هذا الشخص لن يكون باستطاعته القيام بتقييم كامل للأحداث المرتبطة بحياة مظهر أمر الله. وذلك لسبب بسيط هو عجز الإنسان وقصوره عن فهم المظهر الإلهي بنحو تام. يصرح حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس":

"قل يا معشر العلماء لا تزنوا كتاب الله بما عندكم من القواعد والعلوم إنه لقسطاس الحق بين الخلق قد يوزن ما عند الأمم بهذا القسطاس الأعظم وإنه بنفسه لو أنتم تعلمون."(٩)

هناك عدد من أتباع حضرة بهاءالله ممن كتبوا رواياتهم عنه. كما سجل كل منهم وفق أهليته الروحانية بعض نواحي تاريخ أمر الله. منهم النبيل الأعظم الذي كتب سجلاً مسهباً، نُقح ونُشر جزء منه في كتاب "مطالع الأنوار". يعتبر البهائيون رواياته من بين أكثر التواريخ الموثوقة عن ولايتَيْ حضرة الباب وحضرة بهاءالله.

ولا يمكن أن يكون تاريخاً ما عن أمر الله مكتملاً دون ذكر "كتاب القرن البديع" لحضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله. يتناول هذا الكتاب الأحداث التاريخية المرتبطة بولاية كل من حضرة الباب وحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء، بالإضافة إلى نشوء النظم الإداري وتطوره. إنه تحفة من تحف التاريخ –بليغ في إيجازه لكنه رغم ذلك ممتلئ بتفصيلات ناطقة بجلائها عن أحداث القرن

الأول للدين البهائي ذات أهمية بالغة ومغزى كبير. فبأسلوبه الفذ جمع حضرة شوقي أفندي ولخّص في بضع مئات من الصفحات فقط ما يعادل مجلدات من المواد والمعلومات. لذا فإن كل سطر تقريباً من هذا الكتاب عامر بكثير من المعلومات والوثائق التاريخية إضافة إلى مقتبسات وفيرة من المخزن الزاخر لكتابات الشخصيات الرئيسة لأمر الله.

ولكونه ولي أمر الله، فإن حضرة شوقي أفندي كان مؤهلاً أكثر من أي شخص آخر لكتابة مثل هذا الكتاب في التاريخ البهائي. وكمفسّر معصوم لكتابات حضرة بهاءالله فقد كان، بعد حضرة عبدالبهاء، موهوباً بقدرة فريدة على فهم ظهور حضرة بهاءالله وتقييمه لدرجة لا يمكن لسواه من البشر أن يرجو تحقيقها. فهو يوضح كل حدث هام في ضوء وحي حضرة بهاءالله ويسبغ على كل موضوع قسطاً من حقيقة الدين.وفي سياق كتابة سِيَر الشخصيات الرئيسة لأمر الله وحياة تلاميذهم، فإنه يشرح الدافع الحقيقي وراء أفعالهم، مقدّراً آثار هذه الأعمال، واضعاً بطولة وتضحيات الشهداء البابيين والبهائيين في منظورها وإطارها الصحيح، معدّداً وقائع مسلسل الانتصارات والأزمات التي واجهها أمر الله، راوياً سقوط أعدائه، مدلّلاً على تفتّح مؤسساته المعنية بشؤون العالم ومنبئاً بمستقبل مسيرتها ومصيرها.

على نقيض من كتابات حضرة شوقي أفندي، الذي كان على بيّنة تامة وفهم حقيقي لمقام حضرة بهاءالله، وكان في موقع يؤهله لتوضيح أعماله، نجد كتابات أولئك الذين لم يلّموا إلاّ بقليل من المعرفة عن أمر الله وتركوا وراءهم كثيراً من المعلومات الخاطئة. فكيف يتمكن إنسان وهو مليء بالتعصب، وإن لم يكن كذلك، فهو من عَمْيَ البصيرة بحيث لا يمكنه مشاهدة حقيقة مظهر أمر الله، كيف يتمكن من كتابة وصف صحيح لسيرة حياته أو أن يتمكن من تفسير كلماته وأفعاله؟ كيف يمكن أن يُتوقع من الجيل المُعرض والمعاصر للسيد المسيح، بمن فيهم اليهود في ذلك اليوم، أن يعطي تقييماً لحياته وتعاليمه؟ لم يكن باستطاعتهم أن يفعلوا ذلك إذ كانوا أنفسهم محجوبين عن معرفة عظمته ومجده. والشيء نفسه ينطبق على أيام حضرة بهاءالله.

مثال ذلك هو حادثة ذبح الرجال الثلاثة في عكاء. فكثير من الناس هناك، سواء من أعيان السكان أو عامّتهم، كانوا في بداية مراحل القضية قد اعتبروا حضرة بهاءالله المدبّر والمحرّض لهذا العمل القبيح. لكن بمرور الزمن سرعان ما أدرك معظمهم خطأ ظنهم واعتقادهم وبدأوا يرون سموّ فضائله وطهارة أعماله. من بين الكتّاب الغربيين سمع بعضهم روايات مغرضة وتقارير محرّفة عن استجوابه، وسجلوا ذلك في مراسلاتهم ومذكراتهم. والذي لم يدركه هؤلاء هو أن أولئك الذين استمعوا لحضرة بهاءالله وهو يتكلم مع المسؤولين حين الاستجواب لم يكونوا على معرفة بادعاءاته، كما أنهم لم يفهموا المصطلحات أو التعبيرات الخاصة الواردة في بياناته.

مثال على ذلك هو حينما كان حضرة بهاءالله جالساً على كرسي الشرف وبحضور مسؤولي المدينة وأعيانها البارزين بمن فيهم مفتي عكاء، تلا حضرة بهاءالله بصوت رنّان بعض المقاطع من "سورة الملوك" وألواح أخرى. إن الذين لهم إلمام ودراية بهذه الكتابات يعرفون أنه ما لم يكن المرء مطلعاً إطلاعاً جيداً بتعاليم حضرة بهاءالله وبياناته فلن يكون باستطاعته تقييم مغزى الإشارات المختلفة التي تضمنتها تلك الألواح، وهي إشارات واضحة لدى المؤمنين، لكنها ليست مفهومة لغيرهم. كان نتيجة كل ذلك سوء فهم فادح من جانب المؤلفين غير البهائيين الذين كتبوا مقالاتهم حول استجواب حضرة بهاءالله.

وللإتيان بمثال واحد على ذلك: لقد ادعى لورنس أوليفانت، رحالة مشهور، في كتابه "حيفا، أو الحياة في الأرض المقدسة"، بأن حضرة بهاءالله بعد استجوابه قد "أُطلق سراحه وأُعفي من الحضور للمحكمة في المستقبل بعد أن دفع رشوة ضخمة."(١٠) فلو كان أوليفانت مهتماً بمعرفة المزيد عن حضرة بهاءالله، الذي سلّم نفسه ومصيره لأعدائه طيلة ثلاثين سنة تقريباً، تسليماً طوعياً غير مشروط، لما أقدم على تسجيل مثل تلك الإساءة الفادحة في عرض الحقيقة. ولو كان حضرة بهاءالله مهتماً حقاً، كما زُعم، بتحرير وتخليص نفسه من السجن بالكيفية المزعومة، لاستطاع بسهولة أن يخلص نفسه من سجن سياه چال بطهران قبل ذلك بعشرين سنة، أو من العذاب والعناء في أدرنة أو في ثكنات عكاء. لو استطاع

كاتب هذا التقرير أن يتحرى، ولو بسرعة واختصار، تعاليم هذا الدين وما كان يتحلى به مؤسسه من كمالات إلهية وفضائل سماوية، لأمكنه أن يرى ببصيرته أن القصة التي نُقلت إليه كانت افتراء بهدف الإساءة لاسم حضرة بهاءالله وسمعته. ثم لو علم بحياة التقشف التي كان يعيشها حضرته هو وعائلته آنذاك، لكتب تقريراً مغايراً بالكلية.

ليس غرض هذا الكتاب تفنيد أباطيل مختلف الكتّاب غير البهائيين إلاّ أنه في هذه الحالة هناك ما يثير الاهتمام في متابعة النظر في تقرير أوليفانت الذي يحتوي على ادعاءات أخرى عارية عن الصحة. مثلاً، رُوي أنه لمّا سُئل أثناء استجوابه عن مهنته، أجاب حضرة بهاءالله الضابط المستنطق: "... إني لست راعي جِمال، ولا ابن نجّار..." -إشارة إلى حضرة النبي محمد والسيد المسيح على التوالي. هنا أيضاً يتضح بأن الشخص الذي نقل هذه العبارات المغرضة إلى أوليفانت قد قصد تعريف حضرة بهاءالله على أنه رجل متكبر كافر لا اعتبار له للأنبياء الآخرين.

لكن بالنسبة للذين يعرفون حضرة بهاءالله وتعاليمه فليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة مثل هذه المفتريات. ففي ألواح لا حصر لها سطر حضرة بهاءالله ثناء عاطراً وتمجيداً ساطعاً بحقّ حضرة محمد والسيد المسيح. في الواقع ليس بين أتباع هذين الدينين من كتب عن مؤسسيهما بكيفية وأسلوب يضارع في إخلاصه وقوته وجماله وعمقه وبيانه ما نطق به حضرة بهاءالله في الثناء على مقام هذين المظهرين الإلهيين وتمجيدهما. مثال على ذلك: في لوح أنزل إجابة عن بعض الأسئلة من قبل مطران مسيحي يقيم بالآستانة، يكيل حضرة بهاءالله الثناء التالي على السيد المسيح:

"اعلم بأن الابن حين الذي أسلم الروح قد بكت الأشياء كلها ولكن بإنفاقه روحه قد استعد كل شيء كما تشهد وترى في الخلائق أجمعين. كل حكيم ظهرت منه الحكمة وكل عالم فصّلت منه العلوم وكل صانع ظهرت منه الصنايع وكل سلطان ظهرت منه القدرة كلها من تأييد روحه المتعالي المتصرف المنير. ونشهد بأنه حين الذي أتى في العالم تجلى على

الممكنات وبه طهّر كل أبرص عن داء الجهل والعمى وبرّء كل سقيم عن سقم الغفلة والهوى وفُتحت عين كل عمي وتزكّت كل نفس من لدن مقتدر قدير. وفي مقام تُطلق البرص على كل ما يحتجب به العبد عن عرفان ربه والذي احتجب إنه أبرص ولا يُذكر في ملكوت الله العزيز الحميد وإنا نشهد بأن من كلمة الله طَهُرَ كل أبرص وبرء كل عليل وطاب كل مريض وإنه لمطهّر العالم طوبى لمن أقبل إليه بوجه منير."(١١)

هناك أيضاً ألواح كثيرة من قلم حضرة بهاءالله تلهج بالثناء في حق نبيّ الإسلام. كما تزخر آثار قلمه الأعلى بفقرات وإشارات مديح وتبجيل لمظاهر أمر الله عموماً. ويكفي القارئ مطالعة "كتاب الإيقان"، مثلاً، لملاحظة مدى الاحترام في أسلوب اللغة التي يستعملها حضرة بهاءالله عند الإشارة لأصفياء الله في الأرض وفي إعلاء مقامهم. كل هذه تعتبر شواهد وافية على نبل نظرة حضرة بهاءالله واعتباره الجليل لمن سبقه من الأنبياء وعلى سمو تقديره لهم وتعظيم مقامهم. في الواقع لم يكن ليقبل أو يسمح لأحد أن يحط، في محضره، من شأنهم أو حتى يشير لهم بما لا يليق من أدب الكلام.

تبرهن الرواية التالية على هذه النقطة. وهي تختص بميرزا تقي خان، أمير النظام الذي كان رئيساً للوزراء في إيران لسنوات طويلة في عهد ناصر الدين شاه. وهو الذي أمر بإعدام حضرة الباب واقترف أسفل الشنائع ضد جامعة البابيين.

يروي حضرة عبدالبهاء(١٢) بأن في يوم ما حضر ميرزا تقي خان مجلساً في طهران كان حضرة بهاءالله قد شرّفه بمحضره. وكان ميرزا تقي خان يشير إلى بعض آيات القرآن بسخرية واستهزاء وهو يتساءل عن حقيقة معنى الآيات التالية:

"ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين."(١٣)

كان رد فعل حضرة بهاءالله الفوري أن اعترض على موقف ميرزا تقي خان وأكد بأن الآيات المذكورة كانت صادقة فيما تتضمنه. ولمّا سأل عن مزيد من

الشرح بيّن له حضرة بهاءالله بأن القرآن هو مخزن الكلمة الإلهية. فهو يحتوي على شتى الموضوعات مثل التاريخ والتأويل والنبوءات وغيرها. وفي بواطن صحائفه تكمن حقائق ذات مغزى عظيم بل قد يكتشف المرء حقاً بأن في هذا الكتاب ذكر لكل شيء.

'وهل أنا مذكور فيه؟'، سأل ميرزا تقي خان بغرور.
'نعم، إنك مذكور.' كان جواب حضرة بهاءالله في الحين.
'وهل أنا مشار إليّ أم مذكور صراحة بالاسم؟' سأل ميرزا تقي خان.
'بصريح الاسم'، أعلن حضرته.
'هذا أمر غريب'، رد ميرزا تقي خان بشيء من التهكم، 'بأني لم أجد بعد إشارة لنفسي في القرآن!'
'إن الإشارة لاسمك،' تفضل حضرة بهاءالله قائلاً، 'موجودة في هذه الآية: **(قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً).**'(١٤)

عندما سمع إشارة ذميمة لنفسه كتلك التي نسبها إليه حضرة بهاءالله، غضب ميرزا تقي خان أشد الغضب لكن دون أن يظهره. قام بدلاً من ذلك بمحاولة أخرى للاستهزاء بتلك الآية القرآنية والتقليل من شأن حضرة بهاءالله. فسأل:

'وماذا عن أبي، قربان، هل في القرآن ذكره أو إشارة إليه أيضاً؟' 'بلى، هناك ذكره في القرآن'، أجاب حضرة بهاءالله مؤكداً. 'وهل هو مُشار إليه، أم ذُكر بالاسم؟' سأل ميرزا تقي خان. 'بل هو مذكور بالاسم في هذه الآية'، أجاب حضرة بهاءالله: '**حتى يأتينا بقربان تأكله النار...**'(١٥)

قصة أخرى تبرهن على أن حضرة بهاءالله كان دائماً يدافع عن الأنبياء السابقين، تلك التي رواها ميرزا أبو الفضل.[1] تعود وقائعها إلى وقت كان حضرة بهاءالله ما يزال شاباً في طهران، قبل ميلاد الدين البابي:

(١) انظر الصفحة ٩٩.

ولو أنه (حضرة بهاءالله) لم يتعلم في أي مدرسة[1] في إيران ولم يحصل على المعارف في أي من معاهد التعليم، إلاّ أنه منذ حداثة شبابه ظهرت على محياه أمارات العظمة والجلال، والرأي الصائب والذكاء الحاد، على نحو يلفت الانتباه بشكل كبير. ومتى حضر مجالسهم، كان كبار رجال العلم غير قادرين على الكلام تلقاء بيانه القوي المذهل والذي كان منذ الأزل تلك العلائم المبكرة التي تحكي عن أحقية مظاهر أمر الله.

روى أحد أقطاب المجتمع الإسلامي القصة التالية: 'كنت في أحد الأيام حاضراً في اجتماع يضم مجموعة من شخصيات الدولة وكبار موظفي الحكومة بمحضر الفيلسوف الديني المعروف ميرزا نظر علي حكيم القزويني. كان هذا زعيماً ومرشداً روحياً لمحمد شاه القاجاري، ومرجعاً يقصده كل الحكماء والمتصوفة الورعين في زمانه طلباً للهداية.

'كان هذا الفيلسوف الشهير يتحدث، بعبارات المعرفة الشائعة آنذاك، مبيناً بإسهاب بلوغ الإنسان إلى أعلى مراتب الكمال الروحاني. ما فتئ يتكلم بهذا الموضوع حتى استيقظت في أعماقه أنانيته الكامنة وغرائزه الحسّية، بحيث أخذت زمام كلامه. فحاد عن مبحثه وحوّل اهتمامه إلى ما حقق من منجزات. وفي ذكر منجزاته وكمالاته الشخصية قال: ''مثلاً لو جاءني في هذه اللحظة خادمي ليخبرني بأن عيسى المسيح يقف بالباب يستأذن الدخول ليفوز بمحضري، فإني سأجد نفسي في غنى عنه ولست راغباً في لقائه.''

'ظلّ قليل من الحاضرين في صمت بينما الأغلبية، كما هو شأن جمهور المنافقين المدّاحين، أبدوا تأييدهم ورضاهم على ما قال. كان حضرة بهاءالله حاضراً في المجلس. ولدى سماعه تعليقاً جارحاً كهذا يحط من مقام السيد المسيح... استفزه ذلك لإعلان معارضته إذ لم يحتمل أن يساء لمظهر إلهي

(١) تلقّى حضرة بهاءالله تعليماً بسيطاً كما كان المعتاد لشخص من طبقته. ولم يدخل مدارس التعليم العالي التي خصصت للمتفقهين والعلماء. انظر المجلد الأول، الصفحات ١٩–٢١.

بهذه الوقاحة، وبينما بدت على وجهه أمارات الانفعال، سأل الفيلسوف العلاّمة إذا كان مستعداً للإجابة عن سؤال. عندما وافق، خاطبه حضرة بهاءالله قائلاً: ''ولو أن الملك من المعجبين المتحمسين لك، ولنفرض أن رئيس الجلادين جاء الآن برفقة عشرة من الجنود للقبض عليك واصطحابك إلى الملك، فهل تشعر بالخوف في هذه الظروف وتضطرب، أم تنصاع لأمره هادئاً دون خوف؟'' بعد لحظات من التردد والتأمل أجاب الحكيم: ''في الواقع سأكون خائفاً جداً، ولن أقدر على البقاء هادئاً بل حتى لساني سيعجز عن الحركة.'' فقال له حضرة بهاءالله: ''إن شخصاً على هذا الضعف في موقفه لا يحق له التفوه بادعاء كهذا!'' فانصعق الحاضرون بصرامة قوله ودُهشوا بقوة حجته.'(١٦)

جلال حضرة بهاءالله

لقد أشار بعض أتباع حضرة بهاءالله الذين تشرفوا بمحضره إلى جلال شخصه السامي. كان هذا من مظاهر شخصيته الباهرة التي بهرت كل من قدّر له ملاقاته وجهاً لوجه بحيث غالباً ما كان يعجز اللسان عن الكلام في محضره. وفي سياق رواياته عن زيارته لعكاء، سجّل الحاج ميرزا حيدر علي ملاحظاته بهذه الكلمات:

> في الظاهر كان (حضرة بهاءالله) سجيناً مُداناً مظلوماً، إلاّ أنه في الحقيقة كان شمس البهاء ومظهر العظمة والجلال، وسلطان ملكوت السكينة والوقار. وبالرغم من أنه كان يظهر قدراً كبيراً من المحبة والعطف، ويولي كل واحد قصد محضره برعاية رقيقة وتواضع، بل غالباً ما كان يتلطف على زائريه بتعليقات تتسم بالمرح والفكاهة ليشعروا بالارتياح وليزول ارتباكهم ووجلهم، ومع كل ذلك كان من غير الممكن لأحد، مؤمناً كان أو غير مؤمن، متعلماً أو أمّياً، عاقلاً أو أحمق، أن ينطق في محضره بعشر كلمات مما يُقال اعتيادياً في الحياة اليومية. في الواقع كان يجد الكثيرون أنفسهم مسلوبي القدرة على الكلام.

كان بعض الناس يستأذنون لزيارة محضره فقط بقصد عقد حوار للمناقشة وإثارة الجدال. في هذه الأحوال كان حضرته يأذن لهم بالدخول في ساحة عزه ومجده تحقيقاً للحجة وإقراراً للأدلة بنحو قاطع، عند ورودهم محضره أول ما يستمعوا له هو صوت ترحابه بهم، ثم يمكنهم بعد ذلك التطلع إلى محياه الذي كان يشع بنور العظمة قبل أن يجدوا أنفسهم وقد خرّوا ساجدين لدى بابه.

بعدئذ يدخلون ويجلسون. وعندما يشير لهم إلى أماكن جلوسهم يجدون أنفسهم عاجزين عن التفوه بكلمة أو التقدم إليه بالأسئلة. وعند مغادرتهم لا مناص من انحنائهم لا إرادياً. أما أثر الزيارة فيختلف باختلاف نفوس الزائرين، إذ بينما ينقلب بعضهم بتأثيرها ويغادرون بقلب عامر بالإخلاص والإيمان، كان الآخرون يغادرونه معجبين به، في حين أن غيرهم يغادرون محضره كما دخلوا في جهل وغفلة، ينسبون ما مروا به من تجربة إلى مجرد سحر.

قد تفسر انطباعات المؤمن الذي يروي وصفاً لتجربته خلال تشرفه بمحضر حضرة بهاءالله، على أنها حصيلة موقفه الشخصي كمؤمن نكر ذاتيته ولا يرى وجوده إلاّ عدماً صرفاً تلقاء حضرته. لكن لأي شيء يُنسب دخول شخص معاد إلى محضره وخروجه مؤمناً، أو ورود عدو يخرج من عنده صديقاً، أو مجيء مجادل لا ينوي سوى إثارة نقاش جدلي، لكنه يغادر دون أن يتفوه بشيء ثم ينسب هذا، عن عمي متعمّد، إلى السحر؟ وباختصار فإن العطايا والمواهب التي يُختص بها من تشرف بمحضره لا يمكن وصفها ولا معرفتها. فدليل وجود الشمس هو نفسها.(١٧)

مثال ذلك: ولو أن حضرة بهاءالله كان من حين لآخر يأذن للبعض من غير البهائيين في عكاء بزيارته، إلاّ أن هذا كان الاستثناء لا العرف. وعلى مر السنين أصبح أقل ميلاً للسماح للناس بزيارته. وقد حدث في فترة أن رغب أحد حكّام مدينة عكاء بزيارة حضرة بهاءالله ولكنه لم يمنحه الإذن لعدة سنوات. كان عليه، بدل ذلك، أن يقابل حضرة عبدالبهاء. وبعد مرور بضع سنوات على هذا

الحال من الرفض لطلب زيارته رغم محاولة ذلك عدة مرات، حدث أن طلبت الحكومة المركزية بسوريا من الحاكم المذكور زيارة حضرة بهاءالله. لمّا أصبح الأمر كذلك أذن له، صحبة جنرال (لواء) أوروپي، بالدخول إلى محضر حضرة بهاءالله. وما كادا يدخلان الغرفة حتى ذهل كلاهما بما رأياه من جلال شخصه. كان تأثرهما بمهابة شخصيته بحيث ركعا عند الباب. مع أن حضرة بهاءالله أشار عليهما بالجلوس على مقاعد إلاّ أنهما بقيا في موضعهما دون حراك. كان ذلك صعباً بصفة خاصة على الجنرال إذ كان شخصاً بديناً. ولمّا لم يكن لحضرة بهاءالله ما يقوله لهما، استأذنا بعد حوالي عشرة دقائق للانصراف.

كما بيّنا في مجلد سابق،[١] فإن حضرة بهاءالله اعتاد الاختلاط بالجمهور بحرية لمّا كان ببغداد ثم إلى حد أقل في أدرنة. لكنه في عكاء اعتزل نهائياً تقريباً عن سكان المدينة تاركاً لحضرة عبدالبهاء مهمة الاتصال بالجمهور. بذلك كان الفرق بين أيامه ببغداد وتلك في عكاء كبيراً حقاً. ففي بغداد لم يكن حضرة بهاءالله قد أعلن بعد بعثته. كان الجمهور يعتبره وأصحابه رسمياً من أتباع حضرة الباب. وكان حراً في الحركة والاتصال بالناس. ولفترة ما في بغداد كانت انشغالاته اليومية المعتادة على هذه الشاكلة:

بعد تناول الفطور داخل حرم الدار[٢] يذهب عادة للجلوس في حجرة الاستقبال المخصصة للضيوف والكائنة في الجزء الخارجي من البيت. كان يجتمع فيها الأصحاب المؤمنون حيث يحظون بشرف محضره لمدة تتراوح بين نصف ساعة إلى ساعة تقريباً. خلال تلك الفترة اعتاد حضرته أن يجلس أو يتمشى ذهاباً وإياباً في الغرفة. بعد ذلك يخرج قاصداً إحدى المقاهي الشرقية في القطاع القديم من المدينة، برفقة اثنين على الأقل من المؤمنين. كان صاحب المقهى، وهو عربي اسمه السيد حبيب، من غير البابيين لكنه كان يكنّ إعجاباً كبيراً بحضرته ويظهر

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٦٠.

(٢) كانت المنازل في الشرق الأوسط تشمل قسماً داخلياً وقسماً خارجياً. فكان القسم الخارجي يخصص دائما للزوار والضيوف، بينما يبقى القسم الداخلي خاصاً بأصحاب المنزل.

له احتراماً فائقاً وتبجيلاً بليغاً. أتيح للعديد من كبار الناس وبسطائهم ملاقاة حضرة بهاءالله في ذلك المقهى. كان حضرته يجد الفرصة للتحدث معهم عن دعوة حضرة الباب وشرح بعض حقائق أمر الله. بعد انتهاء اللقاء في المقهى والذي يستغرق نحو ساعة كان حضرته يعود إلى بيته، حيث يتسنى للمؤمنين نعمة زيارته عصراً مرة أخرى. بعد ذلك يعود ثانية للمقهى حيث يبقى فيه حتى الغروب عندما يرجع إلى بيته. من حين لآخر كان المؤمنون يأتون لبيته خلال أمسيات بعض الأيام للتشرف بمحضره. من جملة الذين قصدوه من وقت لآخر بعض كبار الشخصيات والأعلام المدنيين والدينيين، وأمراء إيرانيين وغيرهم، فكانوا يردون عليه ابتغاء الاسترشاد ويجلسون عند قدميه، إلاّ أن حضرة بهاءالله لم يبادلهم الزيارة لمنازلهم ولو أنه كان أحياناً يذهب لزيارة بيوت بعض المؤمنين.

أمّا في أدرنة فلم يظهر حضرة بهاءالله بين الجمهور كما كان يفعل ببغداد. لكنه كان يذهب أحياناً إلى المساجد، وفي بعض المناسبات كان يستقبل ضيوفاً مرموقين مثل حاكم المدينة. لكن كما سبق أن بيّنا بأنه مع مرور السنين نادراً ما استقبل أي شخص في عكاء من غير جماعة المؤمنين به. بطبيعة الحال كانت هناك دائماً حالات استثنائية. مثال ذلك، بعد مذبحة الأزليين الثلاثة بفترة قصيرة عُزل الحاكم صالح باشا الذي لم يكن محباً لحضرة بهاءالله، واستُبدل بأحمد بيك توفيق، الذي كان أكثر حنكة من سابقه. بعد تعيينه حاكماً بفترة قصيرة ذهبت بدري جان، أخت القتيل ميرزا رضا قلي، لمقابلته بهدف تشويه سمعة حضرة بهاءالله. وتحقيقاً لمحاولة تسميم أفكار الحاكم بصفة تامة ضد حضرته، قامت باغتياب حضرة بهاءالله باتهامات شنيعة مدعية بأنه يطمح لإخضاع جميع الناس لسلطانه وحكمه بمن فيهم الملوك. ولإثبات ادعاءاتها، تركت عنده نسخة من "سورة الملوك" وألواح أخرى.

لكن نتيجة قراءته لتلك السورة كانت عكس ما توقعته. وحسب شهادة حضرة بهاءالله نفسه في لوح(١٨) حرر بكلمات كاتب وحيه، ميرزا آقا جان، فقد أخذ الحاكم تلك السورة والألواح الأخرى إلى حضرة عبدالبهاء وأخبره بأنه بعد إطلاعه عليها أيقن بأحقية أمر الله، والتمس لقاء حضرة بهاءالله. بعد ذلك بفترة

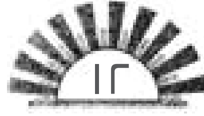
من الزمن قصد عبّود حضرة بهاءالله ملتمساً أن يأذن للحاكم بزيارته، وقد وافق حضرته على طلبه. في أثناء ذلك اللقاء انجذب قلب الحاكم حباً لحضرة بهاءالله وإعجاباً عميقاً بقدراته الروحانية. فعرض ملتمساً القيام بأي خدمة له. لكن حضرة بهاءالله لم يقبل منه أي خدمة شخصية، واقترح بدل ذلك القيام بمشروع صيانة قناة قديمة للمياه لفائدة أهالي عكاء، وهو اقتراح نال رداً إيجابياً من الحاكم.[1]

كان هذا الحاكم هو نفسه الذي أقرّ بالخصال والفضائل المتميزة لحضرة عبدالبهاء مما جعله من أشد المعجبين به. فصار غالباً ما يأتي إلى المولى يسترشده فيما يواجهه من صعاب المشاكل في سياق تأدية واجباته. وهو نفسه الذي لم يمانع بقدوم سيل من الزوار المؤمنين من إيران، رغم علمه بأن ذلك كان خلافاً لما نص عليه فرمان السلطان بهذا الخصوص.

مع أن حضرة بهاءالله لم يختلط بعامة الناس في عكاء، إلا أن فيوضات فضله وعناياته لم تنقطع عنهم. ذلك بأن حضرة عبدالبهاء، نيابة عن والده، كان يضم على الدوام تحت جناحي العناية والحماية أهالي عكاء والبقاع المجاورة لها. كان يقصده الناس من العالي والداني. فمن حكام إلى رؤساء الدين ورجال الأعمال والسياح وعامة الناس بعكاء، لا سيما فقراؤها، جاءوا كلهم إليه ابتغاء عونه أو لمجرد الجلوس عند قدميه مستنيرين روحياً بأنوار شخصه المبارك. وخلال حياة حضرة بهاءالله كانت الحجرة المخصصة التي يستقبل فيها حضرة عبدالبهاء الناس تظل مفتوحة دائماً حتى ساعات الصباح المبكرة. وهكذا دأب حضرة عبدالبهاء على قضاء حاجات الناس بدرجة من المحبة الصادقة والعناية بحيث لُقب بـ"أبو الفقراء" بينما كان البعض يشير له بـ"مولى عكاء". وما كان حبه الشامل هذا وما وُهب من قدرات إلاّ انعكاساً لما كان ينبعث من حضرة بهاءالله الذي منّ على ابنه بكل الطاقات الكامنة في أمره.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه الحادثة انظر الصفحتين ٢٢–٢٣.



أوائل المؤمنين من غير المسلمين

يرجع الفضل بصفة رئيسة لمجهودات حضرة عبدالبهاء وتأثير شخصيته الجذابة في إحداث تغيير تدريجي لدى أهالي عكاء من حيث موقفهم العدائي تجاه حضرة بهاءالله وجماعة المنفيين من أصحابه إذ تحوّل شعورهم ذاك أخيراً إلى تفهّم واحترام. كما أن باب بيت حضرة بهاءالله الذي كان مسدوداً في وجه الأصدقاء والأعداء على السواء صار الآن مفتوحاً، فتمكن بذلك بعض المؤمنين القادمين من إيران من الفوز بزيارته في بيت عودي خمّار.

قصة اسم الله الأصدق

من بين أبرز أولئك الزوار كان الملاّ صادق الخراساني[1] الذي لقّبه حضرة بهاءالله بـ"اسم الله الأصدق". كما سنرى، كان هذا الرجل سبباً في دخول أول يهودي في دين حضرة بهاءالله.

كان حضرة بهاءالله هو الذي أرسل لوحاً، ودون أن يُلتمس بذلك، إلى اسم الله الأصدق في خراسان داعياً إيّاه للقدوم إلى عكاء لزيارته. كان واحداً من أبرز المؤمنين المخلصين في هذه الدورة. كان رجلاً متعلماً، وقبل اعتناقه دين حضرة الباب كان من رجال الدين المسلمين المعروفين والمحترمين لاستقامته ووقاره، وقد اشتهر عبر إقليم خراسان بتقواه وصدقه. ولكونه أصلاً من الشيخية، فقد حظي بالامتياز

---

(١) انظر أيضاً المجلد الأول، الصفحتين ٩٦–٩٧؛ والمجلد الثاني، الصفحات ١٠٦، ٢٨٩ح، ٣٧٩.

الفريد بملاقاة حضرة الباب في كربلاء عدة مرات قبل إعلان دعوته. وفي أثناء تلك الفترة أعجب وتأثر كل التأثر بما وجد من حضرة الباب من نورانية ورقّة ممزوجة بجلال وهيبة سيما خلال دعائه ومناجاته داخل مقام الحسين والدموع تنهمر بغزارة على وجهه. هذا ويُروى أنه حينما وقع نظر اسم الله الأصدق على هيكل حضرة الباب لأول مرة هتف: "سبحان ربنا الأعلى!" وقد أصبح من المعجبين المخلصين لذلك الشاب في فترة كربلاء هذه رغماً عن كونه في ذلك الوقت من علماء الدين المتعلمين ممن يقيم الناس له اعتباراً وتقديراً عاليين في حين كان حضرة الباب في الظاهر شاباً لم يحصّل إلاّ قدراً قليلاً من التعليم. وقد رأى أيضاً في تلك الفترة مدى الاحترام والتبجيل اللذين كان السيد كاظم الرشتي[1] يبديهما بنحو غير عادي تجاه ذلك الشاب إذ كان الرشتي يومئذ زعيم طائفة الشيخية الشهير والذي كان يعلم بأن ذاك الشاب لم يكن سوى القائم نفسه، موعود الإسلام المنتظر.

عندما كان الملاّ حسين في طريقه إلى طهران، بعد إعلان حضرة الباب دعوته عام ١٨٤٤م بقليل، التقى باسم الله الأصدق في مدينة إصفهان وأخبره بظهور حضرة الباب وأعطاه بعضاً من كتاباته ليقرأها. وبمجرد قراءته بضع صفحات منها أصبح من المؤمنين المتحمسين. إلاّ أن الملاّ حسين، وفق أمر حضرة الباب بهذا الخصوص، لم يكن مسموحاً له أن يكشف عن هوية حضرة الباب بعد.

ويسجل النبيل الأعظم في تاريخه الظروف التي تهيأت لكي يصبح اسم الله الأصدق مؤمناً متحمساً كالآتي:

أما الملاّ صادق الخراساني الذي كان يلقب بـ"المقدّس"، والذي سمّاه حضرة بهاءالله بـ"اسم الله الأصدق"، فأقام في إصفهان مدة خمس سنوات باحثًا عن مجيء الأمر الجديد بناء على تعاليم السيد كاظم، وكان من المؤمنين الأوائل الذين شهروا نسبتهم إلى حضرة الباب. إذ إنه لما علم بوصول الملاّ حسين إلى إصفهان أسرع لمقابلته. وحكى الملاّ صادق الخراساني الرواية الآتية عن مقابلته الأولى التي جرت في منزل الملاّ محمد علي النهري، قال: 'سألت

(١) للمزيد من المعلومات انظر كتاب "مطالع الأنوار".

الملاّ حسين أن يخبرني باسم الذي يدّعي أنه المظهر الموعود، فأجاب: ''إن الاستفهام عن اسمه والإفضاء به، كلاهما ممنوعان.'' فسألته: ''هل لي أن أعتكف كحروف الحيّ وأسأل الله في صلواتي أن يبيّنه لي برحمته؟'' فأجابني: ''إن باب رحمته لن يُغلق أبدًا أمام وجه مَن يجاهد في البحث عنه.'' فانصرفت حالاً من محضره وسألت مضيفه أن يخصص لي غرفة للخلوة في منزله، بحيث أتمكن لوحدي من مناجاة الله بلا انقطاع. وفي أثناء مناجاتي تذكرت وجه ذلك الشاب الذي رأيته مرارًا في كربلاء وهو واقف يصلي عند مدخل مرقد الإمام الحسين والدموع تكسو وجهه. فتمثل ذلك الوجه الآن أمام عينَي. وفي الرؤيا شاهدت ما يبدو أنه وجهه نفسه، بالملامح نفسها التي تُظهر سرورًا لا يمكن وصفه. وابتسم وهو يحدق بي. فذهبت نحوه متأهبًا لأرتمي على قدميه، ولكنني أثناء انحنائي وجدت ذلك الهيكل المنير قد اختفى من أمامي! فذهبت إلى الملاّ حسين وأخبرته بالرؤيا وأنا مستبشر، فاستقبلني بنشوة وأكد لي بأني قد وصلت في آخر المطاف إلى مراد قلبي. إلا أنه أمرني بكتم مشاعري. وحثني قائلاً: ''إن الوقت لم يحِن بعد للإفضاء برؤياك لأي أحد. لقد جنيت ثمرة انتظارك الصبور في إصفهان، فعليك الآن أن تذهب إلى كرمان وتبلغ الدعوة للحاج ميرزا كريم خان. ومن هناك تسافر إلى شيراز وتسعى في تنبيه سكان تلك المدينة من غفلتهم، وأتعشم أني أنضم إليك في شيراز وأقاسمك نعمة الاجتماع المبهج ثانية مع محبوبنا.''' (١)

بعد اعتناقه دين حضرة الباب بقليل بدأت تنهال على اسم الله الأصدق الاضطهادات والبلايا فواجهها بصبر وسرور مثاليين. كان واحداً من أول ثلاثة تعرضوا للتنكيل والتعذيب الشديد في تاريخ أمر الله في إيران. أمّا الآخران فهما القدوس[١] والملاّ علي أكبر الأردستاني. أمّا مكان ذلك الاضطهاد الشنيع فكان مدينة شيراز. يروي النبيل فيما يلي قصة اسم الله الأصدق الذي يشير إليه باسم الملاّ صادق:

(١) آخر وأعظم تلاميذ حضرة الباب. راجع كتاب "مطالع الأنوار".

وقد روى لي شاهد عيان من سكان شيراز، لم يكن مؤمنًا، قال: 'كنت حاضرًا إذ كانوا يجلدون الملاّ صادق. وكنت أرى كيف كان مضطهدوه يتناوبون الجلد على كتفيه الداميتين، واستمر جلده حتى أنهكت قواه ولم يكن أحد يصدق أن الملاّ صادق وهو طاعن في السن وضعيف البنية يقدر أن يتحمل أكثر من خمسين جلدة من هذا الجلد الوحشي. وكنا نعجب من تحمله إذ علمنا أن عدد الجلدات قد زاد على تسعمائة ومع ذلك احتفظ وجهه بوقاره وهدوئه المعهودين. وكانت تلوح على وجهه ابتسامة وهو واضع يده على فمه ويظهر عدم المبالاة بالضربات التي كانت تمطر عليه. وقد اجتهدت حتى وصلت إليه بعد طرده من المدينة، وسألته لماذا كان يضع يده على فمه؟ وأظهرت له تعجبي من تبسمه. فأكد لي قائلاً: ''كنت شديد التألم في السبع جلدات الأولى، وأما باقي الجلدات فيبدو أنني أصبحت غير مبال بها. وكنت أتعجب هل كانت الجلدات التالية تنزل على جسمي أم لا؟ فقد احتل روحي إحساس فرح وانشراح، وكنت أجتهد أن أخفي مشاعري وأمنع ضحكي. والآن أدرك كيف أن ربنا المخلّص قادر أن يغير الألم بالراحة والحزن بالسرور في أقل من لمح البصر، تعالت قدرته فوق إدراكات خلقه الفانين.''' فلما قابلت الملاّ صادق بعد مرور عدة سنين أكد لي صحة تفاصيل تلك الحادثة المؤثرة.(٢)

يمكن اعتبار هذه الحادثة مجرد مقدمة لسلسلة من تعذيبات أشد قسوة تعرض لها هذا الرجل المؤمن بالله حتى نهاية حياته. وخلال تجواله في أنحاء إيران وهو مشغول بتبليغ أمر الله، طالما أحاط به الأعداء وعذبوه بشتى ألوان العذاب وتآمروا على قتله. في قلعة الشيخ الطبرسي(١) كان من بين أصحاب القدوس والملاّ حسين. لكن العناية الإلهية شاءت أن تبقيه حياً بعد كل الآلام والمعاناة الفظيعة خلال تلك الملحمة وذلك ليتمكن من إظهار بطولة وتضحية أعظم فيما بعد في سبيل من كان مقصود محبة حضرة الباب وتلاميذه.

---

(١) انظر كتاب "مطالع الأنوار".

أدرك اسم الله الأصدق مقام حضرة بهاءالله بذات التلقائية التي أدرك فيها مقام حضرة الباب. فاز بمحضر حضرة بهاءالله في بغداد وأيقن تماماً بسمو مقامه على أنه "من يظهره الله" وذلك قبل أن يعلن حضرة بهاءالله دعوته في حديقة الرضوان. ظلّ يتنعم بدفء عناية حضرة بهاءالله وألطافه في تلك المدينة قرابة أربعة عشر شهراً، عاد بعدها إلى إيران بتوجيه من حضرته، وهو متوقد بحرارة حب مولاه الجديد. برز بين المؤمنين كقلعة متينة وصار سبباً لهداية ما لا يحصى من النفوس إلى أمر الله. من بين أولئك أشخاص اشتهروا في الأمر، مثل أحمد اليزدي، الذي أنزل له "لوح أحمد" المشهور، وكذلك الحاج ميرزا حسن علي، أصغر أخوال حضرة الباب.

قام برحلته لزيارة عكاء، موضع حجه للمرة الثانية، وهو في سن متقدم، فقد تركت ما يقارب من ثلاثة عقود من السنين، بكل ما تجرع فيها من مشاق وعذاب، تركت فيه آثارها ما بين نحافة الجسد وضعف وعلل شتى. وعندما دعاه حضرة بهاءالله إلى عكاء، طلب منه أن يترك ولده[1] في الوطن ويسافر مع مؤمن يستطيع رعايته خلال الرحلة. وصل عكاء في أوائل عام ١٨٧٤م على الأرجح، لأن الشيخ كاظم سمندر[2] يذكر بأنه لمّا وصل عكاء رفقة اثنين من أصحابه، الحاج نصير القزويني[3] ومنصور الأسكوئي، كان اسم الله الأصدق موجوداً هناك. وكان الشيخ كاظم قد وصل عكاء في ١ آذار ١٨٧٤م. بالنسبة لاسم الله الأصدق كان ذلك الحج تاج فخر ومجد حياته. وبعد مكوث دام عدة أشهر في عكاء، تشرف خلالها بمحضر حضرة بهاءالله عدة مرات، أشار عليه حضرته في لوح أنزله له بالعودة إلى موطنه.

في هذا اللوح(٣) أنزل حضرة بهاءالله رشحات بركاته عليه وأقرّ بأن في زيارته هذه وما قبلها إلى بغداد، قد شرب من أعماق كوثر الحياة الأبدية من يد عطاء ربه. ثم يأمره بإبلاغ المؤمنين وصاياه عسى أن يتمكنوا من أن يزينوا أنفسهم بطراز

(١) علي محمد، المعروف بابن أصدق، عيّنه حضرة بهاءالله فيما بعد أيادياً لأمر الله.

(٢) انظر الصفحات ٩٦–٩٩.

(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢٤١–٢٤٥.

الخلق الحميد ويحيوا حياة مقدسة. ويصرح بأن أفضل الأعمال اليوم هو الثبات على أمر الله بحيث لا تؤثر فيهم أوهام الناس وظنونهم.

"لوح الأحباب"

أنزل حضرة بهاءالله عدة ألواح في حق اسم الله الأصدق من بينها "لوح الأحباب". وهذا من ألواح حضرته المعروفة وقد أنزل بالعربية ويحتوي على عدة فقرات من التشجيع الودي لعدد من المؤمنين المخاطبين فيه. يبدو أن هذا اللوح قد نزل حينما كان حضرته ما يزال في الثكنات أو بعد خروجه منها بفترة قصيرة. ذلك لأنه يذكر فيه بأنه قد أنزل ألواحاً إلى بعض الملوك، وكذلك يثني على بديع ثناء مجيداً. فهو من بين كتاباته التي أشير إليها بعبارة "ملح ألواحي".

في "لوح الأحباب" يمطر حضرة بهاءالله على اسم الله الأصدق من الثناء بحيث لا يمكن وصفه جميعه. يشير إليه بكونه ممن أقر واعترف بالموعود حالما سمع نداءه -إشارة إلى لقائه مع الملاّ حسين وقراءته بعض فقرات من كتابات حضرة الباب. يتضح من بيانات حضرة بهاءالله في هذا اللوح وغيره بأن حضرته اعتبره واحداً من أخلص أتباعه ومؤمناً حقيقياً بكل ما في الكلمة من معنى، وأهلاً لأن يُقتدى بسيرته.

يتضمن أغلب "لوح الأحباب" فقرات موجهة للأحباء. أمّا نصائح حضرة بهاءالله في هذا اللوح فكثيرة ولا يمكن إيجازها. كما لا يقدر القلم أن يصف العبارات التي صيغت بنزولها. إن قوة كلمات مظهر الله وروعتها لا تبدو إلاّ من خلال ألفاظها نفسها، وليس بواسطة تفسير إنسان لها. رغم ذلك فهذه محاولة، مهما كانت غير وافية، للإشارة لبعض تعاليمه الواردة في هذا اللوح.

يحث حضرة بهاءالله المؤمنين على الاستقامة في أمره والانقطاع عما سوى الله، والاتحاد فيما بينهم. ويذكّرهم بأنه اختار **البلايا لاصلاح العالم واتحاد من فيه.** وعليه فإنه يحذرهم بألاّ يتكلموا **بما يختلف به الأمر**. وأن يتحدوا **في أمر الله على شأن لا تمر** بينهم **أرياح الاختلاف.** لذا يأمرهم أولاً بأن يحيوا بموجب تعاليمه ثم

التوجه لفتح مدائن قلوب الناس باسمه من خلال الأعمال المقدسة والخلق الرفيع. ويأمرهم أيضاً بالتمسك **بحبل الحكمة والبيان** في تبليغ أمر الله، ويحثهم أن يقوموا **على نصرة أمر الله على شأن** لا تخوفهم **جنود الأرض كلها** عن تحقيق غايتهم، مطمئناً إيّاهم ومؤكداً على أنهم **تحت لحاظ** ربهم، ومنبئاً بأنه سيأتي اليوم الذي فيه **ترتفع أعلام الأمر في كل مدينة**، عندما يفتخر **من على الأرض** بأسماء الأحباء **وينوحون على ما ورد** عليهم **من الذين كفروا بالله فالق الأصباح.**

فيما يلي كلمات من يراع حضرة عبدالبهاء في ثناء هذا المؤمن النبيل البارز، اسم الله الأصدق، والذي أكرمه بعد وفاته بلقب أيادي أمر الله، وتعتبر خير مرثية في ذكراه العزيزة:

> أمّا هو فكان بحراً زاخراً في العلوم وبازّاً مرتفعاً في آفاق الفنون المتنوعة ذا قدرة وقوة عجيبة واستقامة لا تجارى في التبليغ، براهينه الدامغة وأدلته المسكتة تتدفق كالسيل وكان حال تلاوة المناجاة تنهمر الدموع من آماقه كالمطر المدرار وكان نوراني الطلعة رحماني الأخلاق عالماً ملهماً، همّته سماوية وانقطاعه وزهده وورعه وتقواه كان ربانياً.(٤)

لن تكتمل قصة حياة اسم الله الأصدق ما لم نُشِرْ إلى حبسه في سياه چال بطهران حيث أفلح بتبليغ أمر الله وإدخال أول مؤمن من يهود إيران في ظله. ولم يمضِ بعد ذلك وقت طويل على دخول العديد من اليهود في إيران في أمر الله واعترافهم بحضرة بهاءالله على أنه الرب الموعود وأصبحوا من المؤمنين المتحمسين الفاعلين. ولأجل تقييم القصة بنحو واف، يستلزم فهم الظروف التي كانت سائدة وقتها في إيران فيما يتعلق بالأقليات الدينية وموقفهم حيال الدين الوليد.

الأقليات الدينية في إيران

في زمن ظهور حضرة الباب كان في إيران ثلاث أقليات دينية هي: الزرادشتية، اليهودية والمسيحية. أما الغالبية العظمى من السكان فكانوا المسلمين الشيعة. من بين هذه الأقليات الثلاث كان اليهود خصوصاً، والزرادشتيون بنحو أقل،

يعاملون باحتقار وأحياناً يتعرضون لاضطهاد الهمج المتعصبين من الأهالي ممن يحركهم غالباً علماء الدين المسلمون. لكن المسيحيين، وأغلبهم من أصل أرمني أو آشوري، تمتعوا بقدر أكبر من الحرية والاحترام. كان هذا يرجع بصفة رئيسة للروابط الدينية مع الحكومات الأوروپية التي كان لها في ذاك الوقت نفوذاً عظيماً في إيران.

فالزرادشتيون، واليهود على الأخص، كانوا مستضعفين مغبونين. عاشوا في أحياء خاصة بهم وفي خوف دائم من الاضطهاد. وكان عليهم مراعاة بعض القواعد في تعاملهم مع المسلمين مثل إظهار الاحترام للمسلم في الشارع، وعدم المجادلة معه على الإطلاق. وإذا سار بصحبته عليه ألاّ يمشي بمحاذاته أبداً بل يتخلف وراءه بخطوة أو اثنتين. كما عليه ألاّ يمس ثيابه وإلاّ اعتبرت نجسة. وكذلك النقود التي على الزرادشتي أو اليهودي دفعها أو تسليمها لمسلم متديّن كان يجب أن تُغسل أولاً قبل أن يضعها المسلم في جيبه.

سجل الحاج محمد طاهر المالميري بعض الوقائع التي كانت تحدث يومياً في إحدى مناطق يزد وتسبب في كثير من الأحيان اضطرابات يتورط فيها عموم أفراد الطائفة الزرادشتية الكبيرة هناك. فيما يلي موجز لملاحظاته:

> بينما تمتع رجال الدين المسلمون بسلطة عليا كانت الحكومة ضعيفة. فكل يوم كان فيه قصة وعذر يُبتدع من أجل اتهام الزرادشتيين ورفع شكاية ضدهم. مثلاً يشيعون للعوام بأن أحد الزرادشتيين شوهد راكباً حماره على مرأى المسلمين.[١] وكان مفهوماً أن عملاً كهذا يعتبر خلافاً للعُرف إذ لا يجوز له الركوب إذا كان المسلم ماشياً. إن اتهاماً كهذا نتيجته العقاب البدني للضحية. أو قد يدّعون بأن لون غطاء رأس أحد الزرادشتيين التجار كان داكناً يشبه لون

---

(١) عاش معظم الزرادشتيين في إيران في مدينة يزد والقرى المجاورة. وأولئك الذين كانوا في القرى كانوا يضطرون إلى ركوب الدواب للوصول إلى المدينة، ولكن بعد الوصول إلى الأسواق كانوا ينزلون عن دوابهم كعلامة على الاحترام للمسلمين.

عمامة الأسياد،[1] بينما يفترض أن يكون لونها أصفر فاقعاً. إن الهرع العام الذي ينجم عن حدث كهذا يكون من القوة بحيث يمكن أن يؤدي إلى اضطراب فوري في المدينة.

في يوم آخر قد يتّهمون زرادشتياً بأنه عند مروره بمسلم في الطريق لم يحيّه. أو أن مسلماً كان له ما يبرر ضرب زرادشتي، وفي أثناء ذلك تجرأ الأخير أن يرفع يده فقط لحماية نفسه. مثل هذا الشخص يكون عرضة للمعاقبة من قبل السلطات. وطبقاً لحكم شائع متوارث فإن لكل زرادشتي يخرج من بيته أن يحمل معه قطعة قماش. كان ذلك ضرورياً إذا أراد الجلوس[2] حتى لا ينجّس الأرض.(٥)

بهذه الحال من سوء المعاملة لمدة قرون من الحكم الإسلامي، تولّد لدى اليهود والزرادشتيين كراهية هائلة للمسلمين وبالوقت نفسه تطورت لديهم، نتيجة تلك الأوضاع، وسائل ومواقف دفاعية. ولعل أكثر تلك فاعلية كانت انعزاليتهم عن المجتمع الإسلامي ومؤسساته. ونشأت لديهم كراهية للثقافة الإسلامية واللغة العربية وكل ما يمت للإسلام بصلة.

في وسط مجتمع كهذا ظهر حضرة الباب وحضرة بهاءالله. وكل منهما انحدر من خلفية إسلامية. فكان حضرة الباب من ذرية النبي محمد. كما كان عيسى المسيح، الذي نشأ من أصل يهودي ومارس تلك العقيدة، فإن كلاً من حضرة الباب وحضرة بهاءالله كان من المسلمين المتدينين قبل ظهور الدين الجديد. وعندما أعلنا دعوتيهما بأنهما مظهران إلهيان فإن تعاليمهما وبياناتهما كان لها صبغة إسلامية قوية بحيث بدت علاقتها الوثيقة بالإسلام من وجهة نظر أقليات إيران الدينية في أوائل أيام الدعوة وكأنها إحدى مذاهب الإسلام. لهذا السبب كان من الطبيعي أن يحاول اليهود والزرادشتيون الابتعاد تماماً عن الطائفة الجديدة بأي

(١) نسل النبي محمد. كان لهم وحدهم حق ارتداء العمامات الخضراء.
(٢) في تلك الأيام لم يستعمل الناس المقاعد في الدكاكين أو المحلات أو المنازل، وكان من المألوف الجلوس على الأرض.

ثمن. من جهة أخرى كان هناك عائق أو مثبط آخر لهم هو كون أغلبية كتابات حضرة الباب وحضرة بهاءالله نزلت باللغة العربية التي، بجانب عدم معرفتهم لها، كانوا يكرهونها ويحتقرونها لأنها لغة الإسلام.

يُفهم من هذا بسهولة بأن انقلاب اليهود والزرادشتيين لدين حضرة بهاءالله، الدين الذي بدا لهم في كل مظاهره امتداداً للإسلام، وكتاباته بالعربية وأتباعه بصفة قاصرة من المسلمين، كان انقلابهم ذاك أحد معجزات ذلك الزمان. ويبرهن كذلك على القوة الخلاقة لدعوة حضرة بهاءالله التي، رغم عقبات عديدة، أثرت تأثيراً هائلاً في هؤلاء النفوس بحيث أنعشت أرواحهم، وأمدتهم برؤية جديدة، وأدخلتهم تحت راية أمره وجعلتهم يقدّمون خدمات مجيدة في نشر رسالته، فيما بين مجتمعاتهم أولاً وبقية الأمة فيما بعد.

وعليه فإنه ليس ثمة دليل أعظم على عالمية رسالة حضرة بهاءالله وأحقية ادعائه بأنه موعود كل الأزمنة، من اعتناق اليهود والزرادشتيين في إيران لأمره في القرن التاسع عشر. فلم يكن إيمانهم به أمراً سطحياً، ولم يكن إجراء نفعياً يهدف إلى خلاصهم من نير الكبت والطغيان. بل على العكس، لقد تضاعف عذابهم واضطهادهم عند انضمامهم إلى صفوف البهائيين. ذلك لأنهم أصبحوا ليس فقط هدفاً لاضطهادات جديدة من قبل المسلمين الذين زاد حقدهم بسبب اعتناقهم لأمر حضرة بهاءالله، بل اضطهاد بني جنسهم أنفسهم إذ أدى في بعض الحالات إلى استشهاد بعضهم على أيدي أبناء طائفتهم. مثلاً في يزد ثار رجال الدين الزرادشتيون ضد نفر من طائفتهم لأنهم أصبحوا بهائيين. وما وقع من اضطهادات داخل الحيّ الزرادشتي على يد الزرادشتيين، وغالباً ما كان يتم ذلك باتفاق بين رجال الدين هؤلاء وعلماء الدين المسلمين وغيرهم من الرجال المتعصبين ضد الفئة المؤمنة بحضرة بهاءالله كان مماثلاً للفظائع التي اقترفها المسلمون، ألد أعداء الأمر في إيران. وبهذا النحو استشهد زوجان بهائيان من أصل زرادشتي في القرى المحيطة بيزد. وفي المدينة قُتل شخص بارز بسبب اهتمامه المخلص وتعاطفه مع الدين الناشئ.

لم يكن مصير اليهود الذين اعتنقوا أمر حضرة بهاءالله بأفضل. فقد تعرضوا هم أيضاً لمضايقات واضطهادات داخل أحيائهم وخارجها. كان إيمان اليهود والزرادشتيين بأمر حضرة بهاءالله عملية تحوّل عقائدي أصيل. فقد اعتقدوا اعتقاداً كاملاً بأنه الموعود المذكور في كتبهم المقدسة، والذي وصفه حضرة شوقي أفندي بهذه الكلمات:

إن الذي تلقى العبء الفادح لهذا الظهور الفائق المجد، في مثل هذه الظروف المؤثرة، لم يكن سوى هذا الذي سوف تفتخر به الأجيال القادمة وتمجّده، بل ويؤمن به اليوم أتباع يفوقون العدّ والحصر، باعتباره قاضي الجنس البشري ومشرّعه ومخلّصه، ومنظّم الكوكب كله، وموحّد بني الإنسان كلهم، وفاتح العصر الألفيّ المرتجى، ومنشئ "الكور العالمي"، ومؤسس السلام الأعظم، ومنبع العدل الأعظم، ومعلن بلوغ النوع الإنساني سن الرشد، ومبدع النظام العالمي الجديد، وملهم الحضارة العالمية وخالقها.

لبني إسرائيل لم يكن بأكثر ولا بأقل من تجسيد "الأب الأبدي"، "رب الجنود" الذي "أتى من ربوات القدس"، وللعالم المسيحي عودة السيد المسيح "في مجد أبيه" ولشيعة الإسلام رجعة الإمام الحسين، ولأهل السنة نزول "الروح" (عيسى المسيح)، وللزرادشتيين شاه بهرام الموعود، وللهندوس تجسيد كريشنا، وللبوذيين بوذا الخامس.(٦)

أثبت الإيمان بأمر الله من قبل فئات من هذه المجموعتين من الأقليات الدينية في إيران في أوائل أيام ظهوره لسكان تلك البلاد بأن أمر حضرة بهاءالله إنما كان ديناً مستقلاً. وأسكت وخيب الأعداء الذين طالما قاوموا الأمر، سعياً منهم لخنق الدين الوليد وتقويض أسسه، على أنه نتاج مغامرة ابتدعها مؤسسوه الذين انحدروا من أصل إسلامي، وموّهوا على الناس باطلاً بأنه مذهب إسلامي.

وكذلك برهن على قوة كلمة حضرة بهاءالله وخلاقيتها من حيث أن أتباع هاتين الملّتين قد أقروا، حال إيمانهم بحضرة بهاءالله، بأحقية الأصل السماوي لرسالات كل أنبياء الله، مؤسسي ديانات العالم الكبرى، بمن فيهم حضرة المسيح وحضرة

محمد. لذا فإن كثيرين من المسلمين استمعوا بالإعجاب والاستغراب لكلمات الثناء والتمجيد للرسول محمد ودلائل أحقية دعوته تخرج من أفواه بهائيين كانوا في السابق ضمن المجتمع اليهودي أو الزرادشتي. لكنه بالوقت نفسه كان يغضب جداً المسلمين المتعصبين ذلك لأنهم كانوا يعلمون بأن قلة قليلة من المسلمين، إن وجدوا، عبر الألف سنة الأخيرة كانوا قد أفلحوا في إقناع بعض اليهود والزرادشتين بأحقية الإسلام بينما رأوا الآن، بفضل أثر كلمة حضرة بهاءالله، آلافاً من هاتين الطائفتين قد أقبلوا وآمنوا. إلاّ أن هناك آخرين من المسلمين ممن أثلج صدورهم وقلوبهم الطاهرة سماع اعتراف هؤلاء بأحقية الإسلام، ونتيجة لذلك اندفع بعضهم يتحرى دين حضرة بهاءالله وأدى أخيراً لإيمانهم به وأصبحوا بهائيين.

منذ أوائل ظهور أمر الله كانت جامعة البهائيين في إيران تتكون من عناصر منحدرة من أصول الأديان الرئيسة الثلاثة. أمّا الأغلبية فكانوا من أصل إسلامي بينما البقية من الديانتين اليهودية والزرادشتية. لكن أمر الله لم يجد من بين الطائفة المسيحية من يقبل إليه. وأغلبية المسيحيين الذين دخلوا في أمر الله كانوا من سكان بلدان غرب أوروبا. بدأت هذه العملية خلال السنوات الأولى من ولاية حضرة عبدالبهاء.

حكاية حكيم مسيح، أول مؤمن يهودي

إن أول من آمن من طائفة اليهود وأقر بأحقية بعثة حضرة بهاءالله في إيران كان طبيباً معروفاً باسم مسيح ويشار إليه باسم حكيم مسيح.[١] بلغ بحذقه وشهرته أن عُيّن طبيباً في بلاط محمد شاه، وعندما سافر الشاه إلى العراق كان حكيم مسيح بمعيّته. وخلال وجوده ببغداد علم بأن الطاهرة كانت تقيم بمنزل أحد قدماء المؤمنين، وكانت بصدد مناقشات مع علماء الدين بتلك المدينة. فقصد المكان ليطّلع بما كان يقال. وما كاد يستمع لأقوال الطاهرة وبيناتها الموجهة لجماعة العلماء، وشهد بنفسه مدى عجزهم في دحض حججها المؤيدة لدعوة دينها الجديد، حتى سُحر بدلائلها وبراهينها القوية ومحض شخصيتها. ورغم أن حكيم مسيح لم يسمح له

---

(١) كان لقب "حكيم" يعطى للأشخاص الذين برعوا في الطب والحكمة والعلوم الإلهية.

بالمشاركة في المناظرات هذه، إلاّ أنه كان متلهفاً لمعرفة كيفية حصول الطاهرة على تلك البلاغة والمواهب والقدرات التي قاربت خوارق العادة.

فيما يلي مذكرات مما خلفه الشيخ كاظم سمندر[1]:

التقيت بحكيم مسيح الذي كان من أصل يهودي. وهو أول يهودي ينضّم لجماعة الأحباء. وقد عجبت لمّا رأيته ودوداً، مخلصاً دافق الحماس والمحبة، فاندفعت قائلاً له: 'هناك فجوة واسعة ما بين دين موسى وهذا الأمر العظيم. فكيف طويت هذه الرحلة الطويلة المجيدة وبلغت إلى هذا المستقر؟' قال: 'تصادف أن تكون زيارتي لبغداد أثناء وجود الطاهرة في تلك المدينة. وبواسطة بعض الظروف تهيأ لي الحضور في بعض المجالس حيث عقدت مناظراتها مع العلماء. فتملكتني الدهشة وصعقت بكيفية كلامها وطريقة إجراء حوارها وبقوة منطقها. انجذبت وعزمت على الاستقصاء والتأمل في الأمر وتعميق معلوماتي عنه. وفعلاً قمت ببعض الاستعلامات في بغداد وأماكن أخرى فيما بعد، حتى بلغت مبتغى فؤادي.'(٧)

بعد ملاقاة الطاهرة ببغداد ببضع سنوات، التقى حكيم مسيح باسم الله الأصدق، لقاء دبّرته العناية الإلهية. ذلك عندما أحضروا اسم الله الأصدق مقبوضاً عليه، بسبب ولائه لأمر الله، مقيداً بالسلاسل إلى طهران تحت الحراسة. تمّ ذلك الإجراء القاسي بأمر حاكم خراسان تنفيذاً لفتوى أصدرها ما لا يقل عن ثمانية عشر من علماء الإسلام في تلك المقاطعة. وقد أرغم اسم الله الأصدق على أن يأخذ معه ابنه الأصغر، ابن الأصدق، الذي كان آنذاك طفلاً. كما سيق معه مؤمنان آخران مقيدين بالسلاسل إلى طهران.

كانت النّية أن يُعدموا في العاصمة. إلاّ أن الحكومة أمرت بدل ذلك بوضعهم في سجن سياه چال. فقيدوا الأب والابن معاً وحبسا في ذلك السجن الرهيب مدة عامين وأربعة أشهر تقريباً.

---

(١) انظر الصفحات ٩٦، ٢٦٣.

خلال ذلك لم يحتمل الطفل حياة السجن فمرض مرضاً شديداً. كان رئيس السجّانين، المدعو المشهدي علي، رجل طيباً فأرسل بطلب طبيب. لم يكن يوجد من الأطباء من له الاستعداد لمعالجة شخص بابي. فاضطر للاتصال بحكيم مسيح اليهودي. فوافق هذا وقصد السجن فوراً.

ظل يعاود علاج الطفل بانتظام لفترة شهرين حتى شفي من علّته. في أثناء ذلك، ولمّا يزال انطباعه العميق وتأثره بالطاهرة، وجد أمامه فرصة ليعرف عن أمر الله أكثر عن طريق مؤمن لامع. بقي حتى بعد شفاء مريضه بصفة كاملة يقضي ساعات في السجن جالساً عند قدمي اسم الله يتعلم عن الأمر. بعد ذلك بفترة قصيرة أصبح مؤمناً مدركاً إدراكاً كاملاً بأن موعود العهد القديم، "الأب الأبدي"، "رب الجنود"، قد أظهر نفسه. لمّا أُخبر حضرة بهاءالله بإيمانه أنزل لوحاً كريماً في حقه. وأنزل ألواح أخرى له كذلك ولكن لسوء الحظ تلف معظمها. ذلك لأن المؤمنين في تلك الأيام اضطروا لإخفاء ما لديهم من كتابات بهائية حفاظاً عليها بوضعها داخل الجدران أو في باطن أرضية منازلهم، لئلا تقع في أيدي الأعداء. وللأسف عندما نُقبت وجد أن ألواح حكيم مسيح كانت قد تلفت بتأثير الرطوبة.

في أحد هذه الألواح،(٨) يحضّ حضرة بهاءالله حكيم مسيح على الثبات على أمر الله لئلا تهزّه أرياح الإعراض الهابّة من جهة الأعداء. ويبين بأن الناس يتبعون ما تمليه عليهم أهواؤهم ومشتهياتهم، وينصحه بأن يشير على مثل أولئك الناس بأن يدعوا ما لهم من طرق شريرة ويتوجهوا إلى ربهم. في هذا اللوح ينعم حضرة بهاءالله على حكيم مسيح من فيض عطاياه مؤكداً بأنه وهبه مقاماً رفيعاً. قام حكيم مسيح بتبليغ أفراد أسرته الذين أصبحوا مؤمنين مشتعلين. من بين ذريته البارزين الدكتور لطف الله حكيم، أصغر أحفاده، والذي خدم المولى وحضرة شوقي أفندي بإخلاص مثالي وانتخب لعضوية بيت العدل الأعظم عام **١٩٦٣**م عند تأسيس تلك الهيئة العليا لأمر الله لأول مرة.

إضافة لذلك فإن نور دين الله الجديد الذي أضاء قلب حكيم مسيح هدى آخرين كثيرين من بين صفوف ملّته في إيران. ففي البداية اعتنق القليل أمر حضرة

بهاءالله في همدان وكاشان وبعد ذلك بقليل انضمت أعداد كبيرة للأمر من طائفة اليهود وأغنت بذلك صفوف المؤمنين بإيران. هناك ألواح عديدة أنزلها حضرة بهاءالله في حق مؤمنين من أصل يهودي.

دخول الزرادشتيين في أمر الله

لم يكن دخول أمر الله ونموّه بين صفوف الزرادشتيين أقل إثارة للإعجاب أو أقل بعداً في تأثيره. فيما يلي قصة رواها حضرة عبدالبهاء:

> وأعظم التجارب قضية يروونها وهي: كان ممن صدّق الأمر الجديد في كاشان شخص سطت عليه يد الغارات فاستنزفت أمواله وسلبت أمتعته وشتتت عياله بل غادرتهم عرايا وانتهى هذا الغدر بجلده ثم التمثيل به وذلك أنهم شوهوا محاسنه ولحيته وأركبوه الدابة منعكساً وساموه كل أذى وطافوا به في الأسواق والشوارع مع الطبل والبوق والتار والطنبور وكان من تلك الشوارع والطرق التي شهروه بها شارع به خان انزوى فيه زرادشتي لا علم عنده بالدنيا وما فيها. فعندما وصلت جلبة الناس إلى مسمعه ركض إلى الشارع مسرعاً يستجلي الخبر حتى أحاط خبراً بالمجرم وجرمه ووقف على العلة والسبب تفصيلاً. ثم ظل يبحث وينقب حتى انخرط ذلك اليوم في سلك الزمرة البابية وقال إن هذا الاضطهاد برهان حقيقة الأمر وعين الدليل على صحته ولولا وقوع أمثال هذه التشهيرات لأمكن مرور ألف سنة دون أن يطّلع مثلي عليه.(٩)

وذكر الحاج معين السلطنة، وهو مؤرخ من تبريز، بأن المؤمن البابي المضطهد المشار إليه أعلاه كان الحاج محمد رضا، تاجر من كاشان، وأن الزرادشتي الذي اعترف بأحقية دين حضرة الباب كان سهراب پور كاووس. لسوء الحظ لا تتوفر عنه معلومات كثيرة.

أن أول مؤمن من الزرادشتيين خلال فترة ولاية حضرة بهاءالله معروف باسم كيخسرو خداداد، وحكاية وعيه بحقيقة الأمر مماثلة لقصة سهراب پور كاووس. فكان كيخسرو من مواطني يزد ويسكن في كاشان حيث يعمل فيها

بالتجارة. وشهد منظر تعذيب أحد المؤمنين ثم قتله. فدفعه ذلك المشهد الشنيع لأن يتحرى أمر الله وكانت النتيجة أن صار أحد أتباعه. ويدين بعض المؤمنين الأوائل من الزرادشتيين، الذين اتصلوا به في كاشان، بولائهم لأمر الله إلى جهوده التبليغية.

كان كيخسرو خداداد معروفاً بين الطائفة الزرادشتية. وكان عضواً في "مجلس الزرادشتيين" الذي أسسه مانكچي صاحب. وهذا الأخير كان قد قدم من الهند إلى إيران بهدف إعانة أتباع دينه في ذلك البلد وتحقيق مزيد من الحرية لهم. فقابل ناصر الدين شاه ونجح في الحصول على مرسوم شاهنشاهي يعفي الزرادشتيين من الاستمرار بدفع الجزية التي كانت مفروضة لسنوات طويلة على الأقليات الدينية في إيران. وعمل على استدعاء عدد من الزرادشتيين البارزين للانضمام والعمل داخل ذلك المجلس الذي حظي باعتراف الشاه.

"لوح مانكچي صاحب"

عندما كان مانكچي صاحب متوجهاً إلى إيران مرّ ببغداد في فترة وجود حضرة بهاءالله فيها. فتشرف بزيارته وأصبح بعدها من المعجبين به. وفي السنوات اللاحقة أبقى اتصالاته به عن طريق المراسلة. تمّ ذلك بمساعدة ميرزا أبو الفضل الذي كان قد عمل سكرتيراً له لعدة سنوات بعد أن آمن بأمر الله. أنزل حضرة بهاءالله، رداً على رسالة منه، لوحاً عُرف بـ"لوح مانكچي صاحب".(١٠) نزل معظمه باللغة الفارسية الأصيلة(١) إذ حرص مستلم اللوح على الحفاظ على اللغة

(١) عندما صار الإسلام دين إيران الرئيسي أدخلت كلمات عربية على اللغة الفارسية. فلغة فارس الحالية مطعّمة بعدة كلمات عربية، والتي أصبحت جزءاً من مفردات اللغة السائدة. مقابل ذلك هناك "الفارسية الخالصة" التي ليست شائعة الاستعمال نطقاً، لكنها تُكتب أحياناً هناك بين المتعلمين ممن تفوق بها، وكان أبو الفضل أحدهم. لكن الفارسية الأصيلة غير متداولة بشكل عام. في معظم ألواح حضرة بهاءالله الفارسية، تمتزج الكلمات العربية والفارسية معاً. وعدد قليل فقط من الألواح، تلك التي وجهها للزرادشتيين المؤمنين، نزلت بصورة رئيسة بالفارسية الأصيلة.



حكيم مسيح
أول بهائي إيراني من الطائفة اليهودية في إيران



كيخسرو خداداد

يعتقد بأنّه أول بهائي من الطائفة الزرادشتية

الفارسية الأصيلة وتعزيزها. هذا ولو أن مانكچي صاحب لم يصبح بهائياً، إلاّ أنه ظل صديقاً متعاطفاً.

من الناحية الأدبية فإن لوح حضرة بهاءالله لمانكچي صاحب يعتبر تحفة في اللغة الفارسية الأصيلة. سواء في جلاله وبلاغته، أو ثرائه وجماله، فإنه لا يقل بشيء عن الألواح الشهيرة المنزلة بالعربية أو الفارسية. ويضم هذا اللوح بعض صفوة بيانات حضرة بهاءالله. فبيانه المعروف: "كلكم أثمار شجرة واحدة، وأوراق غصن واحد"، نزل في هذا اللوح.[1] يدعو حضرة بهاءالله أهل العالم بهذا اللوح للدخول في أبواب الحرية التي فتحت بظهوره على مصاريعها، وأن يكرعوا من ينابيع العرفان التي تفجرت من بياناته. ويستعمل تشبيه جفن العين مثلاً لحجاب الشهوات الذي يحجب نور الروح كما يحجب الجفن الرؤيا والبصر عن العين. يشبه كذلك الكلمات القاسية بالسيف القاطع، بينما اللسان الطيب يقع لدى السامع موقع الغذاء المنعش، مبيّناً على أن الله الخالق يريد للإنسان أن يعمل على رفع جهله وزيادة علمه وفهمه، ومؤكداً بأن الإنسان سينعم بالسلام والسكون إن هو تمنى الخير لكافة سكان الأرض. ثم ينصح الناس بعد هذا ليخرجوا من ظلمات العداوة والفرقة ويدخلوا في نور الوحدة والاتحاد.

فيما يلي ترجمة قسم صغير من "لوح مانكچي صاحب":

"إن نبض العالم في يد الطبيب الإلهي، فهو يشخص العلة ويصف العلاج بعلمه وحكمته، ولكل عصر علله الخاصة ولكل نفس آمالها. إن ما يحتاجه العالم اليوم من علاج يشفي آلامه وأوجاعه لن يكون العلاج نفسه الذي قد يحتاجه عالم الغد. إذاً اهتمّوا اهتماماً عظيماً بمقتضيات زمانكم، وركّزوا مداولاتكم حول مطالبه وحاجاته الملحَّة. ويمكن ملاحظة كيف أن الجنس البشري بأكمله محاط بالمصاعب العظيمة العديدة ونراه يرقد على فراش السقم والبلاء والحيرة. أمّا المبتلون بخداع النفس فقد أوكلوا لأنفسهم حرمان

---

(١) هذه الفقرة الشهيرة موجودة أيضاً في "لوح الإشراقات".

البشر من علاج الطبيب الإلهي المعصوم. واشهد كيف أوقعوا كل الناس بما في ذلك أنفسهم في شباك أساليبهم الماكرة. فلا يملكون اكتشاف علة المرض ولا لهم دراية بالعلاج. وابتكروا شيمة الاعوجاج وتصوروا صديقهم عدواً. توجهوا بآذانكم للألحان الشجية من هذا المسجون وقوموا وارفعوا النداء عسى أن يستيقظ النائمون. قل يا ملأ الأموات إن يد العناية الإلهية تمتد إليكم بماء الحياة هلموا واشربوا ما استطعتم، فكل من أحيي من جديد في هذا اليوم لن يموت أبداً وكل من بقي ميتاً لن يحيا أبداً.(١١)

"لوح الأسئلة السبعة"

كان مجلس الزرادشتيين الذي شكّله مانكجي صاحب يتكوّن من أبرز أفراد الطائفة الزرادشتية في يزد. في وقت ما بلغ عدد أعضائه تسعة عشر صار ستة منهم بهائيين. وكما سبق ذكره فإن كيخسرو خداداد، كان أول المؤمنين من بينهم. أمّا الآخرون الذين اتبعوهم فكانوا إمّا رجالاً متعلمين أو أفراداً يتمتعون بتقدير عال في المجتمع. في مقدمة هؤلاء كان الأستاذ جوان مرد المشهور، أمين سر المجلس. كان يمتهن التعليم وأصبح مؤمناً مخلصاً. بعث إلى حضرة بهاءالله برسالة تضمنت عدداً من الأسئلة. فنزل في حقه "لوح الأسئلة السبعة" بالفارسية الأصيلة. يخاطبه حضرة بهاءالله في هذا اللوح باسم "الرجل الأسد" (شير مرد). فيما يلي مقتطف قصير من "لوح الأسئلة السبعة":

"يا معشر دساتير الزرادشتيين، أعطيتم آذاناً للإصغاء إلى سرّ من كان غنياً عن العالمين، وأعيناً لمشاهدة جماله فلم تفرون؟ قد ظهر الفرد الواحد المحبوب وينطق بما ينجيكم ويخلصكم. أيها الدساتير، لو استشممتم عطر ورد حديقة العرفان لما طلبتم ما سوى الحق، ولعرفتم مولاكم الحكيم الفريد من عَرْف قميصه الجديد، ولتوجهتم بأعينكم بعيداً عن العالم ومن يبتغيه وقمتم على نصرة نفسه العزيز... قد تحقق كل ما وعدتم به في الكتب والصحف وظهرت العلامات من كل الجهات. وينادي الرب القدير في هذا اليوم ويبشر الكل بالفردوس الأعظم."(١٢)

كان شير مرد أول زرادشتي من البهائيين يدفن خلافاً لعرف تلك الملة حيث تُطرح جثة المتوفى في موضع معين (دخمة).[1] قام بهائيون من أصل زرادشتي بعده بالإقتداء به وبنوا مقبرة بهائية خاصة. لكن هذا العمل أثار إعتراضاً عنيفاً لدى الطائفة مما أدى لمهاجمة المقبرة وانتهاك حرمة بعض القبور فيها.

لم يكن ذلك العداء والمعارضة بسبب موضوع الدفن فقط. بل كان الأمر يتعلق بتحول عقيدة بعضهم واعتناق الدين الجديد، وهو حدث لم يُعرف مثله بين الزرادشتيين منذ أوائل ظهور الإسلام، وبسببه ثار غضب رجال دينهم وعداؤهم ضد الفئة التي آمنت وجاهرت أمام طائفتهم بأن شاه بهرام، موعود الزرادشتيين، قد ظهر في شخص حضرة بهاءالله. سرعان ما بدأت الاضطهادات التي كانت أحياناً بموافقة صريحة من علماء الدين المسلمين. فراح ضحية ذلك أحد الأعضاء المميزين في المجلس الزرادشتي، واسمه الأستاذ خدا بخش، وكان معلماً واسع الشهرة ورغم أنه لم يكن بهائياً رسمياً فقد قتل بالرصاص لتعاطفه ومساندته السخية للبهائيين. هذا واضطهدوا آخرين بطرق مختلفة، ومع ذلك ارتفع عدد المقبلين إلى الأمر من هذه الطائفة. ومما أدهش المسلمين والزرادشتيين أن عدداً كبيراً من العائلات اعترفت بمقام حضرة بهاءالله، وبذلك أغنت صفوف المؤمنين خصوصاً في يزد وقراها المجاورة.

إن إقبال المسلمين واليهود والزرادشتيين على دين حضرة بهاءالله في إيران في الأيام الأولى لولاية كل من حضرة الباب وحضرة بهاءالله قد تلاه إقبال أتباع أديان أخرى في مناطق مختلفة من العالم. ففي فترة قصيرة من الزمن دخل في ظل أمر الله أتباع من جميع الديانات والعقائد والاتجاهات الفكرية وكذلك من الوثنيين واللاأدريين والملحدين وهم يمثلون جميعاً أقواماً من كل الألوان والأجناس والقبائل، وصاروا يشيدون متحدين أسس الجامعة البهائية العالمية. تميزت عملية دخول أفواج من شتى أهل العالم في الأمر بحيوية بحيث في ظرف أقل من مائة

---

(١) برج مفتوح يشيد عادة خارج المدينة توضع فيه جثامين الزرادشتيين وتترك مكشوفة للطبيعة. وبعد أن تلتهم العقبان اللحم ترمى العظام في بئر عميقة.

عام على إعلان حضرة بهاءالله رسالته في حديقة الرضوان، قام عدد كبير من المهاجرين الفاتحين والمبلغين الجوّالين من شتى الأصول بالانتشار حول الأرض لإعلان ونشر أمر حضرة بهاءالله وإيصال نور دينه إلى جماهير العالم. إن هذه العملية التي بدأت في الأيام الأولى للأمر تستجمع الآن اندفاعها وقوتها وستمضي قُدماً حتى تتحقق بصفة كاملة أهدافها الأساسية في توحيد الجنس البشري قاطبة والولاء العالمي لأمر حضرة بهاءالله.



بيت عودي خمار في عكاء

وفي أعلى الصورة إلى اليسار، الغرفة التي أنزل فيها "الكتاب الأقدس"



الغرفة التي أنزل فيها "الكتاب الأقدس"

غرفة حضرة بهاءالله في بيت عودي خمار. أضيف الأثاث فيما بعد



"الكتاب الأقدس" –١– حدود الله

أنزل حضرة بهاءالله "الكتاب الأقدس" في أوائل عام **١٨٧٣**م، بعد قرابة خمسة أعوام من وروده لعكاء عندما كان حبيساً في بيت عودي خمّار. ذلك الكتاب الذي يعتبر أم الكتاب لهذه الدورة، ويتفرد بين كتب العالم المقدسة إذ لا يضاهيه أحد منها، كتاب وصفه صاحبه بنفسه بأنه "منبع الفرح الحقيقي"، و"**قسطاس الحق**"، و"**الصراط الأقوم**"، و"**محيي البشر**"، و"**فرات الرحمة**"، و"سفينة أحكامه". وإليه أشار أنبياء القبل بعبارات: "**سماء جديدة**" و"**أرض جديدة**"، و"**مسكن الله مع الناس**"، و"**مدينة القدس**"، و"**العروس**"، و"**أورشليم الجديدة النازلة من السماء**". في نظر حضرة شوقي أفندي يُعتبر "الكتاب الأقدس" ميثاق حضرة بهاءالله ودستوره لنظم عالمي جديد وحضارة عالمية للمستقبل.

يتميز هذا الكتاب، الذي نزل باللغة العربية، ويعتبر أسطع ما سطره القلم الأعلى، بين كل كتابات حضرة بهاءالله بكونه "أم الكتاب" لدورته. ويليه مرتبة "كتاب الإيقان".[1] وعن "الكتاب الأقدس" يصرح حضرة بهاءالله بقوله: **"قل إن الكتاب هو سماء زيّناها بأنجم الأوامر والنواهي"**، وكذلك: **"إنه لحجة العظمى للورى وبرهان الرحمن لمن في الأرضين والسموات."**(١)

وإلى جانب كونه أعظم وأسمى كتابات حضرة بهاءالله، فإن "الكتاب الأقدس" يعتبر من وجهة النظر الأدبية اللغوية إحدى أجملها. فلا يُضارع ببلاغته ووضوحه في حين يتّسم بأسلوب ساحر وصياغة فائقة الروعة بشتى الموضوعات.

---

(١) انظر المجلد الأول، الفصل ١٠.

فكل جملة يمكن للقارئ فهمها ببساطة، ولكن يستحيل الإتيان بتعبير أو إنشاء أفضل أو أبلغ. فهو قمة ما نطق به حضرة بهاءالله. هذا ومع أنه في أساسه كتاب أحكام وحدود، إلاّ أنه نزل بطيفية امتزجت فيها الأحكام مع النصائح والإرشاد الروحاني، والبلاغات الخطيرة والهدي السماوي. والكيفية التي تمّ بها ذلك لا شك أنها فريدة في أصالتها وبدعها. ولا يمكن للقارئ إلاّ وأن يؤخذ بجمالها وسحرها. ويتفضل حضرة بهاءالله عنه: "لعمري قد نزل على شأن يتحير منه العقول والأفكار". ويصرح في فقرة أخرى:

"تالله يرتعد ظهر الكلام من عظمة ما نزّل والإشارات المقنّعة لشدة ظهورها".(٢)

عند تنزيله "الكتاب الأقدس"، يمكن تشبيه حضرة بهاءالله بطير سماوي مأواه في عالم الروح يعلو فوق إدراك الإنسان، وهو يجوب فضاءات المجد الروحاني. في مقامه ذاك يتحدث حضرته عن مسائل روحانية، ويكشف حقائق أمره وبهاء ظهوره لبني البشر. ثم يهبط هذا الطير الروحاني فجأة من علياء ذلك المقام والأفق الأعلى إلى عالم التراب. هنا ومن هذا المقام نجد حضرة بهاءالله يعلن ويشرّع السنن والأحكام ويفصّلها. ثم يعود بعد ذلك طائراً في عوالم الروح. وهناك يمضي لسان العظمة ينطق بجلال وسلطان، منزلاً بعضاً من صفوة فقراته المخزونة في "الكتاب الأقدس".

يُلاحظ هذا العروج والنزول، أي إنزال التعاليم الروحانية من جهة، وسنّ الأحكام من جهة أخرى، يتبع واحد الآخر خلال متن الكتاب. كما أنه لا يبدو هناك نسق ظاهر يدمجهما ببعض، ولا من علاقة ظاهرة بينهما. ففي حين الذي يشرع حضرة بهاءالله بتبيان بعض خيرة تعاليمه أو ينزل بعض نصائحه وتحذيراته نجده يغير الموضوع فجأة بإدخال واحد أو أزيد من أحكامه والتي قد لا يكون في ظاهره متصلاً أو مناسباً لما سبقه.

إن لكل دين من الأديان الرئيسة أحكاماً سنها مؤسسوها. وقد كان لهذه الأحكام دوراً هاماً في التحكم بشؤون الملة وهداية نفوس أفرادها. واليهودية

والإسلام خير مثال على ذلك. فليس في الديانة المسيحية أحكاماً كثيرة سنّها السيد المسيح، وبناء على ذلك قد يكون من الصعب لأشخاص من خلفية مسيحية أن يقدّروا حقاً أهمية الأحكام الدينية ومغزاها وما لها من دور هام في حياة المجتمع. ومن المحتمل أن يكون السبب في أن السيد المسيح لم ينزل الكثير من الأحكام هو أن رسالته كانت تستهدف بصفة رئيسة خلاص الفرد، وعليه لم يترك توجيهات رئيسة تخص شؤون المجتمع ككل. فقد شدّد كثيراً على صحة الفرد الروحية كما لخّصتها موعظة الجبل، بينما لم يترك أحكاماً تتصل بأنشطة الجماعات والأمم وتحدد العلاقات فيما بينهم.

إن شريعة كل دين تظل نافذة وجارية لحين ظهور المظهر الإلهي التالي. لكن بعد ذلك تفقد فاعليتها وتصبح بالية، ولا يشعر الناس بدافع العمل بها واتباعها. على سبيل المثال فإن شريعة موسى بقيت تماشي روح العصر حتى مجيء السيد المسيح حيث انتهى أجلها. فهناك الكثير من أحكام العهد القديم التي كانت صالحة للزمان الذي قدرت وصيغت له والتي عمل بموجبها لأزيد من ألف عام، لم تعد صالحة بعد ذلك. كذلك أحكام الإسلام التي جاء بها النبي محمد ﷺ كانت نافذة حتى ظهور حضرة الباب. وبقيت هذه الأحكام معمولاً بها بين الأمم الإسلامية قرابة ألف وثلاثمائة سنة قمرية. ومنذ نزول "الكتاب الأقدس"، الذي أتى بأحكام العصر الجديد، أصبحت معظم أحكام الإسلام غير معمول بها. فلم تجد بعض الحكومات الإسلامية نفسها مرغمة على إبطال العمل بشريعة الإسلام لصالح أحكام ودساتير مدنية سنّوها بأنفسهم فحسب، بل إن روح العصر الجديد، الذي تجسّد من خلال ظواهر وعمليات بناءة وهدامة، كان قد بدّل الظروف الاجتماعية بشكل جذري بحيث استحال معها في بعض الحالات تطبيق أحكام شريعة الإسلام.

إن الأحكام المنزلة في "كتاب البيان" قد قدّر حضرة الباب لها أجلاً قصيراً. وإن بعضها ترك غير مكتمل، معلقاً ذلك صراحة أو بالاستنتاج عقلاً على مجيء "من يظهره الله".[١] وبنزول "الكتاب الأقدس" نسخت شريعة الدين البابي، إلاّ

(١) حضرة بهاءالله. انظر المجلد الأول، الفصل ١٨.

قليلاً من أحكامها التي أيدها حضرة بهاءالله وثبتها في الكتاب نفسه. وقد صرّح حضرة عبدالبهاء بأن تلك الأحكام التي أتى بها حضرة الباب ولم يثبتها "الكتاب الأقدس" تعتبر منسوخة.(٣) كما صرّح في لوح آخر بأن أي حكم نزل في آثار حضرة بهاءالله الأخرى، إن كان لا يتفق ونصوص أحكام "الكتاب الأقدس" يعتبر غير نافذ. أمّا تلك الأحكام التي لا تتعارض مع "الكتاب الأقدس" أو لم يرد ذكرها فيه فهي نافذة وملزمة.

وفي الواقع، عندما نستعرض كتابات حضرة بهاءالله، نعثر على عدة ألواح تتضمن بعض الأحكام أو تتناول بالشرح إجراء ما جاء فيها. ومثل هذه الألواح تعتبر ملحقاً "للكتاب الأقدس". وعليه يتضح بأن "الكتاب الأقدس" وحده لا يحتوي على كل أحكام حضرة بهاءالله. وبعد إنزاله أذن حضرته لزين المقربين،[1] أحد حوارييه الأوفياء، الذي كان في سابق حياته مجتهداً وله خبرة عالية في تطبيق الشريعة الإسلامية، بأن يستفسر عما يشاء بخصوص تطبيق أحكام حضرته. وتمّ تدوين إجاباته في كتاب يعرف ب"سؤال وجواب" الذي يعتبر ملحقاً "للكتاب الأقدس".

في لوح(٤) بخط يد ميرزا آقا جان، كاتب وحي حضرة بهاءالله، مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى ١٢٩٠هـ (١١ تموز ١٨٧٣م) ورد أن "الكتاب الأقدس" قد أنزل حوالي ذلك الوقت. كما يشير فيه إلى الظروف التي مهدت لنزوله. فلعدة سنوات كان المؤمنون يسألون عن أحكام أمر الله ولكن حضرة بهاءالله أرجأ الرد عليها إذ لم يجد الوقت مناسباً لذلك. في أثناء فترة أدرنة، أنزل حضرة بهاءالله عدداً من الأحكام في كتاباته بالفارسية، إلاّ أنه لم يعلنها للأحباء. فيما بعد استمرت الأسئلة تصل إلى حضرته في عكاء، وحينما وجد حضرة بهاءالله الوقت مناسباً أنزل "الكتاب الأقدس". لكنه منذ البداية كان يؤكد على أتباعه ضرورة الالتزام بالحكمة والحصافة في تطبيق أحكامه. فنصحهم باجتناب العمل بما فيه من تلك الأحكام والوصايا مما قد لا يكون قد حان وقته أو قد يثير اضطراب الناس وهياجهم.

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٦-٢٧.

هذا وبعد إنزاله بمدة قصيرة، أبدى الحاج السيد جواد الكربلائي،[١] من الأحباء المتميزين، وصاحب مكانة مرموقة في الجامعة البهائية، أبدى لهفاً وحماسة لشروع البهائيين بتطبيق أحكام ذلك الكتاب. وفي لوح وجهه حضرة بهاءالله له، يكشف عن المكانة العلية التي يحتلها "الكتاب الأقدس"، مشيراً إليه بأنه المغناطيس الأعظم الذي ستنجذب إليه قلوب أهل العالم، ومتنبئاً بأن به ستظهر عظمة الله وسلطانه عما قريب. إلاّ أنه بالوقت نفسه ينصح الحاج السيد جواد بالتزام الحيطة والحكمة في تطبيق أحكامه في ذلك الوقت. فيما يلي مقتطف من اللوح المذكور للحاج السيد جواد:

"في سنين معدودات وردت إلى الشطر الأقدس عرائض شتّى من أماكن مختلفة سأل فيها النّاس عن الأوامر الإلهية، **إنا أمسكنا القلم على ذكرها إلى أن أتى الميقات**". إذاً أشرق نير الأحكام من أفق إرادة الله وهذا من فضله على الخلائق أجمعين. إنه هو الرحيم الكريم... لعمري إن حدود الله بحر يسبح فيه أبناء الإنسان كالأسماك لو كانوا يعلمون. ولكن في إجراء الحدود تلزم الحكمة لأن الناس ضعاف جاهلون بمقصد الله. لذا ينبغي التقيد بالحكمة واليقظة في كل الأمور لئلا تضطرب الأحوال ويظهر الفساد ويرتفع نعاق الجاهلين. لعمري قد أحاط فضله الأكوان كلها وشملت عناياته كل من على الأرض. ينبغي هداية البشر إلى بحر العرفان الحقيقي بروح المحبة والعطف. يشهد كتابي الأقدس بعناية الرب العطوف.(٥)

وفي السنة نفسها التي أنزل فيها "الكتاب الأقدس"، أذن حضرة بهاءالله لجمال البروجردي،[٢] الذي كان وقتها في عكاء، أن ينسخ بعض أجزائه لإطلاع الأحباء

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٢٣٧–٢٤١.

(٢) ما يثير الاهتمام هنا أن نلاحظ أن جمال المغرور كان قد سأل حضرة بهاءالله أن يعفيه من إطاعة أحكام "الكتاب الأقدس". وقد لبى حضرته أمنيته تلك وأبلغه أنه حر ولا يجبر على الإطاعة لأي حكم من ذلك الكتاب. للمزيد من المعلومات حول هذا الشخص الشرير الذي نقض العهد في النهاية، انظر المجلد الثاني.

في إيران عليها. لكنه عاد مؤكداً له ضرورة مراعاة الحكمة والتعقل في تطبيق أحكامه. وقد سبق القول في المجلد السابق كيف أن المظاهر الإلهية، من محض رحمتهم وعطفهم على العباد، لا يعلنون لأتباعهم عن كل أحكامهم الجديدة مرة واحدة. ولعلمهم بمدى تعلق البشر بشرائعهم وتقاليدهم القديمة، فإنهم -مظاهر الله- يؤتون بأحكامهم الجديدة تدريجاً عبر فترة من الوقت تتيح لأتباعهم الوقت الكافي للاستنارة والتبصر والاستعداد لقبولها.(١)

يتبين جلياً عند دراسة كتابات حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء بأن معظم أحكام "الكتاب الأقدس"، فيما عدا تلك الروحانية في طبيعتها، أو تنسجم مع الأحوال السائدة في ذلك الوقت، إنما مقصودة للمستقبل عندما يصبح الدين البهائي دين الدولة. فعندئذ ستنفذ هذه الأحكام كاملة في إطار حضارة جديدة تنبثق فيما بعد من وسط الفوضى والاضطراب السائدين في المجتمع الراهن.

لقد وصف حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، أحكام "الكتاب الأقدس" بأنها "لحمة وسداة" نظم حضرة بهاءالله العالمي. إذ بدون هذه الأحكام لن تتمكن البشرية من المساهمة في تأسيس ملكوت الله الموعود على الأرض. إلا أن نظم حضرة بهاءالله العالمي ما يزال ينمو عبر كيانه الجنيني. وعند تمام الوقت سيولد وبولادته سيفتتح عصراً لا يمكننا في هذا اليوم أن نتصور أمجاده وروعته بنحو تام، عصر ستأخذ فيه تعاليم حضرة بهاءالله بيد الإنسانية لتهديها وتدير شؤونها على هذا الكوكب. عندئذ فقط ستتبين حكمة وأهمية أحكام "الكتاب الأقدس" جميعها، وكذلك مناسبتها لاحتياجات العصر ويصبح العمل بها ضرورة حيوية.

في "كتاب القرن البديع"، وفي ثلاث صفحات، لخّص حضرة شوقي أفندي مواضيع "الكتاب الأقدس" ببراعة فائقة بحيث لو يدرسها القارئ بإمعان لعلم كل الموضوعات الرئيسة الواردة في هذا الكتاب الكريم. فيما يلي جزء من ملخّصه الذي يجمع بعض الأحكام الأساسية لهذه الدورة:

---

(١) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٤٣–٣٤٥.

وفي هذا الكتاب أيضاً يفرض الصلاة، ويحدد ميقات الصيام ومدته، ويرفع حكم صلاة الجماعة إلاّ على الميت، ويعين القبلة، ويقرر حقوق الله، ويضع أحكام المواريث، وينص على مؤسسة مشرق الأذكار، ويقيم الضيافات التسع عشرية ويحدد الأعياد البهائية وأيام الهاء، ويلغي مؤسسة رجال الدين، ويحرم الرق والتصوف والتسول والرهبنة وشعيرة الاعتراف واستخدام المنابر وتقبيل الأيدي، ويوصي بالزواج من واحدة، ويستنكر القسوة على الحيوان، وينهي عن الكسل والتواكل والغيبة والافتراء، وينفّر من الطلاق، ويحرّم الميسر وتعاطي الأفيون والخمر وكل ما يذهب به العقل، ويحدد عقوبة القتل وإحراق البيوت عن عمد والزنى والسرقة، وينبّه على أهمية الزواج ويعين شروطه الرئيسة. ويفرض الاشتغال بالمهن والحرف جاعلاً هذا الاشتغال عين العبادة. ويؤكد ضرورة التكفل بتعليم الأبناء، ويكلف كل إنسان بكتابة وصيته، ويقرر ضرورة إطاعة الحكومة إطاعة دقيقة كاملة.(٦)

هناك بعض الأحكام لم يسنها حضرة بهاءالله ضمن "الكتاب الأقدس" أو في ألواح أخرى. فقد ترك مثل هذه الثغرات متعمداً في صرح شريعته سيتعين ملؤها من قبل بيت العدل الأعظم، الهيئة التشريعية العليا لأمر الله، والتي استخلفها حضرة بهاءالله لهذه المهمة فتشرع ما لم ينص "الكتاب الأقدس" عليه صراحة. فالأحكام التي تشرعها هذه الهيئة يمكن أن تبطل أو تبدل من قبل الهيئة نفسها في فترة لاحقة إذا استدعت ذلك تغييرات جذرية في أحوال المجتمع ومتطلباته، وهذا التدبير يضمن للأحكام ذات الطبيعة المؤقتة القدرة على مسايرة تقدم البشرية ومواجهة متطلباتها المتغيرة.

إلاّ أن الأحكام التي شرعها حضرة بهاءالله هي أحكام أساسية ثابتة غير قابلة للتبديل طوال دورة رسالته. ولا يمكن أن ينسخها سوى المظهر الإلهي التالي. يجب أن يُلاحظ بأن هناك أحكاماً أتى بها حضرة بهاءالله والتي وضعت لظروف وأحوال مجتمع المستقبل، لا يمكن العمل بها دون تشريع ملائم من بيت العدل الأعظم لأجل تطبيقه. يكتب حضرة شوقي أفندي، عن طريق سكرتيره، ما يلي:

"كل ما لم يشرع في "الكتاب الأقدس" ثم جزئيات الأمور والمسائل الفرعية التي تظهر نتيجة إجراء الأحكام المنزلة من قبل حضرة بهاءالله وتنفيذها يجب أن يشرعها بيت العدل العمومي. إذ بإمكان هذه الهيئة وضع القوانين التي تتمم أحكام حضرة بهاءالله المنصوصة ولكنه لا يستطيع أبداً نسخ أحكام حضرته المنصوصة أو إجراء أبسط تغيير عليها. كما لا يحق لولي الأمر إطلاقاً بأن يخفف من قوة أثر نصوص كتاب أساسي مقدس كهذا ناهيك بنسخها."(٧)

هذا ولم يُترجم "الكتاب الأقدس" بعد إلى أية لغة من قبل سلطة بهائية. والسبب في ذلك هو أنه بدون الرجوع إلى ألواح أخرى تكون مجرد ترجمته غير وافية بل مضللة فعلاً. وقد شرح بيت العدل الأعظم هذه النقطة بهذه الكلمات:

إن "الكتاب الأقدس" نفسه هو المرجع الأساس لمجموعة ضخمة من الأحكام البهائية التي ينُتظر ظهورها عبر السنوات والقرون المقبلة في أثناء تأسيس وحدة العالم الإنساني وتطورها. وعليه فمن أجل فهم محتوى ذلك الكتاب بنحو لائق وافٍ ينبغي أيضاً قراءة العديد من ألواح حضرة بهاءالله الأخرى ذات العلاقة، وكذلك الإطلاع على تفسيرات وشروح كل من حضرة عبدالبهاء وولي أمر الله، حيث يتبين مدى التفصيلات والمواد الكثيرة التي ترك أمرها حضرة بهاءالله لبيت العدل الأعظم ليشرّع بشأنها ويبدلها وفقاً لضرورات مجتمع يتطور باستمرار. بالإضافة لذلك فإنه ما لم تُراعَ ترجمة "الكتاب الأقدس" بحيث تشتمل على ملاحظات هامشية توضيحية تتصل بتلك الألواح (المشار إليها أعلاه) والتي توضح وتفصل أحكامه إلى جانب تفاسير وإيضاحات حضرة عبدالبهاء وولي الأمر، فإن ترجمة كهذه يمكن أن تعطي انطباعاً خاطئاً ومضللاً جداً للقارئ -هذا عدا مشكلة القصور في بلوغ ذاك المستوى من جمال الأسلوب في لغة إنجليزية يمكنها محاكاة جمال الأصل."(٨)

وفي مناسبة أخرى كتب بيت العدل الأعظم ما يلي:

لقد شرح ولي أمر الله ضرورة إعداد وجيز مصنف بأحكام "الكتاب الأقدس" وأوامره كمقدمة لنشره. ثم يلي ذلك في الوقت المناسب إعداد ترجمة كاملة للكتاب نفسه، تُعهد لهيئة كفوءة من المتخصصين، تضم شروحاً مفصلة. ويجب أن تشير هذه الشروح بلا شك إلى ألواح حضرة بهاءالله العديدة التي تشكل ملحقاً "للكتاب الأقدس"، وكذلك إلى تفاسير حضرة عبدالبهاء وكتابات حضرة شوقي أفندي، كما توضح بعض فقرات الكتاب وتبيّن ما أشار إليه من مسائل دينية وحضارية وتاريخية.

من الواضح أن كتاباً كهذا، غني في تلميحاته وإشاراته لأحكام وأعراف الدورات السابقة، قد يسهل إساءة فهمها من قبل أي شخص لم يألف أحكاماً وتقاليد كهذه، وغير مطلع إطلاعاً تاماً بتعاليم حضرة بهاءالله وأهدافه الأساسية. فترجمات غير وافية ودقيقة على الخصوص يمكنها أن تضلل بشكل خطير. وكان حضرة بهاءالله قد علّق أثناء أيام حياته على محاولة ترجمة "الكتاب الأقدس" قام بها أحد المؤمنين بقوله: "ولو أن نيّة المترجم كانت طيبة، إلاّ أن عملاً كهذا في هذا الوقت سيؤدي إلى الاختلافات ولذا فإنه غير جائز."(٩)

هذا وقد أنجز بيت العدل الأعظم منذ بعض الوقت مهمة تصنيف الأحكام ونشر الكتاب باسم "الوجيز المصنف لأحكام الكتاب الأقدس وأوامره" (بالإنگليزية). ولقد استدعى هذا المجهود قدراً عظيماً من الأبحاث في الكتابات المباركة. فتلك الألواح التي أنزلها حضرة بهاءالله وتعتبر متممة "للكتاب الأقدس"، وكتابات حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي الخاصة بشرح وتفسير الأحكام فد أخذت جميعها بعين الاعتبار في إخراج هذا الكتاب المهم. وبهذا الشأن يصرح بيت العدل الأعظم بما يلي:

يقدم هذا الوجيز المصنف عرضاً مركّزاً شاملاً للأحكام والأوامر والنصائح ومواضيع أخرى مما ورد في "الكتاب الأقدس" نفسه وفي رسالة "سؤال وجواب"، الذي يشكل ملحقاً لذلك الكتاب. ليس فيه كل التفاصيل، وفي إطاره المحدود لا يعطي صورة عن سمو وروعة لغة حضرة بهاءالله وأسلوبه.

ولأجل تزويد القراء على الأقل بلمحة من هذه العظمة في الموضوع واللغة، فقد وُضعت في الوجيز المصنف، كمقدمة تمهيدية، وبالترتيب نفسه الذي توجد فيه في "الكتاب الأقدس"، فقرات من الأخير مما ترجمها ولي أمر الله. هذا وستظل لمترجمي المستقبل تلك المهمة الجسيمة في مضاهاة جمال ودقة ترجمة حضرة شوقي أفندي.(١٠)

إطاعة الأحكام الإلهية

إن العمل بأحكام الدين مهم للغاية، فهو واجب ملزم لأتباعه. وقد شُرع بتنفيذ بعض أحكام "الكتاب الأقدس" في أيام ولاية حضرة شوقي أفندي. ولعلمه بأن الأحباء في مهد أمر الله قد نشأوا في مجتمع يعي ويتفهم أهمية الأحكام الدينية وتبعاتها، أشار على المحافل الروحانية في ذلك الجزء من العالم بالشروع بتطبيق بعض أحكام "الكتاب الأقدس" ضمن الجامعة البهائية. فقام خلال ولايته بالتوسع في تطبيق هذه الأحكام موضحاً الكثير مما يتعلق بها من ملابسات وتفاصيل، وحاضّاً المحافل الروحانية المركزية على عدم التهاون في تطبيق الأحكام، وناصحاً إيّاهم بالتمسك بمبدأي العدل والحياد في كافة الأمور. وهكذا أوجد في هذا الحقل بالذات رصيداً هائلاً من المعلومات والخبرة مما سيكون له قيمة كبيرة في المستقبل.

إلاّ أن المجتمع الحالي في عالم الغرب غير موجه نحو إطاعة الأحكام الدينية. فإلى جانب توجهه المطرد منذ زمن طويل صوب الفلسفة الإنسانية والمادية، نجد أن التقاليد المسيحية نفسها قد تركت الناس دون معيار ووعي كامل بأهمية وقيمة الأحكام الدينية داخل المجتمع. ويحتمل أن مرد ذلك، كما سبق أن بيّنا، هو أن السيد المسيح، الذي استهدفت رسالته أساساً مخاطبة الإنسان كفرد (لا كمجتمع)، لم يأتِ بأحكام كثيرة خلال دورته.

وعليه فإن تقديم أحكام "الكتاب الأقدس" إلى مجتمع كهذا، وفي زمن ما يزال فيه أمر الله في بداية نشأته، قد جرى ببطء وبنحو تدريجي. في الواقع منذ

بداية العصر التكويني لأمر الله وحتى الوقت الحاضر لم يُقدّم إلى عالم الغرب إلاّ القليل من "الكتاب الأقدس". لكن بلا شك ستتبع هذه أحكام أخرى كلما نما أمر الله في المستقبل ومتى أضحت الظروف داخل المجتمع البشري مواتية وملائمة.

فيما يخص أحكام "الكتاب الأقدس" كتب حضرة شوقي أفندي الكلمات التالية عن طريق سكرتيره:

يشعر (ولي أمر الله) بأن من واجبه أن يوضح بأن الأحكام التي أنزلها حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس"، متى كان تطبيقها عملياً وممكناً ولا تتعارض مباشرة مع قوانين البلاد المدنية، هي ملزمة قطعاً لكل مؤمن بهائي أو مؤسسة بهائية سواء في الشرق أو الغرب. وعليه ينبغي اعتبار بعض الأحكام، مثل الصوم والصلاة، وموافقة الوالدين قبل الزواج، واجتناب المشروبات الكحولية، والاكتفاء بزوجة واحدة، ينبغي اعتبارها من جانب كافة المؤمنين على أنها أساسية وقابلة للتطبيق على نطاق عالمي في الزمن الراهن. هذا في حين هناك أحكام أخرى سُنت تمهيداً لتطبيقها في مجتمع يُرتقب نشوؤه في أعقاب الأحوال المضطربة التي تسود اليوم.(١١)

ومن خلال محاولتهم تطبيق تعاليم حضرة بهاءالله والعمل بما هو ملزم عليهم في الوقت الحاضر من الأحكام والأوامر، يسعى أتباع حضرة بهاءالله في أرجاء المعمورة لتنمية المميزات الخاصة بالحياة البهائية سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي. فيعمل المؤمن الحقيقي بأوامر حضرة بهاءالله بإخلاص قلبي، إذ إن أساس الإيمان يكمن في إطاعة أوامر الله كما أتى بها حضرة بهاءالله في هذا العصر.

ولأجل تقدير هذه النقطة الهامة، دعونا ندرس الطبيعة. كما سبق لنا بيانه،[١] فإن خلق الله كيان واحد. بعبارة أخرى أن عالميّ الوجود المادي والروحاني مرتبطان

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ١–٣.

ارتباطاً وثيقاً ببعضهما، أي أنهما ليسا بخلقين مختلفين. ففي أحد ألواحه(١٢) يصرح حضرة بهاءالله بأن لكل مخلوق في هذا العالم المادي نظائر في جميع عوالم الله. يستنتج من هذا أن القوانين والمبادئ التي تتحكم وتنظم هذه الحياة المادية لها ما يماثلها أو يقابلها في عوالم الله الروحانية. إلاّ أنها تعمل على مستوى أعلى وتتميز بخصائص معينة جديدة لا وجود لها في مملكة الحياة الدنيا. وعليه فإن القوانين والمبادئ الأساسية نفسها التي تحكم الطبيعة توجد أيضاً في عالم الإنسان والأديان. لكنها، كما قلنا آنفاً، تعمل على مستوى أعلى.

مثال واحد على ذلك: إن في نمو الشجرة قوانين قد نجد في الإنسان وحياته انعكاساً مماثلاً له. فبينما تمد الشجرة جذورها نحو باطن التربة وأعماقها حيث أصل الشجرة وحياتها، نجد أن جذعها وساقها وأغصانها وأوراقها تندفع بعكس الاتجاه، أي بعيداً عن الأرض. وهذه ظاهرة تماثل حالة الانقطاع لدى الإنسان عن شؤون هذا العالم، وطموح روحه للارتفاع عن مستوى الرغبات الدنيوية. وبتوجهها هذه الوجهة المعاكسة لأصلها تنال الشجرة نعمة أنوار الشمس وتتوج وجودها نتيجة لذلك بالبراعم المزهرة والأثمار. طبعاً إن عملية نموها هذه كلها تجري تلقائياً ودون اختيار منها بل بقانون طبيعي. لكن لو فُرض أن كان للشجرة اختيار، واختارت، بدافع حبها وتعلقها للتراب، أن تحوّل وجهتها صوب الأرض فأي فرق سيحدث! بل أي كارثة ستحصل لها في هذه الحالة حيث ستطمر كل كيانها داخل الأرض وتتعفن بساقها وأغصانها وأوراقها بحرمانها من أشعة الشمس الباعثة للحياة!

ينطبق الحال نفسه على الإنسان حيث إن عليه العيش في رحاب هذا العالم المادي والذي يعتمد في وجوده عليه كل الاعتماد. لكن على روحه أن تنقطع عن العالم المادي وتتوجه إلى الروحانيات. إلاّ أنه خلافاً للنبات الذي لا يسيطر على نموه وتطوره، فإن الإنسان مُنح القدرة على تقرير مصيره، وأعطي حرية الاختيار ليقرر الاتجاه الذي يريد أن يسير فيه. فإذا ركّز اهتمامه على أمور مادية فقط وصار متعلقاً بهذه الدنيا وغرورها وملذاتها وعزّها، فإن روحه ستظل في ظلام نسبي. لكنه، كما هو حال الشجرة، لو لم يشغل كل حياته في الأمور المادية، ويبلغ

حالة انقطاع عن هذا العالم[١] ويسمح لروحه بالارتقاء إلى الكمالات السماوية، فإنه لا محالة ينال أنوار شمس الحقيقة، أي المظهر الإلهي. عندئذ فقط يمكن لروحه أن تثمر بثمرة روح الإيمان[٢] والتي هي الغاية القصوى من خلقها.

إن الغاية من إتيان المثل السابق هي مجرد الاستدلال على أن العوالم الإلهية، المادية والروحية، مرتبطة بالقوانين نفسها. وعليه فإنه من الممكن أن نكتشف مبدأ روحانياً من خلال دراسة قوانين ومبادئ عالم المادة شريطة أن نتذكر كلمات وأقوال المظاهر الإلهية وندع بياناتهم وشروحهم لترشدنا عسى أن نكتشف مقارنات واضحة بين المبادئ المادية والروحية.

عهد الله مع الإنسان

لأجل فهم أهمية إطاعة الأحكام الإلهية، وهو مبدأ روحاني، فلنتفحص أولاً علاقة الله -مصدر الحياة- بخلقه في هذا العالم المادي، ثم من خلال وجهة نظر روحية قد نخرج بنتيجة. نلاحظ بأن كافة المخلوقات الحية في هذا العالم تخضع لقوانين الطبيعة. فقد دبر الله الحياة على هذا الكوكب بحيث أن الشمس تصب طاقاتها على كافة الكائنات، بينما تزود الأرض الغذاء وتسهم العناصر بدورها. وهكذا فإن الله يمنح الحياة، وهذا هو دوره.

أمّا المخلوقات الحية، من جهة أخرى، فإن عليها أن تقوم بدورها إن أرادت الحياة. عليها أن تستقبل هذه الفيوضات والمدد من الطاقة، لكن وفق مقتضيات قوانين الطبيعة المفروضة عليها بنحو قطعي. فمثلاً نجد أن السمكة تعيش في الماء بينما يحلق الطائر في الهواء. وكل منها يعيش طبقاً لما تفرضه الطبيعة من قوانين. ذلك لأن على هذا المستوى المادي نجد أن استجابة كل الكائنات لمدد الله من الطاقات هو استجابة تلقائية لا إرادية. فكل من المخلوقات مقيد بقوانين

(١) ورد الكثير في هذه المجلدات عن الانقطاع من وجهة النظر البهائية، وهي على نقيض أفكار نبذ العالم والتسول والتزهد.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٧٦–٧٧.

الطبيعة ولا يمكنه أن يحيد عنها قيد شعرة. إلاّ أن النقطة الأساسية هي أن استجابة المخلوقات هي على انسجام مع قوى الحياة المنشطة المنبعثة من الطبيعة.

الشيء نفسه ينطبق روحانياً. فاستجابة الإنسان للوحي الإلهي ينبغي أن يكون بشكل انسجام مع تعاليمه. لكن الإنسان، ولو أنه مادياً يشارك الحيوان بتكوينه، إلاّ أنه روحياً لا يخضع لقوانين الطبيعة. وبدل ذلك فإنه ملتزم بأحكام عهد الله معه. وكما في أي تعاهد، وكما هو في الطبيعة، فإن هناك جانبين مشتركين فيه. وبالكيفية نفسها التي يزود بها الله عالم الماديات بالطاقات الباعثة على الحياة، وتستجيب المخلوقات وفقاً لذلك، فإن الخالق نفسه يمد عالم الإنسان بقوى روحية تكفل له تطور وتقدم نضجه الروحاني والعقلي، وعلى الفرد أيضاً أن يلعب دوره. ولكن خلافاً لما عليه حال الطبيعة المادية، فإن استجابة الإنسان لفيوضات الله وعطاياه نابعة من إرادته واختياره. ذلك لأن للإنسان إرادة حرة للتصرف، بينما المخلوقات الأخرى محرومة من هذه الخاصية.

بمجرد اكتمال عملية الخلق يبدأ عهد الله مع الإنسان، وهو التزام ذو طرفين. فالله من جانبه يتعهد بخلق الإنسان على صورته ومثاله، أي يخلع عليه صفاته. ثم يتعهد فوق ذلك بمده ليس فقط بكل متطلباته وضروراته الدنيوية بل بهداية رسله لينيروا له دربه ويرشدوه للتقرب إليه.

والدور الذي يلعبه الإنسان في هذا العهد، أن يعي هذه المواهب، ويعترف بالمظهر الإلهي ويعمل وفق تعاليمه وأحكامه. والسبيل الطبيعي الذي يقدر وحده على التوفيق بين طرفي الميثاق هذا، هو أن يطيع الإنسان ما ينزل من عند الله من أوامر. أمّا التمرد والعصيان عن العمل بذلك فينتج عنه حياة تتعارض مع قوانين الخليقة وتقطع كل صلة بالخير والصلاح. إن الإيمان بالله ثم الاعتقاد بعدم وجود هذا العهد وبأن الخالق لم يضع أي أحكام على صعيد خلقه الروحاني، من شأنه وصف الله بالنقص وعدم الكفاءة، لا سمح الله.

إن عهد الله مع الإنسان يشبه لائحة النظام التي يضعها مدير مدرسة للتلاميذ. فمنذ لحظة دخول طفل لمدرسة لأول مرة في حياته يرتبط مع مديرها بعهد،

دون دراية واعية منه بذلك. وهنا أيضاً يوجد طرفان لهذا العهد. فالمدير يلتزم من جانبه بتزويد الطفل باحتياجاته التربوية التعليمية عن طريق إعداد المعلمين لتدريسه كما يقوم بوضع منهج التعليم. ويقوم الطفل من جانبه بدوره في تفهم وحفظ كل درس ومادة يتلقنها واتباع كل ما يُشار به ويطلب منه. وبهذا النحو فقط يتمكن من اكتساب المعرفة ويصبح ناضجاً ذا حكمة وفهم. وعندما يكون الطفل أهلاً لتلقي مستوى أعلى من التعليم يخصص المدير له معلماً جديداً لتزويده بمزيد من العلم.

بطبيعة الحال فإن المدير وحده هو الذي يضع شروط هذا العهد وليس للطفل فيه أي سلطة أو رأي. فصاحب العهد هو الذي يتمتع بالقوة والدراية والحكمة، بينما الطفل، الطرف الآخر من العهد، ضعيف غير متعلم وغير ناضج. وفي حين معظم ما يبرم من إجراءات من قبل طرف قوي لآخر ضعيف هي ضد مصالح الأخير بل ومدبرة لاستغلاله، إلاّ أن الوضع ليس كذلك في هذه الحالة إذ إن نية المدير وغايته وراء هذا العهد طيبة طاهرة. فهو يرمي إلى تثقيف الطفل وإكسابه صفات حميدة وكمالات. وإن أجاد الطفل القيام بدوره وأطاع توجيهات معلمه أو معلميه، فإن هذا العهد يعود عليه بأعظم البركات في حياته.

وينطبق عين الشيء على الله وعهده مع الإنسان. فإن الله يبعث برسله إلى البشر من عصر لآخر حيث يأتي كل منهم برسالة جديدة تتناسب وتستجيب لمستلزمات ذلك الزمان. وكما هو الحال في المثال أعلاه، فإن هذا العهد مبرم من جانب واحد، هو إله قادر عليم حكيم. وكذلك يسبغ هذا العهد على الإنسان أعظم البركات إذ غايته تمكينه من أن يصبح كائناً روحانياً وينال حياة أبدية. ولبلوغ هذه الرتبة العليا يتعين على الإنسان أن يحيا وفق تعاليم المظهر الإلهي وأن يعمل بما أمر به.

وفي حين اضمحلال قيم الحياة الروحية والأخلاقية في يومنا هذا، نجد كثيراً من الناس في كل أنحاء العالم ينظرون إلى كلمة "الطاعة" نظرة ارتياب وخوف. ذلك لأنهم يعتبرون هذه الكلمة مرادفة للاستبداد، والقبول الأعمى، والتعصب

الديني ولكل أشكال العقائد المغلقة الضيقة. وغالبية أصحاب هذا الرأي هم من بين النفوس الصادقة ذوي العقول النيرة المنفتحة على العالم. بعضهم قد ينتمون إلى مجموعات دينية تتمتع بنظرة متحررة، والبعض الآخر قد يكونوا من أصحاب الفكر أو الغنوصيين (اللاأدريين) أو الملحدين. فهم واعون كل الوعي بأخطار الإطاعة العمياء التي قد تجلبها داخل المجتمع الإنساني ولذا فإنهم يسئمون مما يدعى بالسلطة، سواء أكانت دينية أو دنيوية، التي تفرض إطاعة أوامرها.

ولهذه التخوفات ما يبررها، كما أن أولئك الذين ينظمون حملات ضد إقامة سلطة كهذه ويمقتون حكمها، مستحقون للثناء والإعجاب. ذلك لأنه عندما نستعرض الساحة الدينية نجد أن هناك كثيراً من "الأنبياء الكذبة" ممن يبرز مقنّعاً كزعيم ديني، ليشبع تلهفه للرئاسة والتسلط، متنكراً كرجل تقي مقدس بينما هو في الواقع يتحكم بعقول تابعيه لمصالحه الشخصية فقط. وهناك أيضاً ملايين من الناس، من أتباع ديانات العالم الكبرى، ممن قيدتهم معتقداتهم الدينية العتيقة وتقاليدهم البالية. إلاّ أنه خلال هذا القرن أصبحت أعداد متزايدة من هؤلاء الناس تفطن لهذه المأساة، ويكسرون القيود التي استحكمت على عقولهم ويتحررون من هذه العبودية. فهم إمّا يفضلون البقاء في حالة من فتور الحماسة كأتباع مغرر بهم، أو الانضمام في صفوف الغنوصيين والملحدين. أمّا صوت القيادة الدينية، الذي طالما ألهم الجموع فيما مضى، صار الآن يسمعه هؤلاء الناس بدرجات متفاوتة من عدم الاكتراث أو العداء. وتعليل هذا التغير هو لأن الله قد أظهر نفسه من خلال حضرة بهاءالله ولكن رؤساء الدين لم يعترفوا به فصاروا، كما وصفهم، "نجوماً ساقطة".[١] لقد سبق أن صرّحنا[٢] بأن لكل واحد من الأديان السماوية أجل محدد تكون شريعته خلاله نافذة. لكن عند ظهور دين جديد ينتهي ذاك الأجل.

وبينما تتضاءل فاعلية ونفوذ أديان العالم الكبرى باطراد، يفلت من قبضة رجال الدين زمام سيطرتهم على عقول الناس. وأوامرهم وفتاواهم، التي طالما أوحت

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢٦٥–٢٦٦.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٦٧–٦٨.

في سابق الأزمان طاعة أتباعهم، أضحت الآن ذات مفعول عكسي. وكثير جداً من الناس ممن يثورون الآن ضد فكرة مثل هذه الطاعة ولديهم كل ما يبرر ذلك. إلاّ أنه عندما ندرس نمط الحياة في المجتمع الإنساني، نلاحظ بأن الإنسان لا يمانع من إظهار كل الطاعة الصميمية تجاه شخص أو مؤسسة تنطق وتتصرف بحق ولها شرعية القيام بذلك. ونجد بأن الشخص نفسه الذي يتحاشى كلمة "الطاعة" يطيع بنحو أعمى ما تصدره إليه بعض السلطات من تعليمات خلال حياته اليومية. على سبيل المثال فإن شخصاً لا يعرف وجهته للوصول إلى مدينة ما، نجده يتبع تلقائياً إشارات وعلامات الطرق التي أمامه ولن يخطر بباله التحقق من صحتها أو موثوقيتها. وسبب إطاعته العمياء هنا يرجع إلى تسليمه بسلطة تلك الجهة التي وضعت علامات الطرق. والشيء ذاته ينطبق على المريض الذي يثق بما يصفه له طبيبه حتى ولو كان ذلك بتر أحد أطرافه. هنا كذلك، يرجع السبب إلى اعتقاد المريض بالطبيب وقبوله، دون تردد، بما ينصحه به.

الطاعة إذاً هي خطوة طبيعية بالنسبة للإنسان شريطة توفر عنصر الاطمئنان إلى وجود مستند حقيقي يدعو لذلك الاطمئنان. ويوضح حضرة بهاءالله بجلاء هذه النقطة في مستهل الفقرة الافتتاحية من "الكتاب الأقدس" بقوله:

"إن أول ما كتب الله على العباد عرفان مشرق وحيه ومطلع أمره الذي كان مقام نفسه في عالم الأمر والخلق من فاز به قد فاز بكل الخير والذي مُنع إنه من أهل الضلال ولو يأتي بكل الأعمال. إذا فزتم بهذا المقام الأسنى والأفق الأعلى ينبغي لكل نفس أن يتبع ما أمر به من لدن المقصود لأنهما معاً لا يُقبل أحدهما دون الآخر هذا ما حكم به مطلع الإلهام."(١٣)

هذا ما ينبغي لكل فرد أن يقوم به استجابة وإيفاء بعهد الله مع الإنسان، أي أن يؤمن بالله على أنه منبع ومصدر كل خير ثم العمل بما أمر به. وفي ضوء هذا نجد أن حضرة بهاءالله قد علّق أهمية كبرى على أحد مبادئ دينه -ألا وهو تحري الفرد للحقيقة تحرياً حراً. فكل شخص يعتزم اعتناق الدين البهائي عليه أن يتحرى الحقيقة حتى يطمئن ويوقن في قلبه أن حضرة بهاءالله هو المظهر الإلهي

لهذا العصر. ومتى وصل الباحث إلى هذه المرحلة يتعين عليه أن يتبع أوامره. وبزيادة معرفته لأمر الله وتوجهه لحضرة بهاءالله للاستمداد من قوّته، فإن قلب ذاك المؤمن يصبح مستودعاً لعلم الله الذي هو وحده قادر لأن يهبه للمؤمن. وعندئذ يدرك الشخص الحكمة وراء كل الأحكام والتعاليم التي يستوجب عليه الالتزام بها. وعندها تنجلي لبصيرة المؤمن سرّ الطاعة لأوامر حضرة بهاءالله والتي تقترن حينئذ بتفهم عميق للغاية منها، والحكمة التي تكمن وراءها، بل وشأنها الممتاز وضرورتها. وآنذاك يصبح الالتزام بتعاليم حضرة بهاءالله مصدر سرور للمؤمن، وسيجد بأن أفكاره وأمنياته وكلماته وأفعاله متسقة وعهد الله مع الإنسان. ولمثل هذا الشخص أنزل حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس":

"يا ملأ الأرض اعلموا أن أوامري سرج عنايتي بين عبادي ومفاتيح رحمتي لبريتي كذلك نزل الأمر من سماء مشية ربكم مالك الأديان. لو يجد أحد حلاوة البيان الذي ظهر من فم مشية الرحمن لينفق ما عنده ولو يكون خزائن الأرض كلها ليثبت أمراً من أوامره المشرقة من أفق العناية والألطاف."(١٤)

يصرح ميرزا أبو الفضل، العلاّمة البهائي العظيم،(١) بأنه يمكن تصنيف أحكام الله النازلة في الديانات السابقة والتي نزلت في "الكتاب الأقدس" إلى ثلاثة أصناف. أولها ما يخص العبادات وهي تشمل فرائض الصلاة والصوم وما يتصل بذلك من أحكام.

الصنف الثاني منها ما يخص الأحكام التي تنفع الفرد فقط، مثل الطهارة وأعمال أخرى تهدف رفع حال المؤمن شخصياً وروحياً.

أمّا الصنف الثالث فيشمل أحكاماً تخص المجتمع وهذه تكوّن الجزء الأكبر من أحكام "الكتاب الأقدس". هذه الأحكام، بالإضافة إلى ما أتى به حضرة بهاءالله من مبادئ في كتاباته المباركة، تشكل العمودين الساندين لمؤسسات

---

(١) انظر الصفحة ١١٥ والملحق رقم ٢.

نظمه العالمي المقبل. ويتحدث حضرة شوقي أفندي عن الأحكام مميزاً إيّاها عن مبادئ أمر الله، حيث يصرح بأن "كليهما يكوّنان اللحمة والسداة التي يقوم عليها في النهاية نظامه العالمي."(١٥)

في ضوء ذلك يمكننا أن نقيّم جسامة الدور الذي ستؤديه أحكام "الكتاب الأقدس" في حضارة العالم القادمة والتي يعتبر "الكتاب الأقدس" ميثاقاً ودستوراً لها. بشأن أحكامه وفرائضه، يصرح حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" بقوله الكريم:

"إن الذين أوتوا بصائر من الله يرون حدود الله السبب الأعظم لنظم العالم وحفظ الأمم والذي غفل إنه من همج رعاع."(١٦)

المكافأة والمجازاة

يصرح حضرة بهاءالله كذلك في "لوح مقصود" بأن:

"خباء نظم العالم يقوم ويرتفع على عمودين: المجازاة والمكافأة."(١٧)

وسوف ينطوي تطبيق حدود حضرة بهاءالله وأحكامه على كل من المكافأة والمجازاة. كما أنه أعطى بيت العدل الأعظم حق التشريع في مجالات تطبيق أحكامه، أو تقرير العقوبات المستحقة لارتكاب مخالفة أحكام أخرى لم تنزل من عنده. لمّا كان القانون والنظام هما أساس السلام والأمن في كل مجتمع متمدن فإن مخالفة هذه القوانين يجب أن تقابل بعقاب ما. وينطبق الحال نفسه بالنسبة لأحكام "الكتاب الأقدس". إن ما يضمن تأسيس جامعة عالمية في المستقبل حيث تتحقق فيه وحدة العالم الإنساني -أهم مبادئ حضرة بهاءالله الروحانية- تحققاً تاماً هو العدل. في حين ما يربط الأفراد ببعض هو المحبة والعطف والرفق، إلاّ أن ما يربط الأمم ببعض داخل عالم متحد روحياً هو العدل. وقد أعلن حضرة بهاءالله هذا المبدأ في كثير من كتاباته حيث: **"أحب الأشياء عندي الإنصاف"**(١٨) يعتبر تلخيصاً لهذا المبدأ العام. ودعماً لراية العدل، يضيف حضرة بهاءالله هذا التصريح الهام:

"للعدل جند وهي مجازاة الأعمال ومكافأتها بهما ارتفع خباء النظم في العالم..."(١٩)

في المجتمع الحاضر، يجري إنزال العقوبة بوجه عام بحق المخالفين للقانون لكن في كثير من بلدان العالم هناك اتجاه يميل للرحمة بهم وتخفيف العقاب بقدر الإمكان إلى أدنى حد. وهذا الاتجاه آخذ بالنماء بنسبة نمو الحركة الإنسانية. بل يكاد اليوم أن يكون هناك اعتقاد شائع، خطئاً، بألاّ يلام الجاني لوماً كلياً لما اقترفه وبأن معظم اللوم ينبغي أن يوجه إلى المجتمع. ويسند ذلك ادعاء بأن الجاني إنما هو ضحية ظروف لم يكن لديه إلاّ تحكم قليل بها. وعليه تميزت المدنية الحديثة بالأخذ بالرحمة والعفو بدل العدل والعقاب. فكانت نتيجة أخذ اتجاه اللين والشفقة من قبل محاكم القضاء، معززة بالنظريات الحديثة الرامية للعفو والتسامح، أن ارتفعت نسبة العنف في العالم لمستويات خطيرة.

تتخذ تعاليم حضرة بهاءالله موقفاً معاكساً لهذا. ولمّا كانت أحكام "الكتاب الأقدس" هي شريعة الله لهذا العصر، يجب إطاعتها دون تزويغ أو حلول وسطية. ففي هذا الكتاب يقرر حضرة بهاءالله بنحو قطعي بأن على أولئك الذين ينفذون القانون ألاّ يرحموا المجرم، ولا تأخذهم الشفقة به عند إنزال العقوبة بحقه، إذ لو فعلوا عكس ذلك لتداعت أسس العدل. وهناك اليوم كثير من المتنورين ممن لا يتفقون مع ما يدعو إليه حضرة بهاءالله. فهم ينشدون عقوبات مخففة مع مزيد من الشفقة والرأفة، بل حتى إن بعضهم ينادي ويؤيد التشبث بالتعليم والتثقيف عوضاً عن العقاب. يرجع هذا بصفة رئيسة إلى كون معظم الناس مهتمين بالحياة كما هي عليه في عالمنا الأرضي ونادراً ما يفكرون بحياة ما بعد الموت، بل إن كثيراً منهم لا يؤمنون بالآخرة. وبغية هؤلاء أن يكسبوا أكثر ما يمكن، ويخسروا أقل ما يمكن، ما داموا أحياء في هذه الدنيا.

إذاً على وجه العموم ليس هناك اهتمام كبير حول تبعات أعمال الإنسان وأثرها على تقدم روحه في العالم الآخر. بينما من صلب تعاليم العقيدة البهائية أن هذه الحياة ما هي إلاّ مرحلة زائلة في عمر الإنسان وحياته تعده وتهيئه

لحياة الخلد. وهذه الحياة الأرضية أشبه ما تكون بعالم الرحم الذي يتعين عليه أن يكتسب فيها الصفات الروحانية التي هي من المتطلبات الأساسية لوجوده في عوالم الله الروحانية.[١] لذا فإن هناك فرق هائل بين وجهة نظر الدين البهائي إلى الحياة وتلك التي يعتقد بها "الإنسانيون". في حين الأول يسعى لاستغلال كل فرص هذه الحياة في سبيل اكتساب مدخر مثمر غني في الآخرة، تبذّل الأخرى كل المساعي لأجل ازدهار حياة دنيوية. وهذا التضاد في النظرة يشكّل أساس تأكيد حضرة بهاءالله على العقاب خلافاً لما تدعو له النظرية الإنسانية من اللين والرحمة.

ولدى دراسة كتابات حضرة بهاءالله بعناية فإن المرء قد يصل إلى نتيجة مدهشة مفادها أن القصاص العادل عموماً، والقصاص الذي نزل في "الكتاب الأقدس" خصوصاً، إنما هي مظاهر رحمة الله للإنسان، وعلامة لعنايته وفضله عليه. وفي أحد ألواحه(٢٠) يكشف حضرة بهاءالله عن بعض أسرار هذه الحياة وما بعدها، ويصف كيف أن لكل شيء في هذا العالم الفاني نظائر في العالم الروحاني، وبأن أعمال الفرد في هذه الدنيا ستؤثر في وجوده بالآخرة. ولتمثيل مدى المنافع التي ستعود على روح الإنسان عند نيله العقاب في هذه الحياة جزاء لأعماله، يستعمل حضرة بهاءالله مثل الرجل الذي يسرق بذرة شجرة من شخص ما في موسم الربيع. فلو أعاد البذرة لصاحبها خلال موسم الربيع لما بقي في ذمته شيء نحوه ولن يكون مديناً له بعد ذلك. ولكن لو فاته إرجاعها في الربيع، فماذا سيكون دَينه في الصيف؟ سيكون مديناً له بشجرة مع أثمارها، إذ ليس هناك أية فائدة في إعادة البذرة في الصيف. وهكذا يوضح المثل أن لو دفع المرء جزاء أعماله بما يستحقه من عقاب وفق ما نزل في الكتابات المقدسة، فإن ذلك سيخفف كثيراً من وزره في الآخرة. وإلا فمن يدري أي ثمن باهظ ستدفع روحه إذا تجنب، بكيفية ما، المعاقبة وتلقّي القصاص في هذه الحياة.

(١) لمزيد من المعلومات عن الروح وتقدمها في العالم الآخر، انظر المجلد الأول، الصفحتين ٧٤-٧٥.

يبين حضرة بهاءالله في اللوح نفسه بأن الأعمال الطاهرة المقدسة ستتجلى في عوالم الله الروحية وتتخذ أشكالاً من المجد والسمو بحيث لو كشفها لقام كل ذي برّ وعمل كهذا بالإسراع في ترك هيكله البشري والصعود بتمام الفرح إلى تلك العوالم.

إن كل مؤمن بحضرة بهاءالله على أنه الناطق بلسان الله والجالس على عرش ولاية الله في الأرض، ونال حظاً من التعمق في فهم حقائق أمره الأساسية، ليقر في الآن بأن مراعاة أحكام حضرة بهاءالله والعمل بها إنما هي سبب هداية النفس وخلاصها. وفي "الكتاب الأقدس" يشهد حضرة بهاءالله ببيانه:

"لا تحسبن أنّا نزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار."(٢١)

ويضيف أيضاً في الكتاب نفسه:

"فانظروا في رحمة الله وألطافه إنه يأمركم بما ينفعكم بعد إذ كان غنياً عن العالمين. لن تضرنا سيئاتكم كما لا تنفعنا حسناتكم إنما ندعوكم لوجه الله يشهد بذلك كل عالم بصير."(٢٢)

رأي حضرة بهاءالله في الحرية

موضوع آخر في "الكتاب الأقدس" مما قد يسيء فهمه بعض الناس هو الحرية. فيما يلي كلمات حضرة بهاءالله بالموضوع في ذلك الكتاب:

"فانظروا في الناس وقلة عقولهم يطلبون ما يضرهم ويتركون ما ينفعهم ألا إنهم من الهائمين. إنّا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها أولئك في جهل مبين. إن الحرية تنتهي عواقبها إلى الفتنة التي لا تخمد نارها كذلك يخبركم المحصي العليم. فاعلموا أن مطالع الحرية ومظاهرها هي الحيوان وللإنسان ينبغي أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه

وضر الماكرين. إن الحرية تخرج الإنسان عن شئون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين. فانظروا الخلق كالأغنام لا بد لها من راع ليحفظها إن هذا لحق يقين. إنّا نصدقها في بعض المقامات دون الآخر إنّا كنا عالمين. قل الحرية في اتّباع أوامري لو أنتم من العارفين. لو اتّبع الناس ما نزّلناه لهم من سماء الوحي ليجدن أنفسهم في حرية بحتة طوبى لمن عرف مراد الله فيما نزل من سماء مشيته المهيمنة على العالمين. قل الحرية التي تنفعكم إنها العبودية لله الحق والذي وجد حلاوتها لا يبدلها بملكوت ملك السموات والأرضين."(٢٣)

يستنكر حضرة بهاءالله فكرة حرية الإنسان المطلقة. وفي الواقع ليس من مجتمع أو بلد متقدم في العالم تباح فيه حرية مطلقة. بل إن هناك في كل بلد متمدن حكم القانون بحيث لا يجوز للناس، وهم يمارسون حقهم بالحرية، أن يتعدوا حدود القانون الدستوري. ولو تُركوا يفعلون ما يشاءون لأدّى ذلك إلى الفوضى. وبكلمات حضرة بهاءالله فإن الأمر سيؤول "إلى الفتنة التي لا تخمد نارها". تتمتع كافة الأمم المحبة للحرية في العالم بحرّيتها ضمن حدود القانون وتقاليد أخرى موروثة عُرفاً مقبولاً من نمط حياتها. وهذه القوانين والأعراف، بما فيها الدين والثقافة، هي التي تضفي على كل أمة خاصية مميزة، وتوفر محيطاً يعيش فيه الناس ويمارسون حقوقهم المشروعة بحرية.

ويؤيد حضرة بهاءالله ذلك، ولكن على الإنسان أن يتبع تعاليم المظهر الإلهي لهذا العصر من أجل هدايته وتوجيهه في حياته. عندئذ يجد المرء مجالاً فسيحاً للعيش بحرية في حدود أحكامه وتعاليمه. ويمكن لمن لم يعتنق رسالة حضرة بهاءالله أن يجادل بالقول بأنه في حين أن البشرية بحاجة إلى الإرشاد عن طريق بعض القوانين والمبادئ إلاّ أن تبني تعاليم حضرة بهاءالله لتوجيه المجتمع سيشكل تجاوزاً على الحرية. مثل هذا الرأي يكون صحيحاً لو أن حضرة بهاءالله لم يكن المظهر الإلهي لهذا العصر. وإن كان كذلك، يتحتم على أحكامه وتعاليمه، إن عاجلاً أم آجلاً، أن تعتمدها البشرية وتطبقها، وبذلك ستهدي سكان الأرض لممارسة حريتهم في إطار النظم العالمي الذي جاء هو لتأسيسه. فالنقطة الأساسية

هنا إذاً تكمن في ضرورة تحري حقيقة ادعاءات حضرة بهاءالله. ومتى تيقن المرء من أحقية رسالته (الإلهية) فإنه سيدع تعاليم وأوامر حضرة بهاءالله تسيّر حياته. وعندئذ سيتمكن على هَدْي وتوجيه من مبادئ الأمر من أن يطوّر، بحرية كاملة، جميع إمكاناته وبلوغ الحرية الحقة.

عصمة المظهر الإلهي

يعلن حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" عقيدة العصمة الكبرى للمظاهر الإلهية، مُقرّاً بأن ليس لأحد سواهم نصيب في هذا المقام أو يمكنه بلوغه. وفي المجلد السابق كنا قد تحدثنا عن هذا الموضوع.[1] فهذه العصمة خاصية من الخصائص الذاتية للمظاهر الإلهية، كما أن النور والحرارة هما خاصيتان ذاتيتان للشمس. وهو يستمد قدراته من الله ويعلم كل شيء. وإن علمه لا يقتصر على الحاضر بل يمتد ليشمل الماضي والمستقبل. وكما سبق لنا ذكره،[2] فإن سبب اختفاء قوته خلف حجاب هيكله البشري هو أنه لو كشف علناً عن عظمته ومجده لأنظار عموم الناس، فإن كل العباد سوف يقرون ويؤمنون به آنياً. وبذلك يُسلبون من حرية إرادتهم واختيارهم ويصبحون مجرد دُمى بيد الله.

مع ذلك فإن حضرة بهاءالله قد كشف دوماً عن قدر من مجده المستتر وسلطانه لعدد من أتباعه الذين اعترفوا بعلو مقامه وكانوا بحاجة إلى مزيد من تثبيت الإيمان. وهناك العديد من القصص التي خلّفها المؤمنون الأوائل ممن حظوا بالشرف العظيم بالدخول في محضر حضرة بهاءالله، يروون فيها كيف شهدوا علامات واسع علمه المحيط ينجلي أمام بصائرهم وفقاً لاستعدادهم. وقد جاءت الوقائع التي حدثت في كل حالة بشكل صاعق لهم بهرت عقولهم وأبصارهم بآثار عظمته ومجده. وفي كل مرة أظهر فيها قدراً من قدرته الإلهية، فإن المؤمن المعني يبلغ أوج درجات الإيمان وينشرح صدره بذروة الإيقان. وعند بلوغه هذه

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٢٥٦.

(٢) انظر الصفحة ٢.

الدرجة أو المرحلة فإن المؤمن هذا لا يعود شخصاً عادياً بعدها. فإنه يتحول إلى عملاق روحاني، وجبل راسخ وخلق جديد يمتلك كل القوى المودعة في هذا الكون، وبطل يدخل، رغم شراسة الأعداء، إلى ميادين خدمة أمر حضرة بهاءالله، معتبراً هذه الحياة مرحلة من الوجود لا قيمة لها ويشتاق إلى تقديم حياته فداء في سبيل محبوبه.

إن كثيراً من المؤمنين الذين فازوا بمحضر حضرة بهاءالله قد شهدوا بعلمه المحيط بكل شيء وتركوا للأجيال روايات عن بعض تجاربهم. ومثالاً على ذلك نذكر ما يلي:

يذكر الحاج محمد طاهر المالميري، الذي تشرّف بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء، في مذكراته ما يلي:

دأبت كلما دخلت إلى محضر الجمال المبارك أن أنقل إليه ما كان لديّ من أسئلة واستفسارات عن طريق القلب وهو يجيب عنها باستمرار. وتعليل ذلك هو أن اللسان لم يجرؤ على النطق بمحضره بكلمة واحدة. فكنت أجلس في محضره مسحوراً ناسياً نفسي ووجودي. وأحد الأسئلة التي كنت أعتزم طرحها كان يختص مقام الأئمة الأطهار.[1] وكنت أريد أن أعرف هل كانوا جميعاً في مقام واحد أو، كما كان اعتقادي، فإن بعضهم أعلى مقاماً. بقيت طيلة ستة أشهر أحاول أن أسأل عن ذلك، ولكنني في كل مرة أجد نفسي في محضره كان يغيب عن خاطري هذا السؤال تماماً. ذات يوم وبينما كنت قاصداً القصر (البهجة) للتشرف بمحضره، كررت مع نفسي طوال الطريق ضرورة أن أتذكر هذا السؤال وأن أرفعه بسرّي إلى حضرة بهاءالله. حتى وأنا أصعد الدرج في القصر كنت ما أزال أذكره. فجأة سمعت صوت حضرة بهاءالله يحييني بكلمة 'مرحباً'. نظرت إلى الأعلى فوجدته واقفاً أعلى الدرج.

(١) حسب المعتقد البهائي، فإن علي ابن أبي طالب، صهر الرسول محمد هو الخليفة الشرعي لمحمد والإمام الأول. وقد خلفه عشرة من ذريته يعرفون بالأئمة الأطهار. ويعتقد الشيعة بأن القائم هو رجعة الإمام الثاني عشر.

عندئذ نسيت كل شيء! دخل إلى غرفته ودعاني للدخول وطلب إليّ أن أجلس. جلست عند الباب. بعد ذلك راح يخطو داخل الغرفة جيئة وذهاباً وهو ينزل لوحاً[1] باسمي. كان اللوح بالفارسية وفي وسطه تفضل قائلاً: 'كل الأئمة جاءوا من عند الله، وتكلموا عن الله ورجعوا إليه.'[2] كان ذلك جوابه عن سؤالي وأدركت بأن مقامهم واحد.(٢٤)

وفي مناسبة أخرى يكتب الحاج محمد طاهر:

طالما تمنيت في باطني وتوسلت بالجمال المبارك أن يمكنني من التضحية بحياتي والاستشهاد في سبيله. وفي كل مرة ألتفت نحوه بهذه الأمنية في سريّ كان يبتسم ويبدي علامات رضائه ومظاهر عنايته... إلى أن حدث يوماً بينما كانت تدور في ذهني هذه الأفكار، التفت إليّ وقال: "عليك أن تعيش لتخدم الأمر..."(٢٥)

مؤمن آخر فاز بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء هو آقا رضا سعادتي، من مواطني يزد. كان في شبابه من المسلمين الورعين وتميز بحبه الشديد لله ولرسوله محمد ﷺ. لكنه لم يكن راضياً عن شكليات الدين، وكانت أسمى آماله أن يلاقي الإمام الحسين، أحد خلفاء النبي اللامعين، وجهاً لوجه. وحرّكته قوة خفية إلى حد فقد آقا رضا توازن عقله لفترة وتحيّر والداه في محاولتهم معرفة السبب. استمر ذلك حتى تصادف أن التقى يوماً بأحد أتباع حضرة بهاءالله وسمع منه بأن الله قد أظهر نفسه، وبأن حضرة بهاءالله هو رجعة الإمام الحسين[3] وأن بإمكانه الذهاب للفوز بمحضره في عكاء. بعد ذلك وبمساعدة بعض المؤمنين ومن خلال قراءته "كتاب الإيقان" اعترف آقا رضا بأحقية الأمر. إلاّ أنه لم يستطع أن يفصح عن إيمانه لوالديه. وفي مذكراته يكتب الآتي:

---

(١) لم يدون هذا اللوح ولذا لا توجد نسخة عنه.

(٢) ليس هذا نص كلمات حضرة بهاءالله.

(٣) يتوقع الشيعة ظهور القائم ويتبعه رجعة الإمام الحسين. واسم حضرة بهاءالله هو حسين علي.

لقد عرّفني البهائيون على أحدهم وهو المعروف بالأستاذ كاظم الذي كان بنّاءً ذا صيت واسع. كان هذا يتلو عليّ "كتاب الإيقان"... ومن خلال دراسة هذا الكتاب بلغت مقام الإيقان والاطمينان وفاضت جوارحي بالفرح والاهتياج. كنت أحياناً أغادر بيتي بحجة التوجه لجلب الماء[١]... فأخرج حاملاً قربة الماء ولكن بدل الذهاب أولاً إلى الخزان العام، الذي كان يبعد حوالي أربعة كيلومترات كنت أقصد منزل الأستاذ كاظم جرياً طول المسافة، حيث أقرأ هناك بعض فقرات من "كتاب الإيقان" ثم أذهب بعد ذلك لجلب الماء للمنزل.(٢٦)

غادر آقا رضا أخيراً يزد متوجهاً إلى عشق آباد حيث حصل هناك على إذن للزيارة في عكاء حيث تشرف بمحضر حضرة بهاءالله. ويذكر ما يلي في مذكراته:

في كل مرة فزت بمحضره المبارك كنت أجد أبواب فضله ووحيه مفتوحة أمام عيني. وكل واحد منها كان برهاناً هائلاً وهدية نفيسة. وكل ما شهدته من خوارق الطبيعة والابتهاج العظيم الذي كان يغمرني في محضره، لا يمكن وصفه أو تدوينه... وفي ملتقى الأحباء لو حوّل الجمال المبارك وجهه صوب أحدهم، فإن الأخير لن يقدر أن ينظر إلى محياه ويرى سطوع أنوار شمس الحقيقة. لذا فإن حضرة بهاءالله اعتاد توجيه نظره شطر اليمين أثناء كلامه ليتمكن الأحباء من النظر إلى وجهه المبارك. وإذا حوّل وجهه نحوهم، فإنه يغمض عينيه ويستمر بحديثه...

دخلت ذات مرة إلى محضره حينما كان يرتل لوح زيارة الإمام الحسين.[٢] في بعض الأحيان كان يتوقف خلال الترتيل ويعلّق ببعض الكلمات، أو يستقبل من يفد عليه من الأحباء. أخيراً بلغ عدد الحاضرين قرابة خمسة

(١) اعتاد الناس في يزد على حمل مياه الشرب من خزان عام إلى منازلهم. وكان لكل منطقة في المدينة خزان عام.

(٢) أنزل حضرة بهاءالله لوح زيارة للإمام الحسين مؤثراً جداً.

وأربعين. عندئذ رحت أفكر بالأحباء في عشق آباد... إذ عزمت على انتهاز الفرصة الفريدة هذه لأذكرهم في محضره وبذلك أكرس حجيّ نيابة عنهم. فتذكرت ميرزا أبو الفضل وخمسة آخرين... وحالما بدأت أتذكرهم، استدار حضرته بوجهه نحوي وابتسم. بعدها ذكر اسم أبو الفضل وأولئك الخمسة ثم قال لي: "إن تذكرك لهؤلاء وحجّك بالنيابة عنهم قد قبلناه، قد قبلناه"، مكرراً العبارة مرتين. وبذلك كشف كل ما جال بسرّي.

لقد أذهلني ذلك الكشف بحيث غشى بصري وأشرفت على الغيبوبة والانهيار. وحالما رآني حضرته بهذه الحال أمر خادمه[1] بأن يأتي بشيء من الحلوى. فأحضر طبقاً منها ووضعه أمام حضرة بهاءالله الذي قدّم لكل واحد من الحاضرين قطعة. لكنه أعطاني قطعتين. بعد ذلك أذن للجميع بالانصراف إلاّ أنني عند الخروج كنت في حالة إعياء وصعقة نتيجة تلك التجربة لدرجة أني لم أسيطر على حواسي وقواي فانهارت أركاني وسقطت عند منتصف السلالم...(٢٧)

في رواية أخرى من السيد مهدي الگلپايگاني، من المؤمنين البارزين وابن أخت ميرزا أبو الفضل، تنكشف الحقيقة نفسها ألا وهي أن حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، كان عالماً بالغيب والشهادة. وطالما حكى الراوي قصته هذه إلى المؤمنين بعشق آباد:

من الذين آمنوا بالدين البهائي في إصفهان رجل ذو نفوذ معروف ولكنه لم يحيا حياة صالحة. سافر إلى عكاء وحصل على الإذن بزيارة حضرة بهاءالله وفيما يلي قصته: 'في أول يوم من تشرفي بمحضر الجمال المبارك كنت ضمن جماعة من المؤمنين الحجاج واقفين بمحضره بينما كان هو يلقي علينا كلمات النصح والتشجيع ماشياً جيئة وذهاباً. وقد سُحرت لدى رؤيتي جلال وهيبة مظهره. فقلت لنفسي: نعم إني أعترف بأن الكمال المبارك هو المظهر

(١) كان ميرزا آقا جان، كاتب وحي حضرة بهاءالله يقوم أيضاً بخدمة حضرته. وكان حضرته غالباً ما يناديه بـ"العبد الحاضر".

الكلي الإلهي وموعود كل الأزمنة. لكن الذي لم أفهمه ولا أستطيع إدراكه هو ما ورد في كتاباته حين يقول بأنه مرسل الرسل ومنزل الكتب السماوية. وحالما خطر ذلك ببالي، تقدم الجمال المبارك صوبي ووضع يده على كتفي قائلاً بلهجة جليلة: ''نعم، إنّا من أرسل الرسل وأنزل كتب الله.''[١]حينئذ صُعقت.'(٢٨)

في المجلدات السابقة قلنا الكثير بشأن مقام حضرة بهاءالله السامي.[٢] وفي "الكتاب الأقدس" عدة مواضع في هذا الشأن. ومن ذلك قوله بأن لفظة "نبي"[٣] أو "رسول" لا ينبغي استعمالها بحق مقامه. فهو المظهر الكلي الإلهي الذي بظهوره تحققت نبوءات القبل وأشرق يوم الله. وفيما يلي كلمات حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس":

"هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور. قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادي من الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور. هذا يوم فيه سرع كوم الله شوقاً للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب."(٢٩)

تشير كلمتا "**الكليم**" و"**الروح**" الواردتان في المقتبس أعلاه تشيران إلى كل من موسى وعيسى، عليهما السلام، على التوالي.

كذلك يستشهد حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" في عدة مواضع بمقتطفات من آثار حضرة الباب تأكيداً على الطبيعة السامية العليا لظهوره. ويشير

(١) لا يعتبر هذا نص كلمات حضرة بهاءالله.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحات ٣٢٠-٣٢٩؛ والمجلد الثاني، الصفحات ٧٤-٨٢، ١٨٢، ٢١١.

(٣) كانت إحدى مهمات المظهر الإلهي في السابق التنبؤ بمجيء يوم الله. وكان آخر من فعل ذلك هو النبي محمد ﷺ، المعروف بخاتم الأنبياء. انظر أيضاً المجلد الأول، الصفحة ٦٩.

إلى بعض الفقرات التي تبين كيف أن أمر "من يظهره الله"[1] سيرتفع قبل أمره (أي حضرة الباب) وفقاً لما صرّح حضرة الباب وتنبأ به في هذا الشأن. كما يوضح حضرة بهاءالله في هذا الكتاب إحدى الفقرات من آثار حضرة الباب كانت موضع سوء فهم بين أهل البيان ممن أعرضوا عن حضرة بهاءالله.

في أحد ألواحه(٣٠) يصرح حضرة الباب، مخاطباً "من يظهره الله": ‘عسى أن تنور لحظات من يظهره الله هذا الحرف في المدرسة الابتدائية.‘

وقد جادل بعض البابيين بقولهم إنه لمّا كان المفروض باللوح المذكور أن يسلم إلى "من يظهره الله" في المدرسة الابتدائية، فلا بد أنه يكون طفلاً حين استلامه اللوح. ولكن، يمضون في جدلهم، بما أن حضرة بهاءالله كان أكبر سناً من حضرة الباب، إذاً لا يمكنه أن يكون الشخص المعني بنبوءة حضرة الباب. ويبين حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه(٣١)، تفسيراً لهذه المسألة، بأن المدرسة المشار إليها ليست مدرسة بالمعنى المادي المعروف. لأن مدرسة "من يظهره الله" ليست المدرسة التي يتعلم فيها الصبيان الأميون. بل هي مدرسة روحانية ومقدسة عن إدراك من في الإمكان. ويقرر حضرة بهاءالله بأنه قد سبق له أن رأى هذا اللوح، هذه الهدية من حضرة الباب، حين دخوله مكتب الله بل وإنه قرأه قبل نزوله في ذلك المكتب الذي هو منزه عن عرفان البشر.

وهذا ما أنزله حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" بشأن لوح حضرة الباب والمكتب المذكورين أعلاه:

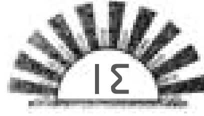
"يا قلم الأعلى تحرك على اللوح بإذن ربك فاطر السماء ثم اذكر إذ أراد مطلع التوحيد مكتب التجريد لعل الأحرار يطلعن على قدر سم الإبرة بما هو خلف الأستار من أسرار ربك العزيز العلام. قل إنّا دخلنا مكتب المعاني والتبيان حين غفلة من في الإمكان وشاهدنا ما أنزله الرحمن وقبلنا ما أهداه لي من آيات الله المهيمن القيوم. وسمعنا ما شهد به في اللوح إنّا كنا

(١) حضرة بهاءالله. انظر المجلد الأول، الفصل ١٨.

شاهدين. وأجبناه بأمر من عندنا إنّا كنا آمرين. يا ملأ البيان إنّا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون. ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون. تالله الحق قد قرئناه قبل نزوله وأنتم غافلون. قد أحطنا الكتاب إذ كنتم في الأصلاب هذا ذكري على قدركم لا على قدر الله يشهد بذلك ما في علم الله لو أنتم تعرفون. ويشهد بذلك لسان الله لو أنتم تفقهون. تالله لو نكشف الحجاب أنتم تنصعقون. إيّاكم أن تجادلوا في الله وأمره إنه ظهر على شأن أحاط ما كان وما يكون. لو نتكلم في هذا المقام بلسان أهل الملكوت لنقول قد خلق الله ذلك المكتب قبل خلق السموات والأرض ودخلنا فيه قبل أن يقترن الكاف بركنها النون[١]."(٣٢)

من الجدير بالملاحظة أنه عندما كان حضرة بهاءالله مقيماً في العراق، زار يوماً مدرسة وأثناء ذلك جاءه حضرة عبدالبهاء وسلّمه لوح حضرة الباب المذكور. ويشرح حضرة عبدالبهاء بأن ذلك لم يكن إلاّ مجرد صدفة.

(١) للتعرف على أهمية الحرفين "ك" و"ن"، انظر المجلد الأول، الصفحة ٣١. (أ. ط.)



"الكتاب الأقدس" -٢- نظم عالمي جديد

يشير حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" إلى نظم عالمي جديد وهذا يمكن اعتباره إحدى ثمرات ظهوره. وقد سبق أن أشار حضرة الباب في كتاب "البيان الفارسي" إلى ذلك بقوله: **"طوبى لمن ينظر إلى نظم بهاءالله ويشكر ربه. فإنه يظهر ولا مرد له..."** وفيما يلي كلمات حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس":

"قد اضطرب النظم من هذا النظم الأعظم واختلف الترتيب بهذا البديع الذي ما شهدت عين الإبداع شبهه."(١)

كان من الصعب رؤية انقلاب حياة البشر عام ١٨٧٣م حينما أنزل حضرة بهاءالله هذه الكلمات. لكن اليوم، بعد أكثر من قرن، يتضح جلياً بأن حياة البشر كما كانت مستقرة عليه قد تعرضت فعلاً للتغيير والاختلاف والانقلاب. ويكتب حضرة شوقي أفندي محللاً انحطاط مقدرات البشرية:

ودلائل الانحلال المتجمعة، وعلامات العذاب والإفلاس التي تُرى حيثما اتجه البصر قد جعلت ذوي العقول من الرجال والنساء يرتابون في كل خطوة من خطوات الحياة على وجه التقريب ما إذا كانت الهيئة الإنسانية في نظامها الحالي تستطيع بجهودها المفككة تخليص نفسها من لُجّة هذه المآسي التي تغمرها بازدياد. فكل نظام افتقد توحيد البشر قد جرّب وجرّب ووجد ناقصاً، واشتعلت الحروب واحدة تلو الأخرى، وانعقدت مؤتمرات لا حصر لها، واستنفدت الجهود في صوغ المعاهدات والضمانات وأحكام المواثيق وتنقيحها، وجربت قواعد الحكم بكل جلد وتناولتها أيادي الإصلاح

والتعديل، ووضعت مشاريع التطوير الاقتصادي بكل عناية ونفذت بغاية الدقة، مع ذلك والأزمة تعقبها أزمة، بما يضاعف سرعة تدهور عالم غير مستقر، ويعجل الأخطار المحدقة والهوة السحيقة الفاغرة، الأمر الذي ينذر بحلول نكبة عامة تنزل بالعالم على السواء لا فرق بين شعوب راضية وأخرى متذمرة، بين ديموقراطيات وديكتاتوريات، بين أصحاب رؤوس أموال وعمال، بين أوروپيين وآسيويين، بين يهود وغير يهود، بين بيض وسود، وكما يراه المحقق قد تخلت العناية الغاضبة عن كوكب سيار وتركته إلى مصيره المشئوم حيث ينزل به القضاء المحتوم. فالإنسانية الدامية الضالة قد فقدت بغير شك توازنها كما تبدو أنها فقدت إيمانها ورجاءها وهي تترنح بغير رادع ولا تبصرة على حافة القضاء الذي يوشك أن يحل بها، يخيم على حظها أطباق من الظلمات كلما اجتازت المعابر الأمامية في طريقها إلى أظلم منطقة في حياتها المضطربة.(٢)

إن الغمّة والظلمة التي وصفها حضرة شوقي أفندي قبل حوالي خمسين سنة قد تفاقمتا أكثر، واليوم يتحرك العالم في خطر وبسرعة مخيفة نحو حافة كارثة. ولكن وا أسفاه، فالبشرية عامة، بمن في ذلك رؤساؤها وعقلاؤها وفقهاؤها وفلاسفتها، لم يكتشفوا حتى الآن ما هو وراء انقلاب حياة الإنسان على هذا الكوكب. يصف حضرة بهاءالله سبب هذا الانقلاب بهذه الكلمات:

"في هذا العصر تتموج شعوب الأرض بحياة جديدة ولكن لم يكتشف أحد علتها ولم يدرك قوتها."(٣)

ولأجل تقييم السبب وراء فوضى هذا العصر وتفكك النظم القديم واختلال توازن العالم، ليس لنا أفضل من النظر إلى الطبيعة والتعلم من قوانينها. لأنه كما سبق أن بيّنا فإن قوانين الطبيعة والدين متماثلة وتتصل ببعضها بشكل وثيق. إذ كل ما يحدث في الطبيعة له انعكاس ونظير في عالم الروحانيات.

لنتفحص، مثلاً، مبدأ خلق حياة جديدة ونمو الجنين. ولنبدأ بدراسة أحوال البيضة قبل وبعد تلقيحها. فقبل خلق حياة جديدة فيها نجد البيضة في حالها

الاعتيادي وهي تحتوي على غذاء طيب. لكن حالما تبدأ فيها حياة جديدة وتنمو بداخلها، نجد أن تغييراً جذرياً يحدث في وضعها الداخلي. فيفسد ما بداخلها من غذاء ويتعفن. لكن مع ذلك يستمر المخلوق الجديد يعيش وسط هذا العفن ويتغذى منه. في البداية لا يظهر هذا التغيير بوضوح. لكن مع نمو الجنين الحيّ يتحول وضع البيضة الداخلي ويصبح أقل استقراراً. بعد ذلك يأتي وقت تفقد فيه سلامة هيكلها. وأخيراً تنفلق ويفقس عنها المخلوق الصغير تاركاً البيضة بهيئة قشر متكسر.

وعين هذا هو ما يحدث اليوم للبشرية. فطيلة آلاف من السنين كان تقدم الإنسانية بطيئاً ومحدوداً، ولم يحدث في حياة الأمم إلاّ تغيير ضئيل. بل قد يرى المرء أن البشرية، قبل مجيء حضرة بهاءالله، قد عاشت بسلام وسكينة بالمقارنة مع ما وقع لها فيما بعد.

إلاّ أنه منذ أزيد من مائة سنة حينما أعلن حضرة بهاءالله دعوته، أوجد خلقاً جديداً في المجتمع الإنساني. منذ ذلك الوقت بدأت حياة جديدة لم يبقَ العالم بعدها على ما كان عليه. فقد انقلب وتبدّل بمجيء حضرة بهاءالله، وباستمرار عملية نمو وتطور مؤسسات دينه الوليدة التي أتت إلى الوجود، كذلك تسير عملية اضمحلال النظم القديم وانقراضه. والجامعة العالمية الجديدة ما فتئت تنمو داخل رحم العالم القديم. وكلما تنامت وازدادت حيوية، كلما هبط المجتمع الإنساني إلى أدنى دركات الظلمة والفساد. وسوف يتدنى حالها أكثر حتى يصل إلى حال، كما تنبأ حضرة بهاءالله قبل أزيد من مائة عام، يتحلل فيه ويتفكك شأنه شأن البيضة في المثل أعلاه. فيما يلي بعض من بيانات حضرة بهاءالله التي كتبت منذ تلك السنين الماضية، ويصف فيها بعبارات جلية ما لا بد أن تعانيه البشرية من ويلات وعذاب خلال تفكك النظم القديم:

"إن العالم متقلب ويزداد تقلبه **يوماً فيوماً** ويتوجه بوجهه إلى الغفلة والإلحاد، وهذا الأمر سيزداد شدة بحيث لا يقتضي ذكره. ويستمر الحال على هذا النهج لأيام طويلة. **وإذا تم الميقات يظهر بغتة ما يرتعد به فرائص العالم إذاً ترتفع الأعلام وتغرد العنادل على الأفنان..."**(٤)

وفي موضع آخر من كتابات حضرة بهاءالله يتفضل حضرته قائلاً:

"عمّا قريب سوف تتغير كل حكومات الأرض ويعمّ الظلم العالم وبعد الشدة العامة تشرق شمس العدل من أفق ملكوت الغيب."**(٥)**

وبالكلمات التالية يصف حضرة شوقي أفندي ولادة مؤسسات أمر الله ونموها داخل رحم المجتمع الإنساني:

وبقدر جلال العصر الذي شهد إشراق الرسالة التي جاء بها بهاءالله بقدر ما يحيط بالفترة التي تنقضي قبل أن يجني ثمار هذا النصر من ظلمات أخلاقية واجتماعية غاية في السواد كما يشاهد بازدياد. وهذه الظلمات الحالكة هي وحدها التي تهيئ إنسانية متعنتة لمكافأة قدر لها أن ترثها –من بعد عذاب شديد– وها نحن بينما نسير نحو تلك الفترة سيراً حثيثاً، وسط السحب التي يزداد تجمعها من حولنا، نشاهد عن بعد ومضات من أنوار سلطنة بهاءالله الخاطفة تلمع في أفق التاريخ...

وبقدر ما يحيط بالعالم اليوم من ظلمات حالكة فإن المصائب والبلايا التي لا بد يجتازها ما تزال بعد في دور التكوين بل لا يمكن تصور ظلمتها وسوادها. إننا نقف على عتبة عهد تنادي حالته المتوترة بما يقاسيه من نضال مزدوج ما بين موت نظام قديم وولادة آخر جديد، وهذا النظام العالمي الجديد يمكن أن يقال عنه أن فكرته اتصلت بالأفئدة والقلوب وذلك بتأثير نفوذ الدين الذي أعلنه بهاءالله، ونستطيع في هذه اللحظة أن نحس بالنضال القائم بين أحشاء عصر متمخض، عصر يفيض منه الدمع وهو يتطلع إلى الساعة المعينة التي فيها يلفظ حمله ويؤتي أصفى ثماره. وإلى هذا يتفضل بهاءالله بقوله الأقدس: "إن الأرض اليوم في حالة المخاض ولسوف يأتي يوم فيه تحمل أعظم الفواكه ومنها ترتفع الأشجار العالية وتخرج الأزهار المفرحة والبركات السماوية. **تعالت نسمة قميص ربك السبحان قد مرّت وأحيت طوبى للعارفين.**"

ويتفضل عبدالبهاء بقوله الأحلى: "عندما ارتفع نداء الله نفخ حياة جديدة في جسد العالم وروحاً جديداً في سائر المخلوقات ولهذا السبب تموج العالم وتحركت القلوب والأفهام وعن قريب تنكشف آثار هذا التجديد ويستيقظ كل غافل."(٦)

ولو أن المستقبل القريب محفوف بظلمة قاتمة وخطيرة، لكن النتيجة النهائية -ظهور جامعة الاسم الأعظم- مجيدة حقاً. إن أغلب سكان الأرض في الوقت الحاضر إما يجهلون وجود مؤسسات أمر الله الوليدة، أو لا يمكنهم تقييم الإمكانات الهائلة الكامنة في هذه المؤسسات. فهم لا يستطيعون أن يفهموا تماماً الهدف والدور المقدر لهم أن يقوموا به، عند تمام الوقت، حينما يتحملون نصيبهم الكامل في القيام بإدارة شؤون البشر.

إن سبب هذا الجهل مرجعه هو ولو أن دين حضرة بهاءالله يجري إعلانه بنحو متزايد إلى عموم البشر، لكن مؤسسات أمر الله لم تتطور بعد إلى المستوى الذي يلفت انتباه الناس. ففي الفقرة السابقة المقتبسة في الصفحة ٣١٨، يتنبأ حضرة بهاءالله بأن علو أمره سيقع فقط في أعقاب المصائب والنكبات التي تكون البشرية قد مرّت بها وعانتها. يصرّح حضرته:

"وإذا تم الميقات يظهر بغتة ما يرتعد به فرائص العالم إذاً ترتفع الأعلام وتغرد العنادل على الأفنان."

إن هذه النبوءة لم تتحقق بعد. وبتعبير المثل آنف الذكر، فإن البيضة لم تفقس بعد وتخرج ما بداخلها. فالنظم القديم ما يزال يتلوى على فراش الموت ولم تحن بعد ساعة مولد النظم الجديد.

إن موقف الجامعة البهائية اليوم يشبه موقف بستاني يدعي بأنه صاحب أجمل حديقة ملأى بالورود والأشجار. في حين لا يجد من يدخل فيها من الزوار أو المستطلعين أي أثر من خضرة أو نبات مزهر. وكل ما بإمكان البستاني عمله هو أن يشير إلى البذور التي زرعها مبيّناً كيف أن حديقته لا محالة ستزهر عند تمام الوقت.

وعلى هذا القياس فإن الناس في العالم سوف ينتبهون فقط حينما يجدون أن نظم حضرة بهاءالله، المتمثل في مؤسسات دينه الناشئة، قد ولد وبإمكانهم، أي شعوب العالم، أن يتحسسوا كيانها الظاهر أمامهم، ثم يبدءوا استيعاب ما يكمن فيها من قدرات وإمكانات. ولكن انبثاق هذه المؤسسات، وهي عملية تتصل اتصالاً وثيقاً بطيّ النظم القديم وزواله، ما هو إلاّ البداية ويجب ألاّ يختلط بالذهن مع غرة أيام دورة حضرة بهاءالله الآتية في المستقبل البعيد عندما يتأسس نظم حضرة بهاءالله العالمي في أرجاء هذا الكوكب، ويمكن تشبيه انبثاق مؤسسات الأمر حديثة الشأن بولادة الطفل. فالطفل حديث المولد لا يستطيع لفترة استعمال أركانه وأعضائه بنحو فاعل. ويجب أن تمضي فترة طويلة قبل أن يصل مرحلة البلوغ. إن خروج الجامعة البهائية من مرحلة المجهولية وتطور مؤسساتها يختلفان عن انبثاق نظم حضرة بهاءالله العالمي في المستقبل البعيد.

في الحقيقة إن طيّ النظم الحالي وارتعاد الفرائص، وفق تصريح حضرة بهاءالله، سوف يمهد السبيل من ناحية لتأسيس الصلح الأصغر،[1] ومن ناحية أخرى سيشهد تطور المؤسسات البهائية المركزية والمحلية ونضجها.

إن ما سيسبغه الصلح الأصغر من بركات على البشرية سيمكنها من وضع هيكل سياسي جديد يجنّبها ويلات الحروب ولعنتها. إن تعاليم حضرة بهاءالله ومبادءه الاجتماعية والإنسانية والتي صارت الآن من مكونات روح العصر مما يؤمن به الأناس المتنورون في العالم سوف تدمج بهذا الكيان السياسي. ودون وعي منها بمنشأ ومصدر هذه التعاليم الاجتماعية، ستعمل الإنسانية على تبنيها بنحو متزايد في كافة مناحي حياتها. ومن بين ما تتضمنه هذه المبادئ تأسيس نظام فدرالي عالمي، واتحاد دولي عالمي -كومونولث- وهيئة تشريع عالمية، وحكومة عالمية تدعمها قوة دولية، ولغة عالمية، ومؤسسات أخرى كما أعلن حضرة بهاءالله في تعاليمه. وستتغلغل الطاقات التي انطلقت بظهور حضرة بهاءالله قبل أكثر من مائة عام، بدرجة آخذة بالتزايد، في كيان المجتمع الإنساني بحيث

---

(١) انظر الصفحة ١٣٤.

لا تدع خياراً أمام البشرية سوى تبنّي مثل هذه التعاليم: مساواة الجنسين، التعليم الإلزامي، إزالة الفرق الشاسع فيما بين الغنى والفقر، وما شابه ذلك في جميع مؤسساتها. يتجلى هذا بوضوح الآن من خلال تطبيق المبادئ البهائية ضمن عدة حركات تقدمية في العالم.

إن هذا الشكل الجديد من الحكم يجب أن ينبثق عن حطام النظم السائد المتداعي، ليحكم البشرية حتى يحين وقت بلوغ مؤسسات دين حضرة بهاءالله الوليدة مرحلة النضج. حينذاك سوف يتأسس النظم البهائي العالمي بكامل عظمته وتتحقق رؤيا حضرة شوقي أفندي الموغلة في أفق المستقبل البعيد.

فيما يخص هذا الاتحاد الدولي -الكومونولث- المقدر انبثاقه، إن عاجلاً أم آجلاً، في أعقاب مذابح وكروب وفوضى هذا الانقلاب العالمي العظيم، وما يخص طبيعته العامة ومضامينه وخواصه، فقد سبق أن أشرت لها في مراسلاتي السابقة. لذا يكفي القول بأن التحقق النهائي هذا -لوحدة العالم الإنساني- سيكون بطبيعته، عملية تدريجية ويجب، كما توقعها حضرة بهاءالله نفسه، أن تتمخض أولاً عن تأسيس ذلك الصلح الأصغر الذي ستقوم أمم الأرض، وهي حتى الآن غافلة عن دعوته لكنها مع ذلك ماضية تلقائياً بوضع مبادئه -أي مبادئ حضرة بهاءالله- العامة التي أتى بها موضع التنفيذ، ستقوم هذه الأمم بتأسيسه. إن هذه الخطوة التاريخية الهائلة، التي ستعني إعادة بناء معنوي للبشرية، سيتولد عنها، في أعقاب وكنتيجة اعترافها العالمي بوحدتها وكليّتها، ارتفاع وانتشار وعي الجماهير الروحاني والذي سيعقب بدوره اعترافها بطبيعة ادعاءات دين حضرة بهاءالله والإقرار بها - وهذه من الشروط الأساسية لذلك الالتحام النهائي لكافة أجناس البشر، ومذاهبهم وطبقاتهم وأممهم والذي لا بد منه قبل الإعلان عن انبثاق نظمه العالمي الجديد.

عندئذ يحق الإعلان عن بلوغ الجنس أو النوع الإنساني برمته مرحلة الرشد والنضج ويحق لكافة سكان وأمم الأرض الاحتفال بذلك. وحينذاك سترفع راية الصلح الأكبر. وحينئذ سيُعترف بسلطنة مؤسس ملكوت الأب

السماوي، الذي تنبأ عنه ودعا إليه الابن (عيسى المسيح)، كما تنبأ من سبقه من الأنبياء، ومن أتى بعده ويهلل بها وتتأسس تأسيساً راسخاً. ثم يلي ذلك ولادة حضارة عالمية وازدهارها ودوامها، حضارة عامرة بحيوية لم يشاهد العالم ولا يمكن حتى تصور مثيلها. وعند ذاك سيتحقق الميثاق الأبدي -عهد وميثاق الباري عزّ وجلّ لخلقه- بتماميته. وحينئذ سيجد الوعد الذي انطوت عليه كافة كتب الله المنزلة بِرّه ومصداقيته، وتتحقق كافة ما نطق به الأنبياء الأقدمون من نبوءات، وما ترنم به وحلم الأولياء والشعراء. وعندئذ نجد كوكبنا الأرضي، وقد انبعثت في أوصاله ذبذبة الحياة والحركة بدافع إيمان سكانه بإله واحد، وولائهم لشريعة إلهية واحدة، نجده يعكس، في حدود ما قدر له من إمكانات، سناء وأمجاد سلطنة حضرة بهاءالله، متلألئة في كمال جلالها في جنة الأبهى، حيث جُعلت موطئ قدمَيْ عرشه السماوي، ويهتف لها إذ صارت سماءً أرضية قادرة على تحقيق ما قُدر لها من غاية ومصير أبدي من قديم الأزل من قِبَل محبة وحكمة خالقها.(٧)

النظم الإداري البهائي

إن كلاً من بيوت العدل المحلية والعالمية، وهما المؤسستان الأساسيتان لأمر الله، قد سنّ تشكيلها حضرة بهاءالله. وفيما يلي نص "الكتاب الأقدس" بخصوص مؤسسة بيت العدل المحلي:

"قد كتب الله على كل مدينة أن يجعلوا فيها بيت العدل ويجتمع فيه النفوس على عدد البهاء[١] وإن ازداد لا بأس ويرون كأنهم يدخلون محضر الله العلي الأعلى ويرون من لا يُرى وينبغي لهم أن يكونوا أمناء الرحمن بين الإمكان ووكلاء الله لمن على الأرض كلها ويشاوروا في مصالح العباد لوجه الله كما يشاورون في أمورهم ويختاروا ما هو المختار كذلك حكم ربكم العزيز الغفار. إيّاكم أن تدعوا ما هو المنصوص في اللوح اتقوا الله يا أولي الأنظار."(٨)

(١) القيمة العددية لكلمة "بهاء" تساوي ٩. (أ. ط.)

هناك اليوم بيوت عدل محلية متأسسة في شتى أنحاء العالم في مدن وقرى متعددة ولكنها ما زالت تنمو في مراحلها الجنينية وتُعرف باسم المحافل الروحانية المحلية. إن نمو وتطور أمر الله ومؤسساته يتبع عين النمط لأي كائن حيّ ذي نمو عضوي. وعليه فإن هذه الهيئات سوف تتحول في المستقبل إلى بيوت عدل كما يتحول الرضيع إلى شخص بالغ. وما هو إلاّ عامل الزمن الذي يكفل حصول ذلك.

تتشكل المحافل الروحانية المحلية في الوقت الراهن في الأماكن التي يوجد فيها تسعة أو أزيد من المؤمنين البالغين المقيمين فيها. يجري انتخاب هذه الهيئات سنوياً من قبل كل فرد بالغ في الجامعة البهائية، وتعهد إليهم مسؤولية إدارة شئون تلك الجامعة طبقاً لمبادئ معينة تنص عليها كتابات أمر الله. إن الانتخابات البهائية، والتي تتم في جو من الروحانية والتأمل والدعاء، هي روحانية في طبيعتها، ولذا تختلف أشد الاختلاف عن أي نظام انتخابي موجود اليوم.[١] وكذلك المشورة البهائية التي، كما جاء وصفها في الفصل السابق،[٢] وضعت لتتم في جو تسوده المحبة والاتحاد.

إن إحدى مميزات دورة حضرة بهاءالله هي أنها علقت أهمية كبرى على التشاور في سائر المناشط الإنسانية. فكل الجامعات والمؤسسات البهائية تقوم بوظائفها، سواء المحلية أو المركزية أو العالمية، من خلال المشورة البهائية. وهذه الهيئات لا تتشاور في أمور الجامعة فقط، بل لديها الصلاحية أيضاً لمعالجة شؤون شخصية تمس حياة أفراد المؤمنين. إلاّ أن حضرة بهاءالله لم يقتصر المشورة على مؤسسات دينه، بل أكّد على أهمية التشاور في المسائل الفردية الخاصة مع الأحباء وذوي الاختصاص. فيما يلي مقتطفات من كتاباته حول الموضوع:

"تفضل سيد الوجود قائلاً: إن سماء الحكمة الإلهية مستضيئة ومستنيرة بنيرين: المشورة والشفقة. تمسكوا بالمشورة في جميع الأمور فهي سراج الهداية إنها تهدي السبيل وتهب المعرفة."(٩)

(١) للمزيد من المعلومات انظر كتاب "مبادئ الإدارة البهائية".

(٢) انظر الصفحات ٥٢–٥٤.

"المشورة تهب إدراكاً أعظم، وتحيل الظن إلى يقين. إنها سراج نوراني في عالم ظلماني، ترشد وتهدي السبيل. فهي لكل شيء مرتبة الكمال والنضج وستبقى كذلك. وما نضوج موهبة الإدراك إلاّ بالمشورة"(١٠)

"تلزم المشورة في جميع الأمور ويجب التأكيد بقوة على أهمية هذه المسألة حتى يجري أمر المشورة بين الكل. والمقصد من هذا المبدأ الذي جرى من القلم الأعلى هو تحقق أمر المشورة بين الأحباء إذ إنها كانت سبب وعلة الفهم والتيقظ ومصدر الخير والسلامة ولا تزال تكون."(١١)

وقد تطرق حضرة عبدالبهاء إلى هذا الموضوع في كثير من كتاباته. فيما يلي اثنتان فقط من الفقرات الكثيرة منها:

"قرروا كل الأمور الجزئية والكلية بالمشورة. ولا تباشروا أمراً مهماً برأي الفرد دون المشورة. ولتشمل أفكاركم خير غيركم وساعدوا الآخرين في مشاريعهم وخططهم وشاركوهم همومهم. فلا يبقى أحد من أفراد الملة محتاجاً. عاونوا بعضكم بعضاً حتى تصبحوا متفقين متحدين كحكم جسد واحد."(١٢)

"... المقصود من المشورة هو أن رأي النفوس المتعددة أفضل من رأي شخص واحد، كما أن قوة النفوس الكثيرة أعظم من قوة **شخص واحد.** لذلك فالمشورة مقبولة لدى ساحة الكبرياء وأمر بها الأحباء حتى يتشاوروا في الأمور العادية الشخصية كما في الأمور الكلية العمومية.

مثلاً عندما يكون للمرء مشروعاً ينجزه فليتشاور مع بعض إخوانه ويتحروا أفضل السبل وتتضح أمام عينيه الحقيقة بوضوح. وعلى مستوى أعلى إذا تشاور أهل قرية في أمورهم سينكشف لهم طريق الصواب. وكذلك أصحاب أي صنف من أصناف الأعمال كالصناعة عليهم بالمشورة فيما بينهم والتجار يتشاورون في المسائل التجارية. وخلاصة القول فإن المشورة مقبولة ومحبوبة في كافة الأمور."(١٣)

إن المحافل الروحانية المحلية هي حجر الأساس الذي تشيد عليه المحافل الروحانية المركزية التي سمّاها حضرة عبدالبهاء بيوت العدل الثانوية. وقد

تأسست اليوم هذه الهيئات المركزية في معظم أقطار العالم وهي مكلّفة بـ"توجيه نشاط الأفراد وتوحيد فعاليات المحافل الروحانية المحلية الواقعة في نطاقها والتوفيق بينها.(١٤) ولأعضائها أعطيت أيضاً مسؤولية انتخاب بيت العدل الأعظم، الهيئة العليا لأمر حضرة بهاءالله، وتعتبر قمة هرم النظام الإداري. وهذه الهيئة الجليلة، التي انتخبت لأول مرة عام **١٩٦٣**م، سنّها حضرة بهاءالله وضمن لها الهداية السماوية. فإلي جانب منحه إيّاها المعصومية فيما تتخذه من قرارات فإنه وهبها سلطة التشريع في الأمور التي لم ينزلها نصاً.

ففي "لوح الإشراقات" الذي أنزله في أواخر أيام حياته يصرح حضرة بهاءالله:

"قد سطرت في هذا الحين من القلم الأعلى هذه الجملة وتعد من الكتاب الأقدس. وهي أن أمور الملة معلقة ومنوطة برجال بيت العدل الإلهي. **أولئك أمناء الله بين عباده ومطالع الأمر في بلاده**. يا حزب الله إن مربي العالم هو العدل لأنه حائز لركني المجازاة والمكافأة. وهذان الركنان هما الينبوعان لحياة أهل العالم. وبما أن كل يوم يقتضي أمراً وكل حين يستدعي حكمة فلذلك ترجع الأمور إلى بيت العدل ليقرر ما يراه موافقاً لمقتضى الوقت. والذين يقومون على خدمة الأمر لوجه الله أولئك ملهمون بالإلهامات الغيبية الإلهية. وقد فرض على الكل إطاعتهم والأمور السياسية كلها ترجع إلى بيت العدل. وأمّا العبادات فإلى ما أنزله الله في الكتاب."(١٥)

إن إحدى الفروقات الأساسية بين مؤسسات النظم القديم ونظام حضرة بهاءالله الإداري هو أن الأخير يتحرك بروح من أمر الله في حين أن السابق عبارة عن كيانات بلا روح. فالنظم النابع من شريعة الله ينبض بالحياة وينمو، والنظم القديم آخذ بالتفكك والاندثار وقدرته على حلّ مشاكل العالم تتدهور باستمرار. وأي مؤسسة من صنع الإنسان تقام لتنفيذ مهامه يجب أن تؤدي وظائفها بنشاط وحيوية. لكن إذا فشل أحد أعضائها في القيام بالواجب، فإن

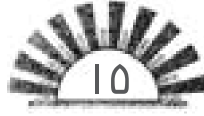
الجهاز بكامله قد لا يكون فاعلاً. ويمكن تشبيهه بآلة لا يمكنها العمل إلاّ إذا عملت جميع أجزائها المكونة بكفاءة، ذلك لأن عطل أي جزء فيها قد يشلّها أو حتى يتلفها عن آخرها.

وقد نلاحظ، على نقيض آلة كهذه وهي بلا حياة وتعتمد في تشغيلها الصحيح على تنسيق كامل بين مختلف أجزائها جميعاً، قد نلاحظ وجود كيان آخر فتيّ ماض في نمو صحي دون أن يكون كاملاً بحد ذاته، وقبل أن تبلغ ملكاته مرحلة النضج الكامل. فهناك، مثلاً، من الأطفال من يتمتع بنمو وحيوية مزدهرة رغم نقائصه العديدة بسبب عدم بلوغه النضج. لكنه مع ذلك تكمن فيها الحيوية والقوة ما لا يتوفر عليه أي كائن خال من الحياة وما لا يمكنه منافسته. ومع كل ما يعمله، هذا الطفل، من أخطاء، وما يثيره من فوضى وعبث في ترتيب الأشياء من حوله، إلاّ أنه لا ينتظر أحد منه النضج أو يطلب الكمال، كما أن ليس هناك من يقلقه تصرفاته الطفولية بشكل أو درجة خطيرة لا داعي لها. ذلك لأنه أمر طبيعي أن الطفل كلما نما وكبر زاد نضجه وأقلع عن تصرفاته المألوفة، حتى يصل مرحلة بلوغه حيث يكون قد اكتسب العقل الراشد وغيره من الكمالات.

بالنسبة للبهائيين الحقيقيين فإنهم يدركون بأن طبيعة مؤسساتهم المركزية والمحلية تشبه طبيعة الكائن الحيّ في نشوئه وتطوره. فهم يعلمون بأن هذه الهيئات، التي تستمد حيويتها من روح أمر الله، إنما هي في الوقت الراهن في مرحلة طفولتها الأولية. وهم يدركون بأن هذه المحافل، وهي أجنّة بيوت العدل المركزية والمحلية للمستقبل، قد تتخذ أحياناً قرارات غير صائبة بل وفي مناسبة قد تتصرف دون إنصاف، ولكن رغم كل هذه النقائص فإنها تنبض بالحياة وتنمو في قوة وحيوية من يوم لآخر. في أثناء ذلك –النمو– فإن جامعة المؤمنين تنظر إليها نظرة العناية والفخر وهم ملتفون حول مؤسساتهم، السائرة دوماً صوب مراتب الرشد والكمال، ومتكاتفون معها. لأنهم يعرفون أن حضرة بهاءالله قد ضمن حماية مؤسسات دينه الفتيّة، كما أنهم يدركون بأن مؤسسات الأمر المحلية والمركزية، شأنها شأن أي كائن حيّ وليد

وناشئ، لا بد أن تعاني من آلام ومتاعب النمو حتى تزول تدريجياً ما تواجهه الآن من مشاكل.

إن هذه الهيئات المحلية والمركزية، حتى لو لم تبدُ ذات شأن بنظر العالم الخارجي وضئيلة العدد، إلاّ أنها قد برهنت الآن على قدرتها للمضي قدماً، والتغلب على مشاكل صعبة، واجتياز عقبات بدت غير قابلة للحل، وتحقيق انتصارات للأمر، والبلوغ في نموها إلى المقام الذي سيمكنها، عند تمام الوقت، من تأسيس أركان العدل والمحبة فيما بين شعوب العالم.



الكتاب الأقدس –٣– تربية إلهية

هناك مواضيع عديدة في "الكتاب الأقدس" تحضّ المؤمنين على حياة التقديس وتزيين أنفسهم بطراز مكارم الأخلاق والفضائل السماوية.

وهناك العديد من الناس، غير البهائيين، ممن تربوا تربية تلقنهم حياة كريمة داخل تقاليدهم ومجتمعهم. فمنذ الصغر يوجَّهون للسلوك في أدب والتحلي بصفات وروح العطف والمحبة تجاه الآخرين. وهكذا نجدهم ينشئون بهذه الأخلاق الحميدة بحيث تنطبع فيهم وتصبح خلقاً غريزياً لديهم. لذا فإنهم يقومون بأعمال صالحة بصورة تلقائية. أمثال هؤلاء يستحقون كل ثناء. لكن بما أنهم محرومون من روح الإيمان النابع من رسول الله لهذا العصر فهم أشبه بسُرُج جميلة جداً لم تُضأ بعد. ولأجل أن يعيش المرء حياته كبهائي فإن الأمر يختلف عن ذلك إذ إن القلب في هذه الحالة يكون مستنيراً بمحبة حضرة بهاءالله. وهذا الحب هو الذي يفرّق بين الاثنين ويميز بينهما، ويمكّن المؤمن من أن يعكس تعاليم حضرة بهاءالله للآخرين. وبدون ذلك يستحيل على البهائي أن يحقق كل ما يمكنه تحقيقه في هذه الحياة. والواقع هو أن تاريخ كل دين قد سُطّر بلغة المحبة. هناك من الناس من يُقبل إلى حضرة بهاءالله عن طريق العقل وحده، وهذا النوع من الإقبال غير كاف. وما لم يصبح الفرد عاشقاً حقيقياً فإنه يظل محروماً من القدرات الروحانية لخدمة أمر الله بنحو كامل في هذا اليوم.

"اغتمسوا في بحر بياني"

كما أن لمعظم الكائنات الحيّة بداية، فإن لهذا الحب لحضرة بهاءالله بداية أيضاً. فعندما يقبل المرء ويعتنق أمر الله، تظهر في قلبه شرارة الإيمان. بعد هذا تبدأ رحلة حبه تجاه حضرة بهاءالله. عندها تكون شمعة فؤاده قد بدأت بالتوهج. إلاّ أن هذا الحب ينبغي أن يُسمح له بالنمو، ولهذه الشعلة أن تتحول إلى نار ملتهبة.

عندما يجد الإنسان صديقاً يحبّه، فإن الوسيلة الوحيدة التي يمكنه بها تقوية أواصر الصداقة والمحبة معه هو من خلال تعرّفه على صاحبه والتقرب أكثر إليه. ولكنه إذا بقي بعيداً عنه وتحفّظ حياله، فإن الصداقة لن تدوم. وهكذا قد تبدأ رحلة العاشق إلى حبيبه بمجرد التعرّف، لكن يمكن تطويرها إلى حب عميق نتيجة الاندماج الوثيق والإخلاص المتفاني.

بمثل هذا ينبغي على المؤمن أن يمضي في رحلة العشق لحضرة بهاءالله. إن أهم خطوة لبلوغ ذلك الهدف تكمن في قراءة كلمات حضرته من أجل التناجي معه والانجذاب إلى ذاته المقدسة. وفي الحقيقة إن هذا أحد أوامره في "الكتاب الأقدس". فإنه يأمر أتباعه بتلاوة كلماته[1] مرتين في اليوم في الصباح والمساء، ويصرّح بأن من لا يفعل ذلك لم يوفِ بعهد الله. فيما يلي نص كلماته في ذلك الكتاب:

"اتلوا آيات الله في كل صباح ومساء إن الذي لم يتل لم يوف بعهد الله وميثاقه والذي أعرض عنها اليوم إنه ممن أعرض عن الله في أزل الآزال اتقن الله يا عبادي كلكم أجمعون. لا تغرنكم كثرة القرائة والأعمال في الليل والنهار لو يقرء أحد آية من الآيات بالروح والريحان خير له من أن يتلو بالكسالة صحف الله المهيمن القيوم. اتلوا آيات الله على قدر لا تأخذكم الكسالة والأحزان لا تحملوا على الأرواح ما يكسلها ويثقلها بل

(١) يجب عدم الخلط بين قراءة كلمات حضرة بهاءالله وتأدية الصلاة والتي هي حكم آخر مختلف كلياً.

ما يخفها لتطير بأجنحة الآيات إلى مطلع البينات هذا أقرب إلى الله لو أنتم تعقلون."(١)

وفي موضع آخر في "الكتاب الأقدس" يصرّح:

"اغتمسوا في بحر بياني لعل تطلعون بما فيه من لئالئ الحكمة والأسرار."(٢)

إن قراءة كلمات حضرة بهاءالله لها الأثر نفسه في الروح كما للغذاء في الجسد. فهي تمكن الروح من التقرب إلى حضرته وفي الوقت نفسه تمتلئ بحبّه. وبدون قراءة كتاباته بانتظام مرتين في اليوم، لا يمكن للبهائي أن ينمو روحانياً كما أنه ليس هناك بديل يعوض عن هذه الخسارة.

ويصرّح حضرته في "الكتاب الأقدس" بأن لا فائدة وفضل في قراءة كلماته عند التعب. وعليه فإنه ينصح قائلاً بأن قراءة آية أو بضع آيات بالروح والريحان لهو أجدى وأكبر نفعاً من قراءة كتاب بأكمله بالكسالة والخمول. وكم يتوافق هذا الأمر مع القانون الطبيعي في مجال التغذية والذي يؤيد تناول الطعام عند الإحساس بالجوع فقط. ومجال تشابه آخر في هذا المثال هو أن على الإنسان أن يأكل كل يوم بانتظام. فلا يكفي تناول طعام مرة في العمر. وينطبق الشيء نفسه بالنسبة لقراءة كلمات الله، والتي هي غذاء الروح. وعليه فإنه لا يكفي أن يقرأ المرء الآثار المقدسة من حين لآخر. وكما أمر حضرة بهاءالله فإن على المؤمن، إن كان يريد النمو روحانياً، أن يقرأ كلماته المودعة في ألواحه مرتين كل يوم. ثم بعد ذلك يجب إعطاء الفرصة لهذه الكلمات بكل ما فيها من القوى المحيية الكامنة لكي تتغلغل في القلب وتقوي إيمان الشخص.

ولا تمكّن قراءة كلمات حضرة بهاءالله المؤمن من زيادة حبّه لحضرته يوماً بعد يوم فحسب، بل تزيده عمقاً في تفهم أمر الله أيضاً.

وبهذا الخصوص فإنه غالباً ما أسيء فهم عبارة التعمق في أمر الله. فهي تُفهم على أنها تعني أكثر ما تعني مساهمة الفرد في صفوف دراسية ودورات ومناقشات فكرية.

وغالباً ما يحصل في هذه المناقشات أن يقدم المرء أفكاره الخاصة، وما يحمله من نظريات حديثة، مخلوطة ومتداخلة في تعاليم حضرة بهاءالله، ويجعل بذلك أمر الله يبدو معقداً كتعقيد نظرية علمية. وفي الواقع إن دراسة أمر الله هي من السهولة بحيث يمكن لأي شخص ذي إدراك عادي، حتى وإن لم يكن متعلماً، أن يتفهم حقيقته كاملاً، بشرط أن يكون قلبه سليماً. فلو نظرنا إلى خطابات حضرة عبدالبهاء في عالم الغرب نلاحظ كيف قام بشرح وتفسير موضوعات عميقة بلغة بسيطة.

أما التعمق الحقيقي فيحصل حينما يقرأ المؤمن الكتابات المباركة ببصر الإيمان عارفاً بأنه إنما يقرأ الكلمة الإلهية، وليس كلمات البشر. والكلمة الإلهية تكون مشحونة بقوة هائلة. والتعميق يحدث أيضاً عند ملاقاة المؤمن بآخر مشتعل بنار محبة حضرة بهاءالله. إن مجرد صحبة شخص كهذا تزيد في إيمان الفرد بالله. يصرّح حضرة بهاءالله في "الكلمات المكنونة": **"من أراد أن يأنس مع الله فليأنس مع أحبائه ومن أراد أن يسمع كلام الله فليسمع كلمات أصفيائه"**. ولذلك غالباً ما يشعر الذين يلتقون بعبد مؤمن بحضرة بهاءالله إيماناً حقيقياً، بامتلاء قلوبهم بروح جديدة.

خلال العصر البطولي لأمر الله نال المؤمنون تعمقهم بالدين عن طريق اجتماعهم مع بعضهم البعض والمشاركة في معلوماتهم وحبهم لحضرة بهاءالله. وغالباً ما كان يحدث في تلك الأيام أن يقوم أحد المؤمنين المخلصين، ممن عادوا من زيارة محضره المبارك، أو تسلّموا ألواحاً منه، بالاجتماع بالأحباء المؤمنين فينقل لهم، إلى جانب شعلة حبه وإيمانه بحضرة بهاءالله، ما كان بحوزته من معرفة وفهم. وفي تلك الأيام لم يتوفر للأحباء سبيل للوصول إلى كافة الكتابات المباركة كما أنهم لم يعرفوا الكثير عن تعاليم حضرة بهاءالله. إلاّ أن قلوبهم كانت عامرة بحبه وفدى كثيرون بحياتهم في سبيله.

قد تكون هناك اليوم نزعة نحو موقف دراسة البهائية تتسم بكثير من الأكاديمية –العقلية والأسلوب الجامعي– وحتى الميكانيكية. وإن مدخلاً ونظرة عقلانية بحتة قد تغشى القلب بحيث تحجب شعاع شمس الحقيقة عن الدخول وتنويره.

وما يحتاجه المؤمن، إلى جانب معرفته بأمر الله، هو أن يفتح قلبه ليتأثر بحرارة وحي حضرة بهاءالله ونفوذ كلمته، والمخاطبة الروحية معه، والاستبشار باسمه، وابتغاء مؤانسة أحبائه الحقيقيين بصفة خاصة. وما لم تتغلغل روح الإيمان في كيان حياة المؤمن، وما لم يتوجه بقلبه في تواضع إلى حضرة بهاءالله، لا يمكنه التعمق في أمر الله، لأن عرفان الله ينطبع وينعكس أول ما ينعكس في القلب، ومن ثم يتفهمه الفكر والعقل. هذا واضح وجلي في الكتابات المباركة.

والآن تجدر الإشارة إلى كلمة تحذيرية حول هذا الموضوع الهام. إن قراءة آثار حضرة بهاءالله، على أهميتها، لن يمكنها أن تؤدي وحدها إلى تقدم روحاني ما لم تقترن بالأعمال وخدمة أمر الله. فلو أن شخصاً يأكل الطعام بانتظام دون أن يستهلكه بالحركة واستعمال عضلات بدنه كل يوم، فإنه لا شك سيمرض عاجلاً. كذلك الحال بالنسبة لدراسة الكتابات المباركة إذ يجب أن تقترن بالأعمال، أعمال أوصى بها حضرة بهاءالله في تعاليمه وأحكامه.

فلو قام المرء، بعد اعترافه بمقام حضرة بهاءالله، بالانغماس في بحر بيانه، وفتح قلبه وعرّضه لتموجات وآثار وحيه، وآنس برفقة المخلصين من البهائيين المشتعلين بالأمر متجنباً صحبة الأشرار(١) من الخلق، وقام على خدمة أمر الله، فإن حبه لحضرة بهاءالله سيزداد يوماً بعد يوم وسيصبح من البهائيين المتعمقين.

تربية الأطفال

لقد وضع حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" مسؤولية جسيمة على كاهل الوالدين لتنشأة أطفالهم بالتربية السليمة. هذه كلماته في ذلك الكتاب:

"كتب على كل أب تربية ابنه وبنته بالعلم والخط ودونهما عمّا حدد في اللوح والذي ترك ما أمر به فللأمناء أن يأخذوا منه ما يكون لازماً لتربيتهما

(١) هم الذين تتنافى حياتهم مع تعاليم الله ولو أنهم قد يدّعون الإيمان به، بينما كثيرون قد يعتبرون أنفسهم "لاأدريين" أو ملحدين ولا يصدق بحقهم الكفر في الحقيقة.

إن كان غنياً وإلاّ يرجع إلى بيت العدل إنّا جعلناه مأوى الفقراء والمساكين. إن الذي ربى ابنه أو ابناً من الأبناء كأنه ربّى أحد أبنائي عليه بهائي وعنايتي ورحمتي التي سبقت العالمين."(٣)

في أحد ألواحه(٤) يصرح حضرة عبدالبهاء بأنه إذا قصّر والدان في تنشئة أولادهما النشأة اللائقة وتربيتهما، فقد ارتكبا ذنباً لا يغفره الله.

وطبقاً لما بيّنه حضرة بهاءالله فإن تنشئة الأطفال لا تنحصر في مجرد تعليمهم الأخلاق والسلوك الحسن وتوفير وسائل التربية والتعليم لهم. بل للتنشئة مطالب ومرامٍ أبعد. فالتربية البهائية تضم وتجمع جناحي التعليم المدرسي والتربية الروحانية. الأول يمكن تحصيله في جميع مدارس ومعاهد العالم. أمّا الآخر، وهو الأهم في نظر الدين البهائي، فيتمثل في عرفان الله ومظاهره، وتفهم أسرار الخليقة، والإحاطة الجيدة بتعاليم حضرة بهاءالله، واكتساب الخلق الحميد، والتجهز بما يؤهل لخدمة عالم الإنسان.

فيما يلي كلمات لحضرة بهاءالله مقتبسة من كتاباته للاستدلال على أهمية تنشئة الأطفال:

"العلم هو بمنزلة الجناح للوجود ومرقاة للصعود. تحصيله واجب على الكل. ولكن العلوم التي ينتفع منها أهل الأرض وليس تلك التي تبدأ بالكلام وتنتهي بالكلام... إن الكنز الحقيقي للإنسان هو في الحقيقة علمه، وهو علة العزة والنعمة والفرح والنشاط والبهجة والانبساط."(٥)

"إن دار التعليم في الابتداء يجب عليها أن تعلم الأطفال شرائط الدين ليمنعهم الوعد والوعيد المذكوران في الكتب الإلهية عن المناهي ويزيناهم بطراز الأوامر. ولكن بمقدار لا ينتهي إلى التعصب والحمية الجاهلية."(٦)

"نوصي الكل بما هو علة علو كلمة الله وسموها بين العباد، كما نوصيهم بأمور تؤدي إلى رقي عالم الوجود ورفعة مكانة النفوس والسبب الأعظم

لذلك هو تربية الأولاد، ويجب أن يتمسك بها الجميع، **إنّا أمرنا بذلك في ألواح شتى وفي كتابي الأقدس طوبى للعاملين،** نسأل الحق أن يؤيد الكل ويوفقهم لتنفيذ هذا الأمر المبرم الذي ظهر ونزل من قلم مالك القدم."(٧)

هذا وقد أكّد حضرة عبدالبهاء أيضاً على أهمية تربية الأطفال في كثير من ألواحه. فيما يلي بعض الأمثلة:

"تغدو جميع النفوس متوحشة بدون المربي، والأطفال مخلوقات جَهَلَة بدون المعلم. لذا فإن كتاب الله في هذا الدور البديع، قد حضّ على التربية والتعليم إجباراً لا اختياراً. فيفرض على الأب والأم تربية الابن والبنت بكل همة حتى يرضعا من ثدي العرفان ويطيرا في هواء العلوم والمعارف. وإذا قصّر الوالدان في ذلك يكونان مذمومين مدحورين لدى الرب الغيور."(٨)

"... يجب تربيتهم من بداية الأمر تربية إلهية وتذكيرهم دائماً بذكر الله حتى تترسخ محبة الله في جبلتهم وتستقر وتمتزج بحليب الأم."(٩)

"ألتمسُ لهؤلاء الأطفال تربية بهائية حتى يتقدموا في الملك والملكوت ويصيروا سبب سرور قلبك وروحك. سوف تفسد الأخلاق العامة كثيراً في المستقبل. يجب تربية الأطفال تربية بهائية كي ينالوا سعادة الدارين وبغير ذلك سيبتلون بالمحن والمشقات، لأن سعادة العالم الإنساني هي في التحلي بالأخلاق الرحمانية."(١٠)

"فرض اليوم على أحباء الله ووجب عليهم تربية أطفالهم بالقراءة والكتابة وتعليمهم مختلف فروع المعرفة كي يتقدموا يوماً فيوماً على جميع المستويات. أول مرب للطفل هي الأم، لأن الطفل في أول نشأته ونموه كالغصن الرطب يمكن تربيته على أية صورة أردت، إذا ربيته مستقيماً يصبح مستقيماً وينشأ وينمو في غاية الاعتدال، وإنه لمن الواضح أن الأم هي المربية الأولى للولد ومؤسسة أخلاقه وآدابه.

إذاً أيتها الأمهات الحنونات اعلمن حق العلم أن تربية الأطفال على آداب كمال الإنسانية لهي أفضل عبادة لدى الرحمن ولا يمكن تصور ثواب أعظم من هذا."(١١)

هذا وبالإمكان ملاحظة ناحية هامة في دور الأم في تربية الطفل وتوجيهه الروحاني، وذلك في التأكيد الذي تلقيه التعاليم البهائية على تربية البنات ذلك لأنهن سيصبحن يوماً ما أمهات، وأول مربٍّ للطفل هو أمه.

إن هذه وغيرها من التعاليم الأساسية في تربية الطفل ستمكن العاملين المختصين بشؤون التربية في المستقبل من وضع برامج بهائية للتربية والتعليم. وكلما مال المجتمع الإنساني لتقبل المثاليات البهائية، فإن الإنسانية عموماً سوف تتبنى هذه التعاليم. فيما يلي مقتبس كُتب نيابة عن حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، جواباً عن سؤال بخصوص برامج بهائية في التربية:

"كنتم قد سألتم حضرة ولي أمر الله عن معلومات مسهبة بخصوص برنامج التربية البهائية. لا وجود لبرنامج دراسي بهائي كهذا بعد، كما لا توجد منشورات بهائية مخصصة تماماً لهذا الموضوع، حيث إن تعاليم حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء لا تقدم نظاماً تربوياً محدداً ومشروحاً لكنها تقدم فقط مبادئ أساسية معينة فيها توضح عدداً من الأفكار التربوية التي يجب أن يهدف إليها التربويون البهائيون في مجهوداتهم لوضع برنامج دراسي تربوي مناسب منسجم تماماً وروح التعاليم البهائية، ويفي بذلك بمتطلبات العصر الحديث وحاجاته.

وهذه المبادئ الأساسية موجودة في النصوص المقدسة للأمر المبارك ويجب دراستها بعناية ودمجها تدريجياً في برامج الكليات والجامعات المختلفة، غير أنه من الواضح أن مهمة وضع نظام تربوي في صيغة يعترف بها رسمياً الأمر المبارك وتنفذ كذلك في العالم البهائي كله إنما هي أمر لا يستطيع أن يتعهده هذا الجيل من المؤمنين وسينجزه تدريجاً العلماء والمربون البهائيون في المستقبل."(١٢)

إن تعليم الأطفال والشباب وتربيتهم لهما من الأهمية القصوى بمكان في التعاليم البهائية بحيث إن حضرة بهاءالله أثنى على عمل المعلمين والمشتغلين

بتربية النفوس وتعليمها. فإن مهنة التعليم تحتل مقاماً وقدراً رفيعاً لديه بحيث خصص في "الكتاب الأقدس" للمعلمين نصيباً من الميراث في حالة غياب وصية المتوفى. وبذلك يكوّن المعلمون الطبقة الوحيدة من بين طبقات الوراث السبع(١٣) الذين لهم نصيب في الإرث من خارج أسرة وأهل المتوفى. وقد أجزل الثناء والعنايات في كتاباته على أولئك المعلمين الذين عرفوا مقامه وانصرفوا إلى التعليم الروحاني والتدريس العلمي. وقد سبق أن أتينا بمثال واحد على ذلك.[١]

وامتدح حضرة عبدالبهاء أيضاً مقام المعلمين المتفانين في مهنتهم. في أحد الألواح يصف خدمتهم بأنها عبادة حقيقية لله، ويصرح بأنهم الآباء الروحيون للأطفال الذين يعلمونهم، وعليه فإن عملهم محمود جداً عند الله.(١٤)

تبليغ أمر الله

في كثير من ألواحه، كتب حضرة بهاءالله على أتباعه تبليغ أمره إلى أهل الأرض. وفي "الكتاب الأقدس" أيضاً يحض المؤمنين للقيام على خدمة أمره مشيراً إلى التبليغ على أنه أفضل الأعمال وفخرها. كما ذُكر في المجلد السابق، فإن غاية التبليغ الأولى هداية النفس إلى الله، وعليه اعتبره حضرة بهاءالله **"أفضل الأعمال."**[٢]

شروط التبليغ موجودة ومبينة في آثار حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء، كما أن حضرة شوقي أفندي، في رسالته المطبوعة بعنوان "ظهور عدل إلهي"(١٥) قد عدد بعضاً منها. يمكن إيجازها ببضع كلمات هي: "جعل حياة المؤمن مطابقة للتعاليم البهائية". يصرح حضرة بهاءالله في أحد ألواحه:

"قد كتب الله لكل نفس تبليغ أمره والذي أراد ما أمر به ينبغي له أن يتصف بالصفات الحسنة أولاً ثم يبلّغ الناس لينجذب بقوله قلوب المقبلين ومن دون ذلك لا يؤثر ذكره في أفئدة العباد."(١٦)

(١) انظر الصفحات ٩٧–٩٩.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٨٧–١٠١.

في هذه الفقرة لم يبق مجال للشك، إذ يؤكد بقوله **"ومن دون ذلك لا يؤثر ذكره في أفئدة العباد"**. والأداة "لا" تؤكد بقوة وتنفي في الوقت نفسه وجود طريقة أخرى للتبليغ. نجد في ألواح عديدة أخرى عبارات مماثلة لها.

وفي أحد الألواح يكتب حضرة عبدالبهاء الآتي:

"والقصد هو أن تكون نيّة المبلّغ خالصة وأن يكون فارغ القلب، غني النفس، منجذب الروح، مستريح الفكر، شديد العزم، عالي الهمة، وأن يكون في محبة الله شعلة متوهّجة، فإذا كان على ذلك أثّرت أنفاسه الطاهرة في الصخرة الصماء، وبعكس ذلك لن تحصل منه أية ثمرة."(١٧)

التأكيد في العبارة الأخيرة واضح وجازم: "وبعكس ذلك لن تحصل منه أية ثمرة". هناك ألواح عديدة لحضرة عبدالبهاء فيها استنتاج مماثل.

كذلك وجه حضرة شوقي أفندي انتباهنا إلى هذه الحقيقة في كثير من رسائله. فيما يلي واحد من بياناته المشهورة:

ليس بكثرة وقوة الأعداد، وليس بمجرد تبيان وعرض مجموعة من المبادئ الجديدة النبيلة، وليس بواسطة حملة تبليغ منظمة –مهما اتصفت في طبيعتها بالعالمية وسعة الإعداد وتطويره– بل ليس حتى من خلال رسوخ إيماننا ورفعة تحمّسنا، ليس بهذا نستطيع أن نبرهن في النهاية لأعين جيل متشكك ناقد الادعاء الأعظم لإشراق الوحي الأبهى. شيء واحد، وواحد فقط سيضمن، وحده ودون فشل، النصر المؤكد لهذا الأمر المقدس، ألا وهو مدى قابليتنا، على مستوى حياتنا الباطنية وخلقنا المعنوي، في أن نعكس روعة وعظمة تلك المبادئ، في شتى نواحيها، التي نادى بها حضرة بهاءالله.(١٨)

لا يدع حضرة شوقي أفندي هنا مجالاً لاحتمال أو بديل عن هذا الشرط الحيوي في التبليغ، إذ يقول (ولنلاحظ تأكيده اللغوي المضاعف): "شيء واحد، وواحد فقط سيضمن، وحده ودون فشل، النصر المؤكد لهذا الأمر المقدس..."

بعد أن بحثنا في موضوع أحد أهم الشروط الأساسية لتبليغ أمر الله، دعنا الآن نتفحص عمل التبليغ نفسه. لا توجد طرق أو إجراءات موضوعة، ولو أننا أُعطينا مبادئ معينة وتوجيهات عامة من قلم مؤسس أمر الله وحضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي. إن هذه المبادئ والتوجيهات تختلف عن المقاييس والطرق السائدة خارج أمر الله، حيث غالباً ما تستعمل فيها كل إجراء نفعي أناني للتأثير على الناس وتحويلهم إلى مختلف العقائد. إن أمر حضرة بهاءالله متأسس أصلاً على أحقية الظهور الإلهي، والحقيقة لا يمكن أو ينبغي لها أن تغشى بمعايير كاذبة. ولا يمكنها استخدام أساليب الإعلان التجاري، أو وسائل الدعاية أو النفعية الشخصية أو الحلول الوسط. إن الطرق المستعملة في عالم التجارة لجذب الناس لتقبل أفكار جديدة، مثل بيانات مثيرة متطرفة أو ما شابه ذلك من الألاعيب والخدع، إنما هي جميعها غريبة بالنسبة لأمر الله.

إن الكيفية التي يقدّم بها البهائي رسالة حضرة بهاءالله إلى الناس أثناء قيامه بمهمة التبليغ هي كما لو كان يقدّم هدية إلى ملك. ولمّا كان غرضه الأولي وراء التبليغ ليس مجرد زيادة عدد المقبلين لأمر الله،(١) بل الأحرى ربط النفوس بخالقها، لذا يجدر به أن يتعامل مع أبناء جنسه بخالص المحبة والتواضع، وفوق كل ذلك أن يسعى لتبيان قدرة حضرة بهاءالله على تبديل وقلب القلوب، دون أن يخلط هذا بأي شيء من عنده. في الحقيقة إن هو سعى لإظهار نفسه، بواسطة خلق انطباع إعجاب لذاته لدى المستمع بتأكيد ما لديه من العلوم وما حققه من منجزات واستهدف توطيد غلبة حججه أثناء التبليغ، فإن قدرة حضرة بهاءالله لا تستطيع أن تصل إليه.

يتوقف مدى النجاح في التبليغ على قابلية المرء واستعداده للاستمداد من قوة حضرة بهاءالله. ليس هناك بديل لهذا. وإذا لم يفتح المؤمن الطريق لحضرة بهاءالله لهداية ذلك الشخص عن طريق حبه إيّاه، ونقاء صفحة حياته وتبليغ أمره بإخلاص لا تشوبه شائبة، فإن تأييدات حضرة بهاءالله لا يمكن أن تشمله، ومآل

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٨٩.

خدمته له يكون الفشل. هذا وإن أولئك الذين كانوا في مقدمة المبلغين البهائيين قد أقروا دوماً بشعورهم بوجود حضرة بهاءالله في كل مرحلة من مراحل نشاطهم التبليغي. ووعيهم ذاك نفسه بمحضر حضرته كان سبب تمكنهم من مواجهة من ابتغوا البحث عن الحقيقة، بروح محبة وتواضع أصيل، ثم جذبهم بحرارة إيمانهم وقوة كلماتهم الخلاقة. وذلك الوعي نفسه هو الذي مكنهم من أن يعكسوا سناء دين الله الوليد وعظمته، وإثبات أحقيته، ودعم مصالحه، والصمود بوجه هجمات أعدائه وإحراز انتصارات خالدة لمولاهم.

غالباً ما وجّه حضرة بهاءالله أتباعه ونصحهم كيف يبلّغون أمر الله. فمثلاً وجّه الحاج محمد طاهر المالميري، لدى انتهاء زيارته لمحضره المبارك، للاشتغال بتبليغ أمر الله عند رجوعه إلى بلدته يزد مزوداً إيّاه ببعض التعليمات لذلك الغرض. في مقدمة إرشاداته أن يصلي من أجل الطالب والباحث عن الحقيقة. وبالوقت نفسه أن يطلب منه الصلاة والتضرع لنفسه عسى أن تشمله تأييدات الله وتفتح بصيرته على حقيقة أمر الله. نصيحة أخرى هي أن يُفتتح التبليغ بالإشارة إلى تاريخ أديان الماضي ومؤسسيها، بنحو مماثل للعرض الوارد في "كتاب الإيقان". بذلك يتيسر للباحث عن الحقيقة الحصول على تبصر وتعمق في معرفة دينه نفسه مما يجعله يدرك حقيقة وأحقية مؤسس دينه. وعند بلوغ هذه المرحلة، يكون الشخص متهيئاً لتقدير أمر الله لهذا اليوم.(١)

مثال آخر على ذلك: هناك لوح(١٩) لحضرة بهاءالله ينصح فيه فارس(٢) (مواطن سوري مسيحي اعتنق الأمر في الإسكندرية) بالتزام الحكمة في التبليغ. ينصحه بألاّ يكشف للناس مرة واحدة كل ما لديه عن الأمر في البداية بل عليه أن يبلّغهم شيئاً فشيئاً حتى يكونوا مستعدين لتقبّل المزيد. وهو يشبه هذه العملية بإرضاع المولود جرعات لبن قليلة حتى ينمو ويقوى على هضم غذاء آخر. ويشكّل نصح حضرة بهاءالله هذا القاعدة الأساس في تبليغ أمر الله. وما تتضمنه من مبادئ هو

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ١٦٩.

(٢) انظر الصفحات ٥–١٠.

شبيه جداً بما يتبعه معلم المدرسة عند تدريس تلاميذه تدريجاً وفقاً لقابليتهم. فقبل تبليغ أي شخص يكون من الضروري معرفة خلفيته واستعداده. إن أكثر المبلغين نجاحاً هم الذين، بناء على إطلاعهم على معتقدات وأفكار الشخص، يكشفون حقائق أمر الله تدريجاً له، وهذا الشيء القليل الذي يمده به هو الجرعة الصحيحة المناسبة وتكون من القوة بحيث تؤثر وتحفز روحه للانطلاق خطوة للأمام تصبح عندها مستعدة لتقبل المزيد.

نقتبس فيما يلي فقرة من مذكرات الحاج ميرزا حيدر علي، المبلغ البهائي المعروف والذي سبقت الإشارة إلى خدماته البارزة، حيث خلّف الأجيال إحدى ذكريات تشرفه بمحضر حضرة بهاءالله في عكاء، وفي إحداها كتب ما يلي حول تبليغ أمر الله:

> يلزم للتبليغ توفر مزاج لطيف ومعاملة الناس بروح من الود والعناية. يجب كذلك أن يقبل المبلِّغ بكل ما يقوله الطرف الآخر، حتى ولو كان ذلك مجرد أوهام، أو عقائد ورثت عن تقليد أعمى، أو كلام سخيف غير معقول. وللمبلِّغ أن يتجنب الخوض في مجادلات أو عرض براهين من شأنها وضع الطرف الآخر في موقف عناد ونزاع. ذلك لأنه يجد نفسه مهزوماً، وهذا يؤدي به إلى أن يصبح محجوباً أكثر عن الحقيقة وسيزيد في ضلاله.
>
> الطريقة الصائبة هي أن يعترف الشخص بما يصرح به الطرف الآخر ومن ثم تقديم وجهة نظر أخرى ودعوته ليتفحصها ويجد ما إذا كانت حقاً أم باطلاً. بطبيعة الحال إذا قُدم له هذا بأدب ومحبة ولطف فإنه سيصغي ولا ينشغل عقله بالتهيؤ للدفاع ابتغاء إعداد الجواب والبحث عن براهين. عندها سيقر ويقبل بما عرض عليه من نقاط. وعندها يدرك الشخص مطمئناً بأن هدف النقاشات لم يكن المشاحنة وكسب المجادلة، بل ابتغاء نقل الحقيقة وإظهار خصال إنسانية عليا وكمالات سماوية، فإنه طبعاً سيبدي موقفاً منصفاً. عندها ستتفتح بداخله بصائر العقل والفؤاد، وبفضل الله يصبح خلقاً جديداً ذا بصر وسمع جديد.

تحدث حضرة بهاءالله بإسهاب عن مضار المجادلة والرغبة في كسب النقاش أو الحوار. بعد ذلك تفضل قائلاً: 'إن الغصن الأعظم[1] مستعد لأن ينصت لأي حديث سخيف بانتباه بحيث يجعل الطرف الآخر يعتقد بأنه –حضرة عبدالبهاء– يستنير منه. لكن تدريجاً وبكيفية لا يعيها الطرف الآخر، يهبه بصيرة وفهماً جديدَيْن.'[2](٢٠)

إن خطب حضرة عبدالبهاء في الغرب تعطي خير مثال على الحكمة في التبليغ. لقد خاطب أناساً كانوا غرباء تقريباً عن تاريخ أمر الله ونشأته من جهة ولم يطلعوا بعد على ادعاءات مؤسسه ومقامه من جهة أخرى. لكن مع ذلك بيّن لهم الحقائق الأساسية فقط ببساطة وإيجاز وهو ما كانوا قادرين على فهمه وإدراكه وكان بمثابة الدرجة الأولى لارتقائهم أخيراً إلى الاعتراف برسالة حضرة بهاءالله العظيمة. ومن الواضح أنه تجنب في تلك المرحلة المبكرة أي إفاضات وتفصيلات لما ينطوي عليه مقام حضرة بهاءالله ووحيه بما في ذلك انتشار شريعته ونظمه العالمي في المستقبل. بدلاً من ذلك منح كل واحد نصيبه من محبته الشاملة للجميع، تلك المحبة التي أفعمت بالحيوية وعززت أولئك الذين اعتنقوا أمر الله في الغرب.

قد يكون موقفاً مغرياً بالنسبة للمبلغ البهائي، وبالأخص إن كان واسع المعرفة والإطلاع، أن يمطر الباحث عن الحقيقة بوابل من الكلام والعبارات العميقة والنقاشات الطويلة بغية إحقاق حججه. حينما يحصل ذلك ينسد السبيل وتنقطع عن قلب الباحث قوة حضرة بهاءالله ويحرم من نور الإيمان.

باتباع خطوات المثل الأعلى لأمر حضرة بهاءالله قد نلاحظ بأنه عندما كان يسأل أحد حضرة عبدالبهاء سؤالاً، كان حضرته في أغلب الأحيان لا يعطيه كل الإجابات. بل كان يهيئه برفق ولطف لتفهم الموضوع أولاً. حتى إنه، على سبيل المثال، كان أحياناً يتطرق إلى أشياء تبدو غير مرتبطة أو مناسبة للموضوع لكن

---

(١) حضرة عبدالبهاء.

(٢) هذه ليست كلمات حضرة بهاءالله بالنص ولكنها تفيد بفحوى بيانه.

أخيراً تؤدي إلى أن يكتشف السائل الحقيقة. ولعل خير مثال يرد على البال هنا هي قصة إيمان هوارد كولبي آيفز، القس التوحيدي الأمريكي الذي انجذب إلى حضرة عبدالبهاء حين زيارته لتلك البلاد وانقلب أخيراً مؤمناً متحمساً. يستنتج القارئ لكتابه المشوّق "أرتاج الحرية"[1] بأن حضرة عبدالبهاء قاده في درب الحقيقة برفق وتمهل. والقصة التالية مقتبسة من ذلك الكتاب:

في جميع الفرص الفريدة التي أتيحت لي للاجتماع بحضرة عبدالبهاء، أو الاستماع إليه أو التحدث معه كنت أزداد إعجاباً باستمرار بأسلوبه في تبليغ النفوس. ذلك لأنه لم يسعَ لمخاطبة العقل وحده. بل سعى إلى مخاطبة الروح، وهي حقيقةُ وذاتُ كلِّ مَنْ التقى به. كان بلا شك باستطاعته التحدث بالمنطق، وحتى بالعلم خلال تبيان موضوع خطابه، كما برهن ذلك باستمرار في خطاباته العديدة التي حضرتها وغيرها أكثر مما قرأته. إلاّ أن منطقه لم يكن منطق رجل التعليم المدرسي، وعلمه لم يكن علم قاعات وفصول المدارس. فكل كلمة مهما قلّت مفرداتها، وكل اتصال مع روح مهما كان ضئيلاً كان ينبثق عنه بنورانية تجعل السامع يرتفع تلقائياً إلى مستوى أعلى من الوعي. حينما كان يتحدث كانت قلوبنا تستجيب اشتعالاً. هذا وبطبيعة الحال لم يكن يجادل أبداً. بل لم يشدد أو يلّح في نقطة أو موضوع. كان يترك كل شخص بحريّته. ولم يبدُ عنه أي تظاهر بالسلطة أو التكبر. على العكس كان دوماً تجسيداً للتواضع. كان يبلّغ بأسلوب "كما أنك تقدم هدية إلى ملك". فلم يقل لي مرة ما ينبغي لي أن أعمله، عدا تنويهه بأن ما كنت أعمله كان صحيحاً. ولم يشر عليّ مرة بما كان ينبغي لي أن أؤمن به. لقد برع في إظهار الحقيقة والمحبة بحلة من الجمال والجلال بحيث لم يكن لقلب السامع إلاّ الخشوع تبجيلاً لهما. وبنبرات صوته وأسلوب تصرفاته وهيئة حركته وابتسامته، أراني كيف ينبغي أن أكون، مدركاً بأن ثماراً طيبة من الأعمال والأقوال لا بد ستخرج عن تربة الوجود الطاهرة.

(١) Portals to Freedom.

الشيء الذي جعلني أتحير منه هو اجتماع سمات التواضع والجلال، الاسترخاء والقوة، اجتماع هذه الأضداد بنحو غريب باعث للذهول والإجلال في أبسط كلمة أو حركة يقوم بها ويدفعني لتفهم مصدره. فما هو ذاك السر الذي جعله يختلف اختلافاً عن غيره، ويعلو بهذا السمو الذي يتحدى المقارنة عن أي رجل آخر سبق لي مقابلته؟(٢١)

ويلقي كولبي آيفز مزيداً من الضوء على هذا الموضوع بالقصة التالية:

عزمت في أحد أيام الربيع الباردة، مع هبوب ريح شرقية قوية، على القيام برحلة مخصوصة بالاستفسار من حضرة عبدالبهاء حول موضوع الانقطاع. لكني عند وصولي إلى المنزل الكائن في شارع ٩٦ وجدته مهجوراً تقريباً. بدا أن حضرته ربما ذهب إلى منزل أحد الأحباء في شارع ٧٨ لقضاء يوم أو يومين فتوجهت ماشياً إلى هناك حيث وجدته يوشك على مغادرته عائداً للمنزل الذي تركته للتو. مع ذلك ولشدة عزمي الذي عقدته لتحقيق مطلبي لم أدع أية عقبة تعيقني عن هدفي. فقصدت أحد الأحباء الإيرانيين وأخرجت من جيبي كتاباً صغيراً وأشرت إلى سطر معيّن فيه، وطلبت منه أن يلتمس من حضرة عبدالبهاء أن يتحدث معي لحظات قليلة في الموضوع، وتلوت له السطر زيادة في الحيطة وللتأكد من عدم حصول التباس أو خطأ: "لا تحرمني عن التوجه إلى أفق الانقطاع."

لمّا عاد أرجع إليّ الكتاب قائلاً بأن حضرة عبدالبهاء يطلب مني أن أسير معه صوب شارع ٩٦ حيث سيتحدث معي في الطريق.

أذكر كنا يومها موكباً صغيراً لا بأس بعدده، يناهز الاثني عشر تقريباً، يشكل الأحباء الإيرانيون معظمه وقليل غيرهم ومن بين هؤلاء أذكر لوا جيتسنجر. كانت الريح الشرقية شديدة لاذعة بحيث اضطررت إلى إحكام أزرار معطفي وأنا أرتجف قليلاً. لكن حضرة عبدالبهاء شرع بالسير وأذيال عباءته يتلاعب بها الهواء. نظر نحوي أثناء سيرنا معاً في مقدمة الجماعة الصغيرة وهو يرمقني بنظرة مازحة قائلاً بأني أبدو أشعر بالبرد، مما جعلني أشعر بشيء

من الاضطراب والقلق. فقلت في نفسي كيف لا ينبغي لي الشعور بالبرد؟ هل ينتظر من الإنسان أن يعيش بمعزل عن تأثيرات الجو؟ إلاّ أن ملاحظته العابرة البسيطة تلك كانت ذا مغزى. فدوماً كانت أبسط كلمة منه بمثابة دعوة استدعاء أو تنبيه لأمر خطير. كأنما بها كان يريد القول: 'هيّا... هيّا بك إلى شيء أعلى من هذا!'

خلال سيرنا بضع خطوات أمام الآخرين كان يتحدث بإسهاب عن الآفاق. وشرح كيف أن شمس الحقيقة، تماماً كالشمس المادية دأبت تشرق من مواقع مختلفة، فكانت مرة شمس موسى، ثم من مشرق آخر ظهرت شمس عيسى، ثم أشرقت شمس محمد، فشمس بهاءالله وغيرهم. لكن دوماً هي الشمس نفسها وإن اختلفت مشارقها اختلافاً كبيراً. وأكد على أننا يجب أن ننظر دائماً إلى نور الشمس، وأن ليس لنا أن نحصر ونركز النظر في آخر موقع أو أفق ظهرت منه الشمس بحيث حينما يحين أجل ربيع روحاني جديد نغفل عن مشاهدة بهاء طلوعها. توقف مرة أو مرتين أثناء سيرنا وصار يرسم بعصاه على الرصيف أفقاً وهمياً مؤشراً فوقه مطالع الشمس. لا بد وأن ذلك كان يبدو منظراً غريباً في أعين المارة.

شعرت بخيبة أمل كبيرة. فقد استمعت له قبلاً حول هذا الموضوع وقرأت عنه في كتاب "مفاوضات عبدالبهاء". فلم يكن قصدي الاستماع إلى آفاق أو مشارق الظهور الإلهي، بل الانقطاع. وكنت مكتئباً جداً كذلك بسبب شعوري بأنه كان من المفروض فيه أن يعلم برغبتي للاستنارة حول هذا الموضوع، وكان المنتظر منه أن يستجيب لما كنت أرجوه في سري حتى وإن لم أفصح عنه بجلاء حينما سألته، لكنني كنت واضحاً تماماً فيما طلبته. عندما اقتربنا من وجهتنا التزم حضرته الصمت. في ذلك الوقت كان شعوري بالخيبة قد زال وحل محله رضى عميق. أو لم يكفني مجرد كوني بصحبته؟ ثم ماذا كان بإمكانه أن يقول لي عن الانقطاع مما لم يكن موجوداً قبلاً في قلبي؟ ولربما الطريقة لمعرفته لم تكن إلاّ في التطبيق العملي، وبأن أبدأ ذلك بالانقطاع عن الرغبة في سؤاله ليتحدث معي حوله.

وفعلاً كلما استطال ذاك السكوت الظاهري، كلما اشتعل قلبي بداخلي بينما كان يتكلم معي.

أخيراً وصلنا الدرجات المؤدية إلى باب المدخل. توقف حضرة عبدالبهاء لحظات وقد وضع قدماً فوق الدرجة الأولى بينما راح الأصحاب يصعدون على مهل ودخلوا المنزل. عند ذاك بدا حضرة عبدالبهاء وكأنه يوشك على اللحاق بهم، لكن بدل ذلك استدار ونظر إليّ من فوق الدرجة التي وقف عليها، بعين وبصوت متميزيْن بتلك النبرة التي كانت تصاحب أبسط كلمة، والتي كانت بالنسبة لي لغزاً دائماً يحيرني سره، وقال بأن عليّ دوماً أن أتذكر بأن هذا يوم عظائم الأمور، يوم أمور عظيمة جداً.

صمتّ عن الكلام. فلم يكن لي أن أعلق بشيء. بل لم يكن لدي أدنى فكرة عما تعنيه تلك الكلمات، أو صوته الرنان ولا تلك النظرة الثاقبة. ثم عاد وكأنه يريد صعود السلالم لكنه مرة أخرى توقف واستدار بوجه مشرق هذه الكرّة، أما أنا فكنت رفعت قدماً لأتبعه صاعداً لكنه لمّا استدار توقفت طبعاً وبقيت هكذا معلقاً ما بين الحركة والسكون.

أعاد قائلاً لي بكيفية فيها الكثير من التأكيد والجدية، بأني يجب ألاّ أنسى أبداً هذا، بأن هذا يوم عظائم الأمور.

ماذا عساه يعني؟ وما هو المغزى العميق الذي يكمن خلف هذه الكلمات البسيطة؟ ولماذا كان عليه أن يكلمني هكذا؟ وهل كانت مرتبطة بتلك الكلمة المحيرة، الانقطاع؟

ثم مرة أخرى توجه حضرة عبدالبهاء وكأنه سيرتقي السلالم صاعداً وبدأت أنا أوشك على متابعته، وللمرة الثالثة يتوقف ويستدير بما بدا لي بكامل نوره الروحاني صوبي، قائلاً مرة أخرى، لكن هذه المرة بنبرة كانت أشبه بدمدمة الرعد، وعين تومض كالبرق الحقيقي ورفع يده زيادة وإمعاناً في التأكيد، بأن عليّ أن أتذكر كلماته بأن هذا يوم أمور عظيمة جداً –أمور عظيمة جداً. وهذه الكلمات الثلاث الأخيرة تجلجلت كنفخة الصور. تراءى لي كأن صف المباني المهجورة تردد صداها. فصعقت للتو. خيل لي وكأني أذوي، بل

أضمحل وأتلاشى حيث وقفت، في حين كان أمامي ذلك الهيكل المهيمن الجميل، بصوته الآمر الفاتن، محيطاً بي كالبحر، وأزال عنيّ، ولو للحظات على الأقل، كل صغائر هذا العالم بما فيها صغائر نفسي. فمن وماذا أكون أنا حتى أليق للاستدعاء للقيام بمهام وإنجاز أشياء عظيمة؟ فلم أكن لأعلم ما هي الأشياء التي كانت عظيمة في هذا العالم المنحرف في وجهته وأولوياته.

بعد ما بدا وكأنه لحظة مديدة جداً، سبر خلالها أغوار نفسي بعينيه النفاذتين، أشرق وجهه بابتسامة لطيفة. فقد مضت اللحظة العظمى. وعاد بعدها ليكون ذاك المضيف الأديب الكريم المتواضع، والأب الذي كنت أظن أني أعرفه. فلمس عمامته لمسة أمالتها بما سميتها زاوية المرح ومع ابتسامة تنم عن المزاح على شفتيه راح يصعد السلالم سريعاً ودخل الباب المفتوح. فتبعته عن قرب. اجتزنا درجات المدخل القليلة صوب درجات الطابق العلوي. أذكر هنا ما لاحظته في الوجوه من نظرات العجب وشيء من الحسد وهم يشاهدوني أصعد خلف حضرة عبدالبهاء. كان البهو العلوي خالياً فمرق حضرته خلاله مرتقياً درجات أخرى نحو حجرته، وهي غرفة واسعة تشرف على واجهة المبنى في الطابق الثالث. كل هذا وأنا ما زلت أتبعه. وطالما تأملت منذ ذلك الحين في عجب من جرأتي بل جسارتي تلك. فلو كنت أكثر علماً أو أقل شعوراً ما كنت لأجرؤ على فعل ذلك. وقد قيل بهذا الشأن، أن الحمقى يفدون سراعاً حيث تتورع الملائكة أن تطأ فيه قدماً. ولربما بهذه الكيفية يجد الحمقى شفاء لحمقهم.

وصلنا إلى باب غرفة حضرة عبدالبهاء. هذا علماً بأنه لم يَدْعُني إلى غرفته، بل حتى لم ينظر خلفه مرة واحدة ليتأكد فيما إذا كنت أتبعه، ولذا توقفت بوجل كثير لدى العتبة بينما دخل غرفته. فهل يا ترى سينزعج؟ وهل يعني ذلك أني تجاوزت حدود الاحترام اللائق بحضرة عبدالبهاء؟ أم كان ذلك قلة تقدير من جانبي في مجال حدود التواضع والأدب؟ لكن قلبي كان عنصر التواضع في حقيقته -وينبغي له- أي حضرة عبدالبهاء، أن يعلم ذلك. ففتح الباب على مصراعيه ثم استدار وأشار بيده لأدخل.

مرة أخرى وجدت نفسي لوحدي مع حضرة عبدالبهاء. فهناك كان سريره الذي ينام عليه، والكرسي الذي يجلس عليه، وبقايا من أشعة شمس العصر الشاحبة ما زالت تضيء أرضية الغرفة، إلاّ أنني لم أرَ عن وعيٍ كل ذلك أو أشغل انتباهي به. كل وعيي كان حول وجوده هو وبأنني كنت لوحدي موجوداً معه. لفّ الغرفة سكون وصمت تامان. لم يأتِ أي صوت من الشارع أو الغرف السفلى. وبدا السكون يتضاعف وهو يغمرني بنظرته الشاملة لشتى معاني المحبة والتفهم والتي كانت دوماً تخترق شغاف قلبي وتذيبه. حينئذ أحسست بسعادة ورضى عميقين يغمران كل كياني. وكأنما أضيئت شعلة داخل صدري. بعدها تكلم حضرته. سألني ببساطة فيما إذا كنت شغوفاً بموضوع الانقطاع.

لم يكن هناك ما هو أشد مفاجأة. فكنت قد نسيت تماماً ذلك الأمر الذي استحوذ على كل اهتمامي منذ حوالي ساعة. ترى هل حصل في خلال تلك الساعة التي لم يُذكر شيء فيها عن الانقطاع أن قُدِّر لي ما كنت أرجوه وأبتغي عرفانه عنه ووهب لي فعلاً؟ لم يكن لدي كلمات لإجابة سؤال حضرته. فهل كنت شغوفاً أو مهتماً؟ لم أستطع أن أرد إيجاباً أو سلباً. فوقفت أمامه صامتاً بينما شعرت كما لو أن كل وجوده يتجاوب معي ويدنو ليعانقني. بعد ذلك أحاطتني ذراعه وتوجه بي نحو الباب. غادرت محضره وروحي تحلق في آفاق عليا. شعرت، في تلك اللحظات على الأقل، وكأنني حُشرت مع حشود الشهداء. وكان محشراً طيباً كريماً حقاً. وطوال سنوات الانقطاع العديدة التي تلت، بقيت ذكرى السير معه، وشعوري بالخيبة ظناً مني بأنه لم يفهم بدقة مطلبي، وتحديه الصارخ: هذا يوم أشياء عظيمة جداً، ثم اتباعي إيّاه عبر تلك السلالم الطويلة دون أن أعرف فيما كان يرغب بذلك أم لا، ثم السؤال الصادر عن ذلك الحب السامي: هل أنت شغوف بالانقطاع؟ كل ذلك بقي يتراءى أمامي كتحد ملهم ومعزٍ. حقاً إني كنت شغوفاً، وشغفي لم يتوانَ أو يفتر منذ ذلك اليوم وحتى هذا الحين. لكني لم أحلم أبداً بأن الانقطاع يمكن أن يكون بمثل هذا المجد والروعة.(٢٢)



"الكتاب الأقدس" –٤– العبادات والحياة اليومية

مشرق الأذكار

أحد أوامر حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" يتعلق بتشييد معابد أطلق عليها اسم مشارق الأذكار. فكتب على المؤمنين إنشاء هذا الصرح في كل مدينة أو قرية بأتم ما يمكن من الجمال والإتقان ويُجعل موقوفاً لعبادة الله. وبداخله تتلى فقط الكلمات الإلهية أو تقرأ بكيفية تبهج الأسماع وتنعش القلوب وتطيّر الأرواح. كما ينصح الوالدين بتعليم أطفالهم كلمات الله التي أنزلها وتلاوتها في مشارق الأذكار.

فيما يلي كلمات حضرة بهاءالله المنزلة في "الكتاب الأقدس" بهذا الشأن:

"طوبى لمن توجّه إلى مشرق الأذكار في الأسحار ذاكراً متذكراً مستغفراً وإذا دخل يقعد صامتاً لإصغاء آيات الله الملك العزيز الحميد. قل مشرق الأذكار إنه كل بيت بني لذكري في المدن والقرى كذلك سمي لدى العرش إن أنتم من العارفين. والذين يتلون آيات الرحمن بأحسن الألحان أولئك يدركون منها ما لا يعادله ملكوت ملك السموات والأرضين. وبها يجدون عرف عوالمي التي لا يعرفها اليوم إلاّ من أوتي البصر من هذا المنظر الكريم. قل إنها تجذب القلوب الصافية إلى العوالم الروحانية التي لا تُعبّر بالعبارة ولا تُشار بالإشارة طوبى للسامعين."(١)

وفي موضع آخر:

"علّموا ذرياتكم ما نزل من سماء العظمة والاقتدار ليقرئوا ألواح الرحمن بأحسن الألحان في الغرف المبنية في مشارق الأذكار. إن الذي أخذه جذب محبة اسمي الرحمن إنه يقرء آيات الله على شأن تنجذب به أفئدة الراقدين. هنيئاً لمن شرب رحيق الحيوان من بيان ربه الرحمن بهذا الاسم الذي به نسف كل جبل باذخ رفيع."(٢)

نلاحظ أن حضرة بهاءالله يحث أتباعه على القيام لذكر الله وتلاوة كلماته في مشرق الأذكار حين الفجر، وهذا وقت له أثر بصفة خاصة على الانتعاش الروحي. في أوائل أيام أمر الله عندما كانت الظروف الاجتماعية في إيران مواتية وكان الناس يشتغلون ساعات من اليوم دون التزام خاص، دأب الأحباء على الاجتماع في دار أحدهم قبل الفجر لتلاوة المناجاة وقراءة كتابات حضرة بهاءالله. ومن المؤكد أن يتصور في المستقبل حيث سيكون نظم حضرة بهاءالله قد انتشر وتأسس بتمامه وأقيم مشرق أذكار في كل مدينة، حينئذ سينبثق ترتيب اجتماعي جديد ينظم للإنسان طريقة في الحياة في مجالات كالعمل، والراحة والترفيه وخدمة أمر الله بحيث تمكنه من النهوض مبكراً قبل الفجر والاشتغال بذكر الله وتمجيده. وهذا بدوره سيؤدي إلى خلق توازن بين مستلزمات حياته الروحية والمادية.

ستشكل مؤسسة مشرق الأذكار محور الأنشطة الروحانية لمجتمع المستقبل بصفة رئيسة، بينما تتركز الأنشطة الإنسانية والإدارية في مجموعة من المؤسسات الملحقة التي تُشيّد حول مشرق الأذكار. وستشمل هذه، طبقاً لبيانات حضرة عبدالبهاء، مستشفيات ودوراً للأيتام ومدارس وجامعات وفنادق وغيرها. تجمع تعاليم حضرة بهاءالله دائماً ما بين القيم الإنسانية والروحية. ومثل التوازن القائم بين الروح والجسد، فإن الدين البهائي يؤيد مراعاة مزدوجة لكل من القوانين أو الأحكام المادية والروحانية والتي وحدها تستطيع ضمان رفاه الإنسان وخيره. إن مشرق الأذكار وملحقاته توفر هذا التوازن في محيط المجتمع. فالأول يمثل مركز القوى الروحية المنبعثة من الصلاة والمناجاة وحمد الله وتمجيده، والجانب الثاني، مؤسسات الخدمة الاجتماعية، يكوّن بؤرة الجهود الإنسانية والمحبة والرحمة.

في رسالة كتبها حضرة شوقي أفندي عام **١٩٢٩**م شرح فيها للأحباء الأمريكيين، الذين كانوا عاكفين على إكمال تشييد أول مشرق أذكار في عالم الغرب، شرح بعض الملامح المميزة الرئيسة لهذه المؤسسة، بما يلي:

ينبغي أن نتذكر بأن الصرح المركزي لمشرق الأذكار، الذي ستتجمع حوله عند تمام الوقت مؤسسات الخدمة الاجتماعية التي توفر الراحة للمُعاني، والعون للفقير، والمأوى لعابر السبيل، والسلوى للمكروب، والعلم والتربية للجاهل، إن هذا الصرح ينبغي اعتباره، باستثناء ما حوله من ملحقات، كبيت صمم من أجل عبادة الله وكرس برمته لها طبقاً لتلكم المبادئ، نعم قليلة في عددها والتي أسّسها حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس". إلاّ أنه ينبغي ألاّ يُفهم من هذا البيان العام بأن داخل هذا الصرح المركزي نفسه سيتحول إلى مجمع متخالط لعبادات دينية تجري وفق اتجاهات مستوحاة من ممارسات تقليدية موجودة في الكنائس والمساجد ومعابد اليهود وغيرها من المعابد. إن مختلف المداخل المؤدية إلى البهو المركزي، يجب ألاّ يساء فهمها إذ إنها تخدم أغراض أولئك الذين يتبعون الفرق والمذاهب المتعصبة المجعولة، حيث كل فريق منها عاكف، وفق طرائقه، على مزاولة طقوسه وتلاوة أدعيته، وإجراء وضوئه وعرض الرموز الخاصة لدينه وعقيدته، كل ذلك داخل أقسام محددة منفصلة في بيت العبادة العالمي لحضرة بهاءالله. إن هذا البيت، حاشا له من أن يحتضن بداخله منظراً كهذا حيث تعرض فيه طقوس وممارسات مذهبية غير مترابطة ومشوشة، وهي وضعية لا تتفق إطلاقاً مع شروط "الكتاب الأقدس" ولا تنسجم مع المفاهيم الروحية التي يلقنها، بل إن بيت العبادة المركزي البهائي هذا، المخزون داخل مشرق الأذكار، سيجمع داخل جدرانه المطهرة، وفي جو روحاني صافٍ، فقط أولئك الذين نبذوا نهائياً مظاهر التباهي الموسعة في مثل هذه المناسبات، الذين هم راغبون في عبادة إله واحد كما ظهر وتجلى في شخص حضرة بهاءالله. لهؤلاء، يرمز مشرق الأذكار ويجسد إحدى الحقائق البهائية الضمنية ألا وهي أن الحقيقة الدينية ليست مطلقة بل نسبية، وأن وحي السماء لن يتوقف أو ينقطع بل يستمر

ويتطور. ويعتقدون بأن الرب، هذا الأب السماوي المحب للجميع والرقيب والحافظ أبداً الذي لم يمنع رحمته عن البشر سابقاً إذ بعث عبر مختلف مراحل تطورهم برسله وأنبيائه يحملون مشاعل نور هدايته، لا يليق ولا يعقل أن يمنع في هذه الفترة الحرجة من مسيرة حضارتهم، أن يمنع عن عباده هدايته التي هم أحوج ما يكونوا لها وسط الظلمة التي تواجههم، ظلمة لا ينجح نور العلم أو ذكاء الإنسان وحكمته في تبديدها. وهكذا انطلاقاً من اعترافهم بأن حضرة بهاءالله هو المصدر الذي تفيض منه هذه الهداية السماوية فإنهم لا محالة يشعرون بانجذاب ليبتغوا كنف بيته ويجتمعوا فيه لا تعوقهم شعائر ولا طقوس رسمية ولا تكبلهم عقائد عن رفع التمجيد والثناء والتبجيل لله الواحد الحق، جوهر شمس الحقيقة الأبدي، وإعلاء وتعظيم أسماء رسله وأنبيائه الذين هم، منذ الأزل وحتى يومنا هذا وفي مختلف الظروف وبمقدار متفاوت، قاموا بعكس أنوار هداية السماء لعالم ظلماني ضال.

لكن مهما بلغ مفهوم العبادة البهائي في قوة إلهامه، كما هو مشهود في الصرح المركزي من هذا المعبد السامي، فإنه لا يمكن اعتباره العامل الوحيد، أو حتى الأساسي، فيما قدر لمشرق الأذكار، كما خصصه حضرة بهاءالله ورسمه، من دور يلعبه في حياة الجامعة البهائية العضوية. وفي معزل عن متابعة الأمور الاجتماعية والإنسانية والثقافية والعلمية القائمة حول المؤسسات الملحقة بمشرق الأذكار، لا يمكن للعبادة البهائية وحدها، مهما سمت وعلت في مفهومها، ومهما بلغت في تأجج العاطفة والحماس، لا يمكن لها أن ترجو بلوغ أكثر من نتائج طفيفة غالباً ما تكون عابرة وذلك نتيجة تأملات الزهّاد أو مناجاة العابدين السطحيين. فلا يمكن لها أن تزود الشخص المتعبد برضى وفائدة باقية، وبنحو أقل للإنسانية بشكل عام، ما لم تترجم وتتحول إلى خدمة حيوية فاعلة خالصة في سبيل قضية الإنسانية التي هي الامتياز الأول لملحقات مشرق الأذكار أن تعمل على تيسيره وترويجه. ومن جهة أخرى لا يمكن لمجهودات من يعمل داخل أراضي مشرق الأذكار –بملحقاته– في إدارة شؤون الاتحاد العالمي (الكومونولث) البهائي، أن تثمر

وتزدهر إلاّ إذا اقترنت واندمجت اندماجاً وثيقاً وروحياً مع تلك الوكالات الروحانية المتمركزة حول مشرق الأذكار والمنشعبة عن الحرم المركزي له. فلا أقل من تفاعل دائم مباشر فيما بين القوى الروحية المنبعثة عن بيت العبادة، وتلك الصادرة عن وعي أولئك الذين يديرون شؤونه من خلال خدماتهم للإنسانية، يمكنه أن يهيئ العامل الضروري القادر على إزالة ما علق بالبشرية من علل خطيرة لفترة طويلة من الزمن. إذ إنه من المؤكد أن خلاص عالم محتضر لا بد وأن يكون معلقاً في نهاية الأمر على الوعي بنجاعة ظهور حضرة بهاءالله، ذلك الوعي المسنود والمعزز بالتوجه والاتصال الروحي مع روحه من جهة، وبتطبيق وتنفيذ المبادئ والأحكام التي أنزلها تطبيقاً ذكياً ومخلصاً من جهة أخرى. ومن بين جميع المؤسسات المرتبطة باسمه المبارك، ليس هناك بالتأكيد غير مؤسسة مشرق الأذكار التي يمكنها، بنحو أجدر ما يكون، من أن تزود أساسيات العبادة والخدمة البهائية، وهما ما يحتاجهما العالم حاجة ماسة لبعثه من جديد. هنا يكمن السر في علو وقوة ومكانة مشرق الأذكار الفريدة كإحدى المؤسسات البارزة التي ابتدعها حضرة بهاءالله.(٣)

لبناء مشرق الأذكار تسع واجهات، وهذا العدد يرمز للقيمة العددية لاسم "بهاء".[١] وقد منع حضرة بهاءالله تزيين مشارق الأذكار بالصور أو بالتماثيل داخل جدرانه، ونظراً لعدم وجود رجال دين في الدين البهائي، فلا تلقى مواعظ فيه. كما أنه منع أيضاً استعمال الآلات الموسيقية بداخله. فليس هناك سوى صوت الإنسان وهو يرتل، ببديع النغم والألحان، أو يقرأ كلامات الله ويمجد اسمه.

الصلاة المفروضة

لا تقتصر العبادة البهائية على مجالس الذكر في مشرق الأذكار. إن إحدى فرائض حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" هي الصلاة اليومية. فكُتب على كل مؤمن بلغ الخامسة عشر من العمر العمل بهذا الأمر في خلوة حجرته. هذه إحدى

---

(١) انظر الصفحة ٣٢٢ الحاشية.

شعائر دين حضرة بهاءالله. لكن ليس لأحد أو مؤسسة من مؤسسات الأمر الحق في فرض هذا الحكم. فالمؤمن وحده مسؤول عن ذلك أمام ربه فيما يخص هذا الواجب من العبادة. عند أداء فريضة الصلاة اليومية يجب على المرء مراعاة كل شرائطها بما في ذلك التوجه إلى قبلة العالم البهائي.[١]

أنزل حضرة بهاءالله ثلاث صلوات للمؤمن وكتب عليه تلاوة إحداها في كل يوم. وتعرف هذه بالصلاة الكبرى والوسطى والصغرى. لكل من الكبرى والوسطى انحناء وسجود وركوع الهدف منها تأكيد مضمون الإخلاص والعبودية لخالقه.

لأجل تقييم أهمية هذه الحركات يجدر بنا أن نتذكر بأن شخصية المظهر الإلهي البشرية لها أثرها في شكل الدين الذي يؤسسه. ولقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في مجلد سابق.[٢] مثال واحد على ذلك: نحن نعلم أن كلمة الله في باطن حقيقتها منزهة وفي غنى عن أي لغة. فهي تنبعث من ملكوت الأمر،[٣] وعليه فليس هناك حدود لقدرتها وهي مستقلة عن العالم المادي. إلاّ أن هذه الكينونة الروحية تتخذ قميصاً لها بهيئة "الكلمة المنزلة" وهذه محدودة وتختص بعالم الإنسان. وهذه إحدى النواحي التي تؤثر فيها شخصية المظهر الإلهي على شكل ديانته. وبما أن حضرة بهاءالله كان من مواطني إيران، فإن الكلمة الإلهية أنزلت بالفارسية والعربية. لو كان مظهر أمر الله من بلد آخر، لاتخذت الكلمة الإلهية شكلاً مختلفاً تماماً.

ولا يقتصر تأثير شخصية المظهر الإلهي في ديانته على الكلمة الإلهية. فهي تؤثر في كل معالمه تقريباً. وحركات الصلاة المفروضة تعتبر مثالاً لذلك، إذ إن هذه الشعيرة من شعائر الدين الهامة مرتبطة بشكل كبير بشخصية حضرة بهاءالله.

---

(١) مرقد حضرة بهاءالله هو قبلة البهائيين في كافة أنحاء العالم التي يتوجهون إليها عند تأدية الصلاة المفروضة.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٢–٢٣.

(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ١٨١–١٨٢.

ويقصد من هذه الحركات أن تعبّر رمزياً عن موقف الإنسان تجاه ربه. وبدمج الكلمات المنطوقة بالحركات المصاحبة لها يتحقق تأكيد الوعي والإقرار بسلطنة الله وبعجز الإنسان وافتقاره في هذه الحياة.

إلاّ أن شكل هذه الحركات يأتي من أصول نشأة حضرة بهاءالله الخاصة. ففي المجتمع الذي نشأ فيه كانت اللغة الفارسية هي السائدة وكانت هناك تعابير معينة تتمثل في حركات اليدين والجسم. وبالكيفية نفسها التي استعملت فيها اللغة الفارسية للتعبير عن كلمة الله الملهمة المنزلة، أدمج حضرة بهاءالله هذه الحركات التي كانت معروفة لديه، تعبيراً رمزياً لمختلف الأحاسيس كالتواضع والضراعة والعبودية لله.

إن لكل حضارة لغتها وعاداتها الخاصة. ومن الناحية البشرية فإن شخصية مظهر أمر الله مرتبطة ببيئته الخاصة. فهو يعبّر عن نفسه كما يفعل المواطنون الآخرون. ومن المألوف في حضارة إيران رفع اليدين نحو السماء عند الابتهال إلى الله، أو الإنحناء عند إظهار التواضع والخشوع أو السجود للتعبير عن عدمية الإنسان التامة أمام الله. وقد أدمج حضرة بهاءالله هذه الحركات في الصلاة اليومية من أجل أن يؤدي العبد صلاته بحرارة وشعور أرهف ولأجل التوكيد قولاً وفعلاً على عبوديته لدى عتبة جلال ربه.

علّق حضرة بهاءالله أهمية قصوى على الصلاة المفروضة. يؤكد ذلك حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه(٤) إذ يصفها بأنها "أس أساس أمر الله" و"سبب روح وحياة القلوب الرحمانية". وفي لوح آخر(٥) يزيد مصرّحاً بأن أداء فريضة الصلاة واجب على الجميع ولا يقبل عذر لأحد إلاّ لمن كان مختل العقل أو في حالة وجود موانع فوق العادة.

وعدا الصلاة المفروضة، التي تجب على كافة المؤمنين، أنزل حضرة الباب وحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء أدعية ومناجاة عديدة تختلف عن الصلاة المفروضة في طبيعتها وقراءتها ولا تعتبر فرضاً دينياً بل تركت تلاوتها لاختيار الفرد متى رغب بذلك بصفة شخصية أو في جمع عام.

من المعتاد في الإسلام أداء الصلاة جماعة. ولكن حضرة بهاءالله رفع حكم صلاة الجماعة إلاّ في صلاة الميت. وخلافاً للصلاة المفروضة التي تؤدى بصفة فردية في عزلة، فإن صلاة الميت تتلى في جمع من الحاضرين. نلاحظ هنا الفرق بين الأدعية والمناجاة التي أنزلها حضرة الباب وحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء، والتي يمكن تلاوتها في المناسبات العامة، وبين صلاة الميت التي هي من شعائر الدين البهائي والتي أجاز حضرة بهاءالله تلاوتها أمام الملأ. إن عبارة "صلاة جماعية" قد تسبب سوء فهم للقارئ إذ قد يفترض بأن تلك الصلاة ينبغي أن يتلوها كافة الحاضرين سوية. لكن الأمر ليس كذلك. فصلاة الميت يقرؤها أحد الحاضرين في المناسبة أمام الجمع الموجود، ومن جهة ثانية هناك أدعية ومناجاة أنزلها حضرة بهاءالله أو حضرة عبدالبهاء يمكن تلاوتها بلغتها الأصل للترديد الجماعي. وبما أن هذه لا تشكل جزءاً من أي من الشعائر، فإن تلاوتها على هذا النحو لا يعتبر "جماعياً".

العمل عبادة

إن شكلاً آخر من العبادة مما فرضه حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" هو عمل الإنسان الذي يزاوله بروح خدمة العالم الإنساني. إن هذا الحكم في تعاليمه فريد في تاريخ الأديان، وهو مصدر التقدم الروحي والمادي.

"قد وجب على كل واحد منكم الاشتغال بأمر من الأمور من الصنائع والاقتراف وأمثالها وجعلنا اشتغالكم بها نفس العبادة لله الحق تفكروا يا قوم في رحمة الله وألطافه ثم اشكروه في العشي والإشراق. لا تضيعوا أوقاتكم بالبطالة والكسالة واشتغلوا بما ينتفع به أنفسكم وأنفس غيركم كذلك قضي الأمر في هذا اللوح الذي لاحت من أفقه شمس الحكمة والتبيان. أبغض الناس عند الله من يقعد ويطلب تمسّكوا بحبل الأسباب متوكلين على الله مسبب الأسباب."(٦)

ولو أن عبادة الله هي أهم واجب على الإنسان وهي غاية حياته ووجوده، لكن حضرة بهاءالله يصرح في أحد ألواحه(٧) أنه إذا شغل أحد نفسه بعبادة الله طول

حياته ولم تظهر منه أعمال طاهرة ولا تلك الصفات الروحانية التي بها يعلو أمر الله وينتشر فإن كل عبادته لن تنفعه ولن تؤدي إلى نتيجة.

الضيافة التسع عشرية

هذه من المؤسسات الحيوية الأخرى التي شرعها حضرة الباب أصلاً وثبّتها من بعده حضرة بهاءالله وأقرها في "الكتاب الأقدس". ففي كل شهر بهائي(١) يشارك أفراد الجامعة البهائية في مجلس ضيافة يشتمل على ثلاثة أقسام هامة هي المناجاة والأدعية، والمشورة، والتآلف الاجتماعي. ويصرح حضرة بهاءالله بأن الغاية الأساسية من الضيافة هي خلق المحبة والاتحاد في قلوب العباد.

إلغاء الرهبنة والاعتراف بالخطايا والمعاصي

في "الكتاب الأقدس" ينهي حضرة بهاءالله نهياً قاطعاً عن التسول والتنسك. ويعارض بشدة الانزواء والاعتكاف، ورياضة النفس وإيقاع الشدائد على البدن. ويقرر بأن هذه الأعمال لا علاقة لها بالتقدم الروحاني وليست مقبولة عند الله. وقد أشرنا في مجلد سابق(٢) إلى هذا الموضوع. كما أن حضرة بهاءالله أشار في عدة ألواح لهذه الناحية الهامة من تعاليمه. ففي لوح "الكلمات الفردوسية" الذي أنزله في حق الحاج ميرزا حيدر علي، نجد الكلمات التالية:

"يا أهل الأرض إن الانزواء والرياضات الشاقة غير فائزة بعز القبول. وأرباب البصر والعقل ينظرون إلى ما هو سبب الروح والريحان. وظهرت أمثال هذه الأمور من أصلاب الظنون والأوهام. ولم تلق لأهل العلم ولن تليق. وقد سكن بعض من العباد سابقاً ولاحقاً في كهوف الجبال وتوجّه بعضهم الآخر إلى

---

(١) يحتوي التقويم البهائي على ١٩ شهراً وكل شهر ١٩ يوماً. للمزيد من المعلومات انظر المجلد الثاني.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢٣–٢٥.

القبور في الليالي. قل اسمعوا نصح المظلوم واتركوا ما عندهم وتمسّكوا بما يقوله الناصح الأمين. **لاتحرموا أنفسكم عمّا خلق لكم.**"(٨)

وهذا ما أنزله حضرة بهاءالله في "البشارات" مخاطباً رهبان المسيحية للخروج من عزلتهم ومزاولة حياة تخدم الإنسانية:

"إنه ولو كانت أعمال حضرات الرهبان والقسيسين من ملة حضرة الروح[١] -عليه سلام الله وبهاؤه- مقبولة عند الله إلاّ أنه يجب اليوم أن يخرجوا من الانزواء إلى سعة الفضاء ويشتغلوا بما ينفعهم وينتفع به العباد وأذنّا الكل بالتزوّج. **ليظهر منهم من يذكر الله رب ما يُرى وما لا يُرى ورب الكرسي الرفيع.**"(٩)

في كثير من ألواحه يصف حضرة بهاءالله المقام السامي للإنسان. لذا فإنه ما زال يحثه لرفع خلقه وكل ما من شأنه حفظ شرفه ووقاره. وفي "الكتاب الأقدس" حرّم مزاولة الاعتراف بالخطايا التي تحط من مقام الشخص وكرامته. وينصح بدل ذلك أن يستغفر العبد ربه سائلاً عفوه ومغفرته. يصرح في أحد ألواحه:

"يجب على العاصي أن يطلب العفو والمغفرة حينما يجد نفسه منقطعاً عمّا سوى الله. ولا يجوز الاعتراف بالخطايا والمعاصي عند العباد لأن ذلك لم يكن ولن يكون سبباً للغفران أو العفو الإلهي بل الاعتراف لدى الخلق سبب للذلة والهوان. ولا يحب الحق جل جلاله ذلة عباده. **إنه هو المشفق الكريم.** ينبغي للعاصي أن يطلب الرحمة من بحر الرحمة فيما بينه وبين الله ويسأل المغفرة من سماء الكرم ويقول:

إلهي إلهي أسألك بدماء عاشقيك الذين اجتذبهم بيانك الأحلى بحيث قصدوا الذروة العليا مقر الشهادة الكبرى وبالأسرار المكنونة في علمك وباللئالىء المخزونة في بحر عطائك أن تغفر لي ولأبي وأمي. وإنك أنت أرحم الراحمين. لا إله إلاّ أنت الغفور الكريم. أي رب ترى جوهر الخطاء أقبل إلى بحر عطائك والضعيف ملكوت اقتدارك والفقير شمس غَنائك. أي

(١) حضرة المسيح.

رب لا تخيبه بجودك وكرمك ولا تمنعه عن فيوضات أيامك. ولا تطرده عن بابك الذي فتحته على من في أرضك وسمائك. آه آه خطيئاتي منعتني عن التقرب إلى بساط قدسك وجريراتي أبعدتني عن التوجه إلى خباء مجدك. قد عملت ما نهيتني عنه وتركت ما أمرتني به. أسألك بسلطان الأسماء أن تكتب لي من قلم الفضل والعطاء ما يقرّبني إليك ويطهّرني عن جريراتي التي حالت بيني وبين عفوك وغفرانك. إنك أنت المقتدر الفياض. لا إله إلاّ أنت العزيز الفضّال."(١٠)

من جملة الأمور التي يشجبها حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" استغلال الدين وعبادة الله لأغراض نفسية وذاتية. ففي الماضي تسترت نفوس لا تحصى وراء عباءات التدين والتعبد طلباً للرئاسة. وتقمصت بعض النفوس الطموحة بقميص التقديس رياء وسعياً لاكتساب احترام المجتمع. حتى في يومنا هذا هناك كثيرون يفعلون الشيء نفسه. في هذا اليوم فُقدت معاني التقوى والقداسة الحقيقية، وبدلاً عنها غالباً ما أصبحت هذه الكلمات سمة المرائي المتخفي وراء لباس الدين، متظاهراً بأنه من رجال الدين المقدسين، بينما تخالف أفعاله وحياته الخاصة أقواله مخالفة شنيعة.

مثال على هذا، إيران، مهد دين حضرة بهاءالله، حيث كان كثير من الناس قد أوهموا على الاعتقاد بأن إحدى علامات ومعايير روحانية وقداسة الشخص أو الزعيم الديني هو رؤيته ماشياً بين الناس متمتماً بكلمات قرآنية. وغالباً ما كان رجال الدين يشاهَدون سائرين في الطرقات تتحرك شفاههم وكأنهم يتلون الدعاء. لقد منع حضرة بهاءالله هذه الممارسة في "الكتاب الأقدس". شكل آخر من النفاق كان سائداً بين الإيرانيين في أوائل أيام أمر الله هو تعمد إظهار علامة "تربة"[١] الصلاة على جبينهم للدلالة على أنهم متديّنون أتقياء بشهادة تلك العلامة، وبذلك يعلنون

(١) التربة هي قرص من طين صلب يُزعم بأنه معمول من تراب مجاور لأحد مراقد الشيعة المقدسة. توضع هذه أمام المصلي حيث، عند السجود أثناء صلاته، يضع جبينه عليها. ومع الوقت والممارسة تترك هذه أثرها على جبينه.

ويشهرون للملأ مدى تقواهم وتدينهم. وعندما يشاهد الجاهلون والمتعصبون هذه العلامة، وهي عادة بشكل بقعة في الجبين متورمة أو ناتئة شيئاً ما، كانوا يهيمون إعجاباً وتقديراً لمن يسمى بالرجل المقدس الذي قضى معظم وقته متعبداً ساجداً بحيث تورّم جبينه من أثر السجود! لا شك أن هناك كثير من الناس المتدينين المخلصين الذين يحيون حياة فاضلة، إلاّ أن حياة النفاق والرياء التي تطبع أولئك الذين يفتعلون التقوى والقداسة منتشرة بشكل واسع.

يولي حضرة بهاءالله أهمية قصوى في تعاليمه على صفاء النية وطهارتها والإخلاص سواء في أفكار الشخص أو أعماله. في "الكتاب الأقدس" يعدد حضرة بهاءالله بعض الفضائل التي ينبغي أن تتحلى بها النفس البشرية:

"زينوا رؤسكم بإكليل الأمانة والوفاء وقلوبكم برداء التقوى وألسنكم بالصدق الخالص وهياكلكم بطراز الآداب كل ذلك من سجية الإنسان لو أنتم من المتبصرين. يا أهل البهاء تمسّكوا بحبل العبودية لله الحق بها تظهر مقاماتكم وتثبت أسمائكم وترتفع مراتبكم وأذكاركم في لوح حفيظ. إيّاكم أن يمنعكم من على الأرض عن هذا المقام العزيز الرفيع. قد وصيناكم بها في أكثر الألواح وفي هذا اللوح الذي لاح من أفقه نير أحكام ربكم المقتدر الحكيم."(١١)

وفي "الكلمات المكنونة" يوبّخ علماء الدين بهذه الكلمات:

"يا أيها الجهلاء المعروفون بالعلم
لماذا تدّعون في الظاهر بأنكم الرعاة ثم غدوتم في الباطن ذئاب أغنامي، إنما مثلكم كمثل نجم ما قبل الصبح، فهو دري منير في الظاهر، إلاّ أنه في الباطن سبب إضلال قوافل مدينتي وديارى وهلاكها."(١٢)

"يا من تزين ظاهركم وخبث باطنكم
إنما مثلكم كمثل ماء مرير صاف، يرى فيه الرائي كمال اللطف والصفاء في الظاهر، فإذا اختبره مذاق الأحدية لم يقبل منه قطرة واحدة، أجل إن تجلي

الشمس في التراب والمرآة سواء، ولكن اعلم إن الفرق بينهما كالفرق بين الأرض والفرقدين بل الفرق بينهما ليس له انتهاء."(١٣)

في موضع آخر يبين أن في هذه الدورة لن يقبل عند الله غير الأعمال الطاهرة الخالصة:

"يا أحبائي! اطفئوا سراج الضلال، وأوقدوا في قلوبكم مصباح الهداية الأبدية. فسوف لن يقبل مثمنو البشرية، في محضر المعبود سوى الفضيلة الخالصة والأعمال المقدسة المنزهة."(١٤)

الصحة والعلاج: "لوح الطب"

يصرّح حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" بأن الله قد أوجد من الأسباب ما يحقق للإنسان كل شيء في هذه الحياة. فيحض الإنسان على التمسّك بهذه الأسباب واستعمالها. مثلاً يوجه أتباعه وينصحهم بمراجعة حذاق الأطباء عند المرض. وفي هذا المثال الطب هو الواسطة التي قد يشفى بها الشخص من مرضه. ومثل ذلك هناك أسباب قد تعينه على التغلب على فقره وجهله وغير ذلك من المشاكل.

لا شك أن الدعاء يلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان، ولكن الدعاء وحده دون عمل مناسب يسانده قد لا يكون له غير فائدة قليلة أو لا فائدة فيه إطلاقاً. فالاثنان يجب أن يعملا معاً. فإذا تمسّك الإنسان بوسيلة لتحقيق هدف أو حاجة ما، مستمداً القوة من الله من خلال الصلاة والتوجه بالدعاء فإن جهوده ستكلل بالنجاح. ينبغي للشخص المريض أن يتبع ما يشير عليه الطبيب وذلك بأخذ الدواء، وبالوقت نفسه يصلي ويدعو الله لشفائه.

لقد صرح حضرة بهاءالله بوضوح بأن العليل قد يشفى من مرضه بالصلاة والدعاء، وأنزل لهذا الغرض عدة أدعية، ولكنه مع ذلك لم يقتصر على السبيل الروحاني أو يجعله بديلاً عن علاج الطبيب. وتأكيداً منه على ذلك فإن حضرة بهاءالله، في غالبية الأحوال كان يأمر أصحابه باستشارة الأطباء عند المرض بدل

أن يلتمسوا شفاءهم خلال قدرته السماوية. كما أنه طلب منهم أن يصلّوا من أجل المريض، ولمّا كان فرد من آل بيته يصيبه المرض فإنه يطلب إحضار طبيب له.

تجدر الإشارة إلى أنه في حين تأكيده على أهمية الدعاء بالشفاء للمريض، فإن حضرة بهاءالله لم يؤيد أو يشر إلى أي وسيلة علاج روحاني أخرى كالتي يمارسها بعض المعالجين "العقائديين" وأمثالهم. ورداً على سؤال من أحد الأفراد، كتب حضرة شوقي أفندي بواسطة سكرتيره ما يلي:

ليس هناك معالجون بهائيون أو طريقة علاج بهائية. وبموجب نص "الكتاب الأقدس" يشير حضرة بهاءالله بالرجوع إلى الحذاق من الأطباء، وبمعنى آخر الأطباء الذين درسوا منهجاً علمياً في الطب. ولم يحملنا حضرته على الاعتقاد بأنه سيستجيب لشفائنا عن طريق "معالجين"، بل بالأحرى بواسطة الصلاة والدعاء من ناحية والطبابة وطرق العلاج الأخرى المعترف بها من ناحية ثانية.(١٥)

يعلّمنا حضرة بهاءالله بأن علم الطب ومهارة المعالجة يجب أن تتطور. وقد صرح حضرة عبدالبهاء بأن علم الطب سوف يتكامل ويتقن في المستقبل بحيث تعالج معظم الأمراض بالأغذية والأعشاب والأدوية الطبيعية. ومع أن مهمة حضرة بهاءالله الرئيسة لم تكن من أجل هداية الناس في أمور تتعلق بالغذاء والصحة -وهو دور يجب أن يقوم به أو يترك للعلم في هذا العصر- إلاّ أنه مع ذلك ترك للأجيال بعض النصائح الأساسية في التغذية والصحة.

في اللوح المعروف باسم "لوح الطب"، الذي نزل في حق آقا ميرزا محمد رضا الطبيب، من يزد، يوصي حضرة بهاءالله بالتماس العلاج الطبي عند الضرورة وينصح بأن يُعالج المريض أولاً بالأغذية ثم الأدوية إن لم يحصل شفاء من الأولى. في سياق هذا اللوح يعدد بعض الإرشادات المبدئية فيما يختص بالصحة الجيدة بما في ذلك نصائح في كيفية تناول الغذاء بشكل سليم وصحي.[١] ويؤكد فيه

(١) لا يتسع المجال في هذا المجلد لبحث هذه النصائح لأنها تتناول عدداً من الموضوعات الطبية الهامة التي تقع خارج أهداف الكتاب.

أهمية الالتزام بالقناعة في كل الأحوال للإبقاء على سلامة الصحة، مبيناً أضرار الهم والغم على الإنسان وصحة مزاجه محذراً على الخصوص من عواقب الحسد، لأنه يأكل الجسد، والغيظ لأنه يحرق الكبد.

في هذا اللوح يناشد حضرة بهاءالله الطبيب بأن يتوجّه بقلبه إلى الله أولاً عند معاينة المريض ثم يصف له العلاج أو الدواء. ويقرر بأن الطبيب الذي اعترف به وأقبل إليه و"شرب خمر حبه" يكون "القاؤه شفاء".

ولقد كان آقا ميرزا محمد رضا، الذي نزل "لوح الطب" في حقه، مصداقاً لصفات الطبيب الذي ورد ذكره أعلاه. فيما يلي ما كتبه الحاج محمد طاهر المالميري في مذكراته عنه:

كان آقا ميرزا محمد رضا الطبيب من أوائل المؤمنين الذين اعتنقوا أمر الله حين قدوم السيد يحيى الدارابي، المعروف بلقبه "وحيد"،[1] إلى يزد. كان طبيباً ماهراً مرموقاً ومثلاً حياً في الفضل والاستقامة. نزل "لوح الطب" في حقه من القلم الأعلى. مما ذكره حضرة بهاءالله في هذا اللوح المبارك أن مجرد زيارة طبيب "شرب خمر حبّه" لمريض تكفي أن تكون سبباً في شفائه. وميرزا محمد رضا هذا كان خير مثال على طبيب يحقق كلمات حضرة بهاءالله. فقد كان يعالج ويشفي مرضاه بأبسط الوسائل. وبما ملكه من صفات رائعة فإنه كان بحق شخصية متميزة للغاية وسط جامعة الاسم الأعظم. لكنه عندما علم بانشقاق ميرزا يحيى ونقضه الميثاق اضطرب اضطراباً عظيماً وتأثر إذ كان بطبيعته رجلاً تقياً جداً. فوقع في حيرة وبلبلة نتيجة ذلك بحيث انتابته الشكوك في الأمر لبعض الوقت. إلاّ أن العناية الإلهية شاءت إنقاذه وذلك بواسطة مجيء الملاّ زين العابدين، من مواطني نجف آباد (أعطاه حضرة بهاءالله لقب زين المقربين)[2] إلى يزد لتهدئة اضطرابه وإزالة شكوكه. وحين قدومه سكن زين المقربين في البداية في منزل هذا العبد في ناحية مالمير،

(١) انظر المجلد الأول، الملحق رقم ٣.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٦-٢٧.

ولكنه لمّا سمع بما كان ميرزا محمد رضا يعانيه من مرارة المحنة والافتتان ذهب وأقام بمنزله. ونتيجة لذلك انتبه ميرزا محمد رضا واطلع إطلاعاً كاملاً على ظروف ظهور حضرة بهاءالله.[1] وفاز فيما بعد بعدة ألواح من القلم الأعلى، وخدم دين حضرة بهاءالله بإخلاص وحبّ حتى نهاية حياته وعاش قريباً من ثمانين سنة.(١٦)

في "لوح الطب" يثني حضرة بهاءالله على علم الطب بوصفه أشرف العلوم كلها إذ جعله الله سبباً لصحة العباد. ويختم هذا اللوح بواحد من أدعية الشفاء المشهورة:

"يا إلهي اسمك شفائي وذكرك دوائي وقربك رجائي وحبك مؤنسي ورحمتك طبيبي ومعيني في الدنيا والآخرة وإنك أنت المعطي العليم الحكيم."

ويصرّح حضرة بهاءالله أيضاً في هذا اللوح بأهمية الشجاعة والثبات في أمره والحكمة في تبليغه. كما يقرر جازماً بأن لو عمل المؤمنون وفق ما أمر به وثبتوا على ذلك بإخلاص وانقطاع، لاعتنق أغلب البشر دينه في أيام حياته الأرضية.

وتبقى الإشارة إلى الطب ودوره في العلاج غير كاملة دون ذكر قوة الروح القدس، والتي لا يمتلكها إلاّ مظاهر أمر الله وهي القوة القادرة على البرء والشفاء دون أي وسائل مادية. هذه هي القوة التي كان حضرة المسيح يملكها وكذلك حضرة بهاءالله أظهرها تماماً في هذا اليوم. ففي عدة مناسبات قام حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء، الذي وهبت له هذه القوة، بمعجزة إشفاء مرضى عجز الأطباء عن برئهم.

ولو أن حضرة بهاءالله قد منع أتباعه من أن ينسبوا المعجزات إليه، إلاّ أن هناك حكايات عديدة تركها أتباعه للأجيال تصف الظروف التي إما أشفى فيها من لم

(١) في الأيام الأولى من ظهور الأمر، ونظرا لغياب وسائل اتصالات مناسبة وفاعلة، كان من السهل تضليل البابيين بالإشاعات والدعاية الملفقة. لذا لم يكن هناك ما يطمئن القلوب أفضل من لقاء النفوس المستنيرة حقاً ممن وُهبوا معرفة مباشرة شخصية بظهور حضرة بهاءالله.

يُرجَ شفاؤه أو أحيى فيها الميت. ولقد وصفنا حالة واحدة من هذه في مجلد سابق.[١] لكن أتباعه لم يعتبروا أية واحدة من هذه الأعمال الخارقة للطبيعة دليلاً على أحقية أمره، إذ إن ذلك يحطّ من مقامه الأعلى.

كان لحضرة عبدالبهاء أيضاً هذه القوة. يروي الدكتور يونس خان،[٢] وهو سكرتير موثوق متميز لحضرة عبدالبهاء وأحد "حُماة ميثاق حضرة بهاءالله"، يروي بمذكراته وصفاً شيقاً عن الموضوع نوجزه فيما يلي:

سمعت حضرة عبدالبهاء يتحدث كثيراً عن الطب في عدة مناسبات: فكان يقول بأن جناب كليم –أخ حضرة بهاءالله المخلص– له إطلاع واسع في طب الأعشاب وكان يمارسه. وحتى حضرة عبدالبهاء في أوائل أيام أمر الله كان يصف بعض الأدوية لمن يقصده للعلاج. لكن فيما بعد وجهه حضرة بهاءالله بألاّ يستمر بوصف شيء للمرضى، حتى يتّجه المؤمنون إلى مهنة الطب ولا يتعودوا على الأخذ بنصائح طبية من أناس ليسوا أهلاً بها. وهذا النصح من حضرته كان من أجل تهيئة المؤمنين للعمل بما نزل في "الكتاب الأقدس" بالرجوع إلى الحذاق من الأطباء.

ورغم علمنا بأن حضرة عبدالبهاء، شافي العلل الروحانية، لم يكن، بسبب هذا الأمر بالذات في "الكتاب الأقدس"، ليصف دواء لمرض جسماني، مع هذا اعتاد المرضى كلما عجز علاج الأطباء عن شفائهم أن يتوجهوا لحضرة عبدالبهاء راجين الشفاء من المولى الذي لا تقوى علّة على مقاومة علاجه ودوائه. وبالنظر لطبيعة حضرة عبدالبهاء الرحيمة السمحة التي لم تدع كل من توجه إليه بحاجة أن يُرد فاشلاً خائباً، فإنه كان في مثل هذه الحالات يستخدم بعض الوسائل، تطبيقاً لروح المبدأ، لشفاء المريض. وكان يحقق ذلك عن

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٣٠٧–٣٠٨.

(٢) للإطلاع على سيرة مختصرة عن حياته وخدماته للأمر انظر مجلد العالم البهائي، (بالانگليزية) رقم ١٢، الصفحات ٦٧٩–٦٨١. كان لقب "بشير الميثاق" يعطى أحياناً من قبل حضرة عبدالبهاء أو حضرة شوقي أفندي إلى المبلغين البارزين.

طريق إعطاء المريض مستحضراً يؤدي الغرض في شفاء الشخص. والأكثر غرابة هنا هو أنه في حين التزم الأحباء بضبط النفس في هذا المجال، إلاّ أن غير البهائيين من عامة الناس ممن لم يعرفوا واقع الحال دأبوا على التوجه إلى حضرة عبدالبهاء طلباً للعلاج على نطاق أوسع، ولم يكن ليخرج أحد منهم شاعراً بالخيبة.

إحدى الوصفات العلاجية التي كانت تحت تصرف حضرة عبدالبهاء والتي كان يقدمها لكثير من المرضى كانت عبارة عن شراب لذيذ مستخرج من الرمّان. وهذا الثمر كان قد زرع في حديقة الرضوان في عكاء. وكل من شرب من يد حضرة عبدالبهاء ذلك الشراب، بهائياً كان أم غير بهائي، كان يقول له أن الرمّان قد أثمر على أشجار في حديقة الرضوان، أشجار بوركت بلحاظ الجمال المبارك جل كبرياؤه. لكن ما هي الظروف أو العوامل التي كانت تؤدي إلى الشفاء؟ هل كانت استعداداً في طبع المريض لتقبل الشفاء؟ أم كان الشفاء نتيجة تناول شراب الرمّان، أم كان مجرد أثر إرادة حضرة عبدالبهاء؟ أنا لا أعرف الجواب، لكن أعرف شيئاً واحداً هو أن هذا الشراب اللذيذ قد أثبت وبرهن مرة بعد مرة على أنه العلاج والدرياق الشافي لعدة أمراض! وكان هذا من الموضوعات التي **غالباً** ما يتحدث عنها المؤمنون في بيت المسافرين.

وصفة أخرى كان حضرة عبدالبهاء ينصح بها بعض الأشخاص هي الصوم أو الامتناع عن تناول بعض الأطعمة. وكان لحضرة عبدالبهاء وسيلة أخرى يلجأ إليها، وهي الشافية لعلل النفس والروح، ويتبعها مع البعض الآخر، ألا وهي العلاج بدون أي واسطة... ففي ذات مرة عولجت على يديه بهذا النحو أي بدون أي واسطة مادية. وهذه هي القصة:

خلال فترة وجود الدكتور أرسطو في عكاء مقيماً في بيت المسافرين أصابني مرض... ورغم امتداد المرض لفترة طويلة وكان ألمي شديداً لا يحتمل فإني لم ألتمس الشفاء من حضرة عبدالبهاء بل استمر الدكتور أرسطو في محاولاته التي، رغم كل ما لديه من حيل، لم تبرئني... وذات ليلة بلغت

شدة الأوجاع حداً لا يطاق بحيث وصل أنيني وتأوهي لأسماع المسافرين في البيت واتفق جميع الموجودين على إرسال الخادم آقا محمد حسن إلى بيت المولى طلباً للشفاء. وقد تمّ ذلك. ولم أكن أعلم فيما بعد إذا كان المولى في تلك الساعة مستيقظاً أم نائماً. وكل الذي أعرفه هو أنه عندما رجع آقا محمد حسن، كنت قد استغرقت في نوم عميق. ولمّا صحوت عصر اليوم التالي كان قد ذهب عني كل ألم، وفي المساء شعرت بقدرتي على المشي. كنت مريضاً مدة خمسة وعشرين يوماً وفي الأيام القليلة الأخيرة التزمت الفراش. وبطبيعة الحال حرمت خلال تلك الفترة من الفوز بمحضر المولى. ولذا توجهت ماشياً صوب بيته. فصادفته في الطريق حيث تشرفت بمحضره. سأل عن حالي وصحتي ثم غمرني بفيض عناياته وفضله. فشعرت بأنها لحظة مناسبة لألتمس منه شفاء تاماً. وفعلت ذلك. فقال: "حسن جداً، ولكن ينبغي أن تجرى لك عملية فصد،[1] إمّا بطريقة الكوب (الساخن) أو الشق الوريدي.

إن مجرد سماعي كلمة "الكوب" أرهبتني، وبحركة تلقائية، كطفل مدلل، اكفهرّ وجهي واهتز كتفي، بمعنى إني لا أحتمل المشرط ولا الكوب! لمّا شهد حضرة عبدالبهاء حالي بهذا النحو قال بصوت مرح: 'سبحان الله! أيها الرجل، كنت آمل أن أرسلك لتقابل سيوف الأعداء وها إنك تخشى كوب زجاج!'

ونظراً لما عُرف عني من نزعة الفكاهة والثرثرة، تجاسرت قائلاً على سبيل الفكاهة: 'عندما يحدث ذلك فإن الله سيمدني بفضله وعونه! ولكن لو أردت استعمال الكوب الزجاجي لشفائي، فلماذا أقصد محضرك متوسلاً راجياً شفاء على يديك؟' عندئذ تبسم... وفي ابتسامته كان شفائي التام النهائي. وهكذا برئت بدون أية وسائل مادية.(١٧)

---

(١) فصد الدم (الحجامة) بطريقة الكوب الزجاجي الساخن طريقة قديمة معروفة. وتتلخص في إحداث خدوش في الجلد، عادة في الظهر، ثم وضع كوب زجاجي ساخن مقلوب فوق الجرح فيستمر جريان الدم بفعل تخلخل الهواء داخل الكوب. وهناك طريقة قديمة أخرى تتم بواسطة جرح في أحد الأوردة الدموية.

من أوامر حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" الالتزام بالنظافة التامة. لذا فإنه يدعو أتباعه بأن يكونوا قدوة في الطهارة لجميع ملل العالم. ومع أن هذا الأمر يختص بالنظافة البدنية، ويعود على الإنسان بما يعزز احترامه وتقديره، لكنه بالوقت نفسه يؤثر تأثيراً ذا اعتبار في حالته الروحانية. ذلك لأن النظافة الظاهرية هي علامة على النظافة الروحية والحيوية. ولقد طبق حضرة عبدالبهاء، وهو المثل الأعلى لتعاليم حضرة بهاءالله، خلال كافة مراحل حياته، سواء كان سجيناً أم طليقاً، هذه الناحية الهامة من التعاليم. وكانت من ملامحه الأخاذة التي شهد لها وأطرى عليها أصدقاؤه وأعداؤه هي نظافته ومظهره الخارجي الذي لا تشوبه شائبة.

أكد حضرة بهاءالله في كتاباته على أتباعه بالتزام العفة التامة الطاهرة سواء للرجال أو للنساء. ونجد في "الكتاب الأقدس" تأكيداً وتكراراً لهذا المبدأ الخلقي الهام. في الوقت الذي تجتاح فيه وجه الأرض قوى اللادينية وتنحدر فيه معايير الأخلاق، تشع تعاليم حضرة بهاءالله هذه في العفة كالنور وسط الظلام. في الفقرات التالية المقتطفة من أحد ألواحه نجد نصائح في أرفع درجات الخلق والآداب التي يأمر بها حضرة بهاءالله أتباعه:

"قل الذين ارتكبوا الفحشاء وتمسّكوا بالدنيا إنهم ليسوا من أهل البهاء هم عباد لو يردون وادياً من الذهب يمرون عنه كمرّ السحاب ولا يلتفتون إليه أبداً ألا إنهم مني ليجدن من قميصهم الملأ الأعلى عرف التقديس... ولو يردن عليهم ذوات الجمال بأحسن الطراز لا ترتد إليهن أبصارهم بالهوى أولئك خلقوا من التقوى كذلك يعلمكم قلم القدم من لدن ربكم العزيز الوهّاب..."(١٨)

بعد تفحصه كتابات حضرة بهاءالله، لخّص حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، بعض تعاليم حضرة بهاءالله في هذا المجال. فيما يلي استنتاجاته:

"في العفة والتقديس يكمن أساس سلوك الفرد وميزان نهج حياته وجميع أطوار الأحباء في روابطهم الاجتماعية داخل الجامعة البهائية وخارجها. فيجب أن

تكون هذه الصفة الأساسية طراز هيكل النفوس وعماد قوة الجهود في نشر النفحات المسكية الإلهية وتصريف شؤون دين حضرة بهاءالله ويفتخروا بها. على أحباء الله المستظلين بهذا اللواء السبحاني أن يتحلوا بهذه الصفة المُرضية (العفة والتقديس) في جميع الشؤون والأحوال: في السفر والحضر، في المجامع العامة والمحافل الخاصة، في المكاتب والمدارس والمعاهد العلمية والأدبية، فتظهر منهم بكمال الدقة في حركاتهم وسكناتهم اليومية وفي نشاطاتهم وفعالياتهم في المدارس الصيفية، كما يجب بذل العناية الفائقة في تحقيق هذا الأمر الدقيق في كل فرصة ومناسبة حتى تتقوى أسس حياة الجامعة البهائية وتستحكم. وأخيراً فإن هذه الحقيقة الشاخصة يجب أن تكون الصفة الملازمة للشباب في تكوين شخصيتهم فلا تنفك عنهم في أدائهم لرسالتهم والقيام بمسؤولياتهم الجسام. فالشباب عنصر حيوي عظيم في الجامعة البهائية وعامل مؤثر فاعل في تقويم غيرهم من الشباب في بلدهم.

إن هذا التقديس والتنزيه بما يقتضيه من عفة وطهارة يستلزم الاعتدال في جميع المراتب والأحوال: في الملبس ثم الألفاظ والكلمات وممارسة المواهب الفنية والأدبية وكذا الأمر في الابتعاد عن المشتهيات النفسية وترك العادات والأهواء السخيفة وأساليب اللهو الرذيلة التي تحط من مقام الإنسان وتهوي به من أوج العزة إلى حضيض الذلة، كما يدعو بقوة إلى اجتناب المسكرات والأفيون وسائر العادات الضارة، فالتقديس والتنزيه يمنع المتاجرة بالفن والأدب ويحرم ظاهرة التعري والزواج الرفاقي والخيانة في العلاقات الزوجية وجميع أشكال العلاقات الجنسية غير المشروعة ويبرأ من كل ما ينافي الأحكام والشرائع الإلهية، ولا يتفق بأي وجه من الوجوه مع الأحوال السائدة وموازين الآداب غير المرضية لهذا العصر المنحط والمتجه نحو الزوال. إنه يكشف عملياً ويقيم الدليل القاطع على بطلان هذه الأفكار وانحطاط هذه الطرق ومفاسد تلك التجاوزات."(١٩)

الزواج

لقد شجع حضرة بهاءالله الناس على الزواج وأكد على أن فيه سبب الراحة والاتحاد فيما بينهم. يصرح في "الكتاب الأقدس":

"تزوجوا يا قوم ليظهر منكم من يذكرني بين عبادي."(٢٠)

كما هو واضح في هذه الفقرة فإن الهدف الرئيس من الزواج طبقاً للتعاليم البهائية هو إنجاب الذرية.

ولأجل إحكام وترسيخ الاتحاد واجتناب الخلاف بين العائلات، كتب حضرة بهاءالله، علاوة على اتفاق الطرفين الذي هو عنصر أساسي في الزواج، ضرورة رضاء الوالدين أيضاً. وبدون الأخير لا يتم الزواج البهائي. إن مراسم الاقتران البهائي بسيطة جداً. وفي الوقت الراهن تُجرى المراسم بإشراف المحافل الروحانية.

تؤكد التعاليم البهائية أن الزواج الحقيقي هو الذي يخلق الاتحاد بين الرجل وزوجته على المستويين المادي والروحي. وزواج كهذا يصبح اقتراناً أبدياً ويدخل في القلوب البهجة والسرور.

كتب حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه ما يلي:

"... أمّا الزواج لدى الخلق فهو الارتباط الجسماني. وهذا الاتحاد والاتفاق مؤقت لأن عاقبته الفرقة الجسمانية التي أمرها مقرر ومحتوم. ولكن يجب أن يكون الزواج بين أهل البهاء شاملاً للارتباط الجسماني والروحاني معاً. لأن كلاً من الزوج والزوجة ثمل من كأس واحدة وتجذبه طلعة اللامثال. كلاهما حيّ بروح واحدة ومستبشر بأنوار هذه الرابطة الروحانية والاتحاد الأبدي. وكذلك ارتباطهما في العالم الجسماني أيضاً محكم ومتين. ولمّا كان الارتباط والاتحاد والاتفاق من حيث الروح والجسم معاً فذلك هو الوحدة الحقيقية. ولهذا فهي أبدية. أمّا لو كان الاتحاد والاتفاق من حيث الجسم فقط فذلك مؤقت وآخرته المفارقة الحقيقية. فإذاً يجب على أهل البهاء عندما تحل بينهم رابطة الزوجية أن يكون هناك ارتباط معنوي واجتماع

روحاني وجسماني حتى تحصل تلك الوحدة في جميع مراتب الوجود وفي جميع العوالم الإلهية. لأن هذه الوحدة هي الوحدة الحقيقية التي هي جلوة من نور محبة الله."(٢١)

وكتب كذلك:

"إن الزواج البهائي عبارة عن ارتباط الطرفين أحدهما بالآخر بالعقل والقلب. فعليهما أن يكونا على غاية الانتباه ومطلعين على أخلاق بعضهما البعض. ويجب أن يكون العهد الثابت بينهما عهداً أبدياً وأن تكون نواياهما المحبة الدائمة والمودة والاتحاد مدى الحياة... ويقتضي الزواج البهائي الحقيقي أن يتحد الزوجان اتحاداً روحياً ومادياً ويكون اتحادهما أبدياً في جميع العوالم الإلهية وبه تتحسن الحياة الروحانية. وهذا هو الزواج البهائي."(٢٢)

الموسيقى: "الغذاء الروحي للقلوب والأرواح"

كانت الموسيقى في المجتمعات الإسلامية ملعونة من قبل علماء الدين إذ اعتبروها وسيلة تبعث في النفس حب التمتع بالشهوات الغريزية. في إيران، خلال أوائل أيام ظهور أمر الله، كان رؤساء الدين يسخطون على الموسيقيين ويدعونهم بأولياء الشيطان. وقد بلغ صيت الموسيقى من القبح والذم بحيث كان الموسيقيون يخفون آلاتهم عند حملها والانتقال من مكان لآخر في المجتمع. فمثلاً في مناسبات الأعراس كان العُرف السائد هو أن تجري أولاً بعض المراسم الدينية في محضر رجل الدين. ولكن كان من الأسرار المعروفة الشائعة عند العموم هو أنه حالما تنتهي تلك المراسم ويغادر "الملاّ" الدار، تخرج جوقة الموسيقى ويبدأ الغناء والمرح.

ولعل في الرواية التالية مثال يصور الشدّة التي كان يعامل بها رجال الدين كل من عُرف بممارسته هذا الفن.

توجد في اسواق إيران حوانيت تبيع الكباب. فيوضع اللحم على لوحة من الخشب ثم يقطع ويفرم بسكين ضخمة تحمل من طرفيها. وعندما تنزل السكين

على اللحم واللوحة يصدر صوت صاخب. وفي حانوت مزدحم ينشغل عادة رجل واحد على الأقل في هذا العمل من الصباح إلى المساء.

كان في مدينة يزد رجل يعمل في حانوت كباب وعرف عنه بأنه ذو طبع مرح ويحب الموسيقى بحيث كان يستمتع أثناء عمله بما يخرجه من إيقاع في الصوت وهو يضرب اللوحة بالسكين. ورغم أنها لم تكن سوى ضربات صوتية لكنه جعل من إيقاعها متعة للسامع. إضافة لذلك كان عادةً ما يهتز مع الإيقاع بحركات جسمه مما يجعله منظراً مثيراً لانتباه المارة. وهكذا صار شأن هذا الرجل لبعض الوقت موضع خلاف وفتنة حول أسلوبه في فرم اللحم! أخيراً اضطر أحد مجتهدي يزد للتدخل حيث قرر وضع حد نهائي لذلك التصرف "الشائن". فاستدعي الرجل المسكين وأنذر بأنه سيعاقب بشدة لو استمر في أسلوبه وحركاته تلك!

في وسط مجتمع كهذا أعلن حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" بأن استماع الأصوات والنغمات هو واسطة لإنعاش روح الإنسان وسموّها. وهذه كلماته في ذلك الكتاب:

"إنّا حلّلنا لكم إصغاء الأصوات والنغمات إيّاكم أن يخرجكم الإصغاء عن شأن الأدب والوقار افرحوا بفرح اسمي الأعظم الذي به تولّهت الأفئدة وانجذبت عقول المقربين. إنّا جعلناه مرقاة لعروج الأرواح إلى الأفق الأعلى لا تجعلوه جناح النفس والهوى إني أعوذ أن تكونوا من الجاهلين."(٢٣)

كما أثنى حضرة عبدالبهاء على الموسيقى والغناء في عدة ألواح. كتب في أحدها:

"إن الجمال الأبهى في هذا الدور البديع قد خرق **حجبات** الأوهام وذمّ **تعصبات أهالي** الشرق. فعند بعض أهل الشرق كانت الموسيقى مذمومة. ولكن في هذا الدور البديع فإن النور المبين (حضرة بهاءالله) قد صرّح في ألواحه المقدسة بأن الموسيقى هي الرزق الروحاني للقلوب والأرواح. إن فن الموسيقى من الفنون الممدوحة وهي سبب نشوة القلوب المغمومة. إذاً...

لحنوا الآيات والكلمات الإلهية في المجامع والمحافل بألحان بديعة حتى تتحرر قلوب المستمعين من قيود الغموم والهموم وتتهيج القلوب والأرواح وتتبتل وتتضرع إلى الملكوت الأبهى. **وعليك البهاء الأبهى"(٢٤)**

"ليس لأحد أن يفتخر على أحد"

يستنكر حضرة بهاءالله بشدة في "الكتاب الأقدس" كل أعمال النزاع والجدال والعنف. كما أنه يمنع أتباعه منعاً قاطعاً عن القيام بأي تصرف تُشتمّ منه رائحة الفتنة والفساد. وينصحهم بألاّ يزرعوا زؤان الفرقة والخلاف بين البشر. إن أوامر حضرة بهاءالله في هذه النواحي لا تقبل المساومة. فهو يصرح بنحو بات بأن كل من يثير الفتنة والفساد ليس من أتباعه ولا يحق له أن يدّعي الولاء لأمره.

يأمر حضرة بهاءالله بالمحبة والاتحاد مع كل أمم العالم بغضّ النظر عن أصولهم. هذا ما أنزله في "الكتاب الأقدس":

"عاشروا مع الأديان بالروح والريحان ليجدوا منكم عرف الرحمن إيّاكم أن تأخذكم حمية الجاهلية بين البرية كل بدء من الله ويعود إليه إنه لمبدء الخلق ومرجع العالمين."(٢٥)

وفي الكتاب نفسه يحذر أتباعه بألاّ يفتخروا على أحد أو يتكبّروا عليه، مذكّراً إيّاهم بأن البشر كلهم خُلقوا من الماء وإلى التراب يرجعون. فيحضّهم على ألاّ يفضلوا أنفسهم على جيرانهم، وألاّ يرضوا لهم ما لا يرضونه لأنفسهم.

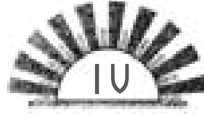
إحدى المنهيات في "الكتاب الأقدس" هي تجارة الرق. لمدة آلاف من السنين اعتاد الناس أن يمتلكوا العبيد. إلاّ أنه بظهور حضرة بهاءالله نفخ الله في العالم روح الوحدة وأعلن المساواة في حقوق الإنسان. صارت هذه الآن جزءاً من روح العصر وقطعت البشرية شوطاً طويلاً في المائة سنة الأخيرة حيث تخلت عن ممارسة الاستعباد التي امتدت أحقاباً طويلة. في نص تحريمه لهذه المتاجرة في "الكتاب الأقدس" يقرر حضرة بهاءالله ببساطة حقيقة أن ليس لإنسان أن يشتري إنساناً آخر إذ الكل عبيد لإله واحد وهم سواء في نظره.

في "الكلمات المكنونة" ينصح حضرته أهل العالم بقوله:

"يا أبناء الإنسان
هل عرفتم لِمَ خلقناكم من تراب واحد لئلا يفتخر أحد على أحد وتفكّروا في كل حين في خلق أنفسكم إذاً ينبغي كما خلقناكم من شيء واحد أن تكونوا كنفس واحدة بحيث تمشون على رجل واحدة وتأكلون من فم واحد وتسكنون في أرض واحدة حتى تظهر من كينوناتكم وأعمالكم وأفعالكم آيات التوحيد وجواهر التجريد هذا نصحي عليكم يا ملأ الأنوار فانتصحوا منه لتجدوا ثمرات القدس من شجر عز منيع."(٢٦)

وكذلك قوله:

"يا أيها الإخوان
فليدارِ بعضكم بعضاً، ولتفرغ قلوبكم من الدنيا ولا تفتخروا بالعزة، ومن الذلة لا تخجلوا، فوجمالي لقد خلقتكم من التراب جميعاً وإلى التراب أعيدكم جميعاً."(٢٧)



الكتاب الأقدس –٥– ميثاق حضرة بهاءالله

في عدة مواضع من "الكتاب الأقدس" هيأ حضرة بهاءالله أتباعه للوقت الذي يترك فيه هذا العالم ويعرج، على حدّ تعبيره، إلى "ممالك أخرى" وهي "المقامات التي ما وقعت عليها عيون أهل الأسماء."(١) وفي اثنتين من هذه الفقرات يشير إشارة واضحة إلى لزوم توجّه المؤمنين بعده إلى مركز عهده وميثاقه:

"إذا طارت الورقاء عن أيك الثناء وقصدت المقصد الأقصى الأخفى ارجعوا ما لا عرفتموه من الكتاب إلى الفرع المنشعب من هذا الأصل القويم."(٢)

وكتب أيضاً:

"إذا غيض بحر الوصال وقضي كتاب المبدء في المئال توجّهوا إلى من أراده الله الذي انشعب من هذا الأصل القديم."(٣)

ولو أن حضرة بهاءالله لم يعين صراحة من سيكون مركز عهده في كل من الفقرتين أعلاه، إلاّ أنه لم يخامر المؤمنين أدنى شك بأن حضرة بهاءالله إنما كان يقصد شخص حضرة عبدالبهاء. لكن حضرة بهاءالله أوضح ذلك التعيين في "كتاب عهدي" -كتاب الوصية- مبيناً بصراحة بأن المقصود هو غصنه الأعظم (حضرة عبدالبهاء).[1]

---

(١) في المجلد القادم دراسة أوسع لميثاق حضرة بهاءالله ومركزه حضرة عبدالبهاء.

في فقرة أخرى من "الكتاب الأقدس" بخصوص صعوده[1] يطمئن حضرة بهاءالله أحباءه بدوام عونه وتأييداته لهم بقوله:

"قل يا قوم لا يأخذكم الاضطراب إذا غاب ملكوت ظهوري وسكنت أمواج بحر بياني إن في ظهوري لحكمة وفي غيبتي أخرى ما اطلع بها إلاّ الله الفرد الخبير. ونراكم من أفقي الأبهى وننصر من قام على نصرة أمري بجنود من الملأ الأعلى وقبيل من الملائكة المقربين."(٤)

لم يشر حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" إلى من سيخلفه مباشرة فقط، بل ألمح أيضاً في الكتاب نفسه إلى مؤسسة الولاية[2] المرتقبة. ولو أن الفقرة الآتية من "الكتاب الأقدس" تختص بموضوع حقوق الله،[3] إلاّ أنها تشير كذلك إلى نمط تطور دين حضرة بهاءالله وتفتّحه:

"قد رجعت الأوقاف المختصة للخيرات إلى الله مظهر الآيات ليس لأحد أن يتصرف فيها إلاّ بعد إذن مطلع الوحي ومن بعده يرجع الحكم إلى الأغصان ومن بعدهم إلى بيت العدل إن تحقق أمره في البلاد ليصرفوها في البقاع المرتفعة في هذا الأمر وفيما أمروا به من لدن مقتدر قدير. وإلاّ ترجع إلى أهل البهاء الذين لا يتكلمون إلاّ بعد إذنه ولا يحكمون إلاّ بما حكم الله في هذا اللوح أولئك أولياء النصر بين السموات والأرضين. ليصرفوها فيما حدد في الكتاب من لدن عزيز كريم."(٥)

كان حضرة بهاءالله يستعمل كلمة "الأغصان" للإشارة حصراً إلى الذكور من ذريته. وقد جاءت الكلمة في الفقرة السالفة بصيغة الجمع دلالة على أنه سيكون أكثر من غصن في موقع الولاية في دورته. والذي حصل أن كان هناك اثنان من

(١) يشير البهائيون إلى وفاة حضرة بهاءالله بالصعود. ويعني ذلك صعود روحه إلى العوالم الروحية الإلهية.

(٢) للمزيد من المعلومات عن مؤسسة ولاية العهد انظر "وصية حضرة عبدالبهاء" و"دورة حضرة بهاءالله" لحضرة شوقي أفندي.

(٣) انظر الصفحة ٨١ الحاشية.

الأغصان، حضرة عبدالبهاء، وحضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله. يلاحظ في الفقرة نفسها أن هناك إشارة عجيبة إلى أن هناك انقطاعاً سيحدث في سلالة الأغصان. إضافة لذلك هناك ترتيب معد احتياطاً في حالة حدوث هذا الانقطاع قبل تشكيل بيت العدل -وهو ما وقع فعلاً بعد صعود حضرة شوقي أفندي سنة **١٩٥٧**م. فقد أدار أيادي أمر الله شؤون الجامعة البهائية في العالم كأوصياء لفترة زادت عن خمس سنوات بقليل، وفي عام **١٩٦٣**م تمّ تشكيل بيت العدل الأعظم حيث تولى مهام إدارة أمر الله.

في "الكتاب الأقدس" فقرة مثيرة موجهة إلى ميرزا يحيى، الأخ الخائن لحضرة بهاءالله. كان هذا الأخ قد أدخل في ظل دعوة حضرة الباب على يد حضرة بهاءالله منذ مقتبل عمره. وقد رعاه حضرة بهاءالله كل فترات شبابه حتى يخدم أمر الله بإخلاص وتفان. إلاّ أنه، للأسف، استجاب لهوى حب الرياسة ونقض عهد حضرة الباب بقيامه على الإعراض وإنكار دعوة مظهر الله الأعظم. هذا وقد سبق أن تحدثنا في المجلدات السابقة عن ارتفاع صيته ثم سقوطه، وكذلك ما سببه لحضرة بهاءالله من بلايا لا تُحتمل.

ورغم المحن الشديدة التي عاناها الجمال المبارك على يد أخيه غير الشقيق هذا، فإنه يذكّر ميرزا يحيى في "الكتاب الأقدس" بأوائل حياته حيث أغدق عليه، لطفاً وفضلاً، من الرعاية والتربية ما كان مؤملاً أن يهيئه لخدمة أمر الله ويكون جديراً بها. ويعيد لذاكرته كيف كان يُطلب إليه الحضور فيقف أمام حضرة بهاءالله ليكتب ما يسمعه ويُتلى عليه من الآيات المنزلة من سماء وحيه، ثم ينصحه للرجوع إلى الله بعد عصيانه المخزي ويؤكد له بأن الله يغفر له كل خطاياه لو رجع الآن مستغفراً تائباً راجياً العفو والغفران منه.

وقعت هذه الكلمات على آذان صماء ورغم فقدان ميرزا يحيى دعم ومساندة سيده السيد محمد الإصفهاني في عصيانه، لم يطلب التوبة. عاش أكثر من حضرة بهاءالله بعدة سنوات وبعد أن شهد ارتفاع صيت دين حضرة بهاءالله وانتشار نوره في عالم الغرب، مات ميتة مُذِلّة في جزيرة قبرص عام **١٩١٢**م.

إحدى أهم تعاليم حضرة بهاءالله، إن لم يكن أهمها جميعاً، هو أنه منع أتباعه بشدة من تأويل كلماته وتفسيرها. هذا ما أنزله في "الكتاب الأقدس" بهذا الخصوص:

"إن الذي يأوّل ما نزل من سماء الوحي ويخرجه عن الظاهر إنه ممن حرّف كلمة الله العليا وكان من الأخسرين في كتاب مبين."(٦)

في ألواح أخرى أيضاً أشار بوضوح إلى أنه لا يحق لأحد أن يفسّر أو يعدّل أو يبدل كلماته. وكما سبق لنا القول، فإن حضرة عبدالبهاء هو المفسّر المفوّض الشرعي الوحيد، ومن بعده حضرة شوقي أفندي، لكلمات حضرة بهاءالله. إن السبب في كون هذا هو أهم تعاليم حضرة بهاءالله يعود إلى حقيقة أن كل انقسام وقع في الديانات السابقة كان سببه في الدرجة الأولى اختلاف رؤسائها وتبايُنهم في نظرتهم وتفاسيرهم.

في محاولة لإبراز بعض الملامح المميزة للتعاليم البهائية، بالأخص تلك التي تفتقر إليها الأديان الأخرى، عدّد ميرزا أبو الفضل، العلاّمة البهائي الشهير، تسعة مبادئ شارحاً بإيجاز كلاً منها، بحسب ترتيب أهميتها على الأرجح. وأول مبدأين منها يتصلان بهذا الموضوع. فيما يلي ما كتبه:

أولاً: إن من الأوامر التي ينفرد بها الدين البهائي ولا يوجد في دين آخر هو "الامتناع عن اعتماد الأقوال المنقولة". فمن المعلوم لدى أهل المعرفة بأن ما فرّق اليهود وقسّمهم إلى شعبين كبيرين كان الحديث المنقول شفاهاً. إن أمثال هذه الأسانيد النقلية هي أساس كتاب التلمود، وهي التي سببت انقسام الأمة الواحدة...

الشيء نفسه وقع في الدين المسيحي حين كانت الأقوال الشفهية والتي سميت "موثوقة" هي السبب الرئيس في تفرّقه وانقسامه. فكل واحدة من الكنائس المسيحية، مثل الكاثوليك، الأرثوذكس، اليعاقبة والنساطرة وغيرها يعتبرونه من الواجب والفرض اتّباع هذه المقولات المتوارثة عن آباء الكنيسة كما لو أنها عين نص الكتاب المقدس...

وهكذا في الإسلام، فإن التمسّك بهذه الأحاديث المروية التي تنسب لمؤسس الدين، صارت بعد موته سبب انقسام دين الإسلام وتفرّقه إلى عدة مذاهب رئيسة مختلفة.

فكل واحدة من هذه المذاهب تتمسّك بمجموعة من هذه الأحاديث تعتبرها صحيحة وموثوقة.

إلاّ أن حضرة بهاءالله أغلق أمام البشرية هذا الباب الذي كان أكبر مورد للفتنة والتفرقة. فقد أعلن بجلاء أن "كل الأمور المدونة في دين الله ترجع إلى كتاب الله وكل ما لم يرد من الأمور فيه يبت في شأنه بيت العدل." وبذلك فإن جميع الروايات ونقل الأقوال وإسناد الكلام قد رُفع وأبطل بين البهائيين، وسُدّ به أوسع باب من أبواب جهنم وأحكم غلقه.

ثانياً: إن من الفروض الأخرى التي ينفرد بها الدين البهائي هو امتناع أتباعه وتحريم قيامهم بتفسيرات لكلمات الله. ذلك لأن تأويل كلمة الله -من قبل البشر- وإضفاء الرأي الشخصي لصاحب التفسير في هذه الأمور كان من أقوى مسببات الفرقة والانشقاق في الأديان السابقة، ومصدر ظلمة أفق الإيمان وطمس المعاني الحقيقية لكتاب الله.

إنها حقيقة بيّنة أن لأصحاب المعرفة والفكر آراءً مختلفة باختلاف عقولهم، كما أن مواهب الحصافة والذكاء الطبيعية أو قلة الفهم والإدراك تختلف درجاتها عند الناس. فإذا ما فُتح باب التأويل أمامهم، أي باب تحريف كلام الله عن ظاهر مضمونه، لكان نتيجته ظهور آراء غريبة وتفاسير متناقضة عجيبة ثم قيام ونشوء مذاهب متنوعة فيما بين الملة الواحدة.

وعليه أمر حضرة بهاءالله أتباعه بصريح العبارة بألاّ يفسروا ما أنزله في صحفه وألواحه بل يأخذوها بظاهر معانيها، حتى لا يحدث بينهم ما حدث في أمم القبل لو تكرر بينهم ما وقع في السابق من أحداث وتمزّق بين شتى المذاهب نتيجة اختلاف العقليات والمفاهيم ولا يظهر في هذا اليوم المبارك الجديد، يوم الرب المجيد.(٧)

دورنا في العهد والميثاق

إن تقدّم أمر حضرة بهاءالله منوط بأعمال المؤمنين به. فكل عمل طاهر يجلب تأييدات حضرة بهاءالله التي من شأنها نصرة أمر الله. لكن ما لم يتخذ المؤمن خطوة المبادرة فإن عون الله وتأييداته لا تصل إلى الجامعة البهائية. هذا واحد من المبادئ المحتومة التي ينطوي عليها عهد الله وميثاقه. ولهذا العهد طرفان، الله والإنسان. ودور الله لا يمكن أن يشبه دور الإنسان. ففي حين يفيض الله بعطائه وفضله على الإنسان، يجب على الأخير أن يقوم بما يلزم لتقبّل وتسلّم هذا العطاء. وما لم يفتح قلبه مستسلماً، فلا يمكن أن تصله مواهب الله وعطاياه. وقد بيّن حضرة بهاءالله في "الكلمات المكنونة" سنّة هذا العهد بهذه العبارات:

"أحببني لأحبك إن لم تحبني لن أحبك أبداً فاعرف يا عبد."(٨)

يمكن أن يقال بأن الله وهبنا في هذه الدورة موهبتين: أولاهما ظهور حضرة بهاءالله، والأخرى، منشعبة من الأولى، مركز عهده وميثاقه، المتمثل بشخص كل من حضرة عبدالبهاء، الذي كان مخزن ومرآة ذلك الظهور، ثم من بعده حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله. فهاتان الهبتان، وهما عطية الله لهذا العصر، تشكلان الطرف الأول من العهد الخاص بالله. وبواسطة هاتين الموهبتين تنعم الإنسانية في هذا العصر بما يفيض الله عليها من أفضال وعطايا.

أما دور الإنسان الذي يجب أن يقوم به فيتلخص في اعترافه بحضرة بهاءالله على أنه المظهر الإلهي، ثم اتباع تعاليمه. وبقيام الفرد بذلك يكون قد وفى بدوره تجاه عهد الله. عندئذ فإن إيمانه، مدعماً بإطاعته للأحكام الإلهية قولاً وفعلاً في حياته اليومية كبهائي، سوف يستمطر التأييدات والبركات السماوية، وشخص كهذا سيتحقق على يده نصر أمر الله. إذ ستصبح كلماته ذا أثر خلاّق بينما أعماله تعكس تعاليم وأوامر حضرة بهاءالله، وباختصار سيؤثر في نفوس الناس ويحرك قلوبهم.

ومما كتبه الحاج ميرزا حيدر علي، ذلك المؤمن العظيم في سموّ بصيرته وعمق حكمته:

إن الإنسان بطبيعته جاهل ضعيف مذنب عاص ومخطئ، بينما القوة والقدرة والسلطنة والعفو والغفران والرحمانية والفضل والجمال والعظمة والجلال والأبهة والكمال كلها طائفة حول إرادة الله وكلمته. وبالقدر الذي نتوسل فيه تأييد الله بفضله المحيط في ظل رحمته الربانية، ستتبدل نقائصنا الذاتية وخصائلنا السيئة الحيوانية وخصائصنا الناسوتية الشهوانية العجزية الجهلية، إلى كمالات وفضائل إلهية ومواهب ملكوتية قدسية تهبنا القدرة والمعرفة...(**٩**)

حقاً إن أعظم مصدر يستمد منه البهائي القوة هو قدرة حضرة بهاءالله. وبهذا السبيل وحده يستطيع المؤمن ترويج أمره بنحو فاعل. إن الشرط المبدئي الضروري للاتصال والاستمداد من هذا المصدر غير المتناهي من الطاقة الروحية هو الإيمان بحضرة بهاءالله ثم الاعتقاد اعتقاداً قلبياً بوجود هذه القوة. وبدون الاعتقاد بأمانة وإخلاص تام بكون حضرة بهاءالله هو مظهر أمر الله لهذا العصر وبأنه هو، وهو وحده، مصدر كافة الطاقات الخلاقة التي قُدِّر لها أن تبعث أرواح كل الناس وتجددها، بدون هذا لا يمكن لبهائي أن ينجح في الاتصال والاستفادة من هذا المستودع الهائل من القوة السماوية. الشيء نفسه موجود في عالم الطبيعة، فأنّى لشخص أن يستغل شكلاً من أشكال الطاقة ما لم يعرف مصدرها؟ والإيقان في أمر الله[١] أول الشروط للنجاح في الاعتماد على قوة حضرة بهاءالله.

الشرط الثاني هو أن يصبح المؤمن متواضعاً بحيث يعتبر نفسه محواً صرفاً تلقاء الله ومظهر أمره. ولتقييم ذلك وإدراكه دعنا ننظر في قوانين الطبيعة، إذ إن قوانين هذا العالم المادي ومبادئه هي مماثلة لتلك التي توجد في عالم الروح. ذلك لأن خليقة الله، المادية والروحية، إنما هي كينونة واحدة. والقوانين الموجودة في عالم الوجود توجد أيضاً في عالم الملكوت لكنها تعمل في مستوى أعلى. فيمكن توليد طاقة بين نقطتين مختلفتين في مستواهما. كما أن الماء يمكنه الانسياب من مستوى أعلى إلى آخر أدنى. كذلك يمكن توليد طاقة كهربائية عند وجود فرق في الجهد بين نقطتين في دائرة كهربائية.

(١) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢١٢–٢١٣.

بمثل ذلك يجب على المؤمن، إذا قصد الاعتماد على قوة حضرة بهاءالله أن يعترف بمقام العبودية والخضوع لمقام حضرته الرفيع. يمكن تشبيه مقام حضرة بهاءالله بقمة جبل والمؤمنين بالوادي في أسفله. وكما أن الماء ينحدر من أعلى الجبل باتجاه الوادي، كذلك طاقات ظهور حضرة بهاءالله وآثار قدرته واقتداره يمكن أن تصل إلى البهائي الذي يتوجه إليه بروح من التواضع الحق والعبودية. هذا وتشهد كتابات الشخصيات الرئيسة لأمر الله بإسهاب على هذا المبدأ الأساسي الذي يربط بين الإنسان وخالقه. في "الكلمات المكنونة" يوصي حضرة بهاءالله الإنسان بقوله: **كن لي خاضعاً لأكون لك متواضعاً**...(١٠) عندما يتخذ الإنسان موقف الخضوع والعدم الصرف حيال ربه، فإنه يشتاق لمناجاته ومخاطبته بروح من التبتل والابتهال، بالمناجاة **"المنزهة عن همهمة الحروف والكلمات، المقدسة عن دمدمة الألفاظ والأصوات"**، مناجاة في ثناء الله وتمجيده.

لكن الإيمان والتواضع ورفع الحمد وتمجيد الله لا تشكل وحدها شروطاً كافية للاعتماد على قوة حضرة بهاءالله. فهناك لا يزال شرط آخر على الشخص أن يفي به، ألا وهو القيام على خدمة أمر الله. وإذا لم يعمل الشخص بذلك فإن أبواب الفضل والتأييد ستظل مغلقة، ولن تجدي نفعاً أي كثرة في التوجه والضراعة والابتهال والعبودية لحضرة بهاءالله من أجل إنزال طاقات التأييد والبركة من الأفق الأعلى. إن مجرد عملية القيام نفسها كفيلة بجذب تأييدات حضرة بهاءالله. ففي العديد من ألواحه أكد حضرته وطمأن أتباعه بأنهم لو قاموا لنصرة أمره بروح الإيمان والانقطاع، فإن جنود الغيب ستُنزل عليهم تأييداته وتجعلهم منصورين. فيما يلي فقرة مقتبسة من "الكتاب الأقدس" من بين أخريات عديدة:

"ونراكم من أفقي الأبهى وننصر من قام على نصرة أمري بجنود من الملأ الأعلى وقبيل من الملائكة المقربين."(١١)

إن الاعتقاد بأن قدرة حضرة بهاءالله وحدها بإمكانها أن تحقق تأييد وتأسيس الأمر في العالم، دون قيام المؤمنين بواجبهم في التبليغ وإنشاء مؤسسات أمر الله، لهو اعتقاد بلا أساس ومخالف تماماً لقوانين عهد الله. بل الواقع أن أيدي حضرة

بهاءالله تصبح مغلولة إن لم يقم الفرد المؤمن لخدمة أمره. ولقد صرّح في بعض كتاباته المنزلة(١٢) في أوائل أيام السجن بعكاء، بأنه لو قام كل المؤمنين وعملوا بما وصاهم تماماً خلال حياتهم اليومية، لاعترف معظم سكان الأرض بحضرته واعتنقوا أمره في أيام حياته.

وقد صرّح حضرة الباب(١٣) بأن كل ظهور إلهي في السابق كان قادراً على أن يكون ديناً عالمياً. والسبب في أنهم لم يصبحوا كذلك يُعزى إلى حقيقة أن أتباع ذلك الدين، في كلٍ دورة، لم يطبّقوا في حياتهم تعاليم أنبيائهم ورسلهم. ويضرب لذلك مثلاً كلاً من الإسلام والمسيحية. فالسبب في فشل كل من هاتين الديانتين في الانتشار إلى كل مناطق الأرض المكتشفة يومها، وفشلهما في جعل كافة سكان الأرض يدخلون في ظلهما إنما يعود إلى أن أتباعها لم يطبقوا ويمارسوا بإخلاص تعاليم دينهم. وكل هذا يشير إلى أن الظهور الإلهي، مع قدرته ونفوذه، بحاجة إلى سعاة جديرين يقومون ببذره في أفئدة الناس. صحيح أن القوة التي تبعث الحياة وتخلق روحاً جديداً في النفوس إنما تأتي من عند الله بواسطة وحي ظهوره، لكن المؤمنين لهم دور القناة التي توصل بين قلوب الناس والقوى المحيية المنبعثة من الدين السماوي.

ولو أن غالبية الجنس البشري لم يؤمنوا بحضرة بهاءالله في أيام حياته، لما مرّ من أسباب، إلاّ أنه تنبأ جلياً بأن رسالته في النهاية سوف تحيط العالم كله منيرة قلوب سكانه وموحدة إيّاهم في ظل دين مشترك واحد - دينه وشريعته. في "لوح الدنيا" يذكر حضرة بهاءالله هذه العبارات المطمئنة:

"إن خيمة الأمر الإلهي عظيمة ولم تزل تبقى مظللة على جميع أحزاب العالم."(١٤)

في لوح آخر يصرح قائلاً:

"لا تحزن من احتجاب الخلق سوف ترونهم متوجهين إلى الله رب العالمين. قد أحطنا العالم بكلمة العليا سوف يسخّر الله بها أفئدة من على الأرض إنه لهو المقتدر القدير."(١٥)

في لوح(١٦) إلى الشيخ كاظم سمندر،[1] يشير حضرة عبدالبهاء إلى نبوءة أخبر بها حضرة بهاءالله في أواخر أيام حياته، أن الله سيقيم قريباً نفوساً مقدسة منقطعة لنشر أمره في أرجاء الدنيا. وقد وعد حضرة بهاءالله بأن أولئك النفوس سيكونون كالأنجم في سماء الهداية وكالنور لصباح الحقيقة. وسيكونون كمشاعل أوقدتها يد الله، وكمصابيح تسطع على عالم ظلماني. هذه النفوس لن تركن للراحة لحظة واحدة ولن تتعلق بشؤون هذا العالم. بل سيصرفون أوقاتهم في تبليغ أمر الله ونشر النفحات الإلهية. وسوف تشع وجوههم بنور الظهور الإلهي، وقلوبهم تطفح بمحبته. سوف ينتشرون في أرجاء الأرض، مرتحلين إلى كل بلد، ناطقين بكل لسان، معلنين رسالته في كل مجمع، كاشفين الأسرار الإلهية، باثين نوره، ومروجين تعاليمه بين أهل العالم. ويرفع حضرة عبدالبهاء في هذا اللوح دعاءه متضرعاً راجياً بحرارة عسى أن تظهر تلك النفوس قريباً، كما وعد حضرة بهاءالله، وتقوم، من خلال قوة إيمانهم وسمو مجهوداتهم وشدة انقطاعهم وتأييد روح القدس، على نصرة أمر حضرة بهاءالله.

واليوم تقوم نفوس كثيرة من المؤمنين المخلصين في كافة أنحاء العالم ومن مشارب مختلفة متنوعة، بهمة ونشاط لترويج أمر حضرة بهاءالله كمهاجرين ومبلغين. وفي الحقيقة فإنه بقيام تلك النفوس المنقطعة المقدسة تحققت المرحلة المبدئية من وعد حضرة بهاءالله فعلاً. فقد بلغ دين حضرة بهاءالله الآن إلى كافة أجزاء الأرض، من خلال تضحياتهم وانقطاعهم وإيمانهم، فإن هؤلاء الرجال والنساء قد نجحوا، معتمدين على قوة حضرة بهاءالله، في إقامة هياكل مؤسسات الأمر الإلهية في كل مكان. وبذلك فإن جنين النظم العالمي الجديد ينمو الآن ويتطور داخل النظام القديم، ولهذا السبب فإن العالم لن يعود بعد اليوم كما كان سابقاً.

(١) انظر الصفحة ٩٦.

"إنّا معكم في كل الأحوال"

إن كل نصر حققه دين حضرة بهاءالله منذ بداية هذه الدورة حتى الوقت الراهن كان نتيجة تأييداته وعونه. كما أن القوى الغيبية السماوية هي المسؤولة عن تقدم أمر الله وبناء مؤسساته الجنينية. فهناك آلاف من الرجال والنساء قد انتشروا في أرجاء العالم مهاجرين إلى بقاع بعضها غاية في القساوة والصعوبة، رغم شحّ إمكاناتهم ونقص في الوسائل والقوى العاملة، وغالباً ما تعوزهم المعرفة والتعليم، لكن مع ذلك ورغم ضعفهم وقلة استعدادهم، فقد حققت تلك النفوس انتصارات مدهشة لأمر حضرة بهاءالله. وكل الذين قاموا بإخلاص في هذا الميدان اختبروا التأييدات التي لا تنضب من لدن حضرة بهاءالله وهي تردهم بطرق ووسائل عجيبة أشبه بالمعجزات، وربما تمكنوا من تبليغ أمر الله وبناء مؤسساته بالرغم من وجود عقبات عظمى كانت بعضها تبدو أحياناً مما يستحيل اجتيازها أو التغلب عليها.

إن فيض التأييدات الموعودة في "الكتاب الأقدس" معلق بشكل واضح على نشاط الفرد المؤمن وفاعليته. فهو يعتمد على عمل واحد يمكن إيجازه بالكلمة السحرية "قوموا". ومتى خلصت نيّة المؤمن وعزم على تبليغ الأمر، فإن الله يستجيب حينئذ "لقيامه" بإنزال جنود التأييد والنصر من الملأ الأعلى لعونه وإسناده في مجهوداته لنشر النفحات الإلهية. إن مجرد الشروع بأول خطوة في سبيل خدمة أمر الله، يجعل الروح تستفيض بمدد عظيم من البركات فتنقلب من ضعف إلى قوة ومن جهل إلى حكمة وإدراك.

ويعد حضرة بهاءالله بذات الوعد في كثير من ألواحه. أحد الأمثلة هي الكلمات المطمئنة التالية:

"تالله الحق من يفتح اليوم شفتاه في ذكر اسم ربه لينزل عليه جنود الوحي عن مشرق اسمي الحكيم العليم وينزلن عليه أهل ملأ الأعلى بصحاف من النور وكذلك قدر في جبروت الأمر من لدن عزيز قدير."(١٧)

كذلك يؤكد حضرة عبدالبهاء في عدة ألواح تأكيداً مماثلاً، كما في قوله المبارك هذا:

"فورب الملكوت إذا قام أحد على إعلاء كلمة الله بقلب طاهر طافح بمحبة الله منقطعاً عن الدنيا ينصره ربّ الجنود بقوة نافذة في حقائق الكائنات."(١٨)

كما أكد حضرة شوقي أفندي هذه الوعود المبرمة، كما في الفقرة التالية مما كتبه سكرتيره نيابة عنه:

... إن ما يجذب بركات الملأ الأعلى في هذا اليوم، أكثر من أي وقت مضى هو تبليغ أمر الله. فجنود السماء تقف متأهبة بين السماء والأرض يترقبون بصبر عسى أن يتقدم أي بهائي، بإخلاص وتكريس تامّين لتبليغ أمر الله، فيهرعوا لعونه ومساندته. فليتقدم كل من يبتغي البقاء والخلود ويرفع عالياً دعوة الحق. فسرعان ما ستدهشهم الانتصارات الروحانية التي سيحققونها.(١٩)

هناك فقرة أخرى في "الكتاب الأقدس" حيث يشير حضرة بهاءالله إلى صعوده من هذا العالم ويطمئن أتباعه بتواصل مدده وعونه لهم في كل الأوقات:

"يا أهل الأرض إذا غربت شمس جمالي وسترت سماء هيكلي لا تضطربوا قوموا على نصرة أمري وارتفاع كلمتي بين العالمين. إنّا معكم في كل الأحوال وننصركم بالحق إنّا كنا قادرين. من عرفني يقوم على خدمتي بقيام لا تقعده جنود السموات والأرضين."(٢٠)

في هذه الفقرة يؤكد حضرة بهاءالله قائلاً: "**إنّا معكم في كل الأحوال وننصركم بالحق**". ولقد شهد الكثيرون من أتباعه في يومه أحقية قوله هذا ورأوا رأيَ العين أنه فعلاً كان معهم في كل الأحيان. نقدم مثالين على ذلك، أحدهما رواية سجلها مفصلاً الحاج محمد طاهر المالميري[1] وتخص حادثة وقعت أثناء رحلته إلى عكاء، والكلمات التي خاطبه بها حضرة بهاءالله حين تشرفه بمحضره المبارك لأول مرة.

---

(١) انظر الصفحة ٤٢ الحاشية.

توجه الحاج محمد طاهر المالميري من موطنه في مدينة يزد إلى كرمان في طريقه إلى عكاء. هناك التقى بمؤمن مخلص، الحاج محمد خان البلوچ من شخصيات بلوچستان الرفيعة، الذي كان أيضاً متوجهاً إلى عكاء. فاتفقا على الارتحال معاً. يكتب الحاج محمد طاهر المالميري في مذكراته:

بعد الإقامة لفترة ثلاثة أشهر في كرمان ذهبنا إلى سِرجان حيث مكثنا أربعين يوماً. كان محمد خان يرتدي لباس الدراويش وأطلق شعر رأسه الطويل حراً. وكان نتيجة ذلك أن التفّ دراويش سرجان حوله وأخذوا يزورونه كل مساء فكان عليه أن يستضيفهم ويطعمهم. فاقترحت عليه أن يقصّ شعره قصيراً ويبدّل قبعته للتخلص من دراويش المدينة.[١] فوافق على اقتراحي وبدّل مظهره. وبعد ذلك كلما جاء الدراويش قيل لهم بأن الزعيم قد ارتحل، وهكذا تُركنا وشأننا. أثناء مكوثنا في سرجان التمس أحد المؤمنين فيها، آقا محمد علي... من محمد خان بأن يصطحبه في السفر كخادم خاص له، فقبل محمد خان طلبه... والتحق بنا حتى عكاء... بعد ذلك انطلقنا إلى ميناء بندر عباس... حيث وجدنا قرابة مائة من مسلمي بلوچستان في طريقهم إلى مكة للحج. لمّا علم هؤلاء بوصول الخان إلى الميناء، حسبوا أنه أيضاً ذاهب إلى مكة. فصاروا يأتون إليه مستفسرين عن تفاصيل رحلته إلى مكة ومعبرين عن ارتياحهم بوجوده بصحبتهم في الطريق...[٢] عندئذ أخبرني محمد خان بملابسات الموقف مبيناً كيف وقعنا في مأزق وبأن ما من خيار لنا غير الاندماج مع الحجاج إلى مكة وأداء مناسك الحج ثم نتجه من هناك إلى عكاء إذ بذلك يكون طريق سفرنا أقصر بكثير مما لو اتخذنا الطريق البديل إلى جدة (مروراً ببومبى) وبور سعيد.

---

(١) اعتبر الدراويش محمد خان، الذي كان غنياً ذا نفوذ، بأنه مرشد ديني.

(٢) في تلك الأيام لم يفصح البهائيون عن معتقدهم لعامة الناس. لذا لم يعرف الناس أن محمد خان كان بهائياً وأنه في طريقه إلى عكاء. ولم يكن من الحكمة أن يُعلم الآخرين بهدف رحلته هذه، ولذلك اضطر أن يتظاهر بأنه ذاهب إلى مكة.

قلت للخان بأني لست ذاهباً إلى مكة. عاد يؤكد بأنها رحلة أقصر كثيراً، لكني رفضت. قال بأنه لم تكن لديه أية نية للذهاب إلى مكة لكن الظروف أرغمته على تبديل خططه. وإنه إن لم يذهب إلى مكة فإن الخبر سيصل إلى أسرته ويسبب لها إحراجاً... فأكدت موقفي قائلاً بأنها مسألة ضمير بالنسبة لي... إذ لم أستطع حمل نفسي، ضد ما يشعر به ضميري، على الذهاب إلى مكة للحج. فاقترحت أن نفترق، على أن أمضي في سبيلي عن طريق بومبى ويواصل الخان رحلته عن طريق مكة بصحبة قومه... لم يكن رفضي للذهاب طبعاً نتيجة مجرد عناد أو استياء من الخان. وفي الواقع كنت أشعر بقلق لمخالفة رغباته رغماً عني. وكنت أعلم بأن طريق مكة يجعل سفرنا أقصر بكثير، إلاّ أن قلبي لم يقبل، من حيث المبدأ، مثل هذا التصرف... وخلال مكوثنا ببندر عباس، الذي دام أحد عشر يوماً، استمر الخان كل ليلة في الحديث عن هذا الموضوع مصرّاً على أن تغيير رأيي. لكنني بقيت ثابتاً في موقفي. كنت أقول له: 'إن نيتي في هذه الرحلة هي الفوز بشرف المحضر الأقدس لحضرة بهاءالله، لا الذهاب إلى مكة لأصبح حاجاً.'

أخيراً استسلم الخان وأشار على جماعته بالسفر لمكة وحدهم.

... بعد مغادرتهم توجهنا، الخان وأنا، صوب ساحة محضر المحبوب. سافرنا إلى حيفا عن طريق بومبى، ولدى وصولنا قدّمنا أنفسنا كبهائيين. فأخذونا إلى منزل آقا محمد إبراهيم الكاشاني الذي يعمل في مهنة النحاس. كان هذا المؤمن قد وُجّه من قبل حضرة بهاءالله للإقامة في حيفا وتولي مهمة توزيع المراسلات وإسداء العون والضيافة للزوار البهائيين. لمّا علم حضرة بهاءالله بوصولنا نحن الثلاثة نصح بواسطة ميرزا آقا جان... أن أقيم أثناء وجودي في عكاء في منزل أخي الحاج علي.(١) نُقلنا بعد ذلك إلى عكاء في عربة حضرة عبدالبهاء... كنت يومها في غاية السرور حيث طفحت روحي وجوارحي نشوة واطمئناناً.(٢)

(١) انظر مجلد "العالم البهائي"، (بالانگليزية) العدد ٩، الصفحتين ٦٢٤–٦٢٥، مقالة عن الحاج علي اليزدي.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن وصول الحاج محمد طاهر إلى عكاء انظر المجلد الأول، الصفحتين ١٣٨ – ١٣٩.

في مساء اليوم الثالث لوصولهم استدعي الزوار الثلاثة للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله حيث رحب بقدومهم بالمحبة واللطف. وهذا ما كتبه الحاج محمد طاهر عن لقائه الأول بحضرة بهاءالله:

عندما دخلت إلى محضره سجدت عند قدميه. وبعد أن غمرني بفيض عناياته. تفضل قائلاً: "حسناً فعلت! بارك الله فيك! بينما كان القوم ذاهبون إلى مكة لم تشأ أنت الذهاب معهم حباً لله. وبدلاً عن ذلك ارتأيت القدوم إلى السجن الأعظم معتبراً ذلك في المقام الأول أهمية. ونِعمَ الاعتبار الصائب والفهم الصحيح. إن الحج إلى مكة يمكن فقط أن يكون له الثواب نفسه كالسابق[1] إذا تمّ بإذننا، وإلاّ فلا قيمة له.[2](٢١)

إن كلمات حضرة بهاءالله هذه التي تشير إلى ما وقع في بندر عباس كانت العلامات الأولى التي لمس منها هؤلاء الحجاج الثلاثة علم حضرة بهاءالله اللدني المحيط بكل شيء، والذي جعلهم مذهولين. فساعدتهم هذه الكلمات على رسوخهم إيماناً وإيقاناً بالحقيقة الواردة في قوله الكريم في "الكتاب الأقدس" وألواح أخرى، بأنه كان حقاً معهم في كل الأحوال.

لقد أسدى محمد خان خدمات عظيمة لأمر الله. فبعد عرفانه مظهر أمر الله الأعظم لم يستطع البقاء ساكناً بل أشاع بشائر ظهور حضرة بهاءالله لأصدقائه ومعارفه، ومن ضمنهم ميرزا يوسف خان، مستوفي الممالك، الذي تولى لفترة رئاسة وزراء إيران. ويروي حضرة عبدالبهاء قصة محمد خان (الذي يشير له بكلمة الحاج) حينما اعتنق أمر الله، ويصف حماسه ولقاءه بميرزا يوسف خان بهذه الكلمات:

(١) "السابق" هنا تعني فترة صلاحية دورة الإسلام، أي حتى عام ١٨٤٤، سنة إعلان دعوة حضرة الباب. للمزيد من المعلومات عن أجل كل دين، انظر الصفحة ٢٨٥.

(٢) عندما كان الحاج محمد طاهر يهم بمغادرة عكاء في طريقه عائداً إلى وطنه، أمره حضرة بهاءالله أن يتوجه إلى مكة ويؤدي كافة شعائر الحج. وهكذا حمل لقب حاج بإذن من حضرة بهاءالله. وتجدر الإشارة إلى أن الكلمات أعلاه ليست نص كلمات حضرته.

لهذا ترى الحاج محمد خان، بمجرد استماعه للنداء الإلهي من الملكوت الأعلى، قال: "لبيك". وانطلق مثل ريح البوادي وطوى المسافات البعيدة حتى ورد إلى السجن الأعظم فوجد ضالته وفاز بشرف اللقاء وانجذب إلى الحضرة بمجرد مشاهدة الطلعة النوراء. وبعد ذلك عاد إلى إيران واجتمع بأرباب الطرق الصوفية وأصحابه السابقين من طالبي الحقيقة وأجرى بينهم ما فرضته عليه مقتضيات الوفاء والذمة.

والخلاصة، إنه صمم على أن لا ينفك عن رفاقه وعارفيه حتى يوصل إلى أسماعهم ترنمات الصُور السماوي ونغماته، وما أن ألقى العصا ببلدته حتى هيأ أسباب الراحة والرفاهية لكل أقربائه حتى يعيشوا في كمال البهجة والفرح والسرور، وبعد مدة ودّع أولاده وزوجته وأهله وأقرباءه وقال لهم لا تنتظروا عودتي ثم توكأ على عصاه وهام في الصحارى والوديان وأمضى زمناً بين معارفه الأقدمين من أهل مشربه. كان قد قابل بمدينة طهران إبّان سفرته الأولى، آقا ميرزا يوسف خان الملقب بستوفي الممالك، وبينما كانا يتحادثان في الأمر قال مستوفي الممالك المذكور: 'إنني سأضع ميزاناً يفصل بين الحق والباطل كما يتخيل لي وهو أنني أطلب من صاحب الظهور أن أرزق بولد تفضلاً منه، وإذا ما تمت هذه الموهبة أصير لا محالة مفتون الحق وأسير حبه.' فما كان من الحاج محمد خان إلاّ أن عرض ذلك في الساحة المقدسة وسمع من الفم المبارك وعداً صريحاً بإجابة ملتمسه. ولمّا عاد الحاج محمد خان وقابل مستوفي الممالك إبّان سفرته الثانية وجد في حجر هذا الأخير طفلاً يداعبه فقال: 'يا جناب الميرزا، الحمد لله قد تم الميزان الذي وضعته وأُعطيت مرسوم السعادة.' فقال المرحوم ميرزا يوسف خان: 'إن البرهان قد اتضح لكل ذي عينين وحصل لنا الاطمئنان وإني أرجوك عندما تتشرف في بحر هذه السنة أن تطلب العناية لهذا الطفل ليدوم محفوظاً مصوناً في حماية الحق جلّ وعلا.'(٢٢)

ويصرح حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه(٢٣) بأنه لمّا أُخبر حضرة بهاءالله بهذا الرجاء أشار على محمد خان بأن يمر بطهران عند عودته لبلاده خصيصاً من أجل

لقاء ميرزا يوسف خان، ويعطيه قطعة حلوى ليأكلها وطمئنه بأن الله سيرزقه بابن. هذا وكان خلال سفره الأخير إلى الأرض الأقدس أن رأى محمد خان بعينيه تحقق ذلك الوعد.

كان محمد خان مؤمناً صادقاً مشتعلاً بمحبة حضرة بهاءالله. ولمّا اعتنق أمر الله وفاز فيما بعد بمحضر مولاه أصبح خلقاً جديداً. فكل ما كان يتمتع به من تكريم ومكانة محترمة لدى أهله وقومه، وكل وسائل الراحة والرفاه التي توفرت في حياته صارت بعد ذلك مما لا قيمة أو أثر بالنسبة له. بل إن غاية رجائه كان التخلي عن كل ما لديه ويصبح خادماً لحضرة بهاءالله وعبداً عند عتبته. وتحققت رغبته إذ عمل خادماً لعدة سنوات في البيت المبارك لحضرة بهاءالله.

وقد روى حضرة عبدالبهاء قصته كما يلي:

... ذهب الحاج محمد خان المذكور إلى سيد السعداء حضرة سلطان الشهداء والتمس منه أن يشفع له لدى الحضرة ليأذن له أن يكون حارس العتبة المباركة. فعرض سلطان الشهداء ذلك الملتمس لدى الحضور المبارك وبالآخرة جاء صاحب الملتمس إلى سجن عكاء ووفق إلى السكنى بجوار المحبوب الشفيق ردحاً من الزمن متشرفاً في أكثر الأوقات بالملاقاة كلما شرف الجمال المبارك بستان المزرعة. واستمر ثابت القدم راسخاً على العهد والميثاق بعد صعود حضرة المقصود، **روحي لتربته الفداء**، بريئاً من أهل النفاق ثم انتقل من منزله إلى **حظيرة القدس** الموجودة في المسافر خانة (دار المسافرين) أثناء غياب هذا العبد في الأقطار الأوروبية والأمريكية إلى أن فاضت روحه وهو بجوار المقام الأعلى وعرجت إلى العالم الأسمى.

روّح الله روحه بنفحة مسكية من جنة الأبهى ورائحة زكية من الفردوس الأعلى وعليه التحية والثناء. جدثه المنور بحيفا.(٢٤)

فيما يخص هذا العلم اللدني الحاضر لديه دوماً، أنزل حضرة بهاءالله، في "لوح الحكمة" مخاطباً الملاّ محمد القائني، النبيل الأكبر، بهذه الكلمات:



الحاج محمد خان البلوچ
شخصية بارزة اختار أن يكون خادماً لحضرة بهاءالله



ميرزا محمد الملقب بـ"نعيم"
شاعر بهائي عظيم ومبلّغ لأمر الله

"وإنك تعلم إنّا ما قرأنا كتب القوم وما اطلعنا بما عندهم من العلوم كلما أردنا أن نذكر بيانات العلماء والحكماء يظهر ما ظهر في العالم وما في الكتب والزبر في لوح أمام وجه ربّك ونكتب إنه أحاط علمه السموات والأرضين. هذا لوح رقم فيه من القلم المكنون علم ما كان وما يكون ولم يكن له مترجم إلاّ لساني البديع."(٢٥)

القصة الأخرى هي لميرزا محمد، الملقب بـ"نعيم" وهو مؤمن مخلص ممتاز وشاعر من الطراز الرفيع. والقصة التالية التي رواها تدلل على صدق كلمات حضرة بهاءالله في قوله المبارك **"إنّا معكم في كل الأحوال"**:

بعد وصولي إلى طهران، كنت مرة أقرأ "لوح ابن الذئب" ومن بين ما جذبني فيه بصفة خاصة مناجاة جميلة جداً ونفّاذة في تأثيرها كان حضرة بهاءالله قد أنزلها وأعاد تنزيلها ثانية في ذلك الكتاب. وعلى الفور تمنيت من أعماقي لو كان ذلك الدعاء مُنزل من القلم الأعلى لي، هذا العبد التافه. مرت فترة من الزمن وفي أحد الأيام وصلتني رسالة من الحاج ميرزا عبد الله صحيح فروش... الذي كان شخصاً معروفاً بين البهائيين وواسطة اتصال بالأرض الأقدس. أخبرني في الرسالة بوصول لوح باسمي من ملكوت البهاء وطلب مني الحضور شخصياً لاستلامه من مكتبه في "سبزه ميدان". فأسرعت إلى مكتبه حيث فزت بلوح كريم... نتيجة لذلك تحركت عواطفي في الأعماق. وسرعان ما تحققت بدقة من أن في عين اللحظة التي كنت أتمنى فيها أن يكون ذلك الدعاء قد نزل باسمي، توجهت عناية حضرة بهاءالله صوبي في طهران. فأعاد تنزيل الدعاء نفسه باسمي في تلك اللحظات وأرسل به إليّ. وما يؤكد هذا هو أن الفترة التي استغرقها اللوح في الوصول إلى طهران من الأرض الأقدس هي الفترة نفسها منذ أعربت عن عميق رغبتي تلك وحتى وصول اللوح. فسبحان الله رب العظمة والإجلال إذ لو أن العذاب والبلايا قد أحاطت ملكوت البهاء من كل جانب (في تلك الآونة) لكن مع ذلك أفاض من سماء عطائه على أقل عباده شأناً، وهذا ما يثبت حقيقة

الكلمات الإلهية النازلة في القرآن: **"كل يوم هو في شأن[1]."(٢٦)**

فيما يلي نص المناجاة التي تمناها نعيم:

"سبحانك يا إلهي لولا البلايا في سبيلك من أين يظهر مقام عاشقيك ولولا الرزايا في حبك بأي شيء يثبت شأن مشتاقيك. وعزتك أنيس محبيك دموع عيونهم ومونس مريديك زفرات قلوبهم وغذاء قاصديك قطعات أكبادهم. وما ألذ سمّ الردى في سبيلك. وما أعز سهام الأعداء لإعلاء كلمتك. يا إلهي وسيدي أشربني في أمرك ما أردته وأنزل عليّ في حبك ما قدّرته. وعزتك لا أريد إلاّ ما تريد ولا أحب إلاّ ما أنت تحب. توكلت عليك في كل الأحوال إنك أنت الغني المتعال."(٢٧)

يخاطب حضرة بهاءالله في لوحه ميرزا نعيم بكلمات اللطف والعناية مبيناً بأنه قد أعاد تنزيل الدعاء من أجله كعلامة على أفضاله، ومؤكداً بأنه وإن كان قد أنزله أصلاً باسم شخص آخر، إلاّ أنه أنزله ثانية خصيصاً له عسى أن يرتله بنغمات أطيار الفردوس ويكون ممن أدركوا بغية قلوبهم.

فلا عجب في أعقاب تجربة كهذه أن يبلغ المؤمن، صاحب التجربة هذه أو ما يماثلها، ذروة الإيقان في عقيدته ويكتسب شجاعة لا يمكن لأي شخص دنيوي أن يملك مثلها أو يظهرها. لأن هذه هي شجاعة الشهداء والأبطال وما من شيء سوى قدرة الله يمكن أن تولدها في قلب المؤمن.

كان نعيم من خدام حضرة بهاءالله المخلصين حقاً. وقد تعرّض لكثير من الاضطهادات الكبرى لإيمانه بدين حضرة بهاءالله في "سِدِيه"، القرية التي عاش فيها قرب إصفهان. فبأمر من رجال الدين قُبض عليه مع أربعة مؤمنين آخرين وطافوا بهم في القرية، مغلولي الأيدي وقد شُدوا جميعاً بحبل وسُحبوا ماشين حفاة الأقدام. بهذه الحال كان ينظر إليهم أهالي القرية وما جاورها وقد تجمهروا ليشهدوا تعذيبهم.

(١) لتفسير معنى هذه الكلمات من القرآن الكريم انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٧٩-٢٨٠؛ والمجلد الثاني، الصفحة ٤٠٨.

لمدة أربعة عشر ساعة بقي هؤلاء الضحايا يتلقون ضرباً بالعصي من قبل موظفي السلطة. كان ذلك يجري على أجساد عارية صُبغت بألوان مختلفة وتُركت مكشوفة لبرد شتاء قارس. بلغ منظر التعذيب من القساوة ما جعل بعض المشاهدين يشمئز تألماً واستنكاراً. وبعد فترة من سجنهم في إصفهان، نُفوا عن منازلهم. فيما يخص نعيم ومصيره، فقد فصلوا زوجته عنه وزُوجت لرجل آخر دون إجراءات طلاق.

غادر نعيم ورفاقه المؤمنون إصفهان سيراً على الأقدام دون مال أو زاد وعانوا المشاق العظيمة في طريقهم حتى وصولوا إلى طهران. ولأجل كسب رزقه شغل نعيم وقته في استنساخ كتابات حضرة بهاءالله حيث لم تتوفر وقتها الطباعة، مما عاد عليه بدخل بسيط مما كان يشتريه المؤمنون من منسوخاته. وقد كان دخله بدرجة من الضآلة بحيث عاش لبعض الوقت في منتهى الفقر. لكنه تمكن بعد فترة، نظراً لقابلياته الأدبية اللغوية، من الحصول على منصب مرموق كمعلم فصار ثرياً.

لم يقصّر نعيم، سواء في فقره أو ثرائه، في خدماته المخلصة لأمر الله، تلك الخدمات التي أداها عن إيمان صميمي وتضحية بالنفس. فكان يقضي معظم ساعات فراغه في تبليغ الراغبين في البحث عن الحقيقة وفي تعميق البهائيين، حتى نهاية عمره. وأهم مآثره كانت إدارته لحلقة دراسية خاصة لتعميق عدد محدد من الشباب البهائي في أمر الله، والتي استمرت عدة سنوات وأصبح معظمهم فيما بعد من المبلغين البارزين جداً في أمر الله.

لقد قدّم نعيم إسهاماً أدبياً بارزاً لأمر الله. فأشعاره، التي تعتبر بحق رائعة، لا يضاهيها سوى عمق تفهمه لأمر حضرة بهاءالله والأديان الأخرى. من بين إنتاجه كتاب شيق في الاستدلال والإثبات بأسلوب القصيدة وهو عرض رائع لحقيقة أمر حضرة بهاءالله. وقد استُعمل هذا الكتاب في عدة حلقات دراسية تعميقية في إيران لزيادة المعرفة بأمر الله وتفهم معاني بعض النصوص الغامضة في الكتب المقدسة (خصوصاً القرآن) والاستدلال على أحقية أمر حضرة بهاءالله وإثبات أحقية مصدره السماوي.

إن قصائد نعيم، تلك الدرر التي نظمها وأهداها هذا المؤمن الموهوب للأجيال القادمة، ستظل بلا شك مصدراً لمواد في التبليغ تفيد الباحث عن الحقيقة، ومعين إلهام للمؤمنين.

يتميز "الكتاب الأقدس" بكونه أعظم شهادة على سلطنة حضرة بهاءالله. ويتضح لكل بهائي يتفرس في هذا الكتاب بأن حضرة بهاءالله يحتل مقام سلطان البشر. وعلى حد تعبير حضرة شوقي أفندي، فإنه سوف يُنادى عليه من قبل أجيال المستقبل بما يعترف به ويقره حالياً أتباعه من هذه الألقاب:

قاضي الجنس البشري ومشرّعه ومخلّصه، ومنظّم الكوكب كله، وموحّد بني الإنسان كلهم، وفاتح العصر الألفي المرتجى، ومنشئ "الكور العالمي"، ومؤسّس السلام الأعظم، ومنبع العدل الأعظم، ومعلن بلوغ النوع الإنساني سن الرشد ومبدع النظام العالمي الجديد، وملهم الحضارة العالمية وخالقها.(٢٨)

لا شك في أنه عندما يُعترف بمقام حضرة بهاءالله على نطاق عالمي، فإن أجيال المستقبل ستنظر إلى سيرة حياته نظرة ذهول وعجب. فسوف يتحير الناس في المستقبل لمدى عمى الإنسان في أيامه، ويندهشون خصوصاً لما لقيه وعاناه من معاملتهم إيّاه. وعندما ينكشف لبصائرهم جلال ومجد مقامه سيكون صعباً عليهم أن يتصوروا بأن رب الجنود قد نفي ليسكن في أخرب الديار، أو أن الآب السماوي جُعل أسيراً من قبل جيل فاسد معوجّ، وأن ملك الملوك أقام في حجرة لا تصلح للسكنى. لكن مع ذلك وفي تلك الحجرة الصغيرة الخالية من وسائل ترف الحياة بل ومن أثاث مناسب، أنزل "الكتاب الأقدس" الذي وصفه بأنه "حجة العظمى للورى".(٢٩) وأنه مما يصعق الذهن أن يكون سِفراً جباراً مثل "الكتاب الأقدس"، الدستور العظيم لحضارة المستقبل العالمية، قد نزل في حجرة كهذه في زاوية مغمورة من مدينة السجن غير معروفة للعالم.

حقاً لا يمكن أن تكون هناك مأساة أعظم من أن يظهر الله نفسه في أتم بهائه بينما تعمى عيون البشر عن ظهوره. كما أن ليس ثمة إحساس بالخسران أعظم من أن تدرك هذه الحقيقة بعد فوات الأوان. يصرح حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس":

"إن الناس نيام لو انتبهوا سرعوا بالقلوب إلى الله العليم الحكيم. ونبذوا ما عندهم ولو كان كنوز الدنيا كلها ليذكرهم مولاهم بكلمة من عنده كذلك ينبئكم من عنده علم الغيب في لوح ما ظهر في الإمكان وما اطلع به إلاّ نفسه المهيمنة على العالمين. قد أخذهم سكر الهوى على شأن لا يرون مولى الورى الذي ارتفع ندائه من كل الجهات لا إله إلاّ أنا العزيز الحكيم. قل لا تفرحوا بما ملكتموه في العشي وفي الإشراق يملكه غيركم كذلك يخبركم العليم الخبير. قل هل رأيتم لما عندكم من قرار أو وفاء لا ونفسي الرحمن لو أنتم من المنصفين. تمر أيام حيوتكم كما تمر الأرياح ويطوى بساط عزّكم كما طوي بساط الأولين. تفكّروا يا قوم أين أيامكم الماضية وأين أعصاركم الخالية طوبى لأيام مضت بذكر الله ولأوقات صرفت في ذكره الحكيم. لعمري لا تبقى عزة الأعزاء ولا زخارف الأغنياء ولا شوكة الأشقياء سيفنى الكل بكلمة من عنده إنه لهو المقتدر العزيز القدير. لا ينفع الناس ما عندهم من الأثاث وما ينفعهم غفلوا عنه سوف ينتبهون ولا يجدون ما فات عنهم في أيام ربهم العزيز الحميد. لو يعرفون ينفقون ما عندهم لتذكر أسمائهم لدى العرش ألا إنهم من الميتين."(٣٠)

إن الذين عرفوا مقام حضرة بهاءالله في أيامه وعُدّوا من أتباعه غالباً ما تحينوا الفرصة لكي تذكر أسماؤهم في محضره الكريم، واعتبروا ذلك حظوة وامتيازاً لا يمكن تقييمهما. وكان يتم ذلك عادة بتوصية أو تكليف أحد المؤمنين المتوجهين للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله، بالقيام بذكر أسمائهم لديه، وأحياناً كان الزائر يدوّن تلك الأسماء على ورقة وتسلّم إلى ميرزا آقا جان، كاتب وحي حضرة بهاءالله، لعرضها على حضرته. وفي جميع هذه الحالات كان حضرته يفيض بقدر من ألطافه وعناياته على أولئك المؤمنين. كان يعبّر عن ذلك إما شفاهاً أو، في أكثر الحالات، بإنزال ألواح في حقهم. كما جرى ذلك بواسطة العديد من المؤمنين الذين بعثوا برسائلهم إلى حضرة بهاءالله ذاكرين فيها أسماء بعض المؤمنين. في هذه الحالات كان اللوح النازل إجابة لذلك المؤمن يتضمن فقرات موجهة إلى من ذكروا في تلك الرسالة.

إن مجرد ذكر حضرة بهاءالله لأي مؤمن ومنحه قدراً من عناياته لكفيل بشمول تلك النفس بركات غير محدودة. فإن هذا فضل إلهي، ولو عرف الشخص قدر ذلك الفضل بالقيام بدوره في حياة يومية تعكس وصايا أمر الله، وينصر أمر الله بنيّة سليمة، فإن بإمكانه أن يصبح من جبابرة الروح وعبداً متفانياً.

إن إحدى الامتيازات التي تفوق التقدير والتي خصّ بها حضرة بهاءالله أتباعه هي أنه دعاهم لخدمة أمره. ففي دورات الرسل السابقين، كان أمر الله يدير شؤونه عادة قلة هم رؤساء الدين أو الكهنة. أما عامة الناس فلم تمنح لهم الفرصة نفسها. لكن في هذه الدورة كل واحد عرف مقام حضرة بهاءالله وانضم إلى حظيرة أمره، سواء كان شاباً أو مسناً، متعلماً أو جاهلاً، غنياً أو فقيراً، باستطاعته أن يقدم خدمات لأمر الله. في كثير من ألواحه يدعو حضرة بهاءالله أتباعه للقيام على دعم دين الله ونصرته. وفي "الكتاب الأقدس" أيضاً هناك عدة إشارات لذلك. ليس هناك حدود لخدمة أمر الله. فلا يلزم أن يكون الشخص مثقفاً متعلماً أو ذا نفوذ ومكانة بالمجتمع لكي يخدم. وما أكثر الحالات التي يرتفع فيها البسطاء من أهل العالم، وأحياناً الأميون، إلى مستويات عظمى في خدمة دين حضرة بهاءالله.

ليس في هذه الحياة عطية أعظم من خدمة أمر الله، شريطة خلوص الشخص ونقاء نيته. إذ لو قُدمت الخدمة سعياً وراء شهرة أو نفوذ أو مكاسب أخرى شخصية سواء في هذه الحياة أو الآخرة،(١) فإن خدمة كهذه ستصبح عبئاً ثقيلاً على روح ذلك الشخص. ونتيجة ذلك ستكون حياة مليئة بالأحزان والخيبة وكما بيّن حضرة بهاءالله في آثاره لن تجلب مرضاة الله إذ لا شيء سوى العمل الطاهر والنية الخالصة مقبول لدى الله.

إن أمر الله المتجلي في هذا اليوم عظيم جداً، وبهذا القدر يجب أن يكون سعي الإنسان وعزمه لتأييده وخدمته بإخلاص وتضحية. وعلى قدر عرفان المؤمن لعلو مقام حضرة بهاءالله ستكون مقدرته في تطهير النية لخدمة أمر الله، وبالقدر

---

(١) لإيضاح معنى "التعلق" إلى العالم الآخر انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٣–٣٦.

نفسه تكون مكافأته الروحانية. وغالباً ما أعلن حضرة بهاءالله ونادى بعظمة ظهوره الفائق. أنزل في "الكتاب الأقدس" هذه الكلمات المؤثرة:

"يا ملأ الأرض تالله الحق قد انفجرت من الأحجار الأنهار العذبة السائغة بما أخذتها حلاوة بيان ربكم المختار وأنتم من الغافلين. دعوا ما عندكم ثم طيروا بقوادم الانقطاع فوق الإبداع كذلك يأمركم مالك الاختراع الذي بحركة قلمه قلّب العالمين. هل تعرفون من أي أفق يناديكم ربكم الأبهى وهل علمتم من أي قلم يأمركم ربكم مالك الأسماء لا وعمري لو عرفتم لتركتم الدنيا مقبلين بالقلوب إلى شطر المحبوب وأخذكم اهتزاز الكلمة على شأن يهتز منه العالم الأكبر وكيف هذا العالم الصغير. كذلك هطلت من سماء عنايتي أمطار مكرمتي فضلاً من عندي لتكونوا من الشاكرين."(٣١)

لقد أدرك بعض تلاميذ حضرة بهاءالله هذه الذروة من الإيمان وأتيح لهم بذلك أن يعرفوا بأنفسهم رفعة وسمو مقام حضرة بهاءالله. وعندما كانوا في محضره المقدس، نقلت نسائم الوحي ذواتهم، أولئك النماذج الحية للانقطاع، إلى عوالم عليا. كانت رغبتهم أن يعبّروا عن مدى وعمق ولههم وإخلاصهم لمولاهم. إلاّ أن الكلمات عاجزة عن تبيان مشاعر الانقطاع التام ونكران الذات الذي كان يغمر وجودهم. وفوق كل ذلك، فإن هيبة وجلال حضرة بهاءالله كانت ملموسة بحيث لم يستطيعوا في محضره التفوه بكلمة إلاّ إذا ألهمهم هو بالقوة والجرأة ليفعلوا ذلك. وعليه كان كل واحد منهم يحاول أن يظهر أو يعبر بنحو ما عن مقدار حبه واستعداده حتى للتضحية بحياته في سبيله. فبينما كان بعضهم يجثو على ركبتيه في محضره، راح آخرون ساجدين عند قدميه، وهناك من يظل واقفاً صامتاً مستغرقاً بوصل روحاني بحضرته. هذه قصة الحاج ميرزا حيدر علي، في محضر حضرة بهاءالله في عكاء، كما رواها بنفسه:

كنت يوماً في محضره واقفاً بينما راح الجمال المبارك يقطع أرض الغرفة جيئة وذهاباً، وكان بحر بيانه متلاطماً موّاجاً، ومنوراً روحي بأنوار شمس عنايته وأفضاله. خطر ببالي أن أرمي بنفسي عند قدميه المباركتين وأقبلهما

إذ كان ذلك أمنية من أعز أمنياتي فترة طويلة. وكل مرة يتقدم متّجهاً نحوي كنت أشعر وكأني تجمّدت بمكاني بلا حراك كصورة على جدار! ولكن حالما يستدير راجعاً أتجرأ للتحرك خطوة أو اثنتين للأمام محاولاً إلقاء نفسي ساجداً عند قدميه ثم حين استدارته وتقدمه نحوي لم أشعر إلاّ وهيبته وجلال شخصه قد دفعت بي للتراجع خلفاً حتى لصقت بالجدار حيث وقفت دون حراك. تكرر ذلك ثلاث أو أربع مرات ترددت فيها بين التقدم قليلاً ثم الرجوع للخلف، أخيراً لاحظ حضرته موقفي وقال مبتسماً: 'ماذا يحدث لك؟ **تتقدم مرة وتتأخر أخرى.**' بعدها أشار عليّ بيده بالبقاء حيث كنت.

ولو أنني في تلك المناسبة قد مُنعت من تحقيق أعلى وأعز أمنيات حياتي بالتبرك ساجداً عند قدميه، وهو ما كنت أطمح به دوماً، وكانت في الواقع خيبة كفيلة بأن تحزنني، لكن مجرد تلك الكلمات القليلة التي نطق بها حضرته وحركة يده المباركة خلقت فيّ من الفرح والسرور ما سيبهج روحي ويجعلني أشعر وأذكر بفخر **إلى الأبد السرمد،** ذلك الشرف العظيم الذي غمرني بما حدث في ذلك اليوم.(٣٢)

حقاً إن "الكتاب الأقدس" أشبه ببحر، وإنه لمن الصعب وصف كل ما نزل فيه من مواضيع. ولم نُشِر حتى الآن إلاّ لبعض موضوعاته الرئيسة. كما تمت الإشارة من قبل لبعض تعاليم حضرة بهاءالله وتنبوءاته في هذا "الكتاب الأقدس". وتشمل هذه مجيء مظهر الله المقبل،[١] وتبجيل العلماء في البهاء،[٢] ودعوة حضرة بهاءالله للملوك والرؤساء ورجال الدين،[٣] وعلامات بلوغ العالم[٤] وغيرها من مواضيع.[٥]

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٢٩٦.

(٢) انظر المجلد الثاني، الصفحة ٢٦٠.

(٣) انظر المجلد الثاني، الصفحتين ٣٠١-٣٠٢.

(٤) انظر الصفحة ١٦١.

(٥) للمزيد من المواضيع الأخرى في "الكتاب الأقدس" انظر المجلد الأول، الصفحات ٤٩، ٢٢٥، ١٣٠، ٣١٨؛ والمجلد الثاني، الصفحات ١١٧، ٢٣٥، ٣٤٥؛ والشرح الوارد في هذا المجلد.

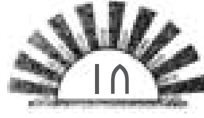
أمّا الحقائق الروحية الموجودة في "الكتاب الأقدس" فلا سبيل لسبر أغوارها، فما من أحد في هذه الحياة يستطيع الادعاء بأي حال أنه أحاط بمكنونات ما نزل في كلمات كل منها. ذلك لأن (باستثناء ما فيه من أحكام يتوجب إتباعها حرفياً على ظاهرها) "الكتاب الأقدس" مليء بالباطنيات والمعاني المخزونة. هذا ما أنزله حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس" بهذا الشأن:

"اغتمسوا في بحر بياني لعل تطلعون بما فيه من لئالئ الحكمة والأسرار. إيّاكم أن توقّفوا في هذا الأمر الذي به ظهرت سلطنة الله واقتداره أسرعوا إليه بوجوه بيضاء هذا دين الله من قبل ومن بعد من أراد فليقبل ومن لم يرد فإن الله لغني عن العالمين. قل هذا لقسطاس الهدى لمن في السموات والأرض والبرهان الأعظم لو أنتم تعرفون. قل به ثبت كل حجة في الأعصار لو أنتم توقنون. قل به استغنى كل فقير وتعلّم كل عالم وعرج من أراد الصعود إلى الله إيّاكم أن تختلفوا فيه كونوا كالجبال الرواسخ في أمر ربكم العزيز الودود."(٣٣)

في أحد ألواحه(٣٤) يصرح حضرة عبدالبهاء بأنه حينما كان حضرة بهاءالله منهمكاً في إعداد التعاليم وصياغتها وإنزال آيات الله التي انهمرت من قلمه، فإن القوة التي انطلقت من أثر تجلّي الكلمة الإلهية[١] هزّت قلبه وتملكته بحيث شغلته عن وجبات طعامه. فكان يأكل قليلاً جداً في بعض الأحيان بينما كانت هناك أيام لم يستطع أن يأكل فيها إطلاقاً.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن طبيعة نزول الكلمة الإلهية انظر المجلد الأول، الفصل ٣.



أواخر أيام السجن في الثكنات

إنّ نزول "الكتاب الأقدس"، الذي قد يُعتبر بموجب تقدير حضرة شوقي أفندي بأنه أبرز وأهم ثمرة لولاية حضرة بهاءالله، ينبغي أن يُعتبر مصدراً متيناً لإحياء البشرية. وإن القوى الخفية التي أطلقها نزول هذا الكتاب في العالم يمكن القول بأنها كانت عاملاً رئيساً في عكس وجهة مصير الدين (الجديد) وصاحبه في عكاء.

وإننا إذ نستعرض تاريخ تلك الأيام، نذكر كيف انغمر حضرة بهاءالله وأصحابه في بحر البلايا على أثر مقتل ثلاثة من أتباع ميرزا يحيى، ذلك العمل المنكر الذي لطخ سمعة جامعة الاسم الأعظم. لكن لم يمضِ أكثر من عام على ذلك حتى أفرج عن من سُجن من المؤمنين باستثناء السبعة المسؤولين عن اقتراف ذلك الإثم الشنيع، وبذلك بدأت ترتفع وتنجلي غمامة الكرب والفتنة وصار الأمر وصيته يرتفعان مجدداً. وعاد سكان المدينة إلى سابق ثقتهم حيال جماعة المنفيين الذين استطاعوا، بفضل استقامة خلقهم ونزاهتهم أن يزيلوا كل الاتهامات الباطلة والمفتريات التي لطخت سمعتهم الحسنة مؤقتاً.

لقد تمّ زواج حضرة عبدالبهاء بمنيرة خانم[1] في السنة التي نزل فيها نزول "الكتاب الأقدس". وفي تلك الآونة قام عبّود، المقيم بجوار منزل حضرة بهاءالله، والذي سبق له أن دعّم الجدار الفاصل بين المنزلين، بفتح جدار لإلحاق إحدى غرف منزله بمنزل حضرة بهاءالله ليوفر بذلك حجرة إضافية لحضرة عبدالبهاء

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٢٠٣–٢٠٧.

وعروسه. بعد ذلك أزيل الجدار الفاصل بين المنزلين وانتقل عبّود إلى بيت آخر تاركاً المنزل لحضرة بهاءالله وبذلك اتسع المجال لسكنى عائلة حضرته.

وانتقل حضرة بهاءالله إلى غرفة أوسع ذات شرفة مطلة على البحر بينما انتقل حضرة عبدالبهاء إلى الغرفة التي تركها حضرة بهاءالله. مقارنة بسابقتها، كانت غرفة حضرة بهاءالله الجديدة مكاناً بهيجاً. فمن هنا أمكنه رؤية البحر أثناء سيره في الشرفة. كما أتيح للمؤمنين شرف نيل محضره في محيط أكثر راحة وإضاءة.

في هذه الغرفة تشرف المؤمنون القادمون من إيران بمحضره المبارك لبضعة سنوات، وفيها أنزلت عدة ألواح هامة.

أما الشرفة المطلة من الغرفة على البحر، فطالما تمشى فيها حضرة بهاءالله في الهواء الطلق ومنها نظر وتأمل البحر. اعتاد الخروج إليها في أوقات العصر. وقد كان لهذا التطور والانفراج في حياة حضرة بهاءالله وآله أعمق الأثر الطيب والبهجة في نفوس أصحابه في عكاء، أولئك الذين شاطروا مولاهم معاناته وبلاياه داخل السجن عن طيب خاطر وثبات راسخ وأصبحوا الآن يعيشون ويعملون في مختلف أطراف المدينة في نهاية القناعة والانبساط.

ترك الحاج ميرزا حيدر علي، شاهد عيان لأحداث تلك الأيام، في مذكراته للأجيال التالية هذه السطور[1]:

كان في عكاء حوالي مائة نفس من المؤمنين ما بين **مهاجر ومجاور ومسافر**. معظمهم كانوا يعملون في حرفة أو تجارة ما. وقد ربطت بينهم آصرة وثيقة من المحبة والاتحاد والإخلاص. وفي ذلك كَمُنَ مصدر غبطتهم النابعة من عشرتهم مع بعضهم البعض وكانوا يشعرون بالافتخار والسرور لخدمة بعضهم بعضاً. فلا عجب أن تكون نتيجة تلك الحالة هي شعورهم كأنهم مقيمون في الفردوس.

(١) هذه الرواية تشير إلى العام ١٨٧٧م، بعد مغادرة حضرة بهاءالله بيت عبود وإقامته في المزرعة ببضعة أشهر. (أ. ط.)

هذا وقد جعل حضرة بهاءالله زيارة أحبائه وتشرفهم بين يديه، سنّة ثابتة حيث فتح على وجوههم باب اللقاء في آخر النهار ما بين ثلاث ساعات قبل الغروب وحتى فترة مماثلة بعد الغروب. لذا اعتاد الأصحاب إنهاء أشغالهم كل يوم في ذلك الوقت عصراً والتجمع في الطريق خارج البيت المبارك. أثناء انتظارهم كان بعضهم يتمشى حول البيت، بينما آخرون يظلون واقفين مكانهم في حين يجلس الباقون في جماعات متفرقة هنا وهناك. وخلال ذلك كان بعضهم موجودين داخل صالة الاستقبال لحضرة عبدالبهاء حيث يتابعون قضاء بعض الأمور وإنجاز مهام أو معاملات معينة...

وعليه صار بإمكان المؤمنين مشاهدة مولاهم وهو يتمشى في شرفة منزله. وكم من مرة أشار بيده المباركة على أحد المؤمنين ليدخل ويتشرف بمحضره بمحض فضله وعطفه... تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن رابطة الاتحاد بين المؤمنين كانت من القوة والتماسك بحيث أصبحوا **كنفس واحدة** وجسم واحد، وكل منهم يتمنى لو يفدي الآخر بنفسه. ولمّا استدعي واحد أو مجموعة من بينهم ليحظوا بشرف محضره، كان ابتهاج الآخرين لا يوصف. ومن أسعده الحظ بذاك الشرف كان يقفز ويدخل المنزل بلهف وانفعال يهتز له باب المنزل وجدرانه. ولشدة انفعاله في تلك الحالة لا يعود يميز أحداً، وإن أراد شخص أن يكلمه، لا يلتفت وكأنه لم يسمعه. وهكذا يندفع متوجهاً للقاء مولاه، حيث فردوس المحضر الرباني الذي يفوق ببهائه وبهجته الجنة نفسها، ذلك الفردوس الذي لا يمكن أن يستشعر به من حُرم من الفوز بهذا اللقاء. ولدى انصرافه من محضر حضرة بهاءالله يكون مسلوب الفكر ويظل شارداً بعض الوقت قبل استرجاع وعيه، ويتمكن من تمييز أصحابه والتحدث إليهم. واحد من بين العديد فقط ممن استطاعوا التشرف بمحضره المبارك، تمكن أن ينقل أو يروي، بنحو واف أو كامل، الكلمات التي سمعها خلال الزيارة. ولكن لا أحد كان باستطاعته وصف التجربة الروحية للقاء ربه.(١)

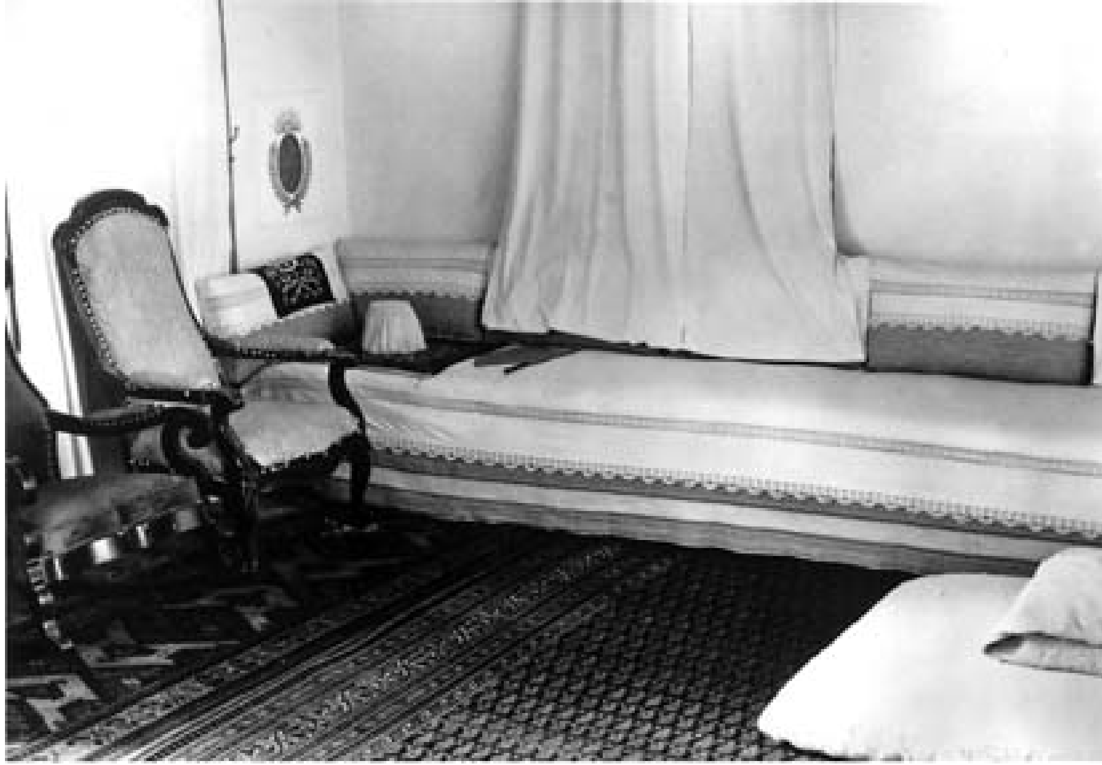
إن إخلاص أصحاب حضرة بهاءالله ومحبتهم لم تعرف الحدود. كان هناك أحد المؤمنين في عكاء اسمه ميرزا محمد هادي الصحّاف. بلغ به عشق مولاه أن جعله يأخذ على عاتقه كناسة[1] المدخل والساحة المجاورة للبيت المبارك لئلا يقع نظر حضرة بهاءالله على أوساخ عندما يخرج إلى الشرفة من غرفته (في بيت عبّود). وقد كتب قصته حضرة عبدالبهاء في السطور الآتية:

من جملة المهاجرين والمجاورين آقا محمد هادي الصحّاف وهو من أهالي إصفهان وكان ماهراً في تجليد الكتب ومتفوقاً على الآخرين. متشبثاً بذيل الكبرياء بدرجة فائقة، سريعاً في تأدية كل ما يتطلب منه عمله، شجاعاً قوي العارضة. بارح مسقط رأسه المحبوب وساح في البيداء واخترق السهول والوديان غير عابئ بوعثاء الطريق وما به من المخاوف، وجاس خلال الديار متحملاً ما هنالك من متاعب ومشاق، حتى وصل إلى البقعة المباركة وأصبح ضمن المسجونين. وعكف على العتبة المباركة، واشتغل بحراسة البيت المبارك وتنظيفه، وكنس الميدان الفسيح الواقع أمام الدار، وغسل أرضه المعبدة بالأحجار حتى جعله في رونق يسر الناظرين. وكلما وقع نظر المبارك على هذا الميدان كان يبتسم ويتفضل بقوله الأحلى: 'إن آقا محمد هادي جعل ميدان السجن كفسحة القصر.' وكان جميع الجيران ممنونين مسرورين منه، وكان كلما فرغ من عملية الكنس والتنظيف يباشر في تذهيب الألواح وتجليد الكتب. ونسج على هذا المنوال حيناً من الدهر متمتعاً بملاقاة محبوب قلوب أهل الآفاق، وفي الحقيقة كان هذا الشخص إنساناً طاهر الذيل، صادق القول، مستحقاً لموهبة الوصال، نقياً من شوائب هذا العالم...

كان هذا الشخص قصير القامة، ولكنه عالي الهمة سامي المقام، طاهر القلب نير الفؤاد، زكي الروح. وكان طوال الأيام التي أقامها لدى العتبة

---

(١) كانت شوارع عكاء ترابية ولم يكن هناك جمع للنفايات في تلك الأيام، واعتاد الناس على إلقاء القمامة في الشارع. ولذلك كان العديد من أصحاب المنازل يكنسون مداخل البيت ويرشون الماء على الأرض.



غرفة حضرة بهاءالله في بيت عبّود
ويشاهد على الديوان في الزاوية تاج حضرة بهاءالله حيث اعتاد الجلوس هناك



منظر لقناة الماء

أعيد استعمالها بطلب من حضرة بهاءالله، وأصبحت تمد عكاء بالماء العذب

المباركة محبوباً من جميع الأحباء مقرباً من ساحة الكبرياء، وكان الجمال المبارك يبتسم عندما يحادثه...(٢)

إن تفاني المؤمنين بحبهم وإخلاصهم الفائق لحضرة بهاءالله في صميم قلوبهم، وحماسهم ولهفهم للفوز بمحضره كما رواه الحاج ميرزا حيدر علي، كان يرجع بصورة رئيسة لشيئين. أحدهما قوة إيمانهم بحضرة بهاءالله بأنه المظهر الإلهي الأعظم، والآخر تسليمهم وتفويض إرادتهم تفويضاً تاماً بيد إرادته. وبقدر اكتسابهم هاتين الصفتين كان مدى تقربهم إليه. كان أيضاً هناك مؤمنون ممن تشرفوا بمحضر حضرة بهاءالله، وشهدوا نزول فيض وحيه، وأحسوا بالخشوع أمام جلاله وامتلأت صدورهم بروح الإيمان. لكن بما أنهم لم يستطيعوا الانقطاع عن شؤون الدنيا ولم يتمكنوا من قهر الذات والنفس الأنانية، لذا حُرموا من وافر فضله وعطائه.

في أحد ألواحه(٣) يصرح حضرة بهاءالله بأنه كان هناك بعض المؤمنين ممن كانوا يدخلون محضره الأنور صباحاً ومساء،[١] ومع هذا لم يتقربوا إليه لبعدهم الروحاني. وعلى العكس كان هناك من لم يحظ بشرف زيارته إلاّ أنهم فازوا بقربه روحانياً.

ويضيف حضرة بهاءالله في هذا اللوح مصرحاً بأن الأجر الذي يكتبه الله للمؤمنين المخلصين أنقياء السريرة والذين فازوا بمحضره لهو أعظم بكثير من كل ما كتب من أجر لقاء الأعمال الصالحة في الدنيا جميعاً. بل في الحقيقة إن أجراً كهذا، يزيد مؤكداً، يَجُلُّ عن وصفه بالكلمات. فالله وحده الذي يعرف قدره.

كما يصرح أيضاً في هذا اللوح بأنه حتى الذين يزورون الأرض التي استقر فيها عرش مظهر الله سيجزون جزاءً كريماً في الحياة الأخرى، وكيف الذين أدركوا فعلاً لقاءه وفازوا بمحضره.

---

(١) ميرزا آقا جان مثال على ذلك. وكان يعمل في خدمة حضرة بهاءالله معظم الوقت، ولكنه في النهاية أصبح ناقضاً للعهد وأضاع أربعين عاماً من الخدمة لحضرة بهاءالله.

أمّا الجهاد في قهر النفس وتسليم الإرادة لإرادة المظهر الإلهي، فهما من الأمور التي قد يصعب على الإنسان تحقيقها. لكن حينما يدرك المرء هذه الغاية العليا، أي تسليمه لله، فإنه يصبح مهبط بركاته وأفضاله غير المتناهية.

تعيش سائر الكائنات الحية من المنظور المادي في حالة تسليم لقوى الطبيعة. فالشجرة لا تبدي مقاومة ما للمطر أو لأشعة الشمس. بل تستلم ما يمدانه بها من طاقة حيوية وبذلك يحصل نموها وازدهارها. وعلى الصعيد الروحاني يجب على الإنسان أن يفعل الشيء نفسه إن هو أراد بركات الله وفضله. الفرق الوحيد هنا هو أنه في حين جميع المخلوقات الحية تستسلم طوعاً أو لا إرادياً لنواميس الطبيعة، لكن الإنسان يفعل ويختار وفق ما يشاء بإرادته.

يصرح حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه(٤) بأن أعظم تضحية في سبيل الله يقوم بها المؤمن هي أن يسلم إرادته لمشيئة الله بالكامل، ويصبح عبداً حقيقياً لأحباء الجمال المبارك. ذلك لأن الله، في ذاته، غني عن عبودية الإنسان له. وعليه لكي يكون المرء عبداً لله، يجب أن يخدم أحباء الله. ويكرر حضرة عبدالبهاء في هذا اللوح مقام عبوديته مبيناً بأنه يعتبر نفسه، في صميم قلبه بأنه أدنى خدام الأحباء، وبأن أعظم ما يطمح إليه هو أن يستطيع خدمة كل واحد منهم.

إن عبودية حضرة عبدالبهاء معروفة لدى كل من اتصل به. كما تشهد آثاره الكتابية بوفرة على حياته الحافلة بالخدمات لكافة الجنس البشري. وبصفته "المثل الكامل لتعاليم حضرة بهاءالله"، و"رمز كل فكرة بهائية"، و"مظهر كل فضيلة بهائية"،(٥) فإن سيرة حياته قد صارت مصدر إلهام للكثيرين، وستظل تلهم ما لا يُعدّ من الأجيال المقبلة ممن يسعون للانعتاق من سجن النفس والأنانية ويعيشون حياة التواضع والخدمة.

كان الدكتور يونس خان أفروخته[١] في خدمة المولى لعدة سنوات في عكاء. بحكم محبته لحضرة عبدالبهاء ودوام معاشرته له ترك ذلك أثراً باقياً في حياته.

---

(١) انظر الصفحة ٣٦٥.

فأصبح من الشخصيات الروحانية الشامخة في هذا الأمر الكريم، وشخصية جذابة وروحاً نيرة وُهبت بمزاج عظيم من الظرف والفكاهة من جملة ما وهبت من قدرات. لقد كتب الشيء الكثير في مذكراته عن المولى. يذكر فيها كيف أن الناقضين، بعد صعود حضرة بهاءالله، قاموا على معارضة حضرة عبدالبهاء. فعملوا كل ما في قدرتهم للحط من شأنه ومقامه كمركز لعهد حضرة بهاءالله. كان رد فعل المؤمنين الثابتين هو المبالغة في إعلاء مقام المولى، الأمر الذي لم يعجب حضرته بل كان يزعجه لأقصى حد إذ لم يعتبر نفسه سوى خادم. فيما يلي ما كتبه الدكتور يونس خان من أفكار ومذكرات حول مقام عبودية حضرة عبدالبهاء:

في حين ركز الناقضون حملتهم لإثارة المشاكل ضد المولى مستهدفين النيل من مقامه، عكف كثير من المؤمنين الثابتين، لفرط عشقهم ومحبتهم له، على المغالاة في إعلاء مقامه. كل ذلك أدى إلى وضع بحيث لو نظم أحد المؤمنين مثلاً قصيدة في عبودية حضرة عبدالبهاء لصار مؤكداً موضع عنايات وفضل لا حدود له من قبل المولى. ولكن **بالعكس**، لو أشار أحدهم إلى علو مقامه، فإن ذلك يكون غير مقبول لديه، وقد يطلب من المؤلف إظهار التوبة وطلب الاستغفار.

إن المقام الوحيد الذي احتفظ به لنفسه هو المفسر والمبين لكتابات حضرة بهاءالله. وكان يصرح بذلك كلما شاء أحد أن يشير إلى شهادات حضرة بهاءالله بحقه وما أغدق عليه من كل وصف ومقام رفيع الشأن،[١] كان يصرح تعليقاً على ذلك بقوله: "أنا مبيّن كلمات الله، وتفسيري لكل هذه الألقاب والنعوت هو أني عبدالبهاء"... وفي إحدى المراحل كتب عدة ألواح ومناجاة بشأن مقام عبوديته. من بينها مناجاة تتلى الآن دعاءً خاصاً بذكرى صعود حضرة عبدالبهاء. وقد كتب بخصوص هذه المناجاة قائلاً: "كل من يقرأ هذه المناجاة بكل تضرع وابتهال يكون سبب سرور قلب هذا العبد وحكمه هو حكم اللقاء".

(١) انظر المجلد الثاني، الصفحات ٣٨٤–٣٨٦.

في هذه المناجاة يصف مقامه في العبودية بهذه العبارات: **"أي رب اسقني كأس الفناء وألبسني ثوب الفناء وأغرقني في بحر الفناء واجعلني غباراً في ممر الأحباء واجعلني فداءً للأرض التي وطئتها أقدام الأصفياء في سبيلك يا رب العزة والعلى."**

أيها القارئ العزيز: إن معظم المؤمنين يحفظون هذا الدعاء عن ظهر قلب ويتلونه كل صباح. لذا لم يورد هذا العبد نصه الكامل هنا. والذي أرجوه الآن منك هو أن تقرأ هذه المناجاة[١] أولاً ثم تقرأ ما يلي تحت عنوان:

قصة التجربة الحلوة المُرّة

حدث في تلك الأيام التي كان المؤمنون مشتعلين فيها بنار المحبة الإلهية بينما هم يتحملون صابرين نار الحسد والبغضاء من المغرضين، والاتهامات والافتراء من الناقضين، حدث أن انبرى الشعراء والأدباء من أهل البهاء في تلك البلاد –إيران– في كتابة قصائد المديح والثناء والتمجيد بحق حضرة عبدالبهاء. فجرت من أقلامهم روائع الكلم، نظماً ونثراً، ملهمين بأبلغ العبارات بمقامه العليّ.

لكننا نحن، البهائيون من سكان عكاء، مطاف الملأ الأعلى،[٢] كنا حذرين جداً حيال التفوه بذكر السلطنة والسيادة لشخص حضرة عبدالبهاء المبارك. ذلك لأننا كنا نعلم جيداً بأنه طالما نصح الشعراء بأن يلتفتوا، بدلاً من ثنائه وتمجيده، إلى إعلاء مقام عبوديته ومحوية ذاته البحتة.

خلال تلك الفترة وصلتني يوماً رسالة من إحدى إماء الرحمن...[٣] سطرت مضمونها بهيأة شعر، إطرائي اللحن، تخاطب فيه حضرة عبدالبهاء بصيغة

---

(١) "مناجاة اللقاء" لحضرة عبدالبهاء، مطبوع في العديد من كتب الأدعية البهائية. (أ. ط.)

(٢) انظر الصفحة ١٨٤ الحاشية؟ (أ. ط.)

(٣) كان حضرة بهاءالله غالباً يدعو المؤمنين من الذكور بـ"الأحباء"، والإناث بـ"إماء الله".(أ. ط.)

ضراعة وابتهال موجه لحضرة الباري عزّ وجلّ. سلمت الرسالة للمولى وهو يهبط درجات البيت المواجه للبحر. ظننت أن اللحظة كانت مواتية لتسليمه إيّاها. لكنه ما كاد يقرأ سطراً أو اثنين حتى استدار بوجهه فجأة نحوي وبملامح تعبر عن منتهى الحزن والكدورة قال: 'والآن أنت تدفع إلي برسائل كهذه؟ ألست تعلم مدى الألم والحزن الذي ينتابني حينما أجد وأسمع البعض يخاطبني بألقاب رفيعة كهذه؟ حتى أنت لم تعرفني بعد! وإن كنت لا تقدّر هذا، إذا ماذا يمكن أن يُتوقع من الغير؟ ...ألا تشهد ما أفعله ليل نهار، وكل ما أكتبه بخطاباتي... **والله الذي لا إله إلاّ هو** إني أعتبر نفسي أقل من أي واحد من أحباء الجمال المبارك. هذه عقيدتي الراسخة... قل لي إني كنت خاطئاً. وهذه أعظم أمنياتي. بل إني لا أحب حتى أن أدّعي هذا، لأني أمقت كل ادّعاء.' بعد ذلك توجه إلى القبلة (عكاء) وقال: 'يا جمال المبارك، هب لي هذا المقام...'

ظل حضرة عبدالبهاء يتكلم غاضباً في هذا الصدد وبقوة بحيث كاد قلبي يتوقف. انتابني شعور بالاختناق وأصاب بدني خدر. فعلاً شعرت بأن الحياة تفارقني. لم أفقد القدرة على الكلام فقط، بل حتى عملية التنفس بدت تتلاشى أيضاً. وددت أيضاً لو أن الأرض انشقت وابتلعتني لئلا أشاهد مولاي العطوف في مثل هذا الحزن والتأثر. فعلاً لقد غبت عن الوعي لحظات كما لو لم أكن في هذه الحياة. ولم أفق إلاّ على وقع أقدام المولى حينما واصل هبوط السلالم. فمشيت وراءه مسرعاً. سمعته يقول: 'لقد قلت للناقضين بأنهم كلما زادوا في إيذائي كلما بالغ الأحباء في إعلاء مقامي والمغالاة فيه...'

والآن وقد رفع اللوم عن الأحباء ووضع على الناقضين، بدأت أشعر بشيء من الحياة وعودة الروح. ورغم إنصاتي بعناية لكلامه، لكن أفكاري كانت في مواضع أخرى. فصرت أدرك الآن بأن ما كان يقترفه هؤلاء الناقضون غلاظ القلوب من المظالم والتعديات هو الذي ولّد ذاك الرد القوي المعاكس لدى الأحباء الذين لم يتمكنوا من ضبط مشاعرهم وعواطفهم.

وبذلك تكون تجربتي المريرة قد انتهت الآن. عاد المولى يقطع أرضية صالة الاستقبال جيئة وذهاباً وهو يزيد الحديث عن كيد الناقضين وتآمرهم. لكنني لم أكن قادراً على التعقل أو التمعن. فكنت ما أزال باضطراب شديد إذ جلبت مثل هذا الحزن لقلب المولى، ولم أدرِ ما ينبغي فعله. ثم سمعته بعد ذلك يقول: 'هذا ليس بأي حال بسبب تقصير الأحباء. فهم يقولون هذه الأشياء بدافع ثباتهم واستقامتهم ومحبتهم وإخلاصهم...' مرة أخرى عدت أركز فكري في كلماته. ثم سمعته يقول لي: 'أنت عزيز جداً عليّ... إلخ'[1] عندها أدركت من هذه العبارات والبيانات بأن طريقة المولى هي أنه لن يدع نفساً في ألم أو حزن. والآن انطوت تلك الصفحة وحان وقت التلطف عليّ بالتهدئة والتشجيع. فزال عن قلبي ذاك الضغط القاتم. كما تلاشى كل أثر لكربي المكبوت. فانهمرت دموعي غزيرة على خدي وأنا أنصت إليه بإمعان أكثر. فاستمعت للمزيد مما نطق به من عبارات حميمة غاية في الرقة والود، بل وجدتها قد تعدت حدود التشجيع العادي. في الحقيقة عندما قارنت ما منّ عليّ من لطف وفضل مع أهليتي وقدري لم يسعني الاستماع إليها، وعليه تعمدت ألاّ تسجلها ذاكرتي. مع ذلك طفح قلبي بسرور ونشوة تتعديان الوصف بحيث تمنيت لو أن السماء تفتح أبوابها وتدعني أعرج إلى ملكوت اللقاء.

ولمّا صرفني من محضره توجهت صوب دار الزوار بحال من الابتهاج والانفعال العاطفي بحيث همت في طرقات عكاء لا أدري إلى أين كنت ذاهباً!

الآن يمكنك أيها القارئ العزيز، أن ترى كيف تبدلت وانقلبت تجربة مريرة إلى نهاية حلوة سعيدة. فلم تنشق الأرض لتبتلعني كما لم تنفتح السماء لترفعني. وهكذا بقيت حتى أدوّن قصص تلك الأيام وعسى أن أقول لك كلمة بحق ذكرى جماله النوراني الصمداني: **"الله أبهى"!**(٦)

---

(١) من الواضح أن د. يونس خان لا يرغب في الإفصاح عن كل المديح والتشجيع اللذين أنعم بهما عليه حضرة المولى.

في الفترة التي أقام حضرة بهاءالله في بيت عبّود، كان أصحابه المنفيون قد استقروا في مدينة عكاء، بصفة نهائية، وتوفق معظمهم في حرفهم المتواضعة. خلال ولاية أحمد بيك توفيق تمتعوا بسلم نسبي في أعمالهم. لكن عند وصول الحاكم التالي، عبد الرحمن باشا، تبدّل الوضع. فقد أثبت بأنه من أشد الحكام عداء لحضرة بهاءالله وأصحابه. كان رجلاً طماعاً، ولمّا فشل في محاولاته وخططه لابتزاز الأموال من جماعة المنفيين، قدّم تقريراً تحريضياً لاهباً للسلطات في الآستانة. فقد اشتكى بأنه بدلاً من محكومية السجن كان البهائيون طلقاء في عكاء ويزاولون أعمالهم. كان جواب الباب العالي -مكتب رئاسة الوزراء في الآستانة- هو أنه يجب إطاعة فرمان السلطان فإنهم سجناء لا حق لهم في الاشتغال.

في مذكراته روى حسين آشچي تفصيلات تلك الحادثة. تجدر الملاحظة هنا بأن آقا حسين في تلك الفترة كان لا يزال يقضي مدة سجنه لتورطه في مقتل الأزليين الثلاثة في عكاء، ولو أنه، بفعل حسن نية بعض المسؤولين في السلطة، سُمح له بالذهاب صباح كل يوم إلى بيت حضرة بهاءالله حيث كان يعمل طباخاً، ويعود في المساء إلى السجن. فيما يلي ملخص لملاحظاته:

> لمّا وصل عبد الرحمن باشا إشعار من الباب العالي يأمر فيه بإعادة المنفيين إلى السجن عزز ذلك غروره وغطرسته. فقرر أن يستغله في مناورة لابتزاز المال... ولما لم يفلح في ذلك، اتصل في إحدى الأمسيات بمفتي عكاء، الشيخ علي الميري، الذي كان من المعجبين بحضرة عبدالبهاء، وفاتحه بنيته القبض على المنفيين عند فتح حوانيتهم صباحاً ثم سوقهم إلى السجن. كما استهدف أيضاً تقييد حركة حضرة عبدالبهاء داخل المدينة. فاستمال جانب المفتي في هذا المخطط... وقصد المفتي في تلك الليلة حضرة عبدالبهاء مخبراً إيّاه بما كان مبيّتاً وملحّاً على المولى بأن يرشي الحاكم، وإلاّ فإنهم جميعاً سيقبض عليهم في الصباح التالي. في إعرابه عن عدم موافقته، أكد حضرة عبدالبهاء للمفتي بأن الله رحمن رحيم وبأنه سيفوض الأمر بيد الله. ونصحه بالرجوع لمنزله وأن يكون مطمئناً من النتيجة. ومع أن الوقت كان متأخراً وحضرة بهاءالله

كان قد أوى لتوه إلى فراشه، لكن حضرة عبدالبهاء ذهب إليه وأفاده بالخبر. أمر حضرة بهاءالله بنصح المؤمنين ألاّ يتوجهوا لأعمالهم صباحاً. فأُخبر كل واحد منهم وفي الصباح اجتمع الكل في حجرة الاستقبال المخصصة لحضرة عبدالبهاء.

كنت في ذلك الوقت ما أزال في السجن... لكن سمح لي أن أذهب كل صباح لبيت حضرة بهاءالله حيث أخدم طباخاً ثم أعود في المساء إلى السجن. لاحظت في صباح ذلك اليوم في طريقي بأن دكان آقا محمد إبراهيم، الصفّار، كان مغلقاً، وكذلك دكاكين الأحباء الآخرين فعجبت لذلك وتحيرت ما عسى أن يكون قد وقع. فأسرعت بالسير إلى بيت حضرة بهاءالله حيث وجدت أصحاب الحوانيت مجتمعين في حجرة الاستقبال. فعلمت بالخبر ثم توجهت إلى عملي في المطبخ. وبعد ساعتين تقريباً من الشروق قدم شخص وأزاح ستارة الباب الأمامية بعصاه. نظرت فإذا به إسكندر أفندي، رئيس مكتب التلغراف (البرق). بدا في غاية العجلة من أمره ولكن بالوقت نفسه أمكن ملاحظة ملامح غبطة على وجهه وهيأته. طلب رؤية المولى الذي كان حينذاك في الطابق العلوي. صعدت فوجدته في محضر حضرة بهاءالله. فأخبرته بأن إسكندر أفندي قد جاء ويريد مقابلته وبأنه كان في مزاج مستبشر. فابتسم الجمال المبارك وقال: 'انزل إليه، آقا[١]! فلديه خبر سار. ما من أحد يقدر أن يمنع إرادة الله.'

نزل حضرة عبدالبهاء إلى حجرة الاستقبال حيث أُطلع على برقية وصلت منذ وقت قصير تفيد بأن أمراً صدر بإقالة عبد الرحمن باشا.[٢] بعد بضع دقائق صعد مسرعاً إلى الطابق العلوي، وبينما هو في منتصف الدرج سألته لو يمكنه أن يخبرني بالنبأ. فابتسم وقال بصوت عال: 'لقد سدد الله ضربة شديدة للباشا.' ثم دخل ليخبر حضرة بهاءالله بذلك.

---

(١) أحد الألقاب التي أنعم بها حضرة بهاءالله على حضرة عبدالبهاء. وكان غالباً يناديه بلقب "آقا".

(٢) لم يكن خارجاً عن المألوف أن يشارك مكتب البرقيات الناس بأنباء كهذه، حيث لم يكن هناك أية وسائل إعلام أخرى. ويدل وصول الأخبار إلى حضرة عبدالبهاء قبل الحاكم على الإجلال العميق الذي كان بعض المسؤولين يكنونه لحضرته.

أمّا عبد الرحمن باشا فقد توجّه في الصباح، مصحوباً بثلة من الجند، للقبض على جماعة المؤمنين في حوانيتهم وإيداعهم السجن. لكنه فوجئ عندما وجد الحوانيت مغلقة. في البداية حسب ذلك التأخير بسبب الوضع المألوف خلال شهر رمضان حيث اعتاد الناس فتح متاجرهم متأخرين، وكذلك الأعمال الأخرى. فتوجه بعد ذلك إلى مركز الشرطة بانتظار فتح المتاجر. وحتى ذلك الحين لم يكن يعلم بالتقدير والتدخل الإلهي (آنف الذكر)... ثم إن تلك البرقية كانت موجهة باسم مفتي عكاء، الشيخ علي الميري، الذي أطلع الباشا بمضمونها... ولقد دهش المفتي حقاً بهذا الحدث. ذلك لأن نية الباشا المدبرة لم تتضح إلاّ متأخراً من مساء البارحة، وعند الصباح وصلت البرقية. فاعتبر الحادث معجزة، وعليه قال للمولى: 'إني أكاد أفقد صوابي حيرة من هذه الواقعة. أرجوك أن تخبرني عمّا قاله حضرة بهاءالله مساء أمس عندما أعلمته بالمؤامرة.' فأجابه حضرة عبدالبهاء قائلاً إن الجمال المبارك أمر المؤمنين بألاّ يذهبوا إلى متاجرهم في الصباح ونصحهم بأن يسلّموا أمورهم لله. وبيّن حضرة بهاءالله أيضاً بأنه حينما يفوّض المرء أموره لله، لا ينبغي له أن يقوم بإجراءات أخرى بهذا الشأن بنفسه، وإلاّ يمكنه (بذلك) أن يحبط تدبير الله.(٧)

يصف حضرة بهاءالله في أحد ألواحه(٨) عبد الرحمن باشا بأنه تجسيد للشيطان، وبأنه الذي استكبر على الله في عكاء. ويقرر بأن الله قد أعانه، لبعض الوقت، في مكره وكيده الخبيث إلى أن أخذه بغتة بقدرة واقتدار. وفي تنديده بالحاكم المعزول، يصرح حضرة بهاءالله بأنه قد عجز في الحيلولة دون مشيئة الله، ويذكّره بمن كانوا أعظم منه وفشلوا أيضاً في إحباط حكمه وتدبيره. ثم يشير إلى مصير غيره من الحكام والموظفين المعادين الذين عزلوا أو أصيبوا بالأمراض بإرادة الله ومشيئته.

أمّا الحكام الذين خلفوا عبد الرحمن باشا فكانوا على جانب من الود. أولهم كان أسعد أفندي الذي وصل عكاء وعمل نائباً للحاكم لفترة قصيرة وقد كلف بصفة خاصة بتحري أحوال الأحباء. ولو أن حضرة بهاءالله لم يكن

ليأذن عادة لغير أصحابه بزيارة محضره إلاّ أنه سمح لأسعد أفندي بزيارته. كان ذلك نتيجة التماسات متكررة من جانب الأخير وتوسط عبّود. لقد تركت طلعة الجمال المبارك انطباعاً في نفسه بحيث ركع أمامه، وحين الانصراف قبّل ذيل رداءه.

الحاكم التالي كان فيضي باشا الذي سبق لنا الإشارة إليه.(١) أصبح رغم قصر إقامته التي دامت شهرين في منصبه كحاكم، من المعجبين المتحمسين لحضرة عبدالبهاء. حدث في أحد الأيام أنه لاحظ عدداً من رجال الدين بضمنهم مفتي عكاء، عاكفين على مناقشات دينية في المسجد. فأبلغهم باستيائه لعدم وجود حضرة عبدالبهاء ليترأس ويدير تلك الحلقات. فقيل له بأن السبب الذي يحول دون ذلك هو أمر السلطان الذي منع مثل ذلك النشاط. في مناسبة أخرى لاحظ بأن حضرة عبدالبهاء لم يبرح حدود مدينة عكاء، فبعث إليه بكلمة مفادها أن بوسعه التحرك حيثما شاء لزيارة النواحي المتاخمة للمدينة. كان فيضي باشا رجل عمل وفعل. إن إعجابه بحضرة عبدالبهاء ودعمه له رفعت سمعة ومكانة الأحباء. فيما يلي ملخص لذكريات حسين آشچي عن فيضي باشا:

> كان المولى في أحد الأيام في محضر حضرة بهاءالله يتحدث عن فيضي باشا. كنت حاضراً في تلك المناسبة حينما كان المولى يروي مفصلاً بعض نشاطات الحاكم ويمتدح استقامته وخدماته وإخلاصه. فعلّق حضرة بهاءالله قائلاً: 'آقا! إن هذا الباشا شخصية عظيمة. ورجل بمثل عظمته سوف لن يسمح ببقائه هنا طويلاً. ستجد بأنه يُستدعى إلى إسطنبول برقياً فجأة. ولو توفر قليل من مثل هذه الشخصية داخل إدارة السلطة العثمانية لحققت الحكومة تقدماً حسناً.'
>
> بعد ذلك نزل حضرة عبدالبهاء إلى حجرة الاستقبال في الطابق الأرضي. ولم يمضِ من الوقت أزيد من ساعة ونصف حتى وردت برقية من الباب العالي تستدعي فيضي باشا للتوجّه إلى إسطنبول. وتجدر الإشارة بأن التلغراف

---

(١) انظر الصفحة ٢٣.

المذكور قد أتى به رئيس مكتب التلغراف لإطلاع حضرة عبدالبهاء أولاً ثم الحاكم... ولمّا حضر الأخير مودعاً أبدى بصفة خاصة رغبته واستعداده لتقديم عونه ووساطته خلال غيابه لمعالجة ما قد يحدث من مشاكل لجماعة المنفيين. قال لنا في هذا المجال بأن نرسل له برقية كلما دعت الحاجة وسيقوم من جانبه بالمساعدة. ذلك لأنه رجل متنفذ جداً. والحق يقال فإنه عاملنا بنهاية اللطف وفي شتى المحافل لم يذكر هذه الطائفة إلاّ بالإعجاب والتقدير العالي.(٩)

بعد فيضي باشا نصّب إبراهيم باشا حاكماً، وكان هو أيضاً ودوداً، ثم جاء بعده مصطفى ضياء باشا الذي بلغ إعجابه بحضرة عبدالبهاء وجامعة الأحباء بأسرها بحيث، خلافاً لأمر السلطان، أوعز بإعطاء الحرية لحضرة بهاءالله لاجتياز باب المدينة (متى أراد ذلك). لكن حضرة بهاءالله لم يأخذ باقتراحه ذاك وفضل البقاء ببيت عبّود حتى شهر حزيران ١٨٧٧م حينما رجاه مفتي عكاء، كما سنرى، راكعاً متوسلاً بأن يغادر عكاء.

طوال ما يقرب من تسع سنوات منذ وروده عكاء، لم يغادر حضرة بهاءالله حدود بيته. هذا ورغم أن المدينة، كما بيّنا سالفاً، قد زودت بمياه عذبة، وتلطف هواؤها، وعذب ماء آبارها المُرّة، إلاّ أن المدينة نفسها، لافتقارها لأي خضرة، كانت سجناً كئيباً. وقد علمنا من آثار حضرة بهاءالله بأن مظهر الله في الحقيقة يكون مقيماً في عالم روحاني فوق إدراك العقول. وفي مقامه هذا لا ينال منه سجن أو بلاء. إلاّ أن كيانه البشري بطبيعة الحال يشعر بالألم والعذاب.

عندما نستعرض أحداث ولاية حضرة بهاءالله، فإن فترة السنوات التسع هذه تعتبر أشدها ابتلاء وكرباً في أيام حياته الأرضية. ذلك لأنه من وجهة النظر البشرية كان مفتوناً لأقصى درجة بجمال الطبيعة. كان يحب الحدائق الشرقية بأورادها العطرة وشجيراتها. ففي فترة شبابه، قبل ظهور حضرة الباب وحتى تجريده من

كل ممتلكاته عند حبسه في سياه چال،[1] كان يقضي كثيراً من وقته خلال الربيع والصيف في رحاب الأرياف. أمّا حياته في بيت الأسرة القديم بقرية تاكر، من ناحية نور، فكانت في محيط طبيعي جميل ساحر. كان يقضي أحياناً عدة أيام مستمتعاً بروعة جمال الحدائق. وعقب قيام الدعوة البابية، كان يستضيف المؤمنين في ممتلكاته الريفية الفخمة.

يصف حضرة عبدالبهاء في أحد الألواح(١٠) جمال المناظر في منزل صيفي كان حضرة بهاءالله قد أقام فيه في أحد مواسم الصيف. كان ذلك في إحدى قرى ناحية شمران المتاخمة لجبل "ألبُرز" قرب طهران. في وسط بحيرة موجودة في الحدائق الجميلة التابعة لذلك المكان بنيت منصة ضخمة من الحجر. ونصبت فوق هذه المنصة خيمة محاطة بالأوراد، ترتبط هذه بأوائل أيام ظهور دعوة حضرة الباب حيث كان يرد المؤمنين إلى هنا، أحياناً بما يقرب من مائة وخمسين نفراً منهم. كانوا يحضرون ويجلسون في حلقة، مستمتعين مسحورين بمحضر حضرة بهاءالله، يرتلون آيات الله وسط ذلك المحيط الساحر. هذا مثال واحد فقط يبين كيف كان حضرته يحب قضاء أيامه في الريف.

في أيام إقامته ببغداد أيضاً، حيث عاش حياة تقشف لعدة سنوات، كان حراً طليقاً يخرج للمشي على ضفاف نهر دجلة في الهواء الطلق، أو ينصب خيمته أحياناً في بعض البساتين خارج المدينة، ليمكث فيها فترة من الزمن. كذلك في أدرنة أتيحت لحضرة بهاءالله بعض مناسبات كان يقصد حدائق أو بساتين معينة يستأجرها لبعض الوقت. لكنه في عكاء مرت عليه تسع سنوات لم يشاهد خلالها خضرة الطبيعة إطلاقاً ليدخل على قلبه الانشراح والبهجة. ولقد لمّح مرة بملاحظة بهذا المعنى ففهم حضرة عبدالبهاء بأن من خلال كلمات والده الخلاقة قد آن الأوان لخروج حضرة بهاءالله من عكاء. ولندع حضرة عبدالبهاء يروي لنا كيف أسدل الستار على حبس حضرة بهاءالله:

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٧–١١.

كان بهاءالله يحب جمال الأرياف وخضرتها. وفي ذات يوم ألمح إلى ذلك متفضلاً: 'إنني لم أنظر خضرة منذ تسع سنوات، فالأرياف من عالم الروح والمدينة من عالم الأجساد.' فلمّا سمعت ذلك منه علمت من لحن القول أنه يشتاق إلى التوجّه للريف، وكنت متأكداً من أن كل ما أعمله تنفيذاً لرغبته يكون ناجحاً. وكان هناك في عكاء في ذلك الوقت رجل معاد لنا يدعى محمد صفوت باشا، وكان له قصر يسمى "المزرعة" على بعد أربعة أميال شمالي المدينة، وهو محل جميل تحفّه الحدائق وبه نهر ماء جار. فذهبت لزيارة هذا الباشا في منزله، وقلت له: 'يا باشا إنك تركت القصر؟ وسكنت في عكاء؟' فقال: 'إنني عليل، ولا أقدر على ترك المدينة، وإذا ذهبت هناك استوحشت للإخوان.' فقلت له: 'ما دمت لا تسكن هناك، وما دام المكان خالياً، فأجّره لنا.' فلمّا سمع ذلك الاقتراح، استغرب، ولكنه سرعان ما وافق. فاستأجرت المنزل منه بإيجار بسيط جداً، أي بخمسة جنيهات سنوياً، ودفعت له إيجار خمس سنوات مقدماً، وتعاقدت معه بعقد، وأرسلت عمالاً لترميم المنزل وإصلاح الحديقة وبناء حمام، ثم أعددت عربة لنقل الجمال المبارك. وفي ذات يوم، ذهبت لرؤية المحل بنفسي. ورغماً عمّا ورد في الفرامين المتعددة من الأوامر المتكررة بأننا لا يمكننا أن نتعدى حدود أسوار المدينة بأي حال من الأحوال، فإني تمشيت خارج باب المدينة، وكان الحراس من الجنود على الباب، ولكنهم لم يعترضوني في شيء. فذهبت تواً إلى القصر. وفي اليوم التالي ذهبت مرة أخرى مع بعض الأحباء والموظفين دون أن يعارضنا أحد أو يعترض سبيلنا معترض مع أن الحراس والخفر كانوا واقفين على جانبي أبواب المدينة. وفي يوم آخر أولمت وليمة وأعددت مائدة تحت أشجار الصنوبر في البهجة، وجمعت حولها موظفي البلدة وأعيانها، ثم رجعنا إلى البلدة جميعاً في المساء.

وفي ذات يوم، دخلت محضر الجمال المبارك وقلت: 'إن قصر المزرعة قد أعد لأجلكم، وأعدت عربة لانتقالكم إليه.' (ولم تكن في عكاء وحيفا حينذاك عربات) فرفض الذهاب متفضلاً: 'إنني سجين'

وبعد مدة عرضت عليه ذلك ثانية إلاّ أنني سمعت الجواب نفسه، ثم ذهبت إلى أبعد من ذلك فسألته للمرة الثالثة ولكنه عاد فتفضل: 'لا' فلم أتجاسر بعدها على الإلحاح أبعد من ذلك. وكان هناك في عكاء شيخ مسلم مرموق الجانب كان يحب بهاءالله كما كان بهاءالله يحبه، فاستدعيت هذا الشيخ، وشرحت له الموقف، وقلت له: 'إنك جسور فاذهب الليلة إلى محضره الأقدس، واركع أمامه، وخذ بيده المباركة، ولا تتركها، حتى يعدك أن يترك المدينة.' وكان هذا الشيخ عربياً. فذهب تواً إلى بهاءالله وركع أمامه، وأخذ بيد الجمال المبارك وقبّلها وقال: 'لماذا لا تترك المدينة؟' فأجابه: 'إنني سجين'. فقال الشيخ: 'لا سمح الله! ومن ذا الذي يستطيع أن يسجنك؟ أنت الذي أبقيت نفسك في السجن، وتلك كانت إرادتك أن تكون سجيناً، والآن أرجوك أن تخرج وتذهب إلى القصر، فإنه جميل في خضرته، وفيه الأشجار البديعة، وكأن البرتقال فيه كرات من النار.' وكلما تفضل الجمال المبارك: 'إن هذا غير ممكن، لأنني سجين'، كان الشيخ يأخذ بيده ويقبّلها، واستمر يتضرع ساعة كاملة، وأخيراً تفضل بهاءالله: 'حسن جداً'، وبهذه الإجابة كوفئ الشيخ لصبره وثباته. وجاءني بفرح عظيم، ليبشرني بقبول حضرته. ورغماً عن وجود فرمان السلطان عبد العزيز الذي منع لقائي بالجمال المبارك أو الاتصال به، فإني أخذت العربة في اليوم التالي، وذهبنا إلى قصر المزرعة. ولم يعترض علينا أي إنسان.(١١)

تبرهن هذه الحادثة وحدها على غلبة حضرة بهاءالله ونفوذه الروحي وعلى جلاله وعظمته. فمع أن فرمان السلطان الجائر، القاضي بحبسه وفرض حياة عزلة مؤبدة عليه ما زال حتى ذلك الوقت نافذاً، فقد رأينا كيف ركع أمامه أحد أسمى شخصيات عكاء متوسلاً بخضوع وتواضع وإلحاح لكي ينهي عزلته ويترك المدينة ويسكن حيثما شاء. ويصف حضرة عبدالبهاء الحدث المذكور بأنه أحد أعظم معجزات حضرة بهاءالله، كما ورد في بيان المولى:

... لأن الاسم الأعظم، **روحي لأحبائه الفداء**، كان مسجوناً في قلعة عكاء محاصراً نحو تسع سنوات مع وجود العساكر وأرباب الأمر في الثكنات بالقلعة وبعد ذلك انتقل الجمال المبارك وسكن في بيت حقير بعكاء ولم يضع قدمه خارج ذلك الكوخ الضيق وكان الأعداء والمعرضون يتجسسون عليه وما أن انقضى الأجل المحتوم بعد السنوات التسع حتى خرج الجمال المبارك بكل عظمة واقتدار من القلعة وسكن خارج عكاء في قصر ملوكي رغم أنوف الأعداء اللدودين، عبد الحميد وأعوانه، الذين أظهروا كمال الشدة عليه في السجن ولكن الجمال المبارك، **روحي لأحبائه الفداء**، كان في نهاية العزة والاقتدار كما يقر بذلك العموم. فكان يتنقل حضرته من القصر إلى المزرعة فإلى حيفا حيث يمضي أياماً على قمة جبل الكرمل في خيمته الخاصة والأحباب يأتون إلى محضره المبارك من جميع الديار ويفوزون بشرف اللقاء على مرأى من جميع الأهالي وأركان الحكومة، ولم يقم أحد بالمعارضة وهذا من أعظم معجزات الجمال المبارك وهو سجين كان يتحرك بكمال العظمة والاقتدار. كانت حياته حياة من كان في الإيوان والسجن نفسه أصبح جنة الجنان ولم يحدث مثل هذا في القرون الأولى بمعنى ان شخصاً أسير السجون يترك معتقله بكل قوة واقتدار. ورغم رزوحه تحت السلاسل والأغلال فقد وصل صيت أمر الله إلى فلك الأثير وفتح الكثير من مدائن القلوب في شرق الأرض ومغربها وسخّر الأكوان بحركة من القلم الأعلى. **هذا ما امتاز به هذا الظهور العظيم**.(١٢)

ويشير حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، للموضوع نفسه حيث يقتبس فقرات من كلمات حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء كما يلي:

ويروي أحد المنفيين أن حضرة بهاءالله قال: 'أخرجَنا السلطان عبد العزيز إلى هذا الإقليم في هوان عظيم. ولمّا كان غرضه أن يذلنا ويدمرنا فإننا لم نرفض وسائل الراحة والرفاه حين توفرت'. وقال مرة أخرى ما رواه النبيل في تاريخه: 'الحمد لله! لقد بلغت بنا الحال أن أهل هذه النواحي يظهرون لنا الاحترام

والإجلال '. وقال مرة أخرى ما سجله النبيل أيضاً 'قام سلطان آل عثمان على ظلمنا بلا ذنب ولا جريرة، وأرسلنا إلى حصن عكاء. وقضى فرمانه السلطاني ألاّ يختلط بنا أحد، وشدد في أن نصبح غرضاً لبغضاء المبغضين من الخاص والعام. لذا عجلت يد القدرة الربانية بالانتقام. وعصفت رياح الفناء، أول الأمر، بسميريه ووزيريه المقربَين، عالي وفؤاد، ثم امتدت يد القدرة لطي بساط عزة العزيز، وأخذه أخذ عزيز مقتدر.'

وإلى هذا يشير حضرة عبدالبهاء فيقول: 'أراد أعداؤه أن يحطم السجن الأمر المبارك تحطيماً كاملاً ويقضي عليه قضاء مبرماً. ولكن هذا السجن كان في الحقيقة أكبر عون، وأصبح وسيلة لتقدمه.' وأكد ذلك مرة أخرى فقال: '... رفع هذا الشخص الجليل أمره في السجن الأعظم ومنه سطع نوره الباهر، وطبق صيته الخافقين، وبلغ صوت عظمته الشرق والغرب'، 'كان نوره في بادئ الأمر نجماً فأصبح شمساً ساطعة.' وقال مرة أخرى: 'إلى يومنا هذا لم يحدث مثل هذا الأمر في عالم الوجود.'

فلا عجب أن رقم حضرة بهاءالله تلك الكلمات العظيمة، وهو يتأمل التغير الملحوظ في الظروف التي لابست أربعة وعشرين عاماً هي مدة نفيه في عكاء: "إن الله العلي القدير... قد حول هذا السجن إلى الجنة العليا قطب الجنان."(١٣)

كانت البلايا التي تجرعها حضرة بهاءالله خلال السنوات التسع من حبسه داخل أسوار مدينة السجن، عكاء، وبالأخص العامين الأولين داخل الثكنات، كانت أشد ما مر عليه في فترة ولايته. لكن رغم ذلك فإن بعض أهم وأخطر كتاباته قد نزل من قلمه خلال الفترة نفسها. فالكتاب الأقدس، أمّ الكتاب في دورة حضرة بهاءالله، والذي وصفه حضرة شوقي أفندي بأنه "ألمع وأسنى فيض أنزله حضرة بهاءالله"، كان قد نزل، كما لاحظنا، في خضم محن وأحزان هذه الفترة. كما أن إعلان رسالته إلى ملوك العالم وحكامه بلغت منتهاها في الفترة هذه نفسها. ومما له دلالة خاصة هو أن معظم ألواح دعوته لملوك العالم ورؤسائه كانت قد سُلمت من داخل حدود مدينة السجن. وحدث أن تلك الفترة شهدت قواعد الجامعة

البهائية في مهد نشأتها (إيران) تعزيزاً كبيراً، بفضل بطولة وتضحيات شهدائها من أمثال بديع من جهة، ومن جهة أخرى بروز عدد من مبلغي أمره من ذوي المواهب العالية والانقطاع ومن بينهم العلامة المُدافع ميرزا أبو الفضل.

ومما له دلالته وأهميته أن خلال هذه السنوات الشداد الحافلة بالرزايا، وكنتيجة مباشرة لما صُبّ على المظهر الكلي الإلهي من المحن والعذاب في ذلك السجن الأعظم، انطلقت في العالم قوى روحانية هائلة تسببت في انعتاق البشرية مما كان يكبّلها طوال القرون والأعصار الماضية. وكما يشهد حضرة بهاءالله في اللوح التالي النازل في عكاء، فإنه قد قبل القيد من أجل أن يعتق أجيال مقبلة من لعنة الظلم والاعتساف ويحيون حياة الحرية الحقة والسلام.

"قد قيد جمال القدم لاطلاق العالم وحبس في الحصن الأعظم لعتق العالمين واختار لنفسه الأحزان لسرور من في الأكوان. هذا من رحمة ربك الرحمن الرحيم. قد قبلنا الذلة لعزكم والشدائد لرخائكم يا ملأ الموحدين. إن الذي جاء لتعمير العالم قد أسكنه المشركون في أخرب البلاد."(١٤)

الملحق رقم ١

نقل رفات حضرة الباب

بعد استشهاد حضرة الباب وضعت رفاته ورفات تلميذه ميرزا محمد علي الزنوزي الذي رافقه في الاستشهاد عند حافة الخندق خارج باب مدينة تبريز، وذلك في عشية يوم الشهادة، التاسع من تموز ١٨٥٠م، وعين عشرة حراس للمراقبة.

إن الشخص الذي كان واسطة فاعلة لنقل رفات حضرة الباب ورفيقه من حافة الخندق هو حواريه المقدام المخلص الحاج سليمان خان، ابن ضابط في خدمة والد محمد شاه. كان هذا رجلاً ذا نفوذ كبير. ودليل ذلك هو أن الأمير نظام، رئيس الوزراء آنذاك، كان قد أُقنع بالإبقاء على حياة الحاج سليمان خان، رغم حقيقة أن الكثير من أصحابه المؤمنين (البابيين) كانوا يُقتلون يومئذ.

إلاّ أنه بعد شهادة مولاه بعامين سقط نفسه شهيداً في روح من الاستبشار والبطولة، مضيفاً بذلك سطوعاً باهراً لأمر الله الناشئ. وهو الذي جُعلت في جسده عدة ثقوب وضع في كل منها شمعة مشتعلة. وعندما اقتيد بهذا الحال في طرقات طهران لم ينقطع من فمه ذكر مولاه وثناؤه وهو يسير إلى مقر استشهاده والدماء تنزف من بدنه ولحمه يصطلي بنار الشموع.[1]

فيما يلي الكلمات الأخيرة التي نطق بها قبيل استشهاده عندما أخبر بأن نجاة حياته مرهون بإنكاره عقيدته، ومن هذه الكلمات يتضح مدى شجاعته وتفاني مَن انطلق من طهران إلى تبريز عازماً على تخليص حضرة الباب من خطر وشيك

(١) لتفاصيل واقعة استشهاده انظر "مطالع الأنوار"، الصفحات ٥٧٢–٥٧٧.

كان يهدد حياته. لكن بوصوله بعد يومين متأخراً (وقد وقع ما كان منتظراً) قام بدل ذلك بالمهمة الخطيرة فائقة الصعوبة ألا وهي نقل رفات حضرة الباب من أيدي الأعداء:

'هذا لا يمكن أبدًا، فما دام فيّ عِرق ينبض بالحياة لا أقبل أن أنكر دين محبوبي! فهذه الدنيا التي شبهها أمير المؤمنين "الإمام علي" بالجيفة القذرة، لا يمكن أن تغويني بعيدًا عن محبوب قلبي.' فسُئل أي ميتة يريد أن يموتها؟ فقال لهم: 'اثقبوا في جسدي ثقوبًا، وضعوا في كل ثقب شمعة، ولتوقد تسع شموع حول بدني. وعلى هذه الحالة اسحبوني في شوارع طهران وادعوا الجماهير أن تحضر وتشاهد فخر شهادتي حتى تنقش حوادث مماتي على صفحات قلوبهم وتساعدهم وهم يذكرون شدة معاناتي على أن يعترفوا بالنور الذي أعتنقه. وبعد أن أصل إلى درجات منصة الإعدام وأكون قد نطقت بآخر مناجاتي في هذه الحياة الدنيا، اشطروا جسمي شطرين وعلّقوا كل شطر على جهة من جهتَي بوابة طهران حتى إن الذين يمرون منها يشاهدون المحبة التي أوقدها دين الباب في قلوب تلاميذه وينظرون إلى برهان إخلاصهم.'(١)

وقد مات تماماً كما أراد وتمنى.

بعد ساعات قليلة فقط من وصوله إلى تبريز، استطاع الحاج سليمان خان مع عمدة المدينة (الذي كان من أصدقائه) أن يعد خطته لتخليص جثمان حضرة الباب. فاستدعى العمدة شخصاً مغامراً يُدعى الحاج الله يار، معروفاً بجرأته وجسارته، ليؤدي هذه الخدمة لصديقه. وفعلاً انطلق الحاج الله يار في منتصف الليل مصحوباً بثلة من رجاله واثنين من البابيين من ميلان (إحدى مدن مقاطعة آذربيجان) إلى المكان الذي وُضع فيه جثمان حضرة الباب وتلميذه. أما الجنود الذين كانوا في حراسة الجثمان، فلم يجرؤا على تحدي رجال الحاج، وفي الصباح التالي لم يكن لديهم ما يقولونه سوى أن وحوش العراء قد افترست الجسدين ليلاً!

لُفت الرفات المقدسة بعباءة أحد الأحباء وسلّمت للحاج سليمان خان الذي قام بمعونة حسين الميلاني بنقلها إلى معمل حرير يملكه الحاج أحمد، أحد أحباء

ميلان. أمّا حسين الميلاني (الذي كان أحد المؤمنيْن اللذين ذهبا مع الحاج الله يار في تلك الليلة التاريخية) فقد استشهد في طهران في اليوم نفسه الذي قدم الحاج سليمان خان حياته فداء في سبيل محبوبه. بقيت الرفات محفوظة في معمل الحرير لمدة يومين حيث تمّ لفّها بكفن وأخفيت تحت بالات الحرير. بعد ذلك وضعت داخل صندوق خاص ونقلت إلى مكان أمين آخر. قام الحاج سليمان خان بإطلاع حضرة بهاءالله بالأخبار وانتظر تعليماته.

من المهم أن يدرك المرء أن وصول الحاج سليمان خان إلى تبريز كان بعناية سماوية بتوجيه من حضرة بهاءالله نفسه. فحالما أُطلع حضرته بأن استشهاد حضرة الباب أصبح وشيكاً، استدعى الحاج سليمان خان إلى محضره وأشار عليه بالتوجّه فوراً إلى تبريز بسرعة.

والآن وقد وصلته آخر الأنباء، وجّه حضرته أخاه المخلص، ميرزا موسى (الملقب آقا كليم) ليرسل شخصاً موثوقاً إلى تبريز ليأتي بالصندوق إلى طهران. وقد تمّ ذلك ونقلت الرفات المقدسة عبر زنجان (حيث استقرت فيها لليلة واحدة) إلى طهران. صادف أن وصل الصندوق حينما كان حضرة بهاءالله قد غادر طهران إلى كربلاء. وبموجب تعليماته تم تسليم الصندوق والرفات المقدسة لحضرة الباب ورفيقه إلى آقا كليم الذي قام بحفظه في مرقد الإمام زاده حسن في موضع أمين. كان الشخص الوحيد الذي اشترك بهذه المهمة هو ميرزا عبد الكريم القزويني، المعروف بميرزا أحمد.

ثم نقل بعد فترة من هناك إلى منزل الحاج سليمان خان في طهران، بعدها أودع في مكان داخل مقام إمام زاده معصوم. وقد أخفي الصندوق في الركن الشمالي للمرقد وتم تشييد حائط أمامه. لم يكن أحد سوى هؤلاء يعرف ذلك الموقع. لكن كلاً من ميرزا عبد الكريم والحاج سليمان خان كان قد استشهد بطهران عام ١٨٥٢م خلال المذابح الكبرى التي وقعت للبابيين عقب محاولة اغتيال ناصر الدين شاه. وبذلك لم يبق من يعرف بالضبط ذلك الموقع سوى آقا كليم.

ظل الصندوق المقدس مخفياً في مرقد إمام زاده معصوم حتى عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٧-١٨٦٨م). ومن أدرنة أشار حضرة بهاءالله على ميرزا آقا الكاشاني (الملقب بمنيب[١]) بنقل الرفات المقدسة إلى مكان آخر. وبيّن له آقا كليم الموقع الذي أخفى فيه الصندوق على وجه الدقة. إلاّ أن منيب فشل في العثور عليه. فأرسل حضرة بهاءالله لوحاً موجهاً إلى الملاّ علي أكبر الشهميرزادي المعروف بالحاج آخوند[٢] وجمال البروجردي[٣] يطلب منهما أن ينقلا الصندوق حالاً. وزود آقا كليم مجدداً تفاصيل موضع إخفائه.

وثبت أن عملية النقل هذه لم تكن سوى تدخل يد العناية الإلهية خلال توجيه من حضرة بهاءالله. ذلك لأن عقب نقل الصندوق بفترة قصيرة قام أمناء مرقد إمام زاده معصوم بأعمال ترميمات إنشائية واسعة فيه كانت ستؤدي حتماً لكشف سر تلك الأمانة الثمينة المخفية خلف أحد جدران المرقد. ولا شك في أن ذلك الاكتشاف كان سيترتب عليه ما لا يمكن تصوره من عواقب خطيرة تتعلق بحفظ الرفات المقدسة.

وأفلح الحاج آخوند وجمال في العثور على الصندوق ونقله من مرقد الإمام زاده معصوم. فحملاه إلى قرية خارج طهران حيث يوجد فيها المرقد الشهير للشاه عبد العظيم. ولمّا وجدا الأحوال غير مناسبة لإيداع الصندوق في تلك المنطقة، توجّها صوب قرية "چشمه علي". في طريقهما وجدا مسجد "ما شاء الله"، وكان بناء قديماً متداعياً لا يتردد عليه الناس كثيراً، فانتظرا فيه حتى الغروب. فتح الحاج آخوند الصندوق وألقى نظرة على جثمان صاحب الزمان الشهيد في ضوء المساء الخافت. فأي مشاعر من الذهول والخشوع والحزن عصرت روحه، وأي عواطف عصفت في قلبه آنذاك لا يمكن أن يعرفها أحد. لكن قياساً بدرجة إيمانه وإخلاصه لأمر الله من جهة، وبالنظر لطبيعة شخصيته الحساسة المندفعة، يمكننا

(١) انظر المجلد الأول، الصفحات ٢٩٩–٣٠٣.

(٢) عين في ما بعد أيادياً لأمر الله. سوف نشير إلى سيرة حياته وخدماته في المجلد القادم.

(٣) كان مبلّغاً بارزاً لأمر الله وأصبح في ما بعد ناقضاً للعهد، انظر المجلد الثاني.

أن نتصور وقع تجربة كبرى كهذه في نفسه. وقيل أنه وجد وردة يابسة موضوعة فوق الكفن، قد يحتمل أن قدّمها الحاج سليمان خان رمزاً لحبه وتفانيه.

قام بعد ذلك الحاج آخوند وجمال بلف الرفات بكفن إضافي من الحرير وأغلقا الصندوق. ثم وضعاه في كوة في أحد الجدران وبنيا واجهتها بآجر (طوب) قديم مما وجداه حول المبنى المتهدم بكثرة.

عاد الاثنان في تلك الليلة إلى قرية مجاورة. وقررا في الصباح التالي أن يمرا لزيارة الموقع في طريق عودتهما إلى العاصمة. وعند وصولهما إلى الموقع شاهدا لشدة فزعهما أن شخصاً قد أحدث فجوة في جزء من الجدار وكسر الصندوق. ولكن سرعان ما اطمئن قلبهما إذ وجدا أن الرفات لم تمس بسوء. كان ذلك عمل بعض من الرجال الذين لا بد شاهدوا الاثنان يضعان الصندوق داخل الجامع القديم وحسبوا أن بداخله كنزاً ما، وعندما اقتحموا المكان الذي تُرك دون حراسة لم يجدوا فيه ما توقعوه. فلم يكن من الحاج آخوند وجمال إلاّ أن أغلقا الصندوق وحملاه معهما. كان كل منهما راكباً على حماره، وضع أحدهما الصندوق أمامه على الدابة وواصل السير بهذا الحال إلى طهران.

في تلك الأيام كان يقف حراس عند باب المدينة ويقومون عادة بتفتيش الداخلين. أمّا الحاج آخوند وجمال فأخذهما القلق والاضطراب كل مأخذ لئلا يفتح المسؤولون الصندوق. لكن العناية الإلهية لعبت دورها في هذا الموقف. فبينما كان الاثنان يقتربان من باب المدينة، هبّت عاصفة فجائية غير متوقعة مصحوبة بمطر وريح تصبّه في شتى الجهات فهرع جمهور الناس مندفعين خلال البوابة طلباً لأي ملجأ قريب ووسط ذلك الحشد دخل كل من الحاج آخوند وجمال.

أخذا الصندوق إلى بيت ميرزا حسن الوزير، من الأحباء المرموقين. قام الحاج آخوند باستئجار ذلك المنزل وسكن فيه كقيّم على تلك الوديعة المقدسة. بقي مودعاً في ذلك المنزل قرابة أربعة عشر شهراً، لكن بعد فترة من الزمن لم يعد الموقع سراً. فصار الأحباء يتهافتون على المنزل من كل أطراف البلاد ويتضرعون

لدى عتبة الغرفة التي وضع فيها الصندوق. مذعوراً بما قد يجر ذلك الانكشاف لموضع الوديعة المقدسة من عواقب، قام الحاج آخوند بإخبار حضرة بهاءالله بالأمر وكان حضرته آنذاك سجيناً في ثكنات عكاء. وعند علمه بالخبر، أمر حضرة بهاءالله أمينه، الحاج شاه محمد بالتوجه فوراً إلى طهران لنقل البقية المقدسة إلى مكان آمن آخر.

وصل الحاج شاه محمد إلى طهران بعد ذلك بقليل. فسلم إلى الحاج آخوند لوحاً من حضرة بهاءالله موجّهاً له. أشار عليه حضرة بهاءالله في اللوح بأن يسلم الصندوق المقدس إلى الحاج شاه محمد. والنقطة التي كانت محور التركيز هي السرية إذ أمر حضرة بهاءالله الحاج آخوند بألاّ يسأل حامل تلك الوديعة المقدسة عن مكان إخفائها. عندما قام بتسليم الصندوق إلى أمين حضرة بهاءالله، لم يلتفت حتى يراه بأي اتجاه حمله ومضى به.

أفلح الحاج شاه محمد، بمساعدة أحد الأحباء، بدفن الصندوق تحت الحرم الداخلي لمرقد الإمام زاده زيد، حيث استقر لمدة ستة عشر عاماً.

في سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤–١٨٨٥م) كلف حضرة بهاءالله ميرزا أسد الله الإصفهاني،[١] أحد الأحباء المقيمين بطهران، بنقل البقية المقدسة من مرقد الإمام زاده زيد إلى مكان آمن آخر. وقد عيّن حضرة بهاءالله موضع الصندوق على وجه الدقة وبعث به إلى ميرزا أسد الله. ويجب أن نتذكر هنا بأن عملية دفن صندوق داخل مرقد إسلامي دون أن يراه أحد، والقيام بإخراجه ونقله فيما بعد في ظروف مماثلة، كانت تستلزم حكمة وحيطة وشجاعة عظمى. وما من شك بأن كل الذين كلفهم حضرة بهاءالله بتنفيذ هذه المهمة الخطيرة كانوا مؤيدين بعون قوى العناية الإلهية الغيبية.

---

(١) تزوج أخت منيرة خانم (حرم حضرة عبدالبهاء). وكان د. فريد ابنهما والذي أدى سلوكه الشائن إلى حزن قلب حضرة عبدالبهاء وفيما بعد نقض العهد. كما انجرف ميرزا أسد الله في أواخر أيام حياته.

نجح ميرزا أسد الله بنقل الصندوق من ذلك المرقد. أودعه في أول الأمر في بيته حيث استقر لفترة من الزمن، ثم نقله إلى مواقع أخرى من ضمنها بيت كل من حسين علي الإصفهاني (الملقب بـ"نور") ومحمد كريم العطّار حيث بقي مستوراً حتى سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٩م).

ومما يثير الاهتمام بطبيعة الحال هو الكيفية التي تمّ بها نقل الجثمان المقدس لحضرة الباب إلى هذه البيوت. فإنها تبرهن على أن أولئك الذين عُهد إليهم حفظها وحمايتها نفذوا مهمتهم بقدر عظيم من الحذر والحكمة.

فيما يلي ترجمة لما رواه ميرزا حسين الإصفهاني شفاهاً بخصوص نقل جثمان حضرة الباب إلى بيته:

حوالي عام ١٢٦٩هـ (١٨٩١م) قدم ميرزا أسد الله الإصفهاني مع زوجته ومكثا معي في بيتي بطهران... وبعد بضعة أيام أسرّا لي بأنهما كانا في طريقهما إلى الأرض الأقدس، ويرغبان في أن يأتمناني بوديعة هي صندوق يحتوي على أشياء هامة. وأشارا بأنهما لدى عودتهما سوف يسترجعانه. لكنهما أكدا كثيراً وبشكل خاص على أن أحرص كل الحرص على الحفاظ على سلامته. فوافقت. في اليوم التالي عاد وزوجته ومعهما صندوق خشبي رأيتهما يضعانه بمنتهى الخشوع والاحترام في غرفة مجاورة لمدخل المنزل. التمس أن يقفل بابها ولا يسمح لأحد بدخولها ليوم أو اثنين. فقفلنا الغرفة وأخذ مفتاحها.

في اليوم التالي أحضر ميرزا أسد الله وزوجته صندوقاً فولاذياً فارغاً. دخلا الغرفة وأسدلا الستائر حتى لا يرى أحد ما كان بداخل الغرفة. مكثا في الغرفة قرابة أربع ساعات. بعد ذلك فتحا الباب ودعاني وقالا: 'هذه هي الأمانة التي تركناها بعهدتك ورعايتك.'

رأيت الصندوق الفولاذي، والذي كان جديداً، موضوعاً وسط الغرفة وقد أغلق وأقفل، وعبق جو الغرفة برائحة قوية من عطر الورد. وضعنا الصندوق في

كوة بأحد جدران الغرفة وأحضرنا أحد الشبان البهائيين الذي كان بنّاءً فسدّ واجهة الكوة بحائط من الطوب مخفياً الصندوق خلفه.[١]

إن الحفاظ على أية أمانة وحمايتها مهمة صعبة، لا سيما إذا كانت المواد التي يؤتمن المرء عليها من قبيل ألواح وكتابات مقدسة مخطوطة بقلم حضرة الباب وحضرة بهاءالله.

لذلك فإني، بعد مغادرة ميرزا أسد الله، حرصت بكل إخلاص على الالتزام بالحفاظ على وديعته. فكنت أمكث ساعات طويلة من الليل في تلك الغرفة لأحرسها. وحتى لفترة ما كنت أنام فيها. لكنني بعد فترة عدلت عن ذلك.

مرّ عامان على تجدد أعمال الاضطهاد من قبل أعداء الأمر في طهران ضد البهائيين الذين سجن بعضهم... وراجت إشاعات باحتمال تعرض بيوت الأحباء للنهب.

أقلقتنا جداً تلك الأخبار بطبيعة الحال إذ خشينا هجوم الأعداء على منزلنا وأخذ الصندوق الذي ائتمنا عليه. فأجرينا مشورة عائلية وقررنا إخفاءه في مكان أكثر أمناً. وفعلاً نقلناه فوراً إلى غرفة أخرى... ففتحنا ثغرة في أحد الجدران، ووضعنا الصندوق في وضع قائم في الوسط وبنينا حائطاً أمامه وكسوناه بطبقة من الجص في الليل وتعجيلاً في جفافه أوقدنا ناراً كبيرة في الغرفة أثناء الليل لئلا يتميز ذلك الجزء عن بقية الجدران في الصباح. وكتبت في ذلك اليوم رسالة إلى ميرزا أسد الله الإصفهاني أخبرته بالاضطرابات في طهران، حيث يهدد الجمهور المتعصب والرعاع بأذية هذه الجامعة البريئة، وقد يعتدون على بيوت المؤمنين وينهبونها إذا أمكنهم ذلك... وعليه اقترحت أن يرجع إلى طهران بأقرب وقت ممكن ويأخذ وديعته.

---

(١) اعتاد الأحباء في تلك الأيام على وضع الآثار الكتابية المباركة في صندوق فولاذي ودفنه تحت الأرض أو وضعه في فجوة بالجدار وإغلاقها بالطوب أو مواد أخرى.

بعد مضي فترة وصلني الرد من ميرزا أسد الله يفيد بأنه سيعرض الموضوع في وقت مناسب على المولى وعند صدور الإذن سيعود ليأخذ الصندوق. وفعلاً وصل طهران بعد عام واحد، وجاء إلى منزلنا. أخرجنا الصندوق من الحائط وسلمناه إليه. بعد فحص دقيق أخذ الصندوق وأودعه في منزل مؤمن آخر، آقا محمد كريم العطّار.

بعد حوالي ستة أشهر كتب ميرزا أسد الله رسالة يشكرني على ما بذلته من جهود لصون وحفظ الأمانة التي عُهدت إليّ لمدة أربع سنوات تقريباً. وراح مضيفاً بأن تلك الوديعة هي من القداسة والقيمة بحيث سيفتخر نسلي بشرف حفظها وبقائها في ذلك البيت... ثم كشف لي بعد ذلك حقيقة احتوائها على الجثمان المقدس لحضرة الباب!

حالما قرأت تلك الرسالة دعوت بعض الأحباء إلى بيتي وتلوتها عليهم. فكان اجتماعنا رائعاً بحيث لم نشهد له مثيلاً سابقاً... فقد عرج أحباء محبوب العالم إلى ذروة السكر والنشوة الروحانية بحيث خروا سُجّداً عند الموضع المبارك مرتلين المدائح والمناجاة بنغمات عذبة.

ظلّت رفات حضرة الباب محفوظة في بيت آقا محمد عبد الكريم العطّار حتى سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٩م). وبتوجيه من حضرة عبدالبهاء، قام ميرزا أسد الله، بصحبة عدد من الأحباء الذين لم يعرفوا ما كان يحتويه الصندوق، بنقل الرفات المقدسة إلى الأرض الأقدس عن طريق بغداد، دمشق وبيروت. فوصلت أخيراً سالمة إلى عكاء في **٣١** كانون الثاني **١٨٩٩**م.

أخفيت الرفات المقدسة سراً في الأرض الأقدس لمدة عشر سنوات، كانت أحياناً في بيت في عكاء، ثم بعد ذلك بموضع على جبل الكرمل. في تلك الأثناء تمكن حضرة عبدالبهاء، بالرغم من مصاعب عظمى ووسط مشاكل خلقها أعداؤه من جهة وافتراءات الناقضين من جهة أخرى، من تشييد بناء من ست غرف ليكون مقاماً لحضرة الباب على جبل الكرمل في موقع كان حضرة بهاءالله

قد اختاره وحدّده بنفسه.[1] وقد طلب حضرة عبدالبهاء في حينه من أحباء رانغون أن يوصوا بعمل تابوت من المرمر. بعد إنجازه أُرسل إلى حضرة عبدالبهاء وقُدِّم هدية. كان قد نُحت من قطعة حجر واحدة وحفر على جوانبه رمز الاسم الأعظم بخط مشكين قلم.[2] وصل هذا إلى جانب صندوق مصنوع من الخشب الصلب إلى حيفا بحراً. ولعدم وجود وسائل نقل (سيارات) حديثة آنذاك، نقل الصندوق الحامل للتابوت الصخري على اسطوانات خشبية ثم سحبه رجال من الميناء إلى موقعه في الجبل.

ويصف حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، المناسبة التاريخية المؤثرة عندما وضع حضرة عبدالبهاء الرفات المقدسة لحضرة الباب ورفيقه في المقام الذي شيده على جبل الكرمل:

وأخيراً في السنة التي ثل فيها عرش خصمه السلطان، وفي الوقت الذي انعقد فيه المؤتمر البهائي الأمريكي الأول في شيكاغو لتشكيل هيئة مركزية دائمة لتشييد مشرق الأذكار، انتهى حضرة عبدالبهاء من مهمته انتهاء ناجحاً رغم مكائد الأعداء المستمرة من الداخل والخارج. وفي الثامن والعشرين من صفر سنة ١٣٢٧للهجرة (سنة ١٩٠٩م) المصادف لأول نوروز احتفل به بعد خلاصه من الحبس، أمر حضرة عبدالبهاء بنقل التابوت المرمري بجهد فائق إلى القبو المعد له، وفي المساء وضع فيه بيديه التابوت الخشبي الحاوي لرفات حضرة الباب المقدسة ورفات رفيقه، ولقد تم ذلك في ضوء قنديل واحد وعلى مشهد من أحباء الشرق والغرب في احتفال جليل محرّك للمشاعر والوجدان.

فلمّا انتهى كل شيء وأودعت بعد أمد طويل رفات المظهر الإلهي الشيرازي الشهيد مقرها الأخير في صدر جبل الله المقدس خلع حضرة عبدالبهاء عمامته، وخلع نعليه، ونزع عباءته وركع بين يدي التابوت وكان ما

(١) سوف نتطرق إلى ذلك بتفصيل أكبر في المجلد القادم عند وصف زيارة حضرة بهاءالله إلى جبل الكرمل.

(٢) انظر المجلد الأول، الصفحتين ٢٨–٢٩.

زال مفتوحاً، وشعره الفضي يتماوج حول رأسه وأسارير وجهه تتألق بالبشر، ثم استراح بجبينه على حافة التابوت الخشبي، وشهق شهيقاً عالياً وبكى بكاء أبكى من كان حوله، ولم يستطع أن ينام ليلته تلك، فقد جرفته الأحاسيس وعصفت به المشاعر.

ولقد كتب في أحد ألواحه يزفّ إلى أتباعه بشرى ذلك النصر المجيد قائلاً: "إنما البشارة الكبرى هي أن هيكل حضرة الأعلى المطهر المنور المقدس روحي له الفداء قد استقر بفضل الجمال الأبهى في يوم النيروز بتمام الاحتفال وكمال الإجلال والجمال على جبل الكرمل في المقام الأعلى في الصندوق المقدس بعد أن ظل ينتقل من مكان إلى مكان ستين عاماً لتسلط الأعداء والخوف من أهل البغضاء... ومن عجيب الصدف أن تصل برقية من شيكاغو في يوم النوروز[١] نفسه تفيد بأن أحباء أمريكا انتخبوا عن كل مدينة وكيلاً وبعثوه إلى شيكاغو... وعينوا موقع مشرق الأذكار وكيفية بنيانه".(٢)

---

(١) انظر المجلد الأول، الصفحة ٢٨٥، حول حادثة هامة أخرى في ذلك اليوم.

الملحق رقم ٢

ميرزا أبو الفضل من گلپايگان

لقد سبق الحديث عن اعتناق ميرزا أبو الفضل دين حضرة بهاءالله في الفصل الخامس. وكان مقدراً له أن يصبح أبرز عالم فيه.

أما نشاطات ميرزا أبو الفضل التبليغية فابتدأت بُعيد اعتناقه الأمر المبارك. وعبر كامل حياته كبهائي تقريباً والتي امتدت زهاء أربعين عاماً، اشتغل في تبليغ الأمر إلى أفراد المجتمع وكذلك في تعميق البهائيين في تفهم حقائق الدين الأساسية.

وفي لوح(١) أنزل في حق ميرزا أبو الفضل بعد وروده حظيرة الأمر المبارك ودخوله في صفوف الأحباء بخمس سنوات تقريباً، أمره حضرة بهاءالله بأن يقوم باسمه فيدعو أمم العالم ليقص عليهم خبر "النبأ العظيم"، ويريهم أفقه الأعلى ويمكّنهم من الإصغاء "لصوت الله" في هذا اليوم.

لقد أحدث ذلك اللوح وما أمره حضرة بهاءالله فيه أثراً كهربياً باعثاً للحياة في كيان ميرزا أبو الفضل. فكتب فيما بعد، مشيراً للوح المذكور ومدركاً لحقيقة أن تأييدات حضرة بهاءالله كانت فعلاً تحيطه من كل الجهات، هذه الكلمات المتحدية والتي خاطب فيها عامة ملأ الأرض:

وختاماً فإن هذا العبد الذي يعتبر نفسه أقل عباد الله شأناً، وواحداً لم يرتشف غير قطرة واحدة من بحر الإيقان، لعلى استعداد، على هدي ما نطق به رب الأرباب كما أشير إليه أعلاه،[١] لإبلاغ وإطلاع أي شخص من أي جنس في العالم على حقيقة هذا الأمر العظيم، ولإثبات أحقيته على أساس من البراهين

---

(١) إشارة إلى لوح حضرة بهاءالله الذي نزل في حقه.

الواضحة نفسها التي يقوم عليها دين ذلك الشخص نفسه. وإن كان الشخص من أهل الفلسفة والمنطق، فأثبت له ذلك ببراهين فكرية عقلية، وإن كان من أهل الجدل والاختلاف، فأقنعه وأسكته باستنتاج براهين مفحمة محكمة. كل ذلك حتى يتبين صراط الحق من صراط الباطل، والحقيقة من الضلال والصحة من المرض. وما اتكالنا التام فيما نقول إلاّ على الله جل وعلا شأنه.(٢)

لم تكن تلك كلمات جوفاء أطلقها هذا الرجل المؤمن العظيم في "كتاب الفرائد"، أحد مؤلفاته البارزة. وقد حقق كل ما تفوه به. فإلى جانب العديد من المحاورات التي عقدها مع ما لا يحصى من النفوس من شتى المشارب والملل، وإلى جانب المئات ممن أقبلوا إلى أمر الله بواسطته، فإنه خلّف للأجيال رصيداً نفيساً من الأدلة والبراهين البهائية من كل وجهة نظر وزاوية، عسى أن ينتفعوا ويتعلموا منها ويستزيدوا معرفة وعمقاً في تفهم دين حضرة بهاءالله.

كان أبو الفضل مشهوراً بعلمه. واسمه الذي كان قد اختاره عندما كان مسلماً، يحمل هذا المعنى ويشهد به. وقد خاطبه حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه بـ"أبو الفضائل وأمها وأخيها". ولكن الذين عرفوه قد شهدوا بأن الفرق بين علمه قبل دخوله الأمر وبعده كان شاسعاً. ويعترف هو نفسه كيف، قبل أن يُقبل على دين حضرة بهاءالله، كان تجسيداً للظنون والأوهام وبأن نور بصيرته كان مغشى بهما. وكتب الحاج ميرزا حيدر علي عنه الآتي:

> إن جناب العزيز أبو الفضل... قد زيّن بحضوره مدينة إصفهان. وبما أنه كان في السابق تلميذاً بإصفهان، فهو مشهور ومعروف من قبل العلماء والناس هنا. وهؤلاء عندما التقوا به أدركوا أنه لم يعد ذاك الرجل الذي عرفوه سابقاً. وهم يعترفون بأن ما كان له من علم واسع ودراسة وقدرة في البيان يضعه في المقدمة قبلهم جميعهم. فبينما كان في السابق كالقطرة، أضحى الآن بحراً متلاطماً. وكان يومها مجرد ذرة لكنه الآن يتلألأ كنجم باهر...(٣)

بُعيد اعتناقه أمر حضرة بهاءالله أُجبر ميرزا أبو الفضل على ترك منصبه كعميد لأحد معاهد الشريعة وعلوم الدين بطهران. وسرعان ما تحوّل الاحترام والتقدير

العالي والشرف الذي كان له لدى العموم وفي دوائر الحكومة وأوساط رجال الدين حتى ذلك الوقت، إلى ذلة واضطهاد. فحبس مرتين آخرهما لمدة اثنين وعشرين شهراً. وقد عاش حياة بسيطة متواضعة جداً، ومدخوله المالي الضئيل كان يأتيه غالباً من عمله كاتباً.(١) أمّا تعلقه وحبه لحضرة بهاءالله فلم يكن له حدود. لكنه كان منقطعاً عن هذا العالم بمقدار تعلقه بمولاه، وهذه الميزة وحدها هي التي أكسبته كل المواهب والفضائل. كذلك جعل الصلاة والتأمل حجر أساس حياته وبهما صقل مرآة قلبه بنحو كامل بحيث صار يعكس نور دين حضرة بهاءالله للذين عرفوه وعاشروه.

إبان وجوده في مصر، لم يعلن إيمانه في أول الأمر. كان ذلك أخذاً بنصيحة حضرة عبدالبهاء. لم يمض وقت طويل حتى صار عدد كبير من العلماء والأساتذة في جامعة الأزهر الشهيرة وغيرهم يعترفون بعمق علمه وينجذبون بتأثير شخصيته. وبما أنهم لم يرتابوا في كونه بهائياً التفوا حوله بأعداد كبيرة ودون أي مظاهر للتعصب ضده. وقد أظهروا من صدق مشاعرهم ونيّتهم في طلب ما يتفوه به من العلم الروحاني بحيث جلس الكثيرون عند قدميه مسحورين بينما أبدى غيرهم الإعجاب والنشوة لما يسمعوه منه من تفاسير وإيضاحات للحقائق القرآنية والموضوعات الروحانية الأخرى.

وللاستشهاد بمثال واحد على مدى ما قوبل به ميرزا أبو الفضل من تقدير وتبجيل لدى رجال العلم والمعرفة، نقتبس عن عبد الرحمن البرقوقي، العلامة والصحفي المعروف آنذاك، ما يلي:

قبل ثماني سنوات سمعنا بأن رجلاً عالماً من بلاد فارس اسمه أبو الفضل كان يقيم بالقاهرة. وقيل لنا بأنه أصبح قبلة العلماء ومحج التوّاقين للمعرفة والفهم. فقصدنا منزله والتقينا به. وجدناه رجلاً نحيفاً متوسط القامة، تجاوز السبعين من العمر لكن قياساً بما وجدنا فيه من حيوية ونشاط وذكاء وحدة

(١) كان الناس الأميون في تلك الأيام يوظفون كاتباً لكتابة رسائلهم. وكان ميرزا أبو الفضل يكسب بعض المال أيضاً من نسخ الكتب البهائية المقدسة، والتي كان الأحباء يطلبونها بلهف.

بصيرة كان يبدو في الثلاثين... ولقد أسر عقولنا بسحر كلماته وعذوبة بيانه. وسرعان ما أصبحنا من تلاميذه المخلصين بحيث لم نجد ما هو أمتع من الجلوس عند قدميه ولا رواية أحلى مما كان يحدثنا به. وكلما أكثرنا من عشرته وتفحص شخصيته كلما زاد احترامنا له ووعينا بعلو مقامه.(٤)

من بين أولئك العلماء الذين بجّلوا ميرزا أبو الفضل كانت فئة بلغ إعجابهم حداً جعلهم يعتقدون بأنه كان ممن اختصهم الله بقوى ومواهب سماوية لا يهبها الله إلاّ لأصفيائه. أحد هؤلاء كان الشيخ بدر الدين الغزّي الذي أصبح فيما بعد من المؤمنين المتحمسين، حاله حال ما يقارب ثلاثين من العلماء الآخرين عندما علموا بأن ميرزا أبو الفضل كان بهائياً.

يروي الشيخ بدر الدين كيف كان يغمره الابتهاج حين استماعه لأحاديث ميرزا أبو الفضل. وبعد فترة من الوقت تولدت لديه القناعة بأن ميرزا أبو الفضل كان مِنْ صفوة مَنْ اختارهم الله، ذا مقام روحي عظيم ويعلو على غيره من الناس. حتى إنه كشف عن رأيه هذا لعدد من أصدقائه شفاهاً حيث قال:

عندما سألته عن مقامه قال بأن ليس له أي مقام. في أحد الأيام سألته صراحة: 'مولاي، لم تكتم عني؟ لو أنك صفي الله ولك مقام، أرجوك أن تخبرني وسوف أقبل وأتبعك.' فضحك لهذه العبارة وأجّل الجواب على هذا اللغز لوقت آخر. مر وقت وتوجّب عليّ الرحيل إلى فلسطين. عندها لفت نظري وأوصاني بأن أسعى للفوز بمحضر عبدالبهاء هناك. استجبت له، وحظيت بلقاء عبدالبهاء واكتشفت حقيقة أمر الله.

مرت سنوات لم أرَ خلالها ميرزا أبو الفضل. وعندما عدت إلى مصر التقيت به هناك وقلت له: 'لمّا عرفتك في الماضي كنت أحسبك شخصاً فريداً لا مثيل لك في العالم، ولكن عندما فزت بالمحضر المبارك للمولى، أدركت بأنك لا أكثر من قطرة بالمقارنة مع ذاك البحر المتلاطم.' عند سماعه هذا، اهتز ميرزا أبو الفضل فرحاً، وطوقني منتشياً قائلاً: 'الآن أعلم بأنك أدركت الحقيقة.'(٥)

من الملامح البينة في حياة ميرزا أبو الفضل كانت تسليمه التام لمشيئة مولاه. وعليه فإن رسوخه في العهد والميثاق وإطاعة رغبات حضرة بهاءالله والمولى لم يعرفان حدوداً. فالموت عنده كان أفضل من أن يخطر بباله ولو انحراف ضئيل عن مبادئ أمر الله وتعاليمه. فيما يلي قصة يرويها أحد الأحباء، حسين روحي أفندي، الذي عرف ميرزا أبو الفضل، تصوّر لنا هذه النقطة جلياً:

حينما كنت في عكاء، حصلت على نسخة من لوح لحضرة عبدالبهاء معروف بلوح الدخان نزل في حق محمد حسين الوكيل... وعندما وصلت مصر أطلعت ميرزا أبو الفضل بمحتويات هذا اللوح الذي يشجب التدخين.[1]

وما أن انتهيت من تلاوة اللوح له، حتى تناول علبة سجائره وقذفها خارجاً إلى الشارع قائلاً أن بهذا هي نهاية التدخين بالنسبة له، رغم أنه كان مدخناً مدمناً لا تُطفأ له سيجارة.

كان ممن يلفون السيجارة باليد، ويوقد سيجارته من سابقتها ولا ينقطع عن التدخين منذ الصباح حتى المساء. قال لي: 'يا روحي أفندي، كنت أدخن منذ خمسة وخمسين عاماً وأنا مدمن على التدخين. لذا قريباً سترى أن نتيجة ذلك سيصاب عضو ما في جسدي بالشلل.'

وفعلاً لم يمض وقت طويل حتى انشلّت إحدى ذراعيه ولم يستطع تحريكها. دام ذلك عامين. وقد حثه الأطباء بشدة على التدخين من جديد لكنه رفض، قائلاً: 'إني أفضل الموت على أن لا أطيع حضرة عبدالبهاء.'(٦)

في ما يلي مقتبس من لوح الدخان:

"لاحظوا كيف أن النظافة منصوصة في كتب الأنبياء المقدسة، وكم هي مقبولة في ساحة قدس الكبرياء، فالكتب المقدسة منعت تناول أي شيء قذر، واستعمال أي شيء غير نظيف. ولكن بعضها نهي عنه نهياً قطعياً ومنع منعاً

(١) يعرف هذا اللوح في الغرب بـ"لوح التقديس والتنزيه". وقد نشر في الشرق في مجلد "منتخبات من مكاتيب عبدالبهاء"، الصفحات ١٤٢–١٤٧. والتدخين ليس ممنوعاً في الدين البهائي ولكن حضرة عبدالبهاء حثّ على تجنبه حرصاً على الصحة والنظافة.

كلياً واعتبر مرتكبه مبغوضاً لدى حضرة الكبرياء ومردوداً في نظر الأولياء. كالأشياء المحرمة تحريماً قطعياً واعتبر ارتكابها من المعاصي، ومن شدة قذارتها استهجن ذكرها.

أما المنهيات الأخرى التي ضررها غير فوري، ولكن تأثيرها الضار يحصل بالتدريج، فمثل هذه المنهيات مكروهة **عند الله** ومذمومة ومدحورة، ولكن لم ينص على تحريمها القطعي بل التنزيه والتقديس والطهارة والنظافة وحفظ الصحة والحرية تقتضي ذلك.

مثال ذلك شرب الدخان الذي هو قذر وكريه الرائحة مكروه ومذموم وضرره التدريجي مسلم به عند عموم الأطباء الحاذقين. وبالتجربة ثبت أن جزءاً من أجزائه المركبة **سم قاتل**، وشارب الدخان معرض للعلل والأمراض المتنوعة، لذا نزل أن شربه مكروه صراحة...

المقصود أن شرب الدخان عند الحق مذموم ومكروه وفي غاية القذارة والمضرّة. لذا فشرب الدخان بنظر الثابتين على الميثاق مذموم عقلاً ونقلاً. وتركه سبب راحة واطمئنان العموم. وسبب طهارة ونظافة اليد والفم والشعر من التعفن القذر كريه الرائحة. وبالطبع على الأحباء عند وصول هذه المقالة إليهم ترك هذه العادة المضرّة ولو بالتدريج وبأية وسيلة، إن هذا أملي بهم.

أما موضوع الأفيون القذر الملعون، **نعوذ بالله من عذاب الله**، فهو بصريح الكتاب الأقدس محرم ومذموم وشربه عقلياً ضرب من الجنون، وشاربه بالتجربة محروم كلية من العالم الإنساني، أعوذ بالله من ارتكاب مثل هذا الأمر الفظيع الذي يهدم بنيان الإنسانية وسبب الخسران الأبدي. فهو يأخذ روح الإنسان ويقتل الوجدان ويزيل الشعور ويقتل الإدراك ويميت الحيّ ويطفئ حرارة الطبيعة. ولن يتصور ضرر أعظم من هذا. هنيئاً لنفوس لا يجرون لفظ الترياق على ألسنتهم فكيف باستعماله...

إذاً فابذلوا الهمة حتى يتجلى التنزيه والتقديس الذي هو نهاية آمال عبدالبهاء بين أهل البهاء. ويتفوق حزب الله على سائر نوع الإنسان في جميع الشؤون

والكمالات، ويمتازون عن الآخرين ظاهراً وباطناً. ويصبحون في الطهارة والنظافة واللطافة وحفظ الصحة في مقدمة العقلاء وفي الحرية والطهارة والتحكم بالنفس والهوى قدوة الأحرار والعقلاء."(٧)

وأخيراً، فإن كتابات ميرزا أبو الفضل لخير دليل على أن شخصه لم يكن أكثر من واسطة لما أنعم عليه حضرة بهاءالله من عون ومدد من قوى وتأييدات غيبية. ولن يكون ادعاء مبالغ فيه لو يُقال إنه، باستثناء الآثار المباركة وكتابات حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، فإن كتابات ميرزا أبو الفضل تعتبر أكثر إلهاماً وأوسع علماً وأزيد تحدياً وأضخم حجماً مما تحتوي عليه مكتبة آثار دين حضرة بهاءالله. بل يمكن وصفه بأنه أقدر غواص روحاني سبر أعماق بحر ظهور حضرة بهاءالله وأخرج منه لئالئ جمة قيمة بلا حدود -حقائق وأسرار كامنة في أعماقه وغمرت كتبه العديدة بحقائقها. إن كافة المبلغين البهائيين في الشرق تقريباً قد استعملوا مؤلفاته كأساس لتفهم أعمق بالدين عموماً، وإثباتات وبراهين دين حضرة بهاءالله خاصة. وكذلك إيضاحاته والمقتبسات الوفيرة التي استخرجها من بواطن كتب القبل المقدسة، بالإضافة إلى مؤلفاته الدفاعية عن أمر الله التي استعملها علماء وكتّاب من الشرق والغرب.

إن تعداد التشكيلة الواسعة لمؤلفاته أو الكتابة حول تقييمها يقع خارج نطاق هذا الكتاب. يكفي القول بأن كتاباته من ناحية قيمتها الأدبية وحدها كانت قد اعتبرت ممتازة في نظر النقاد المعاصرين، في حين أن مضمونها ألهم الأحباء والعقلاء المنصفين من جهة، وأفحم وأسكت الأعداء من جهة أخرى. في الحقيقة إن من إسهاماته العظيمة في ميداني دعم وحماية دين حضرة بهاءالله هو عمله الكتابي الضخم دفاعاً عن أمر الله. فمتى تجاسر الأعداء في مقاومته أو تشويه سمعته، كان قلمه جاهزاً مستعداً للدفاع عنه بحماس وحيوية وحزم بلبل الأعداء وأخزاهم ودعم الأحباء وعزّزهم. ويعد كتابه "الفرائد"، الذي يناهز ٨٠٠ صفحة، الذي أخرجه دون مراجعة أو تنقيح المسودة الأصلية التي طبع عنها، خير مثال لذلك.

وفي تمجيد من ينصر أمره، يعلن حضرة بهاءالله:

"لو قام نفس بالرد على من رد **على الله** بكلماته ليرد مقاماً يتحسر عليه **جميع أهل** الملأ الأعلى وتعجز أقلام الممكنات عن ذكر ذلك المقام وتقصر ألسن الكائنات عن وصفه. إذ إن كل نفس استقامت اليوم على هذا الأمر الأقدس الأرفع الأمنع ستمنح من القدرة ما يمكنها من مقابلة **كل من في السموات والأرض وكان الله على ذلك لشهيد وعليم**.(٨)

الملحق رقم ٣

دفن رفات الغصن الأطهر ووالدة حضرة عبدالبهاء

من مقال كتبته أمة البهاء روحية رباني(١)

إن الظلام يكتنف الحديقة. وجبل الكرمل يودع أواخر أنوار الشفق بينما يسدل المغيب ظلمته فوق خليج عكاء. عند البوابة وقفت جماعة من الرجال مرتقبين أسفل السلالم. وفجأة تحدث حركة، فيجري البستاني لينير المدخل ثم يلوح من خلال أشعة الضوء موكب. في المقدمة رجل في لباس أسود استقرت على كتفه حمولة تابوت. إنه ولي أمر الله حاملاً رفات الغصن الأطهر، ابن حضرة بهاءالله المحبوب. يمضي وأصحابه حملة التابوت على مهل صعوداً خلال الدرب الضيق مقتربين بصمت من المنزل المجاور لمرقد حضرة الورقة المباركة العليا. حينئذ يسرع خادم وفيّ إلى الأمام حاملاً سجادة وشمعداناً من المقامات المقدسة ثم يهيء الغرفة. يلوح وجه ولي أمر الله بمحياه الرقيق والقوي في ذات الوقت داخلاً من الباب، وما يزال كتفه يحمل ذاك الحمل العزيز الغالي، ثم يودع التابوت مؤقتاً في حجرة متواضعة، مواجهة البهجة، قبلة أمر الله. ثم يعود هؤلاء الخدم المخلصون ثانية، يتقدمهم ولي أمرهم، إلى البوابة ليأتوا بحمل مقدس آخر، تابوت رفات حرم حضرة بهاءالله، والدة حضرة عبدالبهاء.

أي موجة من السرور بدت وكأنها تنطلق بقدوم هذا الموكب البسيط! سرور لا يمكن تعريفه، ممزوج بعواطف من الرقة والرثاء الشفوق. في أثناء ذلك وقف نصب مرقد بهائية خانم كلؤلؤة ضخمة بيضاء من المرمر يشع تحت أنوار مصابيحه

العاكسة، كأنه يتوهج نوراً على سفح الجبل المظلم، منيراً الطريق وحارساً للاثنين المقبلين إلى موضع استقرارهما الأخير.

حينما ندخل لتقديم فروض الاحترام والتبجيل لتلك النفوس العزيزة الموقرة المحبوبة المتصاعدة منذ أمد طويل، فإن المرء ليشعر بوجودهما وكأنه يملأ جو الغرفة. هكذا، أخيراً، بعد سبعين سنة اجتمعت وتجاورت بقايا تلك الوالدة المقدسة برفات ابنها الذي كتب عنه حضرة بهاءالله: "إنه خلق من نور البهاء". جنباً إلى جنب، مقابل عكاء، وفي جو تتضوع فيه روائح عطر الورد الخالص الطيبة التي عطرهما به ولي الأمر، رقد الاثنان، وفوقهما علقت صورة الورقة المباركة العليا على الحائط، تستمد ضياء الشمعات الحارسة، بعينيها الجميلتين المليئتين بالمحبة والصفاء إنها الطيبة بعينها، تنظر نحو أمها وأخيها. وهذا مما يدعو للسرور والرضى!

فذاك الشاب اليافع، المولود بالهم والحزن، والناشئ بالمنفى، والمتوفى بالسجن، والذي دفن في عجل وعزلة! ها هو الآن قد رفع من الثرى بيدي ولي أمر والده، ونقل من عزلة مثواه في المقبرة العربية حيث ظل مدفوناً لزمن طويل وجئ به بجوار أخته اللامعة الجليلة وأمه المقدسة، تلك الأم التي سميت بـ"السيدة العظيمة". كانت نحيفة القوام، جليلة المهابة، مليحة الملامح وبيضاء البشرة زرقاء العينين سوداء الشعر، وهي التي اضطرت، حين حُبس حضرة بهاءالله في سجن طهران، وتخلى عنها القريب كما الغريب، أن تبيع الأزرار الذهبية لملابسها لشراء الغذاء لأطفالها، هي التي أجبرت على ترك هذا الابن نفسه وراءها حينذاك وهو طفل رقيق البنية في الرابعة من عمره، عندما صاحبت حضرة بهاءالله إلى المنفى، وهي التي لم تتعود يداها الناعمتان على العمل، فكانتا تدميان عند غسل ملابس أسرتها، وهي التي ظلت صابرة تقية هادئة وناكرة لذاتها حتى نهاية حياتها، وأودعت الثرى بمقبرة خارج عكاء بعيداً عن ابنها، فهي الآن ترقد بجواره، لتبقى كذلك إلى الأبد.

ونحن في لحظات التأمل بجوار التابوتين الناطقين بأفصح المعاني في وضعهما ذاك، وقد غشيا بنسيج محاك، ونثر فوقهما زهر الياسمين الذي جئ به من مقام

حضرة الباب، وفيما نحن كذلك شعرنا بأن وجود روحيهما كان من القوة والنفاذ -أو قد تكون ذكراهما، تماما مثل العطر الذي يبقى عالقاً بعد ذبول الورد- بحيث أن الغرفة نفسها التي لم يلبثا فيها إلاّ وقتاً قصيراً تصبح عابقة بشذى سلام عذب مما يفوح عادة داخل مقام مقدس.

إن ولي أمر الله لم ينقل رفاتهما فقط ليستريحا في قبريهما الشرعيين، ووضعهما حيث يرى العالم أجمع ما يليق بهما من شرف وتمجيد، ولكنه بكيفية ما خفية قد أعادهما لنا. فقبل هذا كانا، وقد فارقا الحياة منذ زمن بعيد، وفي أيام ذلك الظلم والفوضى تم دفنهما بهدوء، كانا، على الأقل بالنسبة لنا نحن الغربيين، مجرد شخصيات موجودة على صفحات تاريخ ديننا. لكن الآن أضحى مكانهما في قلوبنا. فقد خرق وأزيل حجاب الزمن والمغمورية الذي عزلنا عن بعض، والآن نجد، لشدة فرحنا وتعجبنا، هاتين الشخصيتين المقدستين اللامعتين قد اقتربتا منا، ونفذا إلى وجودنا، مستعدين لعوننا على النهج المؤدي إلى مولاهما ومولانا، حضرة بهاءالله...

وقد سأل حضرة بهاءالله ابنه في ساعات موته فيما إذا كان يرغب بالحياة، لكنه أجاب بأن أمنيته الوحيدة هي أن تفتح أبواب السجن عسى أن يتمكن الأحباء من الورود لزيارة ربهم. فلبى حضرة بهاءالله رغبته الصادقة وجلس بجانبه بينما كان ابنه يعد للقبر، وفي تلك الظروف المأساوية أنزل حضرته هذه المناجاة: **"هذا حين فيه يغسلون الابن أمام الوجه بعد الذي فديناه في السجن الأعظم..." "سبحانك اللهم يا إلهي تراني بين أيادي الأعداء والابن محمر بدمه أمام وجهك."** كلمات كهذه صدرت من قلب الجمال المبارك المعتصر وهو ينظر طفله. ولكن صدرت مباشرة الكلمات المدهشة التالية: **"أي رب فديت ما أعطيتني لحيوة العباد واتحاد من في البلاد."** إن المغزى العميق الهائل لهذه الكلمات لا مفر منه، فإن حضرة بهاءالله قد قدر لابنه دور الأضحية والفداء في سبيل أن يتحقق اتحاد البشر ووحدتهم التي جاء وظهر لإعلانه وتأسيسه. وبذلك تكون أضحية إسحق من قبل إبراهيم قد تمت وتحققت.

فيما بعد دفن الغصن الأطهر في سرية وفقر وعُجالة، مثكولاً من قبل أمه الحنون الرقيقة، ضحية ما لا يحصى من الأحزان والحرمان، وظلت تبكيه بأسى مرير باستمرار. ولمّا علم حضرة بهاءالله بكربها جاء إليها مطمئناً بقوله أن لا مبرر لكل ذلك الحزن فإن الله قد قبل هذا الابن العزيز فداء عنه ليس فقط من أجل أن يقرّب الأحباء من مولاهم ولكن في سبيل توحيد كل أبناء الإنسان. ولدى سماعها تلك الكلمات ارتاح قلب تلك الذات القدسية وتنعمت بسلوان عظيم ولم تعد تنعي فقدها الجسيم.

ومن كانت هذه الأم؟ لم تكن مجرد امرأة مقدسة مخلصة، مستعدة لأن تضحي بكل ما لديها في سبيل الله، بل هي من يقول[1] بحقها إشعياء، في الإصحاح ٥٤، التالي: **"لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى." "فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب."** وهي التي أنزل حضرة بهاءالله بحقها قوله: **"اسمعي مرة أخرى، رضي الله عنك فضلاً من عنده ورحمة من لدنه وجعلك صاحبة له في كل عالم من عوالمه ورزقك لقاءه ووصاله بدوام اسمه وذكره وملكوته وجبروته."**

كم سريعاً مرّت تلك الأيام التي لا تثّمن بينما رقدت رفات تلك الأم والابن جنباً لجنب في تلك الغرفة الصغيرة! إن مجرد الحظوة بأن يجد المرء نفسه بهذا القرب منهما –في هذا القرب الغريب الذي يدعو للرثاء والأسى عندما يشعر الشخص وهو يتأمل التابوت الذي لم يبق بداخله من النفوس العزيزة بعد عروج الروح، مستقراً سوى رمز وتذكرة لفنائيتنا وخلودنا– إن كل ذلك تجربة لن تنسى. وسيقرأ الألوف أدعية وألواح حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء النازلة تخليداً لذكراهما أبداً. وسوف يتوسلون ويتضرعون لذاتيهما النيّرتين لأجل الشفاعة باسمهما. وسوف يبتغون، بتواضع وخضوع، الاقتفاء بأثرهما النبيل.

(١) يستمد هذا البيان سلطته من كلمات حضرة عبدالبهاء نفسه في "ألواح عبدالبهاء"، المجلد الأول، الصفحة ١٠٧ (في النسخة الإنكليزية). (روحية رباني)

لكن سوف لن يكون ذلك، كما يبدو لي، حلواً ومؤثراً كما نراهم الآن راقدين معاً تحت لحاظ بهائية خانم.

وبينما كان قبراهما في طور الحفر في صخور الجبل الصلبة علم ولي الأمر بأن الناقضين قد اعترضوا على حق البهائيين في نقل رفات أم حضرة عبدالبهاء وأخيه إلى قبور جديدة، وبلغ بهم الصلف والقحة أن يقدموا طلباً للسلطة الحاكمة بزعم قرابتهم للمتوفين المذكورين. إلاّ أنه حالما استوضحت السلطة حقيقة الوضع -بأن هؤلاء الأقارب أنفسهم كانوا ألد أعداء المولى وعائلته، وقد خرجوا عن أمر حضرة بهاءالله الحقيقي واتبعوا أهواءهم وبأن حضرة عبدالبهاء قد استنكرهم في وصيته- صادقوا على مشروع ولي الأمر حالاً وأصدروا المستندات الضرورية لإخراج الرفات. وبعد ذلك بيومين، وتفادياً لأي مزيد من التأخير، قام حضرة شوقي أفندي بنفسه بنقل رفات كل من الغصن الأطهر وأمه إلى جبل الكرمل حيث، بفضل مراقبة المؤمنين المحبين المخلصين وحمايتهم، وصوناً لهما ضد أي خطر أو انتهاك حرمة واعتداء، يمكن أن يتركا، بجوار مقام بهائية خانم، بانتظار إعادة دفنهما.

أخيراً وضع الحجر الأخير في كل من القبرين، وفرشت الأرضية بالمرمر، وثبتت لوحات الأسماء لتشخيص موضع رأسيهما، وسويت تربة الموقع، والمسار الذي ينتهي بمثواهما الأخير تم بناؤه، إلاّ أن انهمار الأمطار المستمر على قمة الجبل حال دون التحضيرات النهائية قبل حلول اليوم السابق لعيد الميلاد (المسيحي) حيث بدت السماء فجر ذاك اليوم صافية مشرقة، كأنها تعلن أن الوقت المناسب قد حان. فاجتمعنا جميعاً عند الغروب في ذلك البيت المتواضع المبارك مرتين. يفتتح صوت أحد أكبر المؤمنين سناً وأكثرهم إخلاصاً بين أحباء الشرق الأدنى بتلاوة مناجاة بأمر من ولي الأمر، مع أنه مرتجف وخافت إلاّ أنه ينبض بإيمان وحب مؤثر يصعب وصفه لكن لا يمكن نسيانه. يعقبه صوت آخر فآخر، ومن ضمنهم صوت ولي الأمر نفسه، مما جعل المرء يتخيل سماع ترديد تلك الأدعية في نشوة نصر ينفذ إلى أذن القلب من عالم ملأ الغيب.

والآن مرة أخرى يرفع كل تابوت على أكتاف ولي الأمر، لينقلا إلى مقام حضرة الباب حيث يسجيا بداخله. جنباً لجنب وبجلال أعظم من عظماء هذا العالم يوضعان عند العتبة المقدسة، باتجاه البهجة والشموع متقدة عند رأسيهما والأوراد عند قدميهما. كانت عشية ذكرى ميلاد السيد المسيح. فالتي أخبر عنها إشعياء، والذي كان ابن من قال عنه المسيح : **"وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق."** أمضيا هنا ليلتهما الأخيرة قبل أن يحجبهما الثرى عن أعين الناس إلى الأبد.

عند الغروب التالي نجتمع مرة أخرى في ذاك المقام المقدس. فيتلو ولي الأمر لوح الزيارة، أولاً عند مرقد حضرة الباب، وبعدها عند مرقد المولى. أمّا الأحباء المحظوظون الذين تمكنوا من القدوم لزيارة حيفا في تلك المناسبة المقدسة ففازوا بزيارة ثانية لمقام حضرة الباب. رفعت الرفات بأيدي الأحباء عالياً يتقدمهم حضرة شوقي أفندي، فهو لن يتخلى عن حمله النفيس العزيز، مبتدئين برفات أم حضرة عبدالبهاء ثم الغصن الأطهر، وهكذا غادروا تلك البقعة المقدسة. وبعد الطواف حول المقامات حمل نعش مهدي المحبوب، محمولاً من قبل ولي الأمر، ومتبوعاً بنعش أم المولى. يمر في طريقه من أمامنا على مهل. بعد هذا يمضي بمساره حول المقام فخلال الحديقة المضاءة، ثم أسفل الطريق الأبيض فالشارع الذي كان مضاءً بنور القمر، مضت الجنازة المهيبة في طريقها. بدت في علوها فوق رؤوس الأشخاص التابعين وكأنها عالقة في الهواء تسير وحدها. وبهذه الكيفية انحدرت الجنازة في طريقها الملتوي. بعد ارتقاء الدرجات يدخلون مرة أخرى خلال البوابة نفسها المؤدية لمرقد بهائية خانم. يمرون أمامنا، ظلالاً مرسومة على خلفية سماء الليل، بينما كانت الغيوم تتلاعب عبرها مع القمر الذي كان بدراً. هاهم يقتربون، ووجه ولي الأمر ملتصق بحمله الغالي المرفوع. بعدها يمرون صوب القباء المنتظرة.

الآن يودعون الغصن الأطهر مثواه. يدخل حضرة شوقي أفندي بنفسه إلى القبو الذي فرشت أرضه بالسجاد ويرخي التابوت بلطف في موضعه المعين مسبقاً ثم

بنفسه ينثر الأوراد فوقه، وهكذا يده هي آخر من يربت ويلاطف الأثر النفيس. ثم وضعت أم المولى بالكيفية نفسها من قبل ولي الأمر في القبو المجاور. لا يفصل بينهما أزيد من ستة أقدام. وقف الأحباء في دائرة صمت تضئ وجوههم بنور السرج الوهاجة. عندئذ نودي على البنّائين لإغلاق القبرين. سرعان ما ينجزون مهمتهم بكل احترام ودقة. يوارى بعد ذلك القبران بالورود ثم يزيد ولي الأمر برشه زجاجة عطر الورد فوقهما. فتحمل النسمة أريجه وترش به وجوهنا. والآن يرتفع صوت حضرة شوقي أفندي مرتلاً الألواح التي أنزلها حضرة بهاءالله خصيصاً لتقرأ عند مرقديهما.

أهذا حقاً حلم؟ إذ لا يمكن أن أكون أنا الواقفة هنا أشهد هذه القبور الجديدة وقد أعدت في أحضان الكرمل العتيق! وتمتد أمامي نزولاً طريق يبدو لا نهاية له. وعبر الخليج تتألق عكاء ببياضها، تلك المدينة التي كانت يوماً ما مدينة السجن حيث كان هذان فيها أسيرين لفترة طويلة، ثم دفنا سابقاً على مقربة منه. أرى أمامي امتدادات البحر والسهل، ومن ثم حدود جبال الأرض المقدسة المكسوة بضياء القمر الفضي، أرض الأنبياء، أرض أحباء الله، الأرض المختارة لتكون مقر فلك الله في هذا اليوم الأمجد الأبهى. وفي حول مثوى أم حضرة عبدالبهاء وأخته وأخيه ستتمحور باطراد وإلى الأبد النشاطات الأمرية الباعثة والمجددة للحياة. وبقربها مؤسسات عظيمة تهدف إحياء وتقوية روح وجسد العالم الإنساني. وإلى الأبد ستظل هذه المؤسسات مرتبطة بذكرى وقدوة هؤلاء الذوات المقدسة الثلاث. فسبيلهم صار سبيلنا وأمامنا يسيرون طلائع وأدلاء لصفوف أتباع حضرة بهاءالله.

مسرد الكتب والمراجع

حضرة عبد البهاء

"مكاتيب عبدالبهاء"،
المجلد الثالث، القاهرة: ١٩٢١؛
المجلد الرابع، إيران: ١٢١ب
(١٩٦٥م)؛ المجلد الثامن، إيران
١٣٤ب (١٩٧٨م).

"تذكِرة الوفاء"
تعريب حسين روحي. من
منشورات دار النشر البهائية في
البرازيل. شهر القدرة ١٦١ب،
تشرين الثاني ٢٠٠٤م

"من مكاتيب عبدالبهاء"
المجلد الأول من منشورات
دار النشر البهائية في البرازيل
شهر العزة ١٣٩ب، أيلول
١٩٨٢م.

ABDU'L-BAHA'

Makátíb-i-'Abdu'l-Bahá'
Vol. 3, Cairo: 1921; Vol. 4, Iran: BE 121 (AD 1965); Vol. 8, Iran: BE 134 (AD 1978)

Memorials of the Faithful.
Translated from the original Persian text and annotated by Marzieh Gail. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1971

Selections from the Writings of 'Abdu'l-Bahá'
Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice; translated by a Committee at the Bahá'í World Centre and by Marzieh Gail. Bahá'í World Centre, 1978.

Tablets of Abdul-Baha Abbas. 3 volumes. First published 1909–16. New York: Bahá'í Publishing Committee, 1930.

Tablets of the Divine Plan,
revealed by 'Abdu'l-Bahá' to the North American Bahá'ís. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1977.

"ألواح الخطة الإلهية"
(طبعة بشكل كتيب غير مؤرخة)

A Traveller's Narrative written to illustrate the episode of the Báb.
Trans. by E. G. Browne. 1930, RP Amsterdam: Philo Press 1975.

"مقالة سائح في البابية والبهائية"
طبع بمعرفة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين بشمال غرب أفريقيا، ١٢٤ب (١٩٦٧م).

Will and Testament of 'Abdu'l- Bahá'.
Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Committee, 1944..

"العهد الأوفى"
(طبعة بشكل كتيب غير مؤرخة)

ABU'L-FADL, MIRZA

ميرزا أبو الفضل

The Bahá'í Proofs.
Chicago: Grier Press, undated.

"الحجج البهية"
مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٢٥م.

The Brilliant Proof.
Syria: 1911.

"البرهان الساطع"

Kitábu'l-Fará'id.
An apologia. Cairo. Undated. Written in AH 1315 (AD 1899).

"كتاب الفرائد"
القاهرة كتب في عام ١٣١٥هـ (١٨٩٩م).

Risáliy-i-Iskandaríyyih.
(Unpublished treatise.)

"الرسالة الإسكندرية"
لم تنشر.

AFRÚ'KHTIH, DR. YÚNIS KHÁN.

الدكتور يونس خان أفروخته

Khátirát-i-Nuh- Sáliy-'Akká.
Written in the year BE 99 (AD 1942) Tihrán, undated.

"خاطرات نه ساله عكا"
(ذكريات الأعوام التسعة في عكاء). كتب سنة ٩٩ب (١٩٤٢م). طهران، غير مؤرخ.

BÁB, THE.

Selections from the Writings of the Báb.
Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice and translated by Habib Taherzadeh with the assistance of a Committee at the Bahá'í World Centre. Bahá'í World Centre, 1976.

حضرة الباب

"منتخبات آيات از آثار حضرت نقطة أولى"
(منتخبات من آثار حضرة النقطة الأولى)
مؤسسة الطبع والنشر في الولايات المتحدة
ويلميت – إلينويز، ١٩٧٨م.

Bahá'í Education: A Compilation.
The Research Department of the Universal House of Justice. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1977.

Bahá'í World, The.
An International Record. Vol. III. 1928-30. New York, Bahá'í Publishing Committee, 1930. Vol. VIII. 1938-40. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Committee, 1942. Vol. IX. 940-44. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Committee, 1945

Bahá'í World Faith.
Selected Writings of Bahá'u'lláh and 'Abdu'l-Bahá'. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Committee, 1943.

Bahá'í Writings on Music.
Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice. Oakham, England: Bahá'í Publishing Trust, undated.

BAHÁ'U'LLÁH

Á<u>th</u>ár-i-Qalam-i-A'lá.
A Compilation of the Writings of Bahá'u'lláh. <u>T</u>ihrán: Bahá'í Publishing Trust. Vol. 1. BE 120 (AD 1963); Vol. 4. BE 125 (AD 1968).

حضرة بهاءالله

"آثار قلم أعلى" – طهران:
مؤسسة المطبوعات الأمرية.
المجلد ١، ١٢٠ب، ١٩٦٣م)؛
المجلد ٤، ١٢٥ب (١٩٦٨).

"لوح ابن الذئب"
(كتاب الشيخ)
(١) طبعة من إعداد لجنة نشر الآثار الأمرية باللغتين الفارسية والعربية في لانگنهاين – ألمانيا.
(٢) طبعة من مطبعة السعادة في مصر سنة ١٩٢٠م.

Epistle to the Son of the Wolf.
Trans. by Shoghi Effendi. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1953.

"منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"
إعداد لجنة نشر الآثار الأمرية باللغتين الفارسية والعربية في لانگنهاين – ألمانيا. الطبعة الأولى، ١٤١ ب (١٩٨٤م).

Gleanings from theWritings of Bahá'u'lláh.
Trans. by Shoghi Effendi Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1935; rev. edn. 1952. London: Bahá'í Publishing Trust, 1949.

"الكلمات المكنونة"
من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل.
١٥٢ب، حزيران ١٩٩٥م.

The Hidden Words
Trans. by Shoghi Effendi with the assistance of some English friends. First published in England 1932. London: Bahá'í Publishing Trust, 1949. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn.1954.

مجموعة **"إشراقات"**
الهند: ١٣١٠هـ (٢–١٨٩٣م)

Ishráqát
(A Compilation of the Tablets of Bahá'u'lláh). India: AH 1310 (AD 1892–3).

"الكتاب الأقدس"
بيت العدل الأعظم
طبع في كندا في مطابع
Quebecor Jasper Printing

Kitab-i-Aqdas. Extracts Trans. by Shoghi Effendi in *Synopsis and codification of the Kitáb-i-Aqdas, the Most Holy Book of Bahá'u'lláh*. Bahá'í World Centre, 1973**.**

"كتاب الإيقان"
معرب عن الفارسية – الطبعة الثالثة، من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل.

Kitáb-i-Iqán. The Book of Certitude. Trans. by Shoghi Effendi. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1974.

"مجموعة ألواح"
القاهرة: ١٩٢٠م.

Majmú'iy-i-Alváh
Cairo, 1920.

مجموعة **"مناجاة"**
من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل. شهر البهاء ١٣٨ب، آذار ١٩٨١.

Prayers and Meditations by Bahá'u'lláh. Trans. by Shoghi Effendi. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 6th RP 1974.

"ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء".
من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل. رضوان ١٤٠ب، ١٩٨٣م.

The Proclamation of Bahá'u'lláh
to the kings and leaders of the world. Bahá'í World Centre, 1967.

"قد احترق المخلصون"
إعداد لجنة نشر الآثار الأمرية بالفارسية والعربية. لانگنهاين – ألمانيا. الطبعة الأولى. ١٤٢ب.

Qad Ihtaraqa'l Mukhlisún.
The Fire Tablet. London: Bahá'í Publishing Trust, 1980.

Tablets of Bahá'u'lláh revealed after the Kitáb-i-Aqdas. Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice and translated by Habib Taherzadeh with the assistance of a Committee at the Bahá'í World Centre, 1978.

١) **"مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"** نزلت بعد الكتاب الأقدس. من منشورات دار النشر البهائية في بلجيكا. شهر البهاء ١٣٧ب، آذار ١٩٨٠م.
٢) **"مجموعة من ألواح الجمال الأقدس الأبهى"**

BALYUZI, H. M.
Bahá'u'lláh. The King of Glory. Oxford: George Ronald, 1980.

Consultation: A Compilation Extracts from the Writings and Utterances of Bahá'u'lláh, 'Abdu'l-Bahá', Shoghi Effendi and the Universal House of Justice. Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1980.

ESSLEMONT, J. E.
Bahá'u'lláh and the New Era. London: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1974.

جون إسلمنت.
منتخبات من كتاب "بهاءالله والعصر الجديد"
طبع مؤسسة دار الريحاني، بيروت.

FÁDEL-I-MÁZINDARÁNÍ, ASADU'LLÁH, MÍRZÁ
Amr Va Khalq. Tihrán: Bahá'í Publishing Trust. Vol. 3, BE 128. (AD 1971***)***.

ميرزا أسد الله فاضل المازندراني
"أمر وخلق" – طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية، المجلد الثالث، ١٢٨ب (١٩٧١م).

Asraru'l-Áthár A Glossary of Bahá'í terms. Tihrán: Bahá'í Publishing Trust. 5 Vols. BE 124–9 (AD 1967–72).

"أسرار الآثار"
طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية، ٥ مجلدات، ١٢٤–١٢٩ب (١٩٦٧–١٩٧٢م).

FAIZI, MUHAMMAD ‘ALÍ.
L’álíy-i-Darakhshán
A commentary on some of the Writings of Bahá’u’lláh. Tihrán: Bahá’í Publishing Trust, BE 123 (AD 1966).

محمد علي فيضي
"لئالیء درخشان"
تعليق على بعض كتابات بهاءالله. طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية، ١٢٣ب (١٩٦٦م).

HAYDAR-‘ALÍ, HÁJÍ MÍRZÁ
Bihjatu’s- Sudúr.
Reminiscences and autobiography. Bombay: 1913.

الحاج ميرزا حيدر علي
"بهجة الصدور"
بومبى: ١٩١٣م.

Individual and Teaching, The. Raising the Divine Call. Extracts from the Writings of Bahá’u’lláh, ‘Abdu’l-Bahá’, and Shoghi Effendi. Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice. Wilmette, Illinois: Bahá’í Publishing Trust, 1977.

ISHRÁQ KHÁVARÍ, ‘ABDU’L HAMÍD.
Rahíq-i-Makhtúm.
A commentary on a letter of Shoghi Effendi. 2 Vols. Tihrán, Bahá’í PublishingTrust, BE 103 (AD 1946).

عبد الحميد إشراق خاوري
"رحيق مختوم"
مجلدان، طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية ١٠٣ب (١٩٤٦م)

Ma’idiy-i-Ásamání.
A compilation of Bahá’í Writings. 9 vols. and one index volume. Tihrán: Bahá’í Publishing Trust, BE 129 (AD 1972).

"مائدة آسماني"
٩ مجلدات ومجلد فهرس
طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية، ١٢٩ب (١٩٧٢م).

Risáliy-i-Ayyám-i-Tis‘ih
The history of the nine Bahá’í Holy Days together with a compilation of relevant Tablets. Tihrán: Bahá’í Publishing Trust, BE 103 (AD 1946); 3rd RP, BE 121 (AD 1964).

١) "رسالة أيام تسعة"
مطبعة "كلمات" في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨١م.
٢) "الأيام التسعة" – إعداد الدكتور شوقي مرعي. من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل. رضوان ١٤٤ب، نيسان ١٩٨٧م.

IVES, HOWARD COLBY.
Portals to Freedom. London: George Ronald, 1967.

Koran, The. Translated by George Sale. London: Frederick Warne & Co., undated.

"القرآن الكريم"

MALIK KHOSROVÍ. MOHAMMAD-‘ALÍ.
Tárikh-i-Shuhadáy-i-Amr.
Vol. 3, BE 130 (AD 1974).

محمد علي ملك خسروي
"تاريخ شهداي أمر"
(تاريخ شهداء الأمر)
المجلد الثالث، ١٣٠ب (١٩٧٤م)

MEHRÁBKHÁNÍ, RÚHU’LLÁH.
Sharh-i-Ahvál-i-Mírzá Abú’l Fadl-i-Gulpáygání.
Iran: BE 131 (AD 1975).

روح الله مهرابخاني
"شرح أحوال ميرزا أبو الفضل گلپايگاني"
إيران: ١٣١ب (١٩٧٥م).

MU’AYYAD, DR. HABÍB.
Khátirát-i-Habíb. Tihrán: 1961.

الدكتور حبيب مؤيد
"خاطرات حبيب"
طهران: ١٩٦١م.

MUHAMMAD-TÁHIR-I-MÁLMÍRÍ, HÁJÍ.
History of the Faith in the Province of Yazd. Unpublished.

الحاج محمد طاهر المالميري
"تاريخ الأمر في مقاطعة يزد"
لم ينشر.

NABÍL-I-A‘ZAM (MUHAM-MAD-I-ZARANDÍ)
The Dawm Breakers.
Nabil’s narrative of the Early Days of the Bahá’í Revelation.. Wilmette Illinois: Bahá’í Publishing Trust, 1932.

النبيل الأعظم (محمد الزرندي)
"مطالع الأنوار"
ترجمه عن الإنگليزية عبد الجليل سعد. طبع في دار البديع للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، آذار ٢٠٠٨م

OLIPHANT, LAURENCE, **Haifa, or Life in the Holy Land,** 1882–1885. Jerusalem: Canaan Publishing House, rev. edn. 1976.

Prayer, Meditation and the Devotional Attitude. Extracts from the Writings of Bahá’u’lláh, ‘Abdu’l-Bahá’, and Shoghi Effendi. Compiled by the Research Department of the Universal House of Justice. Wilmette, Illinois: Bahá’í Publishing Trust, 1980.

Principles of Bahá’í Administration.
London: Bahá’í Publishing Trust, rev. edn. 1976.

SAMANDAR, SHAYKH KÁZIM.
Táríkh-i-Samandar.
Tihrán: Bahá’í Publishing Trust, BE 131 (AD 1974).

الشيخ كاظم سمندر
"تاريخ سمندر"، طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية. ١٣١ب (١٩٧٤م).

SHOGHI EFFENDI.
The Advent of Divine Justice.
First published 1939. Wilmette, Illinois: Bahá’í Publishing Trust, rev. edn. 1963.

حضرة شوقي أفندي
"ظهور عدل إلهي"
ترجمه إلى الفارسية نصر الله مودت.

Bahá’í Administration. 5th rev. edn. Wilmette, Illinois: Bahá’í Publishing Trust, 1968.

God Passes By. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1944.

"كتاب القرن البديع"
من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل. آذار ٢٠٠٢م.

Messages to America. Selected Letters and Cablegrams Addressed to the Bahá'ís of North America 1932-1946. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Committee, 1947.

The Promised Day Is Come. First published 1941. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1961.

The World Order of Bahá'u'lláh. First published 1938. Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, rev. edn. 1955.

"دورة حضرة بهاءالله"
"الكشف عن المدنية الإلهية"
عرب وطبع بمعرفة لجنة الترجمة والطبع للمحفل الروحاني للبهائيين في مصر والسودان. الطبعة الأولى – يناير ١٩٤٧ (هذان الكتابان ترجمة لجزء من الكتاب الإنجليزي)

SULAYMÁNÍ, 'AZÍZU'LLÁH.
Masabíh-i-Hidáyat. Biography of some of the early Bahá'ís. Tihrán: Bahá'í Publishing Trust. Vol. 7, BE 129 (AD 1972).

عزيز الله سليماني
"مصابيح هدايت"
طهران: مؤسسة المطبوعات الأمرية،المجلد ٧، ١٢٩ب (١٩٧٢م).

T***he Universal House of Justice. Messages from the Universal House of Justice 1968-1973.*** Wilmette, Illinois: Bahá'í Publishing Trust, 1976.

ZARQÁNÍ, MÍRZÁ MAHMÚD
Kitáb-i-Badáyi'u'l-Áthár. Diary of 'Abdu'l-Bahá's travels in Europe and America, written by His secretary. Bombay: Vol. I. 1914; Vol. II, 1921

ميرزا محمود الزرقاني
"بدائع الآثار" يوميات عن زيارة حضرة عبدالبهاء لأوروپا وأمريكا كتبها سكرتيره. بومبى: المجلد الأول، ١٩١٤م؛ المجلد الثاني، ١٩٢١م.

المصادر

يحتوي "مسرد الكتب والمراجع" على تفاصيل كاملة عن المؤلفين والكتب

الفصل الأول: وصول حضرة بهاءالله إلى عكاء

١ – بهاءالله، "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٢٠.
٢ – لوح لحضرة بهاءالله لم ينشر.
٣ – "الكلمات المكنونة" العربية، رقم ٤.
٤ – بهاءالله، "ظهور عدل إلهي"، الصفحة ١٦٥.
٥ – بهاءالله، مقتطف في "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٢٠.
٦ – "كتاب القرن البديع"، الصفحات ٢١٨-٢١٩.
٧ – مقتطف من لوح في "رحيق مختوم"، المجلد الثاني، الصفحة ٧٧١.
٨ – مقتطف في "أسرار الآثار"، المجلد الرابع، الصفحة ٣٤٩.
٩ – مقتطف في "رحيق مختوم"، المجلد الأول، الصفحة ٣٦٧.
١٠ – "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحة ٣٧.
١١ – لوح لحضرة بهاءالله لم ينشر.
١٢ – "الفرائد"، الصفحتان ٥٢٣-٥٢٤.
١٣ – مذكرات لم تنشر.
١٤ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٣٩.
١٥ – "الكتاب الأقدس"، ١٧٣.
١٦ – "أسرار الآثار"، المجلد الأول، الصفحة ١٠٣.
١٧ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٣.

الفصل الثاني: "بالبلاء علا أمره وسنا ذكره"

١ – لم تنشر.
٢ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٧.
٣ – لوح لحضرة بهاءالله لم ينشر.
٤ – لوح لحضرة بهاءالله لم ينشر.
٥ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٦.
٦ – "مائدة آسماني"، المجلد الخامس، الصفحة ١٥٦.
٧ – "الكلمات المكنونة" الفارسية، رقم ٥٧.
٨ – مذكرات لم تنشر.
٩ – لم تنشر.
١٠– لم ينشر، سوى الفقرة الأخيرة وهي مناجاة وردت في مجموعة "مناجاة"، رقم ١٥٣.
١١– "القرآن الكريم"، سورة البقرة، الآية ١٥٥.
١٢– بهاءالله، مقتطف في "ظهور عدل إلهي"، الصفحة ١٦٤.
١٣– "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٣٨٢.
١٤– "العهد الأوفى"، الصفحة ٣٠.
١٥– عبدالبهاء، كتيب "المحفل الروحاني المحلي"، الصفحتان ١٧، ١٩.

الفصل الثالث: المسجون

١ – مقتطف في "رسالة أيام تسعة"، الصفحة ٣١٣.
٢ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٢٤.
٣ – ٢٧ تشرين الأول ١٩١٤م، أورده د. حبيب مؤيد في "خاطرات حبيب" الصفحتين ١٧١–١٧٢.
٤ – مذكرات لم تنشر.

الفصل الرابع: أمناء حضرة بهاءالله

١ – "تذكرة الوفاء"، الصفحة ٦١.
٢ – "اللوح الثاني لناپليون الثالث"، "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحة ٥٠.
٣ – "كتاب عهدي"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ١٩٧.
٤ – الزرقاني، "بدائع الآثار"، المجلد الثاني، الصفحات ٣٩٥-٣٩٧.
٥ – "لوح الدنيا"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ١٠١.

الفصل الخامس: "لوح فؤاد"

١ – "كتاب مبين"، الصفحة ١٧٨.
٢ – منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٥٤.
٣ – "الكتاب الأقدس"، ٤٨.
٤ – مقتطف في "تاريخ سمندر"، الصفحة ٢٠٤.
٥ – "كتاب الإيقان"، الصفحتان ٢-٣.
٦ – من "رسالة الإسكندرية".
٧ – مذكرات الحاج ميرزا حيدر علي (غير منشورة) عن ميرزا أبو الفضل.
٨ – "الكتاب الأقدس"، ٣٨.
٩ – *The Bahá'í World,* Vol. IX, p. 858.
١٠– مقتطف في "شرح أحوال ميرزا أبو الفضل گلپايگاني" لمهرابخاني، الصفحة ٣٤٢.
١١– *The Bahá'í World*, Vol. IX, p. 856.
١٢– المصدر السابق، الصفحة ٨٦٠.
١٣– "الحجج البهية"، الصفحة ١٢٦.

الفصل السادس: أقوى حكام الأرض

١ – مقتطف في "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٥١.
٢ – "اللوح الثاني لناپليون الثالث"، "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحتان ٤٣–٤٤.

٣ – المصدر السابق، الصفحات ٤٥، ٤٧، ٥٠.

٤ – Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, pp. 52–3.

٥ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٥٨.

٦ – "لوح ابن الذئب"، طبعة ألمانيا، الصفحتان ٣٨–٣٩؛ طبعة مصر، الصفحة ٤١.

٧ – "لوح البابا"، في "آثار قلم أعلى"، مجموعة بعنوان "ألواح نازلة خطاب بملوك ورؤساء أرض"، الصفحات ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٥–٧٦، ٨٢.

٨ – Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, pp. 55–6.

٩ – "لوح قيصر الروس"، "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحة ٥٣.

١٠– المصدر السابق، الصفحة ٥٤.

١١– المصدر السابق، الصفحة ٥٣.

١٢– مذكرات لم تنشر.

١٣– "لوح الملكة ڤكتوريا"، "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحة ٥٩.

١٤– المصدر السابق، الصفحتان ٥٩-٦٠.

١٥– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١١٩.

١٦– "الكشف عن المدنية الإلهية"، الصفحتان ٥–٦.

١٧– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٢٠.

١٨– المصدر السابق.

١٩– 'The Goal of a New World Order', *The World Order of Bahá'u'lláh*, pp. 33–4.

٢٠– "كتاب عهدي"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ٢٠٠–٢٠١.

٢١– "القرآن الكريم"، سورة الأنفال، الآيتان ٦٢–٦٣.

الفصل السابع: "سورة الهيكل"

١ – "كتاب مبين"، الصفحة ٩٦.

٢ – مقتطف في "أسرار الآثار"، المجلد الخامس، الصفحة ٢٧٧.

٣ – "آثار قلم أعلى"، المجلد الرابع، الصفحة ٢٨١.
٤ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٦.
٥ – "كتاب مبين"، الصفحة ٥.
٦ – "آثار قلم أعلى"، المجلد الرابع، الصفحتان ٢٧٨–٢٧٩.
٧ – المصدر السابق، الصفحتان ٢٨٨–٢٨٩.
٨ – المصدر السابق، الصفحة ٢٩٩.
٩ – المصدر السابق، الصفحة ٢٩١.
١٠– المصدر السابق، الصفحة ٢٩٣.
١١– "دورة حضرة بهاءالله"، الصفحة ٣٠.
١٢– "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٩٢.
١٣– "آثار قلم أعلى"، المجلد الرابع، الصفحتان ٢٦٩–٢٧٠.
١٤– المصدر السابق، الصفحة ٢٨٣
١٥– مقتطف في "ظهور عدل إلهي"، الصفحة ١٦٣.
١٦– مقتطف في "دورة حضرة بهاءالله"، الصفحة ٢٦.
١٧– المصدر السابق، الصفحتان ٤-٥.
١٨– "آثار قلم أعلى"، المجلد الرابع، الصفحة ٢٨٢.

الفصل الثامن: الأمراء والعلماء

١ – "الكتاب الأقدس"؛ ٧٨، ٧٩، ٨١–٨٣.
٢ – المصدر السابق؛ ٨٦، ٨٧.
٣- – المصدر السابق، ٩٠.
٤ – المصدر السابق، ٨٥.
٥ – "سورة الرئيس"، "مجموعة ألواح مباركة حضرت بهاءالله"، الصفحات ٨٧–٨٩.
٦ – "الكتاب الأقدس"، ٨٩.
٧ – "الكشف عن المدنية الإلهية"، الصفحتان ٢٢–٢٣. (جرى تعديل على الترجمة)

٨ – "الكتاب الأقدس"، ٨٨.
٩ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١١٨.
١٠– Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, p. 72.
١١– "لوح سلمان"، "مجموعة ألواح مباركة حضرت بهاءالله"، الصفحتان ١٢٥–١٢٦.
١٢– "لوح البشارات"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ٤٤.
١٣– Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, p. 76.
النص العربي للمقتطف في كتاب "قد ظهر يوم الميعاد" (فارسي)، الصفحة ٣٦.
١٤– المصدر السابق (الإنگليزي)، الصفحة ٧٣.
١٥– "الكتاب الأقدس"، ٨٤.
١٦– مذكرات لم تنشر.
١٧– مذكرات لم تنشر.
١٨– "لوح البرهان"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ١٨٩–١٩٠.
١٩– "الكتاب الأقدس"، ٩٩-١٠٤.
٢٠– المصدر السابق؛ ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١.
٢١– Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, pp. 85–6.
٢٢– المصدر السابق، الصفحتان ٧٦-٧٧.
٢٣– "القرآن الكريم"، سورة المؤمنون، الآية ١٤.
٢٤– من مذكرات ميرزا عزيز الله جذاب، اقتطفها سليماني في "مصابيح هدايت"، المجلد السابع.

الفصل التاسع: فخر الشهداء

١ – "خطاب قلم أعلى در شأن نزول ألواح ملوك وسلاطين".
٢ – مقتطف في "لئاليء درخشان"، الصفحة ٣٩٦.
٣ – "كتاب مبين"، الصفحة ١٦٦.
٤ – المصدر السابق، الصفحة ١٦٩.
٥ – المصدر السابق، الصفحة ١٨٩.

٦ – "بهجة الصدور"، الصفحة ٢٤٣.
٧ – المصدر السابق، الصفحة ٢٤٤.
٨ – المصدر السابق، الصفحة ٢٤٥.
٩– مقتطف في "تاريخ شهداء الأمر"، المجلد الثالث، الصفحة ٣٦٨.
١٠– ترجمة باليوزي، Bahá'u'lláh, The King of Glory, pp. 304–309
١١– "مائدة آسماني"، المجلد الرابع، الصفحتان ١٧٥–١٧٦.
١٢– تاريخ لم ينشر.
١٣– "مطالع الأنوار"، الصفحتان ٢٢٦–٢٢٧.
١٤– "كتاب مبين"، الصفحة ٢٠٨.
١٥– "مائدة آسماني"، المجلد الرابع، الصفحة ٣٤.
١٦– مقتطف في "لئالىء درخشان"، الصفحتان ٤١١–٤١٢.
١٧– "مائدة آسماني"، المجلد الرابع، الصفحة ٣٤.
١٨– مجموعة "إشراقات"، الصفحة ٢٤٧.
١٩– مذكرات لم تنشر.
٢٠– "كتاب مبين"، الصفحات ١٨٩–١٩١.
٢١– مقتطف في "لئالىء درخشان"، الصفحة ١٩١.

الفصل العاشر: وفاة الغصن الأطهر

١ – مذكرات لم تنشر.
٢ – المصدر السابق.
٣ – مقتطف لشوقي أفندي في "The Spiritual Potencies of that Consecrated Spot," *Messages to America*, p. 34.
٤ – "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٢٤.
٥ – من رسالة إلى أحباء الشرق، في ١٩٣٩/١٢/٢٥م.
٦ – من رسالة إلى أحباء الشرق، رضوان ٨٩ب (نيسان ١٩٣٣م).
٧ – مقتطف في *Messages to America*, p. 34.
٨ – مؤرخة في ١٩٣٩/١٢/٢م.

٩ – مقتطف في Messages to America, pp. 32–33.
١٠– "منتخبات من الآثار المباركة"، الصفحة **٦٣**.
١١– من مذكرات الحاج ميرزا حيدر علي غير المنشورة عن ميرزا أبو الفضل.
١٢– "لوح الإشراقات"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة **٢٥**.
١٣– "مجموعة من ألواح الجمال الأقدس الأبهى"، الصفحة **١٦٤**.
١٤– "لوح الدنيا"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة **١٠٥**.

الفصل الحادي عشر: مظلوم العالم

١ – "لوح قد احترق المخلصون"، الصفحة ١٢.
٢ – المصدر السابق.
٣ – مجموعة "إشراقات"، الصفحة **١٥**.
٤ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله" رقم **١٣٠**.
٥ – "لوح السلطان"، "ألواح حضرة بهاءالله إلى الملوك والرؤساء"، الصفحة **٣٧**.
٦ – Quoted by Shoghi Effendi, *The Promised Day Is Come*, p. 47.
٧ – لم ينشر.
٨ – "كتاب القرن البديع"، الصفحات **٢٢٥–٢٢٧**.
٩ – "الكتاب الأقدس"، **٩٩**.
١٠– الصفحة **١٩٠**.
١١– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله" رقم **٣٦**.
١٢– مقتطف في "أسرار الآثار"، المجلد الثاني، الصفحتان **١٦٤–١٦٥**.
١٣– "القرآن الكريم"، سورة الأنعام، الآية **٥٩**.
١٤– المصدر السابق، سورة مريم، الآية ١٨.
١٥– المصدر السابق، سورة آل عمران، الآية ١٨٣.
١٦– "الرسالة الإسكندرية"، لميرزا أبو الفضل.
١٧– "بهجة الصدور"، الصفحة ١٥٨.
١٨– "مائدة آسماني"، المجلد السابع، الصفحات **٢٣٦–٢٣٨**.

الفصل الثاني عشر: أوائل المؤمنين من خارج المجتمع الإسلامي

١ – "مطالع الأنوار"، الصفحتان ٨٩–٩٠.
٢ – المصدر السابق، الصفحة ١٣٤.
٣ – "مائدة آسماني"، المجلد الرابع، الصفحة ٣٦٢.
٤ – "تذكرة الوفاء"، الصفحتان ٢٠–٢١.
٥ – "تاريخ الأمر في مقاطعة يزد"، لم ينشر.
٦ – "كتاب القرن البديع"، الصفحتان ١٢٢.
٧ – "تاريخ سمندر"، الصفحة ٣٤٨.
٨ – لم ينشر.
٩ – "مقالة سائح"، الصفحة ٢٣.
١٠– "مجموعة ألواح مباركة حضرة بهاءالله"، الصفحة ٢٥٩.
١١– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله" رقم ١٠٦.
١٢– "مجموعة ألواح مباركة حضرة بهاءالله"، الصفحات ٢٤٠–٢٤٦.

الفصل الثالث عشر: "الكتاب الأقدس" –١– حكم الله

١ – مقتطف في "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٥٥.
٢ – المصدر السابق.
٣ – مقتطف في "أمر وخلق"، المجلد ١، الصفحة ٨.
٤ – المصدر السابق، الصفحة ١٠.
٥ – *Synopsis*, pp. 3-5.
٦ – "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٥٣.
٧ – مقتطف في *Principles of Bahá'í Administration*, p. 7.
٨ – رسالة في ١٩٧٦/٢/٢٣م.
٩ – Synopsis, p. 6.
١٠– Synopsis, p. ix.
١١– مقتطف في *Principles of Bahá'í Administration*, pp. 6–7.
١٢– "مائدة آسماني"، المجلد السابع، الصفحة ١١٩.

١٣- "الكتاب الأقدس"، ١-٢.
١٤- المصدر السابق، ٣.
١٥- "الكشف عن المدنية الإلهية"، الصفحة ٦٢.
١٦- "الكتاب الأقدس"، ٢.
١٧- "لوح مقصود"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ١٤٤.
١٨- "الكلمات المكنونة" العربية رقم ٢.
١٩- "لوح مقصود"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ١٤٤.
٢٠- "مائدة آسماني"، المجلد السابع، الصفحات ١١٩-١٢٥.
٢١- "الكتاب الأقدس"، ٥.
٢٢- المصدر السابق، ٥٩.
٢٣- المصدر السابق، ١٢٢-١٢٥.
٢٤- مذكرات لم تنشر.
٢٥- المصدر السابق.
٢٦- مذكرات لم تنشر.
٢٧- المصدر السابق.
٢٨- سمع أيادي أمر الله السيد علي أكبر فروتن هذه القصة من السيد مهدي عدة مرات وسجلها في إحدى خاطراته.
٢٩- "الكتاب الأقدس"، ٨٠.
٣٠- "منتخبات آيات از آثار حضرت نقطة أولى"، الصفحة ٢.
٣١- "مائدة آسماني"، المجلد الثاني، الصفحة ٧٩.
٣٢- "الكتاب الأقدس"، ١٧٥-١٧٧.

الفصل الرابع عشر: "الكتاب الأقدس" -٢- نظام عالمي جديد

١ - "الكتاب الأقدس"، ١٨١.
٢ - "الكشف عن المدنية الإلهية"، الصفحتان ٤٨-٤٩.
٣ - بيان مقتطف في المصدر السابق، الصفحة ٦٦.
٤ - "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله" رقم ٦١.

٥ – مقتطف في *The Promised Day Is Come*, p. 121

٦ – "الكشف عن المدنية الإلهية"، الصفحتان ١٤–١٥.

٧ – *The Promised Day Is Come*, pp. 128–129.

٨ – "الكتاب الأقدس"، ٣٠.

٩ – "لوح مقصود"، "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ١٤٩.

١٠– ترجمة المقتطف من كتاب جون كولستو "المشورة، سراج الهداية للعالم"، الصفحة ١٣٥.

١١– *Consultation: A Compilation*, p, 3. ترجم عن الفارسية

١٢– المصدر السابق، ترجم عن الفارسية من كتاب "كنجينه حدود وأحكام"، الصفحة ٢٢٧.

١٣– المصدر السابق، ترجم عن الفارسية من كتاب "كنجينه حدود وأحكام"، الصفحة ٢٢٦.

١٤– شوقي أفندي، "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٣٩٢.

١٥– "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ٢٧.

الفصل الخامس عشر: "الكتاب الأقدس" –٣– التعليم الإلهي

١ – "الكتاب الأقدس"، ١٤٩.

٢ – المصدر السابق، ١٨٢.

٣ – المصدر السابق، ٤٨.

٤ – "مكاتيب عبدالبهاء"، المجلد الثالث، الصفحة ٣٣٣.

٥ – "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحة ٦٩.

٦ – المصدر السابق، الصفحتان ٨٦-٨٧.

٧ – كتيب "التربية والتعليم"، رقم ٨، الصفحة ٦.

٨ – "منتخبات من مكاتيب عبدالبهاء"، المجلد الأول، رقم ٩٨، الصفحتان ١٢٣–١٢٤.

٩ – كتيب "التربية والتعليم"، رقم ١٨، الصفحة ٢٩.

١٠– المصدر السابق، رقم ١٩، الصفحة ٣٠.

١١– المصدر السابق، رقم ٦٢، الصفحة ٥٠.
١٢– من رسالة كتبت بالنيابة عنه، في ١٩٣٩/٦/٧م، مقتطفة في *Bahá'í Education*, p. 70.
١٣– "الكتاب الأقدس"، ٢٠.
١٤– "مكاتيب عبدالبهاء"، المجلد الثامن، الصفحة ٥١.
١٥– الصفحات ٤٨-٨٦.
١٦– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله" رقم ١٥٨.
١٧– "ألواح الخطة الإلهية"، الصفحتان ٢٤–٢٥.
١٨– *Bahá'í Administration*, p. 66.
١٩– مقتطف في "أمر وخلق"، المجلد الثالث، الصفحة ١٢١.
٢٠– "بهجة الصدور"، الصفحة ٢٥٧.
٢١– *Portals to Freedom*, pp. 39-40.
٢٢– المصدر السابق، الصفحات ٥٤–٥٩.

الفصل السادس عشر: "الكتاب الأقدس" –٤– العبادة والحياة اليومية

١ – "الكتاب الأقدس"، ١١٥–١١٦.
٢ – المصدر السابق، ١٥٠.
٣ – مقتطف في *The Bahá'í World*, Vol. III, pp. 159-163
٤ – مقتطف في "أمر وخلق"، المجلد الرابع، الصفحة ٩٢.
٥ – المصدر السابق، الصفحة ٩٣.
٦ – "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ٤٢–٤٣.
٧ – "مائدة آسماني"، المجلد الرابع، الصفحة ٣٣.
٨ – "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ٨٩–٩٠.
٩ – المصدر السابق، الصفحة ٤٠.
١٠– المصدر السابق.
١١– "الكتاب الأقدس"، ١٢٠.
١٢– الفارسية رقم ٢٤.

١٣– الفارسية رقم ٢٥.
١٤– الفارسية رقم ٣٥.
١٥– رسالة مؤرخة في ١٩٤٨/٦/٨م.
١٦– مذكرات لم تنشر.
١٧– "خاطرات نه ساله عكا"، الصفحة ٣٣٦.
١٨– مقتطف في *The Promised Day Is Come*, pp. 26-27.
١٩– المصدر السابق، الصفحة ٢٥.
٢٠– "الكتاب الأقدس"، ٦٣.
٢١– "منتخبات من مكاتيب حضرة عبدالبهاء"، الصفحة ١١٤.
٢٢– المصدر السابق، الصفحة ١١٥.
٢٣– "الكتاب الأقدس"، ٥١.
٢٤– *Bahá'í World Faith*, p. 378.
٢٥– "الكتاب الأقدس"، ١٤٤.
٢٦– العربية رقم ٦٨.
٢٧– الفارسية رقم ٤٨.

الفصل السابع عشر: "الكتاب الأقدس" –٥– ميثاق حضرة بهاءالله

١ – مقتطف في "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٢٦١.
٢ – "الكتاب الأقدس"، ١٧٤.
٣ – المصدر السابق، ١٢١.
٤ – المصدر السابق، ٥٣.
٥ – المصدر السابق، ٤٢.
٦ – المصدر السابق، ١٠٥.
٧ – "البرهان الساطع"، الصفحات ٢٤–٢٦.
٨ – العربية رقم ٥.
٩ – "بهجة الصدور"، الصفحتان ٢٤٢–٢٤٣.
١٠– العربية رقم ٤٢.

١١– "الكتاب الأقدس"، ٥٣.
١٢– "لوح الطب"، "مجموعة ألواح مباركة لحضرة بهاءالله"، ص ٢٢٦.
١٣– "پنج شأن" (الشؤون الخمسة).
١٤– "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ١٠١–١٠٢.
١٥– "مجموعة من ألواح الجمال الأقدس الأبهى"، الصفحة ١٧٠.
١٦– لم ينشر.
١٧– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ١٢٩.
١٨– *Tablets of Abdul Baha*, p. 348.
١٩– من رسالة مؤرخة في ١٩٥٣/٣/٢٨م، مقتطفة في
The Individual and Teaching, p. 32.
٢٠– "الكتاب الأقدس"، ٣٨.
٢١– مذكرات لم تنشر.
٢٢– "تذكرة الوفاء"، الصفحتان ١١٤–١١٥. (جرى تعديل الترجمة)
٢٣– "مائدة آسماني"، المجلد ٥، الصفحة ٢٨٠.
٢٤– "تذكرة الوفاء"، الصفحة ١١٥. (جرى تعديل الترجمة)
٢٥– "مجموعة من ألواح حضرة بهاءالله"، الصفحتان ١٢٧–١٢٨.
٢٦– "القرآن الكريم"، سورة الرحمن، آية ٢٩. نشرت هذه الرواية الشفوية في كتاب "گلزار نعيم"، الصفحة ١٩.
٢٧– "لوح ابن الذئب"، الصفحة ٦٣ (ألمانيا)؛ الصفحة ٧٠ (مصر).
٢٨– "كتاب القرن البديع"، الصفحة ١٢٢.
٢٩– المصدر السابق، الصفحة ٢٥٥.
٣٠– "الكتاب الأقدس"، ٣٩–٤٠.
٣١– المصدر السابق، ٥٤–٥٥.
٣٢– "بهجة الصدور"، الصفحتان ٢٤٩–٢٥٠.
٣٣– "الكتاب الأقدس"، ١٨٢-١٨٣.
٣٤– "مائدة آسماني"، المجلد التاسع، الصفحة ٢٦.

الفصل الثامن عشر: أواخر أيام السجن في الثكنات

١ – "بهجة الصدور"، الصفحتان ١٥٦–١٥٧.
٢ – "تذكرة الوفاء"، الصفحات ٨٧–٨٨، ٨٩.
٣ – "مائدة آسماني"، المجلد الأول، الصفحتان ٥٩–٦٠.
٤ – "مكاتيب عبدالبهاء"، المجلد الرابع، الصفحة ١٤.
٥ – "دورة حضرة بهاءالله، الصفحة ٤٦.
٦ – "خاطرات نه ساله عكا"، الصفحات ٣٣١–٣٣٦.
٧ – مذكرات لم تنشر.
٨ – "مائدة آسماني"، المجلد الثامن، الصفحة ٦٣.
٩ – مذكرات لم تنشر.
١٠– لوح إلى بشير السلطان.
١١– مقتطف في "بهاءالله والعصر الجديد"، الصفحات ٤٠–٤٢. (مع تعديل بسيط)
١٢– "تذكرة الوفاء"، الصفحتان ٤١–٤٢. (جرى تعديل على الترجمة)
١٣– "كتاب القرن البديع"، الصفحتان ٢٣٢–٢٣٣.
١٤– "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم ٤٥.

الملحق رقم ١: نقل رفات حضرة الباب

١ – "مطالع الأنوار"، الصفحة ٥٧٣.
٢ – "كتاب القرن البديع"، الصفحة ٣٢٣–٣٢٤.

الملحق رقم ٢: ميرزا أبو الفضل من گلپايگان

١ – مقتطف في "كتاب الفرائد"، الصفحة ٤٢٤.
٢ – المصدر السابق، الصفحة ٤٢٩.
٣ – مذكرات لم تنشر لميرزا أبو الفضل.
٤ – مقالة في "مجلة البيان"، لشهري شوال وذي القعدة عام ١٣١٣هـ.
٥ – مهرابخاني، "شرح أحوال ميرزا أبو الفضل گلپايگاني"، الصفحتان ١٦–١٧.

٦ – المصدر السابق، الصفحتان **٣٢٨–٣٢٩.**
٧ – "من مكاتيب عبدالبهاء"، المجلد الأول، الصفحتين **٢٠١–٢٠٣.**
٨ – "منتخباتي از آثار حضرت بهاءالله"، رقم **١٥٤.**

الملحق رقم ٣: دفن رفات الغصن الأطهر ووالدة حضرة عبدالبهاء

١ – طبع في *The Bahá'í World*, Vol. VIII, pp. 253-258.

الفهرس

يشمل الجزء الأول من هذا الفهرس قائمة بأسماء ألواح حضرة بهاءالله وكتاباته التي ذكرها المؤلف، بما فيها بعض الألواح التي نزلت بعد عام ١٨٧٧م. بينما يتضمن الجزء الثاني فهرساً عامّاً. وأضيف حرف "ح" بعد رقم الصفحة عند الإشارة إلى الحواشي، وحرف "م" للإشارة إلى مقتطف.

١– ألواح حضرة بهاء الله وكتاباته

٢– الفهرس العام